

نص ينشر لأول مرة

تراجم الأوائل والخلفاء (الأعلام الصغرى)

خير الدين الزركلى



راجعته وقدم له
د. محمد سامان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تراجم الأوائل والخلفاء

(الأعلام الصغرى)

الزركلى، خير الدين بن محمود بن محمد بن
على، ١٨٩٣ - ١٩٧٦.

تراجم الأوائى والخلفاء: (الأعلام الصفرى)/
خير الدين الزركلى؛ راجعه وقدم له: د. محمد
سالم. - القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،
٢٠١٤.

٤٥٦ص: ٢٤ سم.

تدمك ٩ ٧٦٩ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الرجال - تراجم.

٢ - النساء - تراجم.

أ - سالم، محمد (مراجع ومقدم)

ب - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٤٠٩ / ٢٠١٤

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 769 - 9

ديوى ٧، ٩٢٠

تراجم الأوائل والخلفاء

(الأعلام الصغرى)

خير الدين الزركلي

راجعته وقدم له

د. محمد سالماني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٤

وزارة الثقافة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : تراجم الأوائل والخلفاء

(الأعلام الصغرى)

تأليف : خير الدين الزركلى

راجعته وقدم له : د. محمد سامان

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

الإشراف الفنى : مادلين أيوب فرج

تصميم الغلاف : الحبيبة حسين

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.gov.eg

email:info@gebo.gov.eg

الإهداء

إلى..

رؤى..

راجعت بعضاً من صفحات هذا الكتاب،

وأنت على كتفي..

أمل ألا أكون انشغلت

بالماضي عن المستقبل..

محمد

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين وبعد.

فهذا كتاب جديد للإمام خير الدين الزركلي، نقدمه للقارئ العربي للمرة الأولى بعد ما ظل حبيس الأدراج لسنوات طويلة.

خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزرقي (الأزرقى) المعروف فيما بعد بالزركلي (بكسر الزاي والراء) الدمشقي، وأصل نسبه (الزركلي) هو: الزرقلی، نسبة إلى قبيلة كردية زعيمها حسن الأزرقى حاكم ولاية ماردين ولما كانت نسبة الأعلام عند الأتراك في الأسماء هي (لي) فقد عرفت القبيلة بالزرقلية أو الزركلية.

ولد ليلة ٩ من ذي الحجة ١٣١٠هـ (٢٥ يونية ١٨٩٣م) في بيروت، وكانت لوالده تجارة فيها، وهو وأمه دمشقيان.

ونشأ بدمشق، فتعلم في إحدى مدارسها الأهلية. وأخذ عن علمائها، على الطريقة القديمة، واتفق أن رأى أحد الصبيان المجاورين لبيته وهو متأبط كتاباً صغيراً حسن التجليد، وتبرق ورقته الأولى جدةً وحسناً فاندفع إلى سؤاله عنه، وكان مولعاً بقراءة القصص كقصة عنتره وبني هلال وأشتات من تلك الأساطير، فلما رأى الكتاب يتأبطه الصغير، وسأله عن اسمه أجابه بكل كبرياء وعجب: هذا كتاب علم.. وبعد جهد بذله الزركلي عرف أنه كتاب (الآجرومية) في النحو فأحدث في نفسه هوىً جديداً، فأقبل على دراسة النحو واللغة والأدب، ثم مال إلى التاريخ فقرأ جانباً من تاريخ الإسلام، وقليلاً من التاريخ العام واتسع نطاق الميل، فدرس العروض والمعاني والبيان والفقه والتوحيد، وأولع بكتب

الأدب، ونظم الأبيات من الشعر، في صباه، وأدّى امتحان «القسم العلمي» في المدرسة الهاشمية. ودّرّس فيها.

وأصدر مجلة «الأصمعي» أسبوعية، فصادرتها الحكومة العثمانية، لصورة كتبت أنها صورة «الخليفة العربي» المأمون.

وذهب إلى بيروت، فانقطع إلى الكلية العلمانية (لايك) تلميذًا في دراساتها الفرنسية، ثم أستاذًا للتاريخ والأدب العربي فيها.

ورجع، في أوائل الحرب العالمية الأولى، إلى دمشق. وأصدر بها، بعد الحرب (١٩١٨) جريدة «لسان العرب» يومية، مع أحد الأصدقاء. وأقفلت؛ فشارك في إصدار «المفيد» يومية أيضًا. وهياً للطبع مجموعة من شعره أطلق عليها «عشب الشباب» فالتهمتها النار، وأكلت أصولها!

وعلى إثر وقعة «ميسلون» في صباح اليوم الذي كان الفرنسيون يدخلون به دمشق (١٩٢٠) غادر إلى فلسطين، فمصر، فالحجاز. وصدر حكم الفرنسيين (غيابياً) بإعدامه، وحجز أملاكه.

وفي سنة ١٩٢١ تجنس بالجنسية العربية في الحجاز. وانتدبه الملك حسين ابن علي، لمساعدة ابنه «الأمير عبدالله»، وهو في طريقه إلى شرقي الأردن، فمهد السبيل لدخول عبدالله وإنشاء الحكومة الأولى في عمان. وسُمي في تلك الحكومة مفتشاً عاماً للمعارف، فرئيساً لديوان رئاسة الحكومة.

وفي خلال ذلك أبلغت حكومة «الجمهورية الفرنسية» بيته في دمشق، أنها قررت وقف تنفيذ حكمها عليه، فكانت فرصة له لزيارة دمشق، والعودة منها بعائلته إلى العاصمة الأردنية.

وقصد مصر، فأنشأ «المطبعة العربية» في القاهرة (أواخر ١٩٢٣) وطبع فيها بعض كتبه، ونشر كتباً أخرى.

وثارت سورية على الاحتلال الفرنسي (١٩٢٥)، فأذاع الفرنسيون حكماً ثانياً (غيابياً أيضاً) بإعدامه!

وساءت صحته في عمله بالمطبعة، فباعها (سنة ١٩٢٧). واستجم ثلاث سنوات، زار خلالها الحجاز، مدعواً، بعد أن تسلم آل سعود مقاليد الحكم فيه.

وذهب إلى القدس (١٩٣٠) فأصدر، مع زميلين، جريدة «الحياة» يومية. وعطلتها الحكومة الإنجليزية. فاتفق مع آخرين على إصدار جريدة يومية أخرى في «يافا» وأعد لها مطبعة، وأصدر العدد الأول منها.

وأبلغه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل آل سعود، تعيينه (١٩٣٤) مستشاراً للوكالة (ثم المفوضية) العربية السعودية بمصر؛ فترك الجريدة لمن والى إصدارها، وتحول إلى القاهرة.

ومثل حكومة السعودية، في عدة مؤتمرات دولية. وشارك في مؤتمرات أدبية واجتماعية.

وانتدب (١٩٤٦) لإدارة وزارة الخارجية، بجدة. وصدر مرسوم ملكي بأن يتناوب مع صديقه الشيخ يوسف ياسين - وزير الخارجية بالنيابة - العمل في الوزارة وفي جامعة الدول العربية، معاً.

وسُمي (١٩٥١) وزيراً مفوضاً ومندوباً دائماً لدى الجامعة، فشرع بالاستقرار بمصر.

وعُين (١٩٥٧) سفيراً ومندوباً ممتازاً - حسب التعبير الرسمي - في المغرب، حيث آل إليه عمادة السلك السياسي في المغرب، فقام بها مدة ثلاث سنوات. ومرض سنة (١٩٦٣) ودُعي إلى الرياض، فمنح إجازة للراحة والتداوي، غير محدودة. واختار الإقامة في بيروت، فعكف على إنجاز كتاب كان قد بدأ بوضعه، في سيرة عاهل الجزيرة الأول «الملك عبدالعزيز آل سعود» وهياًه للطبع سنة ١٩٧٠.

وكان المجمع العلمي العربي بدمشق، قد تفضل (عام ١٩٣٠) فضمه إلى

أعضائه. وكذلك مجمع اللغة العربية بمصر (١٩٤٦) والمجمع العلمي العراقي في بغداد (سنة ١٩٦٠).

وقام برحلات إلى الخارج أفادته:

الأولى: إلى إنجلترا (١٩٤٦) ومنها إلى فرنسا، ممثلاً للحكومة في اجتماعات المؤتمر الطبي الدولي، بباريس.

والثانية: إلى الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٤٧) بمهمة رسمية، غير سياسية، أمضى فيها سبعة أشهر بين كاليفورنيا وواشنطن ونيويورك وغيرها. وحضر في خلالها بعض اجتماعات هيئة الأمم المتحدة.

والثالثة: إلى أثينا العاصمة اليونانية (١٩٤٥) بصفة «وزير مفوض ومندوب فوق العادة» وجعل طريق عودته منها، إلى استانبول، لزيارة بعض مكاتبها، وإلى حلب، فيروت، فالقاهرة.

والرابعة: إلى تونس (١٩٥٥) مندوباً لحضور مؤتمر أقامه الحزب الدستوري فيها وعاد منها ماراً بإيطاليا، حيث تيسر له في خلال شهرين الطواف في أهم مكاتبها. أما ما نشر من كتبه، فهو:

١ - ما رأيت وما سمعت. وهو رحلته الأولى من دمشق إلى فلسطين، فمصر، فالحجاز، طبع سنة ١٩٢٣.

٢ - عامان في عمان. من مذكراته عن عامين في مدينة عمّان، عاصمة الأردن. طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٢٥.

٣ - الجزء الأول من «ديوانه» الشعري. وفيه بعض ما نظم إلى سنة صدوره (١٩٢٥). ثم نشر ديوانه بعد وفاته بتقديم الأستاذ سليم الزركلي.

٤ - الأعلام. الطبعة الأولى. في ثلاثة أجزاء (سنة ١٩٢٧).

٥ - الأعلام. الطبعة الثانية، في عشرة مجلدات. ووصل عدد طبعاته نحو عشر طبعات.

٦ - ماجدولين والشاعر. قصة شعرية صغيرة.

٧ - شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز.

أصيب أوائل عام ١٩٧٦، وهو في بيروت، بدوار وغيوبة، نقل على أثرهما إلى مستشفى الجامعة الأمريكية ببيروت والأحداث فيها ملتعبة، فظل غائبًا عن الوعي خمسة أيام متواصلات، وفي اليوم السادس أفاق وكان أول ما طلب فنجانًا من القهوة، ثم غاب صوته وأخذ يطلب حاجاته كتابة، حتى أجريت له عدة عمليات، زرعت في إحداها بطارية في جوار قلبه. فأخذ يسترد بعد ذلك عافيته شيئًا فشيئًا.

ولما أصبح قادرًا على المشي نصحه أطباؤه بمغادرة المستشفى.

وفي شهر سبتمبر ١٩٧٦ قدم إلى دمشق فمكث أيامًا في ضيافة ابن عمه الشاعر سليم الزركلي، ثم قصد مصيف بلودان.

وفي أواخر سبتمبر سافر إلى القاهرة؛ حيث ولده الدكتور غيث وبتتان له. أدخل بُعيد هبوطه القاهرة مستشفى في المعادي، وسرعان ما أخذت صحته في التحسن لكنها عادت فسأت مرة أخرى فنقل إلى مستشفى في الزمالك، وهناك ساءت أكثر وتدهورت سريعًا، إلى أن فاضت روحه إلى بارئها في الثالث من ذي الحجة ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٧٦ في إحدى مستشفيات حي الزمالك بمدينة القاهرة.

لقد طوى الموت العلم الذي خلد الأعلام، وهيئات أن تجود بمثله الأيام.

الزركلي شاعرًا:

الزركلي شاعر أصيل، تعلق بعمود الشعر العربي، والتزمه، وصاغ من الموشحات على منوال الأندلسيين.

شعره يتصف بمتانة التعبير، ودقة التصوير، وحسن الديباجة وروعة الموسيقى في حب الوطن والحنين إليه وفي وصف جمال الطبيعة وفي تصوير مآسي شعبه

ووصف معاناتهم في ظل الاحتلال وفي رثاء عظماء الأمة ومشهوريها.

وهو واحد من الشعراء الذين أعادوا للشعر العربي روعته وعظمته وجلال هيبته وخلصوه من التكلف والصنعة، الأمر الذي جعل الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر يقول عنه: «من أدباء دمشق الشاعر المجيد السيد خير الدين الزركلي.. رأيته ينحو في شعره فلسفة المعري».

وقال عنه دكتور شكري فيصل أن الزركلي «أحيا بشعره أمة» وقال أيضًا: «شعر الزركلي نمط رفيع البيان، ورائع التصوير، ونير الأداء لم يبق من القادرين عليه إلا القلة».

وكان شعره أيقونة الثورة السورية .. فتغنت الآلاف بشعره، وهو يقول:

يا راقداً في الشام	يسقيك غاديتها
قد خلت الآجام	من رابض فيها
توالت الآلام	وانقض مزجيها
هل ترجع الأيام	بيضا ليا ليها؟!

ويضم ديوان الزركلي، والذي طبع بعد موته نحو أربع مئة وثمانين قصائد تترواح بين البيت المفرد والأربعين بيتاً، أكثره في القضايا الوطنية، وغابت المرأة عن ديوانه (إلا قليلاً).. وقارئ ديوان الزركلي يجد أن أغلب شعره كتب ما بين عامي ١٩١٩، وعام ١٩٣٩ ويجده أنه كتب في أماكن متفرقة كثيرة كدمشق وعمان وبيروت والطائف والقاهرة وجده والقدس...

وقد أרך الزركلي لبعض قصائده، فقد أרך لنحو (٣٢٤) قصيدة ولم يؤرخ للباقي.. وقد وجدتُ بعضاً من القصائد التي لم تنشر بالديوان وآمل أن يتيسر لي نشره كاملاً مضافاً إليه مسرحيته الشعرية المخطوطة «وفاء العرب».

كتابه الأعلام:

لعل هذا الكتاب هو واحد من أشهر كتب التراجم ومن أنفَسَهَا، جمع فيه الزركلي نحو خمس عشرة ألف ترجمة من العصر الجاهلي حتى عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م)، وقد أصاب به الرجل شهرة عظيمة وأصبح من خلاله صاحب مدرسة مستقلة في فن التراجم.

صنّفه الرجل في نحو خمسين عامًا، وكان «الأعلام» شغله الشاغل وعمله فيه مستمرًا ما امتدت به الحياة، وودّ لو استطاع أن يعمل فيه وهو في المستشفى ورهن مبضع الجراح.. وبلغ من حرصه على استمرار «الأعلام» أن رصد مبلغًا من المال أودعه البنك العربي باسم المجمع العلمي بدمشق مع وصية بها للمجمع بمتابعة العمل فيه بعد وفاته.. حتى أنه قال: «لو أحرق الأعلام لألقيت نفسي في البحر أسفًا عليه» كما ذكر زكريا زعيتر.

الأعلام.. صنعه الزركلي كلمة كلمة وتعهد به بالعبادة والتوسعة وسد الثغرات ويسهر الليل ويلحق به النهار بين أكوام الفهارس ومجموعة المصورات إلى أن استوى على سوقه.

طريقته في ترتيب التراجم أن يرتبها ترتيب المعجم، فأمانة قبل إبراهيم لوجود ألفين في بدء (آمنة)، وأحمد قبل إدريس... غير أنه لم يعتمد سوى الأول والثاني، فكل (محمد علي) عنده في نسق واحد، ولكنه يرتب بينهم بحسب الوفاة معتمدًا على التاريخ الهجري.

وعندما يذكر العلم يذكره بشهرته أو لقبه في بابه من حروف المعجم، ثم يحيل على الاسم الذي تجيء الترجمة تحته، ففي البحث عن (الطبري) يأتي به في حرف (ط / ب / ر) وهو ترتيبه بحسب الشهرة، ثم يحيل إلى الترجمة في موضوعها فيكتب (=) ويعني انظر: محمد بن جرير ٣١٠ هـ والرقم الذي يلي الاسم هو تاريخ الوفاة بالهجري.

وتبدأ الترجمة بشهرة المترجم عنوانًا لها، محددًا تاريخ الولادة والوفاة

بالحجري وما يقابلها بالتاريخ الميلادي، ثم يذكر الاسم كاملاً ويثبت لقبه وكنيته ونسبته من الأعم إلى الأخص (الأنصاري الخزرجي) مثلاً، ثم يذكر المدينة التي ينسب إليها صاحب الترجمة والفرقة التي ينتمي إليها، ثم حرفته، ثم نشأته وتعلمه والمجال الذي تخصص فيه وأهم الأعمال التي تولاها ويبين منزلته، ثم أهم مؤلفاته، ويحيل إلى المصادر والمراجع موضعاً الخلافات بين المصادر ومصححاً لبعض أو هام القدامى ومشيراً إلى المطبوع منها والمخطوط.

الأعلام الصغرى:

لهذا الكتاب قصة طريفة.. فقد تلقيت دعوة كريمة من ابنته السيدة (حياة الزركلي) وقد اصطحبني في تلك الدعوة الأستاذ مصطفى موسى المحقق التراثي المعروف، ولأننا لا نعرف الطريق إليها فكان لزاماً علينا أن يصحبنا إليها ابنها المهندس محمود عبدعاطي وكان موعد لقائنا مغرب الخميس ٢٦ / ١١ / ٢٠١٣م، بالقرب من ميدان الدقي لنطلق لمقابلة السيدة الفاضلة.. ولكن الطريف أن المهندس ليس خبيراً بدروب القاهرة وشوارعها الأمر الذي جعله يصطحب حرمه المصون السيدة/ صافيناز الجمال فهي الخبيرة بتلك الدروب.. وبالفعل كان لقاءنا على الموعد.. انطلقت السيارة تطوي الأرض طياً في طريقها للمعادي يصطحبنا في المسير نيل مصر العظيم.. وعندما وصلنا كانت السيدة «حياة» في استقبالنا بحفاوة بالغة هي سيدة طويلة ممشوقة القوام.. نحيلة الجسم.. بيضاء.. عليها آثار السنين من خلال بعض تجاعيد الزمن.. تحتفظ بذاكرتها عن والدها وأخباره وأحبابه وحياته.. وقصت علينا قصصاً عن كتبه ورحلاته وحبه للعلم.. ثم قدمت لنا حقيبة سوداء كبيرة مملوءة بالأوراق والملفات تولى أ/ مصطفى موسى مهمة فتح الأوراق وتقديمها لنا.. فتجد - مثلاً - مخطوطاً لمسرحية شعرية ومخطوطاً لمقال لم ينشر.. وصورة دراسة مقدمة لدورية ما، وصور لشهادات تقدير مقدمة من المملكة المغربية.... وفي مظهر أبيض صغير كانت - تلك المفاجأة - مخطوط كامل بخط صغير

وجميل ومقروء، على صفحته الأولى أشار الزركلي أنه كتاب لم يكتب له مقدمة ولم يختر له اسمًا، ولم يكمله، ويظن أنه كتبه عام ١٩٢٨!!

أخذتنا الأوراق الكثيرة للنظر فيها ومعرفة ما يصلح للنشر وما يمكننا تقديمه.. بينما أخذت حرم المهندس محمود عبدالعاطي جانبًا ومعها المخطوط الصغير.. تقرأ فيه باهتمام بالغ - فهي متخصصة في التاريخ والآثار - ولأن الزركلي لم يختر له اسمًا.. فكانت دعابتها أنه «الكتاب الأمور» وتتعالى ضحكاتها لهذه التسمية الطريفة..

أخذت «المخطوط» وبعض أوراقه، وودعنا السيدة «حياة» لتكون رحلة العودة.. لم أتم في تلك الليلة بضيقي الجديد في غرفتي.. كتاب جديد.. لم يذكره كل من كتب عن الزركلي.. بل لم يذكره الرجل عندما ترجم لنفسه.. مبكرًا استيقظت صباح الجمعة لأقرأ في تلك الدرة النادرة.. ولأول مرة أعرف قلة صبري.. فلم احتمل ليوم الأحد فأمسكت بهاتفني واتصلت بالأستاذ الدكتور أحمد مجاهد رئيس مجلس إدارة الهيئة وأخبرته بالموضوع والذي رحّب بنشره وأحسست أنه يشاطرنى فرحتي بهذا الكتاب النادر والمجهول.. مر يوم الجمعة ببطء ثم تلاه السبت ببطء أشد، ويوم الأحد مبكرًا ذهبت إلى الهيئة وبدأ نقاشنا حول كيفية الطبع.. هل نكتبه على الكمبيوتر أم نصوره بخط الرجل ليكون تحفة فريدة.. وبعد التجارب والنقاشات العديدة من فريق عمل متكامل استقر الرأي على كتابته بالكمبيوتر، ثم نصوره وليكون الكتاب بصورتيه الجديدة والمخطوطة في غلاف واحد، وأرسلنا الكتاب لقسم «الإسكان» لتصويره على الكمبيوتر.. ولعمري إنني انظر إليه بعد تسليمه لهم تمامًا كرضيع حُرّم من صدر أمه لتوه!!

خصصت موظفًا خاصًا لهذا الكتاب ليأتيني بأخباره يوميًا.. لا عمل له إلا مراعاته والحفاظ عليه وطمأنيتي عليه من وقت إلى آخر ويعود به آمنًا إليّ ليستقر.. يوميًا.. بأحضانِي!!

أخيرًا هذا كتاب أطلقت عليه «تراجم الأوائل والخلفاء - الأعلام الصغرى»

تيمناً بكتاب «الأعلام» ذلك الكتاب، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس وخلد ذكرهم.

والكتاب صغير الحجم لا يتعدى المائتين من الصفحات، وهو أيضاً في مجال التراجم، ولكن أي تراجم التي أفرد لها الزركلي كتابه الصغير؟!

يبدأ الكتاب بترجمة ليست وجيزة للنبي (ﷺ) اسمه وحياته وزواجه وغزواته وبعض أقواله... ثم ينتقل إلى تراجم «بيت النبوة» أجداده بدءاً من عدنان وحتى عبدالله بن عبدالمطرب مروراً بمضر وكعب بن لؤي وقصي وعبد مناف وهاشم بن عبد مناف وعبدالمطلب... ثم ينتقل الزركلي مترجماً لأسرة بني هاشم وفيها ترجمة أبي طالب وحمزة والعباس والحسن بن علي والإمام الحسين ثم ترجمة الأئمة الاثنى عشرية، وتضم ترجمة زين العابدين بن علي والإمام الباقر ثم جعفر الصادق وموسى الكاظم ثم علي الرضا... ثم ينتهي بالإمام المهدي، ثم ينتقل الزركلي مترجماً لملوك الجاهلية بدءاً من حموربي وقحطان ويعرب وسبأ وحمير وتبع وعمرو بن لحي وحذيفة الوضاح وكليب..... فإذا ما انتهى إلى قيس بن زهير. فيبدأ باباً جديداً - في تراجمه لتكون تراجم الخلفاء الراشدين - بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم يبدأ بتراجم لخلفاء بني أمية، فإذا ما انتهى منهم فتكون تراجم الخلفاء العباسيين، ومنها إلى خلفاء المسلمين في الأندلس. المتأمل بين تراجمه في كتابنا وردت - بعضها - مفصلة وقد يروي بعضاً من سيرته وأشعاره ولذا قد تمتد الترجمة لصفحة أو اثنتين وقد تزيد أحياناً، وقد تقصر فتصل لثلث الصفحة.

وعلى هذا فإن هذه التراجم - بمادتها - غير موجودة بكتاب الأعلام وإن ورد أصحاب التراجم بالأعلام.

وإذا كان كتاب «الأعلام» ضمّ نحو خمس عشرة ألف ترجمة، وأورد صوراً لبعض من ترجم لهم كما أورد خطوطاً لبعض منهم ممن تيسر له في العهود القريبة. فإن كتابنا هذا ضمّ ما يقرب من مائة وخمسين ترجمة.

وإذا كان الزركلي في كتابه «الأعلام» بدأ مبوَّبًا ومرتبًا الأعلام حسب الترتيب الألفبائي.. فإن ترتيبه هنا في الأعلام الصغرى ترتيبًا زمنيًا عدا ترجمة النبي (ﷺ) التي تصدرت الكتاب.

وإذا كان الزركلي لم يختار له اسمًا ولم يكتب له مقدمة كما نص بخطه.. فكان حريًا بنا أن نكتب له مقدمة نعرف فيها بالزركلي وكتابه هذا ومنهجه ومصادره والفرق بينه وبين كتابه الكبير «الأعلام»، ثم كان لزامًا علينا أن نعطيه - أي الكتاب - عنوانًا، ولذا كان العنوان الأقرب إلينا وإلى روح الزركلي «تراجم الأوائل والخلفاء - الأعلام الصغرى».

يبدأ الزركلي ترجمته باسم الشهرة للمترجم أو اسمه الحقيقي إذا كان المترجم له مشهور به.. فنجد تراجم - مثلاً - بالأسماء الحقيقية وعبد مناف، ولهاشم ابن عبد مناف، وعبدالمطلب بن هاشم، وعبدالله بن عبدالمطلب، والحسن ابن علي، والحسين بن علي.... وقد تجد ترجمة بأسماء الشهرة دون الاسم الحقيقي، فنجد ترجمة لجذيمة الوضاح، وتُبَّع، حتى ما وصلنا للعباسيين فتجد تراجم أبو العباس السفاح، والراضي بالله، والمقتدر بالله... ثم ينتقل الزركلي بعد الاسم المترجم له بذكر سنة الميلاد وكذا سنة الوفاة على أرجح الأقوال.

ثم تبدأ الترجمة ولكن يلاحظ أن تراجمه في صدر الكتاب (بيت النبوة والأئمة الاثنى عشرية والملوك والأمراء، والخلفاء الراشدين)، كان الزركلي يبدأ الترجمة مباشرة، باسم المترجم له وميلاده ونشأته.... ولكن مع خلفاء بني أمية وبني العباس والأندلسيين كان حريصًا أن يصدر الترجمة بعدة سطور عن شخصية المترجم له، يدرك القارئ منها أهمية تلك الشخصية وقوتها أو ضعفها.. انظر - مثلاً - ترجمة (سليمان عبدالملك) يقول: «لم يكن صاحب هذه الترجمة من أولئك الرجال الذين حالفهم التوفيق فسادوا وسادوا، ولكنه قصُرت مدته، وحاول القيام بعمل عظيم فلم يفلح، وكان الناس قد استبشروا بتولييه بعد أخيه....».

كما كان الرجل حريصاً على ذكر خاتمة للترجمة يضمنها مدة تولية الخلافة بالسنين والشهور وأحياناً الأيام، وذكر عدد أولاده ومكان دفنه.

- حرص الزركلي أن يذكر مصادره في كتابه - على الرغم من تصريحه المباشر على أنه سيذكرهم بقائمة في نهاية الكتاب، ولكنه لم يفعل - وقد أحصيت عدد المصادر التي ذكرها في ثانيا التراجم فتعدت السنين مصدرًا، ما بين مصادر تختص بالتاريخ العربي والإسلامي في الشرق كتاريخ الشام لابن عساكر، وتاريخ بغداد والمعارف لابن قتيبة، والأغاني للأصفهاني، وبين كتب تضم التاريخ المغربي والأندلسي كنفح الطيب للمقري، والبيان المغرب لابن عذارى المراكشي أو المعجب في تلخيص أخبار المغرب، كما اعتمد على كتب تاريخيه عامة كالكمال في التاريخ لابن الأثير وتاريخ الطبري، وتاريخ ابن الوردي.. كما اعتمد على كتب الأنساب ككتاب.. «سبائك الذهب» للقلقشندي، وكذا نجد كتب التراجم، فتجد وفيات الأعيان لابن خلكان، وشذرات الذهب لابن العماد، وتاريخ النحاة للسيوطي.. لم يتوقف الزركلي على الكتب العربية فتعدها إلى كتب مترجمة ككتاب «السياسة الإسلامية» لماريين، و«تاريخ الجاهلية» لدى برسفال كما اعتمد على العديد من الدوريات كمجلة لغة العرب، ومجلة الشرق.

- وكما كان الرجل حريصاً على ذكر المصادر والمراجع.. كان - أيضًا - حريصاً على ذكر خلافات المؤرخين، ولكنه عند الخلاف يتجاذب الزركلي جانبان..

الأول منهما.. أنه يذكر الخلاف فقط كما في ترجمة (الحسين بن علي)، قال: «وبعد قتال عنيف نشب بين الفريقين، أصيب الحسين بجراح شديدة، فسقط عن فرسه، فقتلوه، قيل قاتله سنان بن أنس النخعي، وقيل: الشمر بن ذي الجوشن، وأرسل رأسه ونسأؤه وذرايه إلى يزيد.... واختلفوا في الموضع الذي دفن رأس الحسين فيه، فقائل في الشام، وقائل بل دفن مع الجثة في كربلاء وقائل غير ذلك» فقد ذكر الزركلي الخلاف ولم يبد رأياً فيه.

والثاني: نرى الزركلي يدخل طرفاً في الخلافات ويرجح رأياً أو يصبو تاريخاً أو موقفاً كما في ترجمة (علي الرضى) فيقول: «... وفي سبائك الذهب للقلقشندي أن وفاته كانت سنة ٢٣٠هـ والصحيح ما ذكرته [٢٠٣هـ] واعتمده ابن خلكان وأكثر المؤرخين».

والزركلي لم ينقل فقط، ولكنه حاضر في كتابه له آراؤه، ففي ترجمة (جعفر الصادق) يقول: «والشيعة تذكر أن لجعفر كتاباً يدعونه (الجفر) ذكر فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة. وهذا الوصف باطل».. كما أنه لم يقرّ للفيلسوف الألماني ماربين في كتابه «السياسة الإسلامية» بشأن الحسين (انظر: ترجمة الحسين بن علي) ولذلك نرى للزركلي آراء كثيرة، فله رأي في البدع والأوهام والخرافات (انظر: ترجمة علي الخالص) ورأي عن أهل السنة والشيعة (انظر: ترجمة: المعتصم بالله).

كما نجد له رأياً أدبياً ونقدياً، ففي ترجمة (سليمان بن الحكم الأندلسي) وقد أورد أبياتاً شعرية ثم قال: «وهذه القصيدة إنما نظمها المستعين معارضاً الأبيات التي عملها العباس بن الأحنف على لسان هارون الرشيد، وأورد منها أبياتاً ثم قال.. وهذه القطعة أرشق وأعذب..».

- والكتاب على الرغم من صغر حجمه فإنه يضم الكثير من اللقطات، فتجد لقطات لغوية (ترجمة حمير / تبع / الضيزن السليحي / الناصر)، ففي ترجمة حمير - مثلاً - يتعرض للغة اليمن التي تختلف عن لغة العرب الحجازيين، فيتكلم عن (الوتم) وهو إبدال السين تاء فيقول: النات بدلاً من الناس، وكذلك عن (الشنشنة) وهي إبدال الكاف شيناً، وإبدال لام التعريف ميماً، وقد ورد أن رسول الله (ﷺ) تكلم بتلك اللغة، حيث قال: «ليس من امبر امصيام في امسفر»، ويقصد: «ليس من البر الصيام في السفر»... إلخ.

كما نراه يعدد أسماء الأصنام عند العرب، وما تعبد به القبائل منها (ترجمة عمرو بن لحي).

- اعتمد الزركلي على بعض كتب ليست لدينا تلك النسخ التي اعتمد عليها

ففي (ترجمة علي الهادي) أورد أبياتاً شعرية، وذكر أن الأبيات أكثر من ذلك في كتاب «الكنز المدفون» ولكن بالرجوع للكنز المدفون لم نر الأبيات على ما ذكره الزركلي، وعلى هذا فقد اعتمد الرجل على نسخة للكنز ليست بين أيدينا الآن.. وفي هذا السياق ذكر الزركلي كتاباً له تحت عنوان «الصيّب المثال في شرح أرجوزة الأمثال» كما أشار إليه في ترجمة (كليب) وأسأل الله أن نعثر عليه في قابل الأيام، ليعد إضافة حقيقية لتراث الرجل الأدبي والثقافي.

- في ثانياً بعض الترجمات ينوه الرجل إلى أن هناك تراجم للشعراء والقوادر وغيرهم، ففي ترجمة (كليب) - مثلاً - أشار إلى أنه سترجم للمهلل في (ديوان الشعراء)، وكذلك في ترجمة (عمرو بن هند) ذكر أنه سترجم لعبيد بن الأبرص... إلخ مما يؤكد أن الرجل بدأ كتابه بطموحات كبيرة وآمال عريضة ثم عدل عنها، وهو ما أشار إليه في نهاية الكتاب، وربما وجد في كتابه «الأعلام» غنى عن هذه التراجم فتوقف عند هذا الحد.

- وأخيراً إليك عزيزي القارئ، هذا الكتاب الصغير حجمًا، الكبير مقامًا، الكثير علمًا فهو بحق موسوعة أدبية جامعة به الأنساب والشعر، والحكم والتاريخ، والمعارك والفتوحات، والأقوال والنوادر...

وبعد... فهذه نسخة خطية واحدة.. اجتهدت لضبطها ما استطعت ولم أتدخل في النص إلا نادرًا وقد وضعته بين معقوفتين [] لنبين للقارئ أن ما بينهما ليس للزركلي. فإن باءت اجتهداتي بالفلاح فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فمني التقصير وللقارئ، الاعتذار، والله أسأل التوفيق والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. محمد علوان سامان

القاهرة في مساء الإثنين

١٢ من ربيع الأول ١٤٣٥ هـ

١٣ من يناير ٢٠١٤ م

«لأضع لهذا الكتاب اسماً، ولا مقدمة، ولا أكمته. . وأظني كتبته

حوالي سنة ١٩٢٨م أيام وضعت «معجم ما ليس في المعاجم»

لقصاصات الصحف».

خير الدين

بيت النبوة

إيضاح

تحت لواء عنوان «بيت النبوة» كل من انعقد نسبه بنسب النبي القرشي (عليه أفضل الصلاة والتسليم)؛ ممن تقدمه من عهد عدنان، أو من تأخر عنه إلى هذا الزمان، وذلك أمر يطول على مثل هذا المصنّف، وأحر به أن يكون في تأليف ينفرد له، أما ما عوّلت على الاكتفاء به في هذا الباب فهو أنني سأفتحه بذكر خلاصة ترجمة الرسول الأعظم، ثم ألحقها بأخبار أشهر رجال نسبه الشريف، ثم بالكلام على أنبه أعمامه ذكراً وأرفعهم قدرًا وأختمه بالسبطين الأكملين (رضوان الله عليهما)، وبقية الأئمة الاثنى عشر وأما أشباههم [...] ^(١) الفضيلتين: الارتباط بالنسب النبوي الأغر، والنبوغ؛ كالعلم والرياسة والشجاعة وأمثالها: مما أفردت لكل منه فصلاً أشبعتُ الكلام فيه على ما أردت الإتيان عليه، فيلتمسهم طالب الوقوف على أخبارهم وآثارهم في مظانهم من فصول الكتاب.

الله أسأل تسديد خطاي إلى واضح السبيل

(١) سقط بالأصل..

محمد رسول الله

ولد سنة ٥٧١م - ٥٣ق.هـ

وهاجر سنة ٦٢٢م - ١هـ، وتوفي سنة [١١هـ]

بينما العرب في ليلة ليلاء، من جاهلية عمياء، يأكل قويُّهم ضعيفهم، ويفضِّل غويُّهم شريفهم، وأنصاب الفتنة منصوبة، سيوف مسلولة، وأرواح مبذولة، ولا رادع، ولا حَكَم ولا مسيطر، وهم إلى الفناء أقرب منهم إلى [...] ^(١)، بعيدون عن فضائل العلم والمدنية، لا همَّ لهم إلا القتال والنزال، على كثرة ما فيهم من ذوي العقول الرجيحة، والألسنة الفصيحة، وما في أخلاقهم من الألفة، والنجدة، والإباء، والغيرة، وما في أجسامهم من القوة والمتانة والصلابة، وما في عشائريهم من التضامن والتراص، لولا إحنٌ وأحقاد، تتوارثها الأحفاد، عن الآباء، عن الأجداد؛ رأت في قلوبهم مكانًا خاليًا فتحكمت، فشغلتهن عن مجارة غيرهم من [...] ^(٢) الفرس والروم في حلبة الحضارة والعمران، والعلم والعرفان [...] ^(٣)، أراد الله بهم الخير؛ فأرسل لهم من أنفسهم هاديًا حكيمًا مرشدًا، ضمَّ كلمتهم ووحد جمعهم، وأمات كامن أضغانهم، وأسس فيهم بنيانًا لا يتهدَّم، وأودع في أدمغتهم نورًا لا تطفئه العصور والدهور، ذلك هو: النبي الأعظم: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإلى هنا ينتهي نسبه الشريف وما وراء ذلك فالخلاف فيه كثير. ولد (ﷺ) بمكة، ومات أبوه بعد مولده بشهور، فكفله جده عبد المطلب، وماتت أمه آمنة بنت وهب وعمره ست

(١ - ٣) كلمة غير واضحة بالأصل.

سنوات، ثم مات جده وله من العمر ثمانية أعوام، فأتم تربيته عمه أبو طالب، فنشأ معروفاً بالشجاعة والهمة والأمانة والصدق والأخلاق الفاضلة والعقل وقوة الإدراك، ولقبه قومه بالأمين.

ولما بلغ الخامسة والعشرين زوجه عمه بخديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، وكانت قد أرسلته بتجارة إلى الشام فأفلح وربح، وفي العام الأربعين من مولده بعثه الله إلى الناس مبشراً ونذيراً؛ فجعل يدعوهم ويرشدهم خفية مدة ثلاث سنين، ثم أعلن الدعوة وكان قد آمن به جماعة من أهله وذوي قرباه، فهزأت به قريش وآذته، فصبر، وأقام بمكة مدة مات في أثنائها عمه وأكبر عاصم له من أعدائه: أبو طالب بن عبد المطلب، وأسلم في أواخرها عمه حمزة بن عبد المطلب نجدة لابن أخيه ونصرة له، وأسلم عمر بن الخطاب، وكثر عدد نصرائه وفيهم ابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وصديقه أبو بكر، وصاحبه عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. فرأى النبي (ﷺ) أن يأذن لمن ليس له عشيرة تحميه من شر قريش بالهجرة إلى أرض الحبشة، فهاجر جماعة من أصحابه، ثم أسلم ستة من الأوس والخزرج من سكان المدينة، وذهبوا إليها فنشروا الإسلام في أبنائها، فجاء منها اثنا عشر من الأنصار فأمنوا به فبعث معهم مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف ليعلمهم شرائع الإسلام والقرآن، فلم يمض غير قليل حتى لم تبق دار في المدينة من دور الأنصار إلا وبها مسلمون إلا دار بني أمية بن زيد. ثم ذهب إلى مكة جماعة منهم فعرضوا على النبي وأصحابه الهجرة إليهم والإقامة في يثرب وهي المدينة المنورة، وعاهدوه على أن يدافعوا عنه، فاستوثق منهم، وأمر أصحابه بالخروج من مكة ثم لحقهم، وبلغ قريشاً خبر رحلته فقصدوه ليقتلوه فحماه الله منهم، ودخل المدينة مهاجراً بعد إقامته بمكة ثلاثة عشر عاماً.

ومن سنة دخوله المدينة يبتدئ التاريخ الهجري. وكانت الدعوة الإسلامية لا تخرج عن حد الدليل والبرهان، ولكنه لما اطمأن في المدينة وعلم أن أعداءه غير تاركيه بل لابد لهم من قصده ومحاولة إيذائه، رأى أن السيف لا يدفعه إلا السيف؛ فأمر المسلمين بإعداد القوة ومحاربة خصومهم وبغاة الشر بهم. فحدثت مناوشات يسيرة ثم عظم أمرها.

فلما كانت السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان كانت غزوة بدر الكبرى. وفي هذه السنة كانت غزوة بني قينقاع، والكُدر والسويق. وفي السنة الثالثة كانت غزوة أحد، وغزوة حمراء الأسد، وفي الرابعة غزوة الرجيع، وغزوة ذات الرقاع، وغزوة بدر الثانية. وفي السنة الخامسة كانت غزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وفي السادسة غزوة بني لحيان، وغزوة ذي قرد، وغزوة بني المصطلق، وفيها بعث رسول الله الرسل إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم من عظماء الملوك كالمقوقس بمصر، والهارث الغساني بالشام. وفي السنة السابعة من هجرته كانت غزوة خيبر. وفي الثامنة غزوة ذات السلاسل، وغزوة مؤتة، وفيها فتح المسلمون مكة المكرمة، وكانت غزوة هوازن بحنين. وفي التاسعة غزوة تبوك، وغزوة طي... وكل هذه الغزوات كانت حروباً بين المسلمين وعرب الحجاز، وأكثرها تيم به النصر للمسلمين، حتى ارتفع شأنهم، وطأطأت لهم العرب رؤوسها؛ فدخلوا في الدين أفواجاً، وأرسلت القبائل وفود الطاعة.

ولم يتوفه الله إلا بعد أن فتحت له بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما داني ذلك من الشام والعراق، وجبى له من أخماسها وصدقاتها وجزيتها ما لا يُجبى للملوك إلا بعضه، وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم فلم يستأثر بشيء مما ورد عليه ولا أمسك منه درهماً بل صرفه على مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين.

وكان (ﷺ) شجاعاً مقداماً، خطيباً، أوتي جوامع الكلم، متصفاً بصفات

الكمال، قال أنس بن مالك: كان رسول الله (ﷺ): أشجع الناس وأسمح الناس، وأحسن الناس، وقع في المدينة فزع فركب فرسًا عريًا، فسبق الناس إليه وهو يقول: أيها الناس لم تُراعوا لم تُراعوا.

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله (ﷺ)؛ فكان أقربنا إلى العدو.

ودُوِّنت كلماته من بعده. قال (ﷺ): «أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارًا».

وهذه نبذة من أقواله في الاجتماع والسياسة والأخلاق:

- «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».
- «أحبُّ الجهاد إلى الله: كلمة حق تقال لإمام جائر».
- «أحب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما».
- «اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس؛ فإن الأمور تجري بالمقادير».
- «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».
- «ألا أدلكم على أشدكم؟ أملككم لنفسه عند الغضب».
- «الاقتصاد نصف العيش، وحسن الخلق نصف الدين».
- «الجنة تحت أقدام الأمهات».
- «الجنة تحت ظلال السيوف».
- «الحزم سوء الظن».
- «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».
- «خير الناس أنفعهم للناس».

- «دعوا الحسناء العاقر، وتزوجوا السوداء الولود، فإني أكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

- «الرمي خير ما لهوتم به».

- «رُزُ غِبًا تزدد حُبًا».

- «الصبر عند الصدمة الأولى».

- «عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره».

- «ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه».

- «من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين».

- «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام».

- «المستشار مؤتمن فإذا استشير فليُشر بما هو صانع لنفسه».

ومما أثبتته رجال الحديث وثقة الرواة من نعوته وأوصافه (عليه السلام):

كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه كأنه منذر جيش.

وكان إذا خطب في الحرب خطب على قوس وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا.

كان طويل الصمت قليل الضحك، وإذا تكلم تبسم.

كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير.

كان يخطط ثوبه ويخفف نعله ويجالس المساكين.

كان إذا مشى لم يلتفت، وإذا التفت التفت جميعاً، يتكفاً في مشيه كأنما ينحط من صلب^(١).

(١) يتكفاً: يتمايل إلى الأمام. صلب: أي منحدر من الأرض. انظر: مشكاة المصابيح: ٢ / ٤٣٤.

كان إذا ضحك وضع يده على فيه.
 كان إذا اهتمَّ أكثر من مسِّ لحيته.
 كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها، وهو القائل: الحرب خدعة.
 كان أشدَّ حياء من العذراء في خدرها.
 كان ضخم الرأس واليدين والقدمين، ليس بالطويل ولا القصير، سبط الشعر.
 كان فيه دعابة قليلة، وإذا مزح غَضَّ بصره.
 كان في كلامه ترتيل وترسيل.
 كان لونه أسمر، وخلقته تامة، عيناه سوداوان، وفي خديه حمرة.
 كان متواضعا في غير مذلة.
 كان يأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته.
 كان يرسل شعره إلى أنصاف أذنيه.
 كان يلبس قلنسوة بيضاء.

وكتب الحديث مفعمة بدرر ألفاظه مشحونة بمحاسن أوصافه، وأما معجزاته فحسبنا منها المعجزة الخالدة التي هي القرآن الكريم المُبَكِّم بفصاحته بلغاء الجاهلية المحيِّر بأحكامه حكماء الناس أجمعين، وهو الذي أجمع عقلاء الأمم كافة على أنه أفضل الكتب السماوية وأجدرها بالبقاء وأصلحها للبشر وأنفعها للناس، وكان رسول الله (ﷺ) كثير الزوجات، قال ابن الكلبي النسابة: تزوج النبي خمس عشرة امرأة، دخل بثلاث عشرة منهن، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي وعنده تسع نسوة، وولد له سبعة أولاد: ثلاثة ذكور، وأربع بنات. فأما الذكور؛ فالقاسم - وبه كان يُكنى -، وعبد الله، وإبراهيم، وكلهم ماتوا صغارا لم يتجاوز أحدهم الستين. وأما البنات: فزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. وكلهن عشن حتى كبرن وتزوجن، ولم يكن لرسول الله (ﷺ) نسل

إلا من ابنته فاطمة، تزوجها ابن عمه علي بن أبي طالب، فولدت له الحسن والحسين، وإليهما نسبة كل منتسب إلى النبي المصطفى (صلوات الله عليه)، وولد لها ولد ثالث سمته مُحَسَّنًا، مات صغيرًا، وكان لرسول الله كُتَّاب يستعين بهم؛ لأنه لم يتعلم الكتابة، منهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وزيد ابن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، وكان له سيَّافون يضربون الأعناق بين يديه، وحُرَّاس اتخذهم حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧)، فتركهم، ومؤذنون، ورُسل، وشعراء، وخطباء، وخدَم، وخيل، وبغال، وإبل، وحماران، وسلاح كثير من سيوف ودروع وقسي ورماح وحراب وخوذة ومجنّ. وفي آخر سنة من حياته الشريفة حج حجة الوداع وخطب فيها فأبان للناس ما لهم وما عليهم وهي من أطول خطبه وأكثرهن استيعابًا لأُمور الدين والدنيا. وفي المدينة المنورة بدأ به ألم في آخر صفر، وحُمَّ واشتد به الصداع فتوفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول. وفي مثل هذا اليوم كان مولده، فدفن في مرقده الشريف في المدينة المنورة، بعد أن أسس للناس مدينة أشرقت شمسها اليوم في جميع أقطار الأرض ودينًا يعتنقه نيّف ومئتا مليون من البشر، صلى الله تعالى عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عدنان

كان في نحو سنة ١١٠٠ قبل الهجرة

كان النبي (ﷺ) إذا انتسب فبلغ عدنان يُمسك ويقول: كَذَبَ النَّسَابُونَ. فلا يتجاوزه، وإجماع المؤرخين ورجال الأنساب على أن عدنان من أبناء إسماعيل ابن إبراهيم (عليه السلام)، والذي اعتمده القلقشندي في نسبه إلى إسماعيل أن عدنان ابن أد بن أدد الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قidar بن إسماعيل (عليه السلام)، وإسماعيل يبتدئ به القسم الثالث من أقسام العرب في جاهليتهم، وذلك أن المؤرخين يسمون الجيل الأول من أجيال العرب «العرب العاربة» وهم الذين انقطعت أخبارهم وبادت آثارهم، وربما سموهم العرب البائدة، ومنهم قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وجرهم الأولى. والجيل الثاني يبتدئ بقحطان وسموه «العرب المتعربة» يذهبون إلى أن قحطان وابنه يعرب أخذوا العربية عنهم تقدمهم وسيأتي الكلام على قحطان وبنيه. والجيل الثالث «العرب المستعربة» ويبدأ بإسماعيل (عليه السلام) وسموهم مستعربين لأن إسماعيل لم يكن عربياً، وإنما هاجر ومعه أمه هاجر من الشام إلى الحجاز، وكان الحجاز وتهامة حينئذ مقرّ العمالة، فأصاب سكان اليمن مجاعة نشأت عن قحط أصاب بلادهم فأقبلوا مهاجرين نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى، فاجتمع بهم إسماعيل وأمّه فأقبلوا معهم، واحتلوا أسفل مكة، ثم حاربوا العمالة سكان الحجاز فأهلكوا أكثرهم، وأقام اليمانيون المهاجرون في ربوع الحجاز وتهامة وفيهم بقية من جرهم الثانية (وهم من العرب المتعربة) فنشأ إسماعيل فيهم وتعلّم منهم اللغة العربية، وكان يتكلم بالعبرانية، وزوجوه من بناتهم فخرج فيهم نسله وكان من أحفاده عدنان المترجم وإليه يُنسب الجَم الغفير من عرب الحجاز: وذلك أنه ولد له معدّ وولد لمعدّ نزار، ومن نزار ربيعة ومضر: وهذان هما اللذان كثرت بطونهما.

فكان من ربيعة قبائل كثيرة لها شهرة وذكر في تاريخ العرب إذ كانوا يناصون مضر في الشرف والرفعة، ومنهم كان أكثر الخوارج في الإسلام، ومنهم بنو أسد وبنو عبد القيس، وعنزة وبكر وتغلب ووائل والأراقم والدؤل وغيرهم مما بسطه علماء الأنساب - انظر أنساب العرب للقلقشندي.

وتشعبت قبائل مضر إلى شعبتين: قيس بن عيلان بن مضر، وبطون إلياس ابن مضر. فمن بني قيس بن عيلان: بنو غطفان، وبنو سليم بن منصور، ومن غطفان بغيض بن ريث، وعبس وذبيان ابنا بغيض، وما يتفرع منهما، ومن سليم ابن منصور بن بُهته وبنو هوازن.

وإما إلياس: فكان من بنيه تميم بن مر، وهذيل بن مدركة، وبنو أسد ابن خزيمة وبطون كنانة بن خزيمة، ومن كنانة: قريش. وهم أولاد فُهر ابن مالك ابن النضر بن كنانة.

وانقسمت قريش، فكان منها جُمح وسهم ابنا هصيص بن كعب، وعدي بن كعب، ومخزوم بن يقظة بن مرة، وتيم بن مرة، وزُهرة بن كلاب، وعبد الدار ابن قصي، وأسد بن عبد العُزي بن قصي، وعبد مناف بن قصي، وكان من عبد مناف أربع فصائل: عبد شمس، ونوفل، والمطلب، وهاشم. وبيت هاشم هو الذي كان منه سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم. ومنه العباسيون أولاد عباس بن عبد المطلب. ومن بني عبد شمس بن عبد مناف بنو أمية الخلفاء.

هذه خلاصة موجزة عن بعض بطون عدنان وقبائلها الذين انتشروا في أنحاء الحجاز وتهامة ونجد والعراق، ثم اليمن، ونحن وإن أطلعنا في إيرادها، ولكن البحث يضطرنا إلى ذكر أكثر مما ذكرنا. والله بخليقته أعلم.

مُضَر

مات في نحو سنة ٩٥٠ قبل الهجرة

مضر بن نزار بن معد بن عدنان: أحد سادات قريش، وبنوه كما في العبر: أهل الكثرة والغلبة بالحجاز من سائر بني عدنان. ولهم الرياسة بمكة والحرم. ومضر: أول من سنَّ الحداء للإبل، وكان من أحسن الناس صوتاً، وهو صاحب المثل السائر «بصبصن»، إذ حُدين بالأذنان»، قاله وكان في سفر فوق فرُضت يده فجعل يصيح من ألمه: يا يداه! يا يداه! فأنته الإبل القريبة منه وكانت ترعى فلما صلح وركب حداً، فأعجبه ما رأى من الإبل فقال: بصبصن... إلخ، فذهبت مثلاً. ومات بمكة.

كعب بن لؤي

مات في نحو سنة ٣٠٠ - ٤٠٠ قبل الهجرة

أبو هصيص كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر: قرشي من كبار سادات العرب في الجاهلية وله أعمال مشهورة وذكر في تاريخ الجاهليين معروف. قال القلقشندي: كان كعب عظيم القدر عند العرب فلما مات أرخوا بموته إلى عام الفيل (وهو عام مولد النبي ﷺ)، ثم أرخوا بالفيل إلى أن ظهر الإسلام؛ فكانوا يؤرخون بالوقائع العظيمة إلى أن قرَّ رأي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على اتخاذ هجرة الرسول الأعظم تأريخاً للمسلمين... وهو أي كعب أول من سنَّ الاجتماع في الجمعة، وكانت العرب تسميه يوم العروبة. كانت قريش تجتمع إليه في هذا اليوم فيخطبهم ويعظهم، وقيل: كان يذكر لهم أنه سيكون من ولده نبي يبعثه الله. وهو الذي سمى يوم العروبة بيوم الجمعة. وقال ابن الأثير المؤرخ: كان كعب يخطب الناس أيام الحج. فهو من الخطباء الأمراء. وهو الأب الثامن للنبي الهاشمي المختار، وكانت إقامته بمكة وفيها مات.

قُصَيِّ

مات في نحو سنة ٢٠٠ قبل الهجرة

أبو المغيرة قُصَيِّ، واسمه زيد، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي: كان سيد قريش ورئيسهم والمشار إليه منهم. مات أبوه وهو طفل صغير. فتزوجت [أمّه، فاطمة بنت سعد، رجل من بني عُدرة يدعى ربيعة بن حرام، وسار بها الشام فأخذت قصيًا معها، فشبَّ في حجر ربيعة، وسُمِّي قصيًا لبعده عن دار قومه، فكان قُصَيِّ ينتمي إلى ربيعة إلى أن كبر فكان بينه وبين رجل من قضاة شيء فعيره القضاء بانتسابه لغير أبيه، فعاد إلى أمه فسألها فأخبرته، فلما كان الشهر الحرام خرج مع الحاج حتى قدم مكة فتعرّف إلى قومه من قريش فعرفوه؛ فأقام بينهم وكثر ماله، وكان موصوفًا بالدهاء والعقل ومعرفة الطرق الموصلة إلى السيادة والرياسة، فعظم شرفه، وولي الكعبة، ثم كانت له مع القبائل حروب ووقائع رفعت ذكره واضطرته أن يجمع قومه إلى مكة من الشعاب والأودية والجبال فسمّوه مجتمعا. وملكوه عليهم فكان أول قرشي من ولد كعب بن لؤي أصاب ملكًا أطاعه به قومه. وقسم مكة أرباعًا ومنازل بين قومه فبنوا بها المساكن، وكان إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف قريش كله. قال في كامل التواريخ: وتيمنت قريش بأمره ورأيه فكانت لا تعقد نكاحًا إلا في داره ولا يتشاورون في أمر ينزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء للحرب إلا في داره يعقده بعض ولده، وكان أمره في قومه كالدين المتبع في حياته وبعد مماته.

وحفر بمكة بئرًا سماها العجول وهي أول بئر حفرتها قريش بمكة، ولما كبر وبلغ سن الهرم جلس في دار الندوة، وهي دار في مكة كانت قريش تجتمع بها في قضاء أمورهما، وجمع بنيه وكانوا قد شبوا وسادوا فرأى أكبرهم سنًا أضعفهم شأنًا، وهو ولده عبد الدار، فأشفق عليه فقال له: والله لألحقنك بهم، فأعطاه

رياسة دار الندوة، وحجاجة الكعبة، واللواء - فكان يعقد لقريش ألويتهم في الحروب - والسقاية - فكان يسقي الحاج، والرفادة وهي سنة سنّها قصي في قريش، وذلك أنهم كانوا يأتونه في كل موسم بشيء من أموالهم يصنع منه طعامًا للحاج يأكله الفقراء.

قال ابن الأثير في كلامه على الرفادة: وكان قصي قد قال لقومه: إنكم جيران الله وأهل بيته، وإن الحاج ضيف الله وزوّار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحج ففعلوا فكانوا يُخرجون من أموالهم فيصنع به الطعام أيام منى. قال: وجرى الأمر على ذلك في الجاهلية والإسلام إلى الآن فهو الطعام الذي يصنعه الخلفاء كل عام بمنى.

ثم مات قصي بمكة فخلفه بالسيادة أبنائه ودُفن بالحجون فكانوا يزورون قبره ويعظمونه، وهو الأب الخامس من آباء النبي (ﷺ) وفي جمعه القبائل يقول الشاعر:

أبوكم قصيٌّ كان يدعى مجمّعاً به جمع الله القبائل من فهر

عبد مناف

مات في نحو سنة ١٣٥ قبل الهجرة

عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة: سيد من سادات الجاهلية كانت له الشوكة في قريش، ساد في أيام أبيه قصي وترأس بعد أبيه، وعبد مناف لقب له، وإنما اسمه المغيرة، ويكنى أيضًا أبا عبد شمس، وكان يقال له القمر لجماله، وكانت أمه حين ولدته دفعته إلى مناف، وهو صنم بمكة تدينًا فغلب عليه عبد مناف. وكان دون أبيه السالف ذكره بالحكمة والتدبير، فلم يحدث جديدًا في قومه بعده، وانقادت له قريش لمكانة أبيه عندهم ولشدة تعلقهم به وحبهم له ولبنيه.

قال الجوهري: والنسبة إلى عبد مناف مَنَافٍ. قال: والقياس عدي، عدلوا عنه لإزالة اللبس.

وهو الأب الرابع لرسول الله (ﷺ)، وفي آله يقول الشاعر:

قل للذي طلب السماحة والندى هلاً مررت بآل عبد مَنَافٍ
الرائشون وليس يوجد رائش والقائلون هلمَّ للأضيافِ

هاشم بن عبد مناف

ولد سنة ١٠٢ ومات سنة ١٢٧ قبل الهجرة

هاشم بن عبد مناف بن قُصَيٍّ: أحدُ من انتهت إليهم سيادة قريش في الجاهلية، اسمه عمرو وكنيته أبو نضلة، ولُقِّبَ هاشمًا لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة، وذلك أنه كان أحد الأجواد الذين ضُرب بهم المثل في الكرم والسخاء وللشعراء فيه قصائد وأبيات ماثورة.

واتفق أنه أصاب الناس مَحْلٌ فخرج هاشم إلى الشام فاشترى دقيقًا وكعكًا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعله ثريدًا وأطعم الناس حتى أشبع الجياع فُسِّمِي هاشمًا. قال الشاعر:

عمرو العلا هَشَمَ الثريدَ لقومه ورجالُ مكة مستتون عجافُ

وكان هاشم قد بلغ السيادة وهو صغير فعُرف شأنه في حياة أبيه عبد مناف، ولما مات أبوه تولى سقاية الحاج ورفادته (وهي إطعام الفقراء من الحجاج كما قدمنا)، فحسده ابن أخ له اسمه أمية بن عبد شمس (وهو جد بني أمية ملوك

الشام) فتكلف أن يقلده في كرمه فعجز وظهر عليه أنه يصنع فوق طبعه فشمت به ناس من قريش فغضب ودعا هاشمًا للمنافرة فكره هاشم ذلك لسنه وقدره، فألحَّت عليه قريش حتى رضي فتنافرا إلى كاهن من بني خزاعة بعسفان واتفقا على أن ينحر المفضلون خمسين ناقة بمكة يطعمها الناس ويرحل عن مكة عشر سنين، فانصرفا إلى الكاهن فقال: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشمٌ أُميَّةً إلى المفاخر». فقضي بتفضيل هاشم وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها وغاب أُميَّة عن مكة بالشام عشر سنين؛ فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأُميَّة، ثم توارثها بنوهما.

وبينما كان هاشم في سفر إلى الشام مرض فتحول إلى غَزَّة فمات بها وهو في عصر الشباب لم يتجاوز سنه خمسًا وعشرين، وكان موصوفًا بالجمال وكرم الخلال، وهو جد أبي القاسم محمد (ﷺ)، وفي هاشم يقول الشاعر:

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه	مرُّ السحاب ولا ربح تُجاربه
جفانه كالجوابي للوفود إذا	لبوا بمكة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت	قوتًا لحاضره منهم وباديهِ

عبد المطلب بن هاشم

ولد سنة ١٢٧ ومات سنة ٤٥ قبل الهجرة

أبو الحارث شيبَةُ الحمدِ بن هاشم بن عبد مناف: أحدُ عظماء قريش وسيد من كبار سادات العرب، اسمه شيبَةُ الحمد، قيل: لأنه ولد وفي رأسه شيبَةُ فسموه بها، وغلب عليه لقبه عبد المطلب، وذلك أن أباه هاشمًا سافر في تجارة إلى الشام فمرَّ بالمدينة فنزل على عمرو بن لبيد الخزرجي من بني النَجَّار فرأى

ابنته سلمى فأعجبته فتزوّجها ولما عاد من سفره أخذها معه إلى مكة، ثم أراد السفر إلى الشام فأخذها إلى المدينة على أن يعيدها عند رجوعه وكانت حبلى، فلما بلغ غزّة مات بها (كما تقدم في ترجمته)، وولدت سلمى غلاماً شيبه (أو شيبه الحمد) فنشأ في المدينة، وبعد نحو سبع سنين مرّ بالمدينة رجل من بني الحارث؛ فإذا غلمان يتضلون (يتبارون في رمي السهام) وشيبة بينهم كلما أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء، فقال له الحارثي: من أنت؟ قال: أنا ابن هاشم بن عبد مناف، فلما أتى الحارثي مكة أخبر المطلب بن عبد مناف (أخا هاشم) بما رأى وما سمع، فسّر المطلب وركب وارتحل إلى المدينة فرأى غلماناً يضربون كرة فعرف ابن أخيه فأخذه واستأذن أمه وأركبه على عجز الناقة حتى قدم مكة ضحوة والناس في مجالسهم فسألوه: من هذا وراءك؟ وكانت بزّته غير حسنة فخجل أن ينسبه لهم فقال: عبدّ لي، ثم ألبسه حلة تليق به وأخرجه للناس فحدثهم بخبره؛ فكان بعضهم إذا ذكروه قالوا: عبد المطلب فغلب عليه، ثم شبّ بينهم فكانت له السقاية والرفادة، ولاحت عليه أمارات السيادة والإمارة وكان عاقلاً ذا أناة ونجدة وخبرة فأحبه قومه؛ فرفعوا من شأنه وطال عمره، وحفر بئر زمزم، وهي البئر التي احتفرها إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) ودفنتها جرهم، فأعادها وظهر ماؤها. وكان فصيح اللسان حاضر الجنان، وفد بجماعة من قريش على ملك اليمن سيف بن ذي يزن الحميري حين أدرك ملك آبائه، يهنئونه بالنيابة عن أهل الحجاز، فلما دخلوا عليه، استأذنه عبد المطلب في الكلام؛ فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك أذنًا، فقال عبد المطلب: «إن الله قد أحلك أيها الملك محللاً ربيعاً، صعباً منيعاً، باذخاً شامخاً، وأنبئك منبتاً طابت أرومته، وعزّت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعته، في أكرم معدن، وأطيب موطن، فأنت أبيت اللعن، رأس العرب، وربيعها الذي به تخصبه، ومملكها الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العمداء، ومعقلها الذي إليه يلجأ

العباد، فسلفك خير سَلَف، وأنت لنا بعدهم خير خَلَف، فلن يهلك من أنت خلفه، ولم يخمل من أنت سلفه، نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا إليك من أنهجك لكشف الكرب الذي فدَحنا، فنحن وفد التهئة، لا وفد المرزئة، لا زلت ناعم البال، مهنتًا في كل حال».

فقال سيفُ الملك: من أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب ابن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم، فأقبل عليه من بين القوم وقال: «مرحبًا وأهلاً ومناحًا سهلاً، وناقة ورحلاً، وملكًا [...]»^(١)، يعطى عطاءً جزلاً، قد سمعت مقاتلكم وعرفت قرابتكم، أهل الشرف والنباهة ولكم الكرامة ما أقمتهم والحباء إذا ظعنتم»، ثم أمر بهم إلى دار الضيافة فأقاموا شهرًا لا يؤذن في مقابلته ولا في الانصراف، ثم دعا بعبد المطلب فأخبره أن كتبهم السماوية تبشر بنبي يظهر من ذريته، وأمره أن يكتم ذلك، وأجزل له العطايا وأكرم من جاء معه، وأذن لهم فعادوا.

وكان عبد المطلب إذا دخل شهر رمضان صعد حراء فتحنث (أي تعبّد)، وأطعم المساكين جميع الشهر، وهو أول من خضب بالسواد من العرب. مات وعمره ٨٢ سنة - كما في عيون التواريخ - وفي الكامل أنه عاش ١٢٠ سنة، وفي سبائك الذهب ١٤٠ سنة، وخلف اثني عشر ولدًا وهم: عبد الله، وأبو طالب، والزبير، وعبد الكعبة، والعباس، وضرار، وحمزة، والمقوم، وأبو لهب، وقثم، والغيداق، والحارث. وبعض الناسبين يعدهم عشرة، يهمل عبد الكعبة وقثم ويزيد ست بنات، وأنا ذاكرٌ فيما يلي تراجم أشهر هؤلاء، وفي كتب السيرة النبوية أن رسول الله كان إذا انتخى في الحرب يقول:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب!»

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

عبد الله بن عبد المطلب

ولد سنة ٨١ ومات سنة ٥٣ قبل الهجرة

أبو قثم عبد الله الذبيح بن عبد المطلب بن هاشم: والد رسول الله (ﷺ)، ولد في مكة ونشأ بها، وهو أصغر ولد عبد المطلب وأقصرهم عمراً، وكان عبد المطلب أبوه قد نذر: لئن وُلِدَ له عشرة أبناء وشبوا في حياته وكانوا أعواناً له على أعدائه لينحرن أحدهم عند الكعبة لله تعالى! فما زال يلد له حتى بلغ أبناؤه عشرة أشداء، فذهب بهم إلى هبل وهو أكبر أصنام الكعبة فضربت القداح (يفعلون ذلك كالقرعة) فخرجت على عبد الله.. وهو أحب بنيه إليه وأصغرهم، وكان عبد المطلب واقفاً يدعو؛ فلما خرج القدح على عبد الله انبرى إليه فأخذه وذهب به إلى أساف ونائلة (وهما صنمان كانوا إذا أرادوا ذبح شيء نحروه عندهما)؛ فقامت قريش من أنديتها فمنعوه من ذبحه، فأصر، فقالوا: هلمَّ فانطلق إلى كاهنة الحُجر فسألها؛ فإن أمرتك بذبحه فافعل، فذهب معهم إليها وهي بخير، فقصَّ عليها عبد المطلب خبره، فقالت: ارجعوا اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله، فرجعوا عنها، ولما أصبحوا غدوا إليها، فقالت: نعم قد جاءني الخبر، فكم الدية عندكم؟ قالوا: عشر من الإبل، قالت: ارجعوا إلى بلادكم فقربوا عشراً من الإبل واضربوا عليها وعلى عبد الله بالقداح؛ فإن خرج على صاحبكم فزيدوا عشراً حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى أتوا مكة؛ فاجتمعوا ثم قربوا عبد الله وعشراً من الإبل؛ فخرجت القداح على عبد الله فزادوا عشراً فخرجت عليه فما برحوا يزيدون عشراً وتخرج القداح عليه حتى بلغت الإبل مئة، ثم ضربوا فخرجت القداح على الإبل، فقال من حضر: قد رضي ربك يا عبد المطلب، فقال عبد المطلب: لا والله! حتى أضرب ثلاث مرات، فضربوا ثلاثاً، فخرجت القداح على الإبل،

فَنُجِّرَتْ، وَتُرِكَتْ لَا يَصُدُّ عَنْهَا إِنْسَانٌ وَلَا سَبْعٌ، وَانصَرَفَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ بِابْنِهِ فَرَحًا بِهِ، فَزَوْجُهُ بِأَمْنَةٍ بِنْتِ وَهَبٍ (أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ يَمْتَارُ لَهُمْ تَمْرًا، فَمَرَضَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَاتَ بِهَا وَدُفِنَ فِي دَارِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ الشَّاعِرِ.

وبعضهم يقول: إنه سافر إلى الشام في تجارة فلما عاد نزل في المدينة وهو مريض فتوفي بها، وله من العمر ثمان وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل ولادة سيد الخلق وهادي الهداة محمد بن عبد الله (عليه الصلاة والسلام)، وجُلَّ هذه الترجمة ملخص عن المجلد الثاني من الكامل لابن الأثير.

أبو طالب بن عبد المطلب

ولد سنة ٨٥ وتوفي سنة ٣ قبل الهجرة

أبو طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم: والد عليّ بطل الإسلام، وعمُّ النبي الأمين وناصره، وكافله ومربيّه، وهو من أبطال بني هاشم والمُطاعين منهم.

قال رسول الله ﷺ: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. وذلك أنه لما أعلن الدعوة ثارت عليه بنو قريش وأرادوا قتله، فانتصر له عمه أبو طالب، فصدهم عن أذيته، فلما مات أخرجوه فاضطّروا إلى الهجرة بمن معه كما قدمنا في الترجمة الأولى.

وكان أبو طالب خطيباً عاقلاً حَسَنَ الروية طاهر القلب أبي النفس، وعَرَضَ عليه ابنُ أخيه الإيمان بدينه فوعده بنصرته وحمايته، ولكنه امتنع عن قبول الإسلام خوفاً من أن تعيّرهُ العرب وتعيبه، فنزلت آية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ (القصص: ٥٦)، فتركه واكتفى منه بصدِّ أعدائه عنه، وأورد الفاضل السهيلي في كتابه الروض الأنف نقلاً عن هشام بن السائب الكلبي خطبة قالها

أبو طالب حين حضرته الوفاة، واجتمعت عليه وجوه قريش نذكرها عنه قال:

«يا بني قريش! إنكم صفوة الله من خلقه، وقلب العرب، وفيكم السيد المطاع، والمتقدم الشجاع، والواسع الباع، لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه، ولا شرفاً إلا أدركتموه، فلکم على الناس بذلك الفضيلة، ولهم به إليكم الوسيلة، والناس لكم حرب، وعلى حربكم ألب، وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية؛ فإن فيها مرضاة للرب، وقواماً للمعاش، وثباتاً للوطاة، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها؛ فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل، وزيادة في العدد، واتركوا البغي والعقوق؛ ففيهما هلكت القرون قبلکم، وأجيبوا الداعي وأعطوا السائل؛ فإن فيهما شرف الحياة والممات، وعليکم بصدق الحديث وأداء الأمانة؛ فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام، وأنا أوصيكم بمحمد خيرًا؛ فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو جامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاء بأمرٍ: قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس: قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابًا، ودورها خرابًا، وضعفاؤها أربابًا، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصغت له فؤادها وأعظمت قيادها، دونكم يا معاشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه حُماة ووالله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكفيت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي».

ومن خطبه ما ذكره الإمام المبرّد قال: خطب أبو طالب لرسول الله (ﷺ) في تزويجه خديجة بنت خويلد فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا، وبيتًا محجوجًا، وجعلنا الحُكَّام على الناس، ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي: من لا يُوازن به فتى من قريش إلا رَجَحَ

عليه برًا وفضلًا وكرمًا وعقلًا ومجدًا ونُبلًا، وإن كان في المال قُلٌّ فإنما المال ظلٌّ زائل وعاريةٌ مسترجعةٌ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتُم من الصداق فعليَّ».

قال المبرد: وهذه الخطبة من أقصر خطب الجاهلية.

وكان أبو طالب صاحب تجارة كباقي قريش، ومولده في موطنه مكة وبها نشأ وفيها مات ودُفن، وأعقب أربعة واثنتين، وهم: علي، وجعفر، وعقيل، وطالب، والاثنتان هما: أم هانئ، واسمها فاختة، وجُمَانة، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

حمزة بن عبد المطلب

ولد سنة ٥٤ قبل الهجرة وتوفي سنة ٣ للهجرة

أبو عمار حمزة بن عبد المطلب بن هاشم: عمُّ رسول الله (ﷺ)، وأحدُ صناديد قريش وسراهم وسادتهم في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة ونشأ بها، قال صاحب أسد الغابة: كان أعزَّ قريش وأشدَّها شكيمة، وأول أخباره في الإسلام أن أبا جهل المخزوميَّ القرشيَّ (عدوَّ النبي ومن أشدَّ أعدائه عليه) تعرَّض لرسول الله فشتمه وأهانته، ورسول الله صامت لم يُجبه، وكان حمزة غائبًا في الصيد؛ فلما عاد أُخبرَ بما صنع أبو جهل، فقصدَه، فرآه في الكعبة فضربه بقوس كانت في يده فشجَّ رأسه شجة منكرة، وقال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فاردَّد عليَّ إن استطعت، فحدثت ضجة عظيمة وقامت رجال بني مخزوم على حمزة؛ فمنعهم أبو جهل وخاف اتساع الفتنة؛ فقالوا: ما نراك يا حمزة إلا قد صبأت، فقال حمزة: وما يميني؟ فقالت العرب: اليوم عزَّ محمد، وإنَّ حمزة سيمنعه، فكفُّوا عن بعض إساءاتهم إلى المسلمين، وثبت حمزة على إسلامه، وكان ذلك قبل موت أبي طالب، ثم هاجر حمزة مع النبي (ﷺ) إلى المدينة وحضر وقعة بدر وغيرها وأبدى من البسالة ما هو معروف عنه.

قال المدائني: أول لواء عقده رسول الله (ﷺ) كان لحمزة بن عبد المطلب، وكان حمزة يُعرف في الحرب بريشة نعامة يضعها في صدره، ولما كان في وقعة بدر قاتل بسيفين، فقال أمية بن خلف، وهو أسير في يد المسلمين: من الرجل المعلم بريشة؟ ف قيل له: حمزة، فقال: ذاك فعل بنا الأفاعيل!

وقُتل (رضي الله عنه) في وقعة أُحُد بعد أن قتل أحدًا وثلاثين نفسًا، ثم عثر فوق علي ظهره، فرآه أحد العبيد فأدركه وضربه بحربة ذهب بروحته، وأخذته المشركون فمثلوا به وبشهداء المسلمين، فلما رآه النبي (ﷺ) صَعَقَ وبكى، ثم قال: «رحمك الله أي عم؛ فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات».

وأخذه المسلمون فدفنوه في المدينة. قال ابن حزم وغيره من رجال التحقيق: إنه انقرض عقبه، فلا يثبت انتساب بعض الأسر إليه (رضوان الله عليه).

العباس بن عبد المطلب

ولد سنة ٥١ قبل الهجرة وتوفي سنة ٣٢ هجرية

قال رسول الله (ﷺ): «هذا العباس بن عبد المطلب: أجودُ قريش كفاً وأوصلها؛ هذا بقية آبائي».

كان العباس أحدَ عظماء قريش: رئيسًا في الجاهلية عظيمًا في الإسلام؛ ووصولاً لأرحام قريش مُحسنًا إليهم ذا رأي سديد وعقل غزير؛ مولعًا بإعتاق العبيد، كارهاً للرق.

قال صاحبُ أسد الغابة: اشترى العباس سبعين عبدًا وأعتقهم جميعًا، وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام (وهي أن لا يدع أحدًا يسب أحدًا في المسجد ولا يقول فيه هُجْرًا).

ولد بمكة بعد مولد رسول بستين، وأسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، وأقام

بمكة يكتب إلى رسول الله (ﷺ) أخبارَ المشركين، وبعد الهجرة أراد أن يرحل إلى المدينة مهاجرًا فقال له النبي (ﷺ): مقامك بمكة خير، ثم هاجر بعد زمن وشهد، وقعة حُنين فثبت مع رسول الله لما انهزم الناس، وشهد فتح مكة أيضًا، وكان طويلًا جميلًا أبيض بضًا له ضفirtان، وعاش نيفًا وثمانين عامًا، أُصيب في آخر عمره بمرض في عينيه فعميتا، وهو أبو الخلفاء العباسيين يتصل نسبهم به، وكان جليل القدر رفيع الجانب.

قال الصفدي في نكت الهميان: ولم يمر (أي العباس) بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا ترَجَّلا: إجلالاً له، وبارك الله في نسله.

قال الجهشيارى في كتاب الوزراء: أحصى ولد العباس في سنة مئتين فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً (٣٣٠٠٠).

وتوفي (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) بالمدينة ودُفن في البقيع، وله عشرة أولاد ذكور، سوى الإناث، منهم حبر الإسلام عبد الله بن عباس.

الحسن بن علي

ولد سنة ٣ وتوفي سنة ٥٠ هـ

أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب: خامسُ الخلفاء (الآتي ذكرهم) وآخرهم، أمُّه السيدة فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) وهو أكبر أولادها وأولهم، ولد في المدينة المنورة ونشأ بها، وكان عاقلاً حليماً وقوراً محباً للخير حسن الخلق والخلق، لما استشهد أبوه علي (وستأتي في ترجمته) عمد أهل العراق إليه فبايعوه على الخلافة سنة ٤٠ هـ، وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبي سفيان، فأطاعهم وزحف بمن معه، [وعرف] خبره معاوية فسار من الشام إليه، فلما تقارب الجيشان في موضع يقال له مسكن بناحية من الأنبار، علم الحسن أن هاتين الطائفتين لا تغلب إحداهما الأخرى، إلا بفناء عدد عظيم منها، فعظم عليه

الأمر، وهاله نشوب القتال بين المسلمين؛ فمال إلى السلم، وكتب إلى معاوية يتنازل له عن الخلافة لقاء شروط يشترطها، فسرَّ معاوية وصالحه وخلع الحسن نفسه وسلم الأمر إلى معاوية في بيت المقدس تورعاً وحسماً للشر، وسمي عام ذلك وهو سنة ٤١ هـ «عام الجماعة» لاجتماع كلمة الإسلام فيه واتفاقهما على حقن الدماء بعد تلك الحروب والفتن بين علي ومعاوية، ثم قصد معاوية الكوفة ورحل الحسن إلى المدينة؛ فأقام بها حتى توفي مسموماً في قول بعضهم. ودفن بالبقيع عليه الرحمة والرضوان، ومدة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام، وولد له أحد عشر ابناً وبنت واحدة. هذا ما يتعلق بسيرته.

وأما فصاحته وبداهته فكان معاوية يوصي حاشيته باجتناّب محاوره رجلين هما: الحسن وعبد الله بن عباس؛ لقوة بداهتهما.

قال البيهقي: قدم الحسن على معاوية وعنده عمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وصناديد قومه ووجوه اليمن والشام، فأجلسه معاوية على سريرته إكراماً له فحسده مروان فقال: يا حسن، لولا حلم أمير المؤمنين ما أقعدك هذا المقعد ولقتلك وأنت له مستوجبٌ بقودك الجماهير فلما أحسست بنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة وبعثت تطلب الأمان، أما والله لولا ذلك لأريق دمك ولعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغى، فاحمد الله إذا ابتلاك بمعاوية فعفا عنك بحلمه، ثم صنع بك ما ترى.. فنظر إليه الحسن. وقال: ويحك يا مروان! لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب عند مشاهدتها والمخازلة عند مخالطتها، نحن! هبلتك الهوابل، لنا الحجج البوالغ والنعم السوانغ تفخر ببني أمية وتزعم أنهم صبر في الحروب أسد عند اللقاء؟ ثكلتك أمك! أولئك البهاليل السادة، والحُماة الذادة، والكرام القادة، بنو عبد المطلب. أما والله لقد رأيتهم وجميع من في هذا البيت ما هالتهم الأهوال ولم يحيدوا عن الأبطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت

هاربًا وأخذت أسيرًا فقلدت قومك العار، أيراق دمي زعمت؟ أفلا أرقى دم من وثب على عثمان في الدار فذبحه كما يُذبح الجمل، وأنت تشغو ثغاء النعجة وتنادي بالويل والثبور كالأمّة اللكعاء، ألا دفعت عنه بيد أو ناضلت عند بسهم؟ لقد ارتعدت فرائصك وغشي بصرك فاستغثت بي كما يستغيث العبد بربه فأنجيتك من القتل ومنعتك منه، ثم تحث معاوية على قتلي؟ ألا ولو رام ذلك معك لذبح كما ذبح ابن عفان!.. أنت معه أقصر يدًا وأضيق باعًا وأجبن قلبًا من أن تجسرا على ذلك، ثم تزعم أني ابتليت بحلم معاوية؟ أما والله لهو أعرف بشأنه وأشكر لما وليّناه من هذا الأمر، فمتى بدا له فلا يُفْضِن جفنه على القذى معك، فوالله لأعقبن أهل الشام بجيش يضيق عنه فضاؤها ويستأصل فرسانها، ثم لا ينفعك عند ذلك الهرب والروغان ولا يردّ عنك الطلب تدريجك الكلام. انطق إن كنت صادقًا!.. فانتصر عمرو ومعاوية للحسن وشتما مروان فانصرف مغضبًا مفتحًا..

وسأله أبوه عليّ (عليه السلام) ليمتحن بداهته: يا بُنَيَّ ما السداد؟ قال: دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة. قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر. قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء ماله وبذله عرضه. قال: فما المنعة؟ قال: شدة البأس ومنازعة أعز الناس، قال: فما الجبن؟ قال: الجراءة على الصديق والنكول عن العدو. قال: فما الغنى؟ قال: رضى النفس بما قسم الله لها. قال: فما الذل؟ قال: الفرع عند الصدمة. قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في العزم وتعفو في الجرم. اهـ.

وتجد ترجمته بأطول مما هنا في تاريخ الشام لابن عساكر، وإسعاف الراغبين للصبان وأمثالهما من كتب التاريخ والسّير والأخبار.

وكان آخر كلامه (عليه السلام) لأخيه الحسين وهو وجود بنفسه: «يا أخي أوصيك أن لا تطلب الخلافة؛ فإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة؛ فإياك أن يستخفك سفهاء الكوفة ويخرجوك فتندم من حيث لا ينفعك الندم».

والحسن (عليه الرضوان) ثاني الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية، وذلك أن السادة الإمامية، وهم فرقة من فرق المسلمين تقول بإمامة علي (عليه السلام) بعد النبي (ﷺ) (انظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني)، يذهبون إلى أن إمامة المسلمين يتوارثها أبناء علي عنه، وهم مختلفون في أسماء بعضهم ولكنهم متفقون على عدوهم، وأنهم ختموا بالمهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، والأشهر في تسميتهم أنهم: الإمام علي، والحسن، والحسين، وزين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، والجواد، والهادي، والعسكري، والمهدي (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولكل من هؤلاء الأئمة شأن معروف ومكان محفوظ، وأنا آتٍ على تراجمهم فيما يلي إن شاء الله.

وأما الإمام الأول علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فسيذكر في فصل الخلفاء الراشدين.

الحسين بن علي

ولد سنة ٤ وتوفي سنة ٦١ هـ

السيد الشهيد أبو عبد الله الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ): ولد في المدينة المنورة، ونشأ بين عظماء المسلمين وعقلائهم: أديباً عاقلاً مفكراً.

قال رسول الله (ﷺ): «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

وهو صاحب الفاجعة التي أدمت القلوب وقرّحت الأجفان، وأنست الناس أحزانهم، وأبقت في قلوب بني هاشم ومن شايعهم ضغينة لبني أمية لا تُنسئ أبداً الدهر وحسبك أنها ما زالت تغلي في الصدور حتى ضربوا آل أمية ومروان تلك الضربة القاضية فمحووا دولتهم وأزالوا صولتهم حتى لم يبق منهم في بلاد المشرق ديار.

وخلاصة الحادثة أنه لما مات معاوية بن أبي سفيان وولي الخلافة ابنه يزيد تخلف الحسين عن مبايعته ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه وافقوه على رأيه فأقام بمكة أشهرًا؛ فبلغ أهل الكوفة ذلك، وكان لأبيه علي وأخيه الحسن فيها نُصراء وأعوان فكتبوا إليه كتابًا يطلبون به حضوره ليبايعوه على الخلافة ويذكرون له أنهم في جيش متهيب للوثوب فوعدهم بالمسير إليهم، ثم نصحه جماعة من عقلاء قومه أن لا يذهب فأصرَّ على ما ارتأى، وخرج في أسرته ومواليه ورجاله، وهم نحو الثمانين، قاصدًا الكوفة، وبلغ يزيد بن معاوية خبره فأرسل إليه جيشًا اعترضه في كربلاء، وبعد قتال عنيف نشب بين الفريقين أُصيب الحسين بجراح شديدة فسقط عن فرسه فقتلوه. قيل: قاتله سنان بن أنس النخعي، وقيل: الشمر ابن ذي الجوشن، وأرسل رأسه ونساؤه وذرائه إلى يزيد بن معاوية في الشام، فأظهر يزيد حزنه عليه، ولكن ما ينفع الحزن وقد سبق السيف العذل، ونفذ القضاء والقدر.

واختلفوا في الموضع الذي دفن رأس الحسين فيه فقائل في الشام، وقائل بل دفن مع الجثة في كربلاء، وقائل غير ذلك مما أدَّى إلى تعدد مراقده وضياح ضريحه الحقيقي بينها.

وكان مقتله، سقاه الله شأبيب رضوانه، يوم الجمعة عاشر محرَّم، ولا يزال هذا اليوم يومَ حزن وكآبة عند جميع المسلمين، اللهمَّ إلا جماعة من جهلة أهل السنة يتباركون به لثبوت صيام النبي المكرَّم في يوم عاشوراء، وفي طائفة الشيعة أيضًا رجال يتجاوزون حد الحزن يقيمون له المآتم ويضربون أنفسهم بالسلاح وبعضهم يمثلون حادث مقتله، كما تمثل الحوادث التاريخية والخيالية على مسارح النوادي، وعقلاء الطائفتين غير راضين عما يفعله هؤلاء الجماعات منهم، أصلحنا الله!

أما خروج الحسين يريد الكوفة بنسائه وأطفاله؛ فقد فسَّره الفيلسوف الألماني

«ماريين» في كتاب له سماه «السياسة الإسلامية» بما لا أرى مناصاً من التفكير فيه. قال «ماريين»: «مات الرجلان العظيمان علي ومعاوية وتركاً في الصدور أضغاثاً وجاء ولدهما: الحسين بن علي، ويزيد بن معاوية، والأول طامح، والثاني يراقبه ولا يستطيع البطش به. أما الحسين فلا أعلم في أصحاب الديانات من اختار سياسته المؤثرة؛ فإنه لما وجد قوته وقوة قومه ضعيفة بجانب قوى يزيد فكر في عمل كبير صرّح به لقومه، وهو أنه يريد المسير إلى الموت.. وعلى أثر ذلك جمع نساءه وأطفاله وخرج من المدينة فلحق به عدد من أقربائه وأصدقائه.. ليس اختياره أخذ أطفاله إلا لحكمة كان يعلمها ويسعى إليها. أيقن أنه لا بد ليزيد من قتله فأراد أن تكون المصيبة عامة، فاستصحب صغاره وهو معتقد أن يزيد سيفتك بهم جميعاً، راقه ذلك لأنه علم أن الثورة الهاشمية لا يثيرها على بني أمية إلا دافع مؤثر يثب بالأمة الإسلامية جمعاء وثبة الحزن والإشفاق، وثبة التألم والغضب، وهي الأمنية التي كان يسعى إليها الحسين بأخذ أطفاله وصغاره، ولذلك كان؛ فإنها لم تقع الواقعة حتى نفرت من يزيد قلوب أخصائه، وما بلغت سبايا الحسين مدينة دمشق حتى تهيأت الثورة على يزيد، وما هي إلا أعوام قلائل تركت آل يزيد طعماً للسيوف وشيدت على أثرها دعائم الخلافة الهاشمية العباسية.. لم يذكر لنا التاريخ رجلاً ألقى بنفسه وأبنائه وأحب الناس إليه، في مهاوي الهلاك والفناء، إحياءً لدولة سُلبت منه إلا الحسين، ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل ملك الأمويين الواسع، ويقلقل أركان سلطانهم».

واستطرد الباحث إلى الكلام على الشيعة مما لا دخل له في بحثنا، وقد نُقلت بعض مباحث كتابه إلى الفارسية والعربية، وكان لما فُكّر به مناصرون ومؤيدون، وهو رأي حسن على علاقته؛ فإن الحسين إنما قصد الكوفة وهو واثق بنصرة أهلها، وأخذ أطفاله ونساءه للسكنى بها، ولئن صحَّ تفكير الحسين بذلك ليكونَ دليلاً ثابتاً على ما كان يوصف به من سعة العقل وجودة الروية.

ولنختم ترجمته بشيء من كلامه العذب.

قال أكثر مترجميه: خطب الحسين بن علي يومًا فقال:

«يا أيها الناس! نافسوا في المكارم، وسارعوا إلى المغانم، ولا تحتسبوا المعروف لم تعجلوه، واكتسبوا الحمد بالنجح، ولا تكسبوا بالمطل ذمًا، واعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم، واعلموا أن المعروف يُكسب حمدًا ويُكسب أجرًا؛ فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسنًا جميلًا يسر الناظرين ويفوق العالمين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجًا مشوهًا تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار. أيها الناس: من جاد ساد، ومن بخل ذلّ، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن أعفى الناس من عفا عند قدرته، وإن أفضل الناس من وصل من قطعه، والأصول على مغارسها فروعها تنمو، من أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين».

ومن كلامه: الحلم زينة، والوفاء مروءة، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شر، ومجالسة أهل الفسوق ريبة.

زين العابدين بن الحسين

ولد سنة ٣٨ وتوفي سنة ٩٤ هـ

أبو الحسن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: رابع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد من يُضرب بهم المثل في الحلم والورع.

ولد بالمدينة ونشأ بها ففاق أهلها تقىً وصلاًحاً، وكان من العلم والكرم على جانب عظيم؛ فأما حلمه فله فيه حكايات عجيبة، خرج يوماً من المسجد فلقه رجل فسبه وبالع وأفرط فبادر إليه العبيد والموالي، فكفهم وأقبل عليه، وقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر! ألك حاجة نُعينك عليها؟ فاستحي الرجل وتنحى فأمر له بخمسة آلاف درهم.

ولقيه آخر فنال منه، فقال: يا هذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالي بما قلت، وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول! ألك حاجة؟ فخجل الرجل.

وأما ورعه وتقاه: قال ابن المسيب: ما رأيت أورع منه.

وكان كثير الصلاة منهمكاً في العبادة فُلِّقَ زين العابدين، وقُرب إليه الماء ليلة ليتوضأ فوضع يده في الإناء ليبدأ، ثم رفع رأسه فنظر إلى السماء والقمر والكوكب فجعل يتفكر في خلقها حتى أصبح وأذن المؤذن ويده في الإناء لا يفكر بها.

وأما كرمه فقال ابن عائشة: سمعت بعض أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين.

وقال محمد بن إسحق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم ومآكلهم؛ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلاً إلى منازلهم، ولما مات أحصي من كان يقوتهم فإذا هم نحو مئة بيت.

ونقل كثير من المصنفين أن القصيدة التي مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

قيلت في مدح زين العابدين، وأن قائلها الفرزدق ارتجلها ارتجالاً في البيت الحرام، ولها قصة معروفة في كتب الأخبار، والقصيدة في طبقة عالية من الشعر، ونسبها أبو تمام في أشعار الحماسة للحزين الليثي قال: وقيل: إنها للفرزدق.

ومن كلام زين العابدين: كان إذا بلغه أن أحداً ذكره بسوء يقول: اللهم إن كان صادقاً فاغفر لي، وإن كان كاذباً فاغفر له، وكان يقول: فقد الأحبة غربة.

ومات في المدينة المنورة فدفن في البقيع.

الباقر بن زين العابدين

ولد سنة ٥٧ هـ وتوفي سنة ١١٧ هـ

الإمام أبو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين (عليه السلام): هو خامس الأئمة الاثني عشر، وكان ناسكاً عابداً، وله في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال: سأله العلاء بن عمرو بن عبيد عن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا﴾ (الأنبياء: ٣٠)، ما معنى هذا الرتق والفتق؟ فقال أبو جعفر: كانت السماء رتقاً لا تنزل مطراً، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات ففتقناهما بنزول المطر وخروج النبات، وهذا رأي حسن في تفسير الآية لموافقة درجة علم العرب في عصر نزول القرآن الكريم.

وأما سبب تلقيه بالباقر فلم يذكروا له غير وجه واحد مُتمحّل وهو أنه مشتق من مادة بَقَرَ. قالوا: لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله وخفيه.

ومن كلامه: بئس الأخ يراعيك غنياً ويقطعك فقيراً.

وقال: ليس في الدنيا شيء أعون من الإحسان إلى الإخوان.

وقال: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قل أو كثر.

وقال: سلاح اللئام قبيح الكلام.

وقال: لموت عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عابداً.

وقال: شيعتنا من أطاع الله.

وقال: اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك.

وتوفي بالمدينة ودفن بقبة العباس في البقيع (رضي الله عنه).

جعفر الصادق

ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٤٨هـ

أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين (عليهم رضوان الله): هو سادس الأئمة الاثني عشر، وكان من أجلاء التابعين، وله منزلة في العلم معروفة وأخذ عنه جماعة من أئمة المسلمين كأبي حنيفة ومالك وابن جريج والسجستاني، وأشهر من ينتسب إليه من القارئين عليه جابر بن حيان الكيميائي العلّامة المشهور.

قال ابن خلكان: وألف جابر كتابًا يشتمل على ألف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة.

والشيعة تذكر أن لجعفر كتابًا يدعونه «الجفر» ذكر فيه كل ما يحتاجون إلى علمه إلى يوم القيامة، وهذا الوصف باطل.

ولُقّب جعفر (عليه السلام) بالصادق؛ لأنه لم يُعرف له كذب قط.

ومن كلامه: لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره.

- أربعة أشياء القليل منها كثير: النار والعداوة والفقر والمرض.

- صحبة عشرين يومًا قرابة.

- من لم يستح عند العيب ويرعو عند الشيب ويخشى علي بظهر الغيب فلا خير فيه.

- إياكم وملاحاة الشعراء؛ فإنهم يظنون بالمدح ويجودون بالهجاء.

- من أكرمك فأكرمه، ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه.

ودخل عليه بعض شيعة فرآه يوصي ولده موسى بوصية حفظ منها قوله: «يا

بني! اقبل وصيتي واحفظ مقالتي؛ فإنك إن حفظتها تعش سعيدًا وتمت حميدًا، يا

بني! إن من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مدَّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتَّهم ربه في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره، يا بني! من سلَّ سيف البغي قُتِلَ به، ومن كشف حجاب غيره انكشف ستره، من داخل السفهاء حُقر، ومن خالط العلماء وُقِّر، ومن دخل مداخل السوء اتَّهم، يا بني! قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحنة في قلوب الرجال، يا بني! إذا زرت فزُر الأخيَّار ولا تزرُ الأشرار؛ فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضِر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها».

وكان جريئاً قويَّ البديهة: يُذكر أنه كان عند المنصور فوقعت ذبابة على وجهه فذبَّها فعادت حتى اضمجرت فالتفت إلى جعفر فقال له: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله الذباب؟ قال: لِيُذِلَّ به الجبارة! فسكت المنصور.

توفي صاحب الترجمة في المدينة، ودُفن في البقيع في قبر أبيه.

موسى الكاظم

ولد سنة ١٢٨ هـ وتوفي سنة ١٨٣ هـ

الإمام أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن الباقر (عليهم رضوان الله): سابع الأئمة، وأحد سادات بني هاشم، ومن أعلام أهل البيت، ولد بالأبواء، وسكن المدينة المنورة، وكان أعبد أهل زمانه، ومن كبار علمائهم وأسخيائهم، حذا حذو جده زين العابدين في تفقد الفقراء ليلاً والناس نيام، وقيل فيه ما قيل بجده من أنه كان يحمل النفقات إلى منازل الفقراء في المدينة فلا يعرفون من أين أتت حتى مات فانقطعت، فعرفوه.

وكانت له سيادة ورياسة معروفة فوشى به بعض أعدائه إلى الرشيد العباسي، وقالوا له: إن الأموال تُحمل لموسى من جميع الجهات والزكاة والأخماس،

وها هو قد اشترى ضيعة سماها السيرية بثلاثة آلاف دينار، وحج الرشيد في تلك السنة وفي نفسه شيء منه فبدأ بالمدينة فدخلها فاستقبله موسى الكاظم في جماعة من الأشراف، ثم خلا به الرشيد فقال له: أنت الذي يبايعك الناس سرًّا؟ قال: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم، ثم اتفق اجتماعهما عند القبر الشريف؛ فقال الرشيد: سلامٌ عليك يا بنَ عمِّ. وقال موسى: السلام عليك يا أبت، فلم يحتملها الرشيد فحمله إلى البصرة وأمرَ واليها عيسى بن جعفر بن منصور أن يحبسه عنده فحبسه سنة، فكتب إليه الرشيد في سفك دمه وإراحته منه، فاستعفاه عيسى من ذلك ورجاه أن يكون قتله على غير يده؛ فأرسل إلى السندي بن شاهك في بغداد يأمره بتسلّمه وقتله، فجعل له سمًا في طعام قدّمه إليه، فأقام متوعكًا ثلاثة أيام ومات. ودفن في مقابر قريش بباب التين في بغداد.

ومن إنشائه رسالة بعث بها إلى الرشيد من السجن يقول فيها: «إنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك في الرخاء حتى نمضي جميعًا إلى يوم ليس له انقضاء هنالك يخسر المبطلون». ولُقّب الكاظم لحلمه، وكظمه لغيطه، وأخباره شهيرة.

عليّ الرضى

ولد سنة ١٥٣ هـ وتوفي سنة ٢٩٣ هـ

أبو الحسن عليّ الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق: ثامن الأئمة عند الإمامية: ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم، وهو الذي يذكر أصحاب التواريخ والسير أن المأمون العباسي عهد إليه بالخلافة من بعده وزوجه ابنته وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وغير من أجله الزيّ العباسي الذي هو السواد فاستعاض عنه بالأخضر؛ لأنه كان شعار أهل البيت، فثار العراق من ذلك النبا وقام أهل بغداد فخلعوا المأمون، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي فرحل إليهم المأمون بجيشه فاستخفى إبراهيم، ثم استسلم فعفا عنه المأمون، ومات

عليّ الرضى في حياة المأمون فلم تتم له الخلافة، وعاد إلى السواد فاستألف القلوب ورضي الناس عنه.

وكان السيد عليّ الرضى أسود اللون؛ لأن أمه كانت سوداء، وولد بالمدينة، وكان موصوفاً بطيب النفس وكرم الأخلاق والجود.

حكى القرماني في تاريخه أنه دخل يوماً الحمامَ فينما هو في مكان منه إذ دخل عليه جنديّ فأزاله عن موضعه وقال له: صُبَّ على رأسي يا أسود! فهض عليّ وأخذ يصب على رأس الجندي حتى دخل رجل عرفه فصاح: ويلك يا جندي هلكت! أتستخدم ابن بنت رسول الله؟ فانقلب الجندي يقبل قدميه ويقول: هلا عصيتني إذ أمرتك؟ فقال: إنها لمثوبة وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه!

ورآه أبو نواس ذات يوم وهو خارج من حضرة المأمون على بغلة فارهة، فدنا منه وسلم وقال: يا ابن رسول الله (ﷺ)، قلت فيك أبياتاً أحب أن تسمعها مني، قال: قل. فأنشأ أبو نواس يقول:

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا
من لم يكن علويًا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
أولئك القوم أهل البيت عندهم علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال: قد جئنا بأبيات ما سبقك إليها أحد، ما معك يا غلام؟ قال: ثلاث مئة دينار، قال: ادفعها إليه، وبعد أن افترقا ووصل عليّ إلى منزله. قال: لعله يستقلها: يا غلام سقُ إليه البغلة.

وكان دُعبل الخزاعي شاعر أهل البيت وله في عليّ وأبيه مدائح كثيرة.

توفي (رحمته الله) بمدينة طوس ودفنه المأمون بجانب قبر أبيه الرشيد، وفي سبائك الذهب أن وفاته كانت سنة ٢٣٠هـ، والصحيح ما ذكرته واعتمده ابن خلكان وأكثر المؤرخين؛ لأنهم جميعاً [اتفقوا] على أنه توفي في حياة المأمون المتوفى سنة ٢١٨هـ.

محمد الجواد

ولد سنة ١٩٥ هـ وتوفي سنة ٢٢٠ هـ

أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضّى بن موسى الكاظم، وبقيّة النسب معروفة: وهو تاسع الأئمة، كان كبير القدر، رفيع الذكر كأسلافه كرام أهل البيت ولد في المدينة، ثم انتقل مع والده الرضّى إلى بغداد، ولما توفي أبوه كان صغيراً فاجتاز به المأمون يوماً فعرفه وأخذه معه وأحسن إليه وقربه، وكان على صغر سنه ذكيّ الفؤاد طلق اللسان تلوح عليه أمارات النجابة؛ فعُني به المأمون وبالع في الإحسان إليه، ثم أراد أن يزوجه بابنته أم الفضل فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه فأظهر المأمون ميله إليه وحبّه بفضلّه وعلمه على حداثة سنه فنازعوه باتصافه بصفة العلم واستصغروه فأرسل إلى يحيى بن أكثم وأمره أن يمتحن محمداً فلما حضر أمر له بفرش حسن فجلس عليه ثم سأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وسرّ الخليفة فقال: أحسنت يا أبا جعفر، ثم التفت إلى من حضر فقال: الحمد لله على ما منّ به عليّ من السداد في الأمر والتوفيق في الرأي، وأقبل على أبي جعفر فقال له: إني مزوجك ابنتي أم الفضل وإن رُغمتُ لذلك أنوف قوم! فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي، فقال أبو جعفر:

الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً بوحدانيته، وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته، أما بعد؛ فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام؛ فقال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢)، ثم إن محمد بن علي بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت

رسول الله (ﷺ) وهو خمسمائة درهم جياذ، فهل زوّجتنى يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق؟ فقال المأمون: زوجتك ابنتي أمّ الفضل على هذا الصداق المذكور، فقال أبو جعفر: قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق المذكور، ثم أمر المأمون بأنواع الطيب فتطيب الحاضرون ودعى بالحلواء فمدت موائدها وأكلوا وفرقت عليهم الجوائز وأخرجت الأموال للفقراء والمساكين، وبعد ذلك تم الزواج.

وأقام أبو جعفر محمد عند المأمون معظماً مكرّماً حتى عزم على التوجه بزوجه أم الفضل إلى المدينة المنورة فلبث حتى مات المأمون وآلت الخلافة العباسية إلى المعتصم فكتب إليه يستقدمه إلى بغداد ومعه زوجته فحضر، وذلك سنة ٢٢٠هـ، ومرض فمات ببغداد شاباً (رضوان الله عليه) ودفن في مقابر قريش في قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم، وعادت امرأته أم الفضل إلى قصر المعتصم.

ويقال: إنه مات مسموماً كما يقال في أكثر الأئمة المذكورين، وخلف أربعة أولاد صبيان وبنات.

ومن كلامه: ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرّض تلك النعمة للزوال.

- أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأن ثم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدئ فيه بنفسه.

- من أجل إنساناً هابه، دون جهل شيئاً عابه.

- والفرصة خلصة، من كثر همّه سقم جسمه.

- عنوان صحيفة المسلم حُسن خلقه، من استغنى بالله افتقر الناس إليه.

- الجمال في اللسان، والكمال في العقل، العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، وخفض الجناح زينة العلم، العامل بالظلم والمُعِين عليه والراضي به شركاء.

- العلماء غرباء «لكثرة الجهال بينهم» - أخذهُ أبو العلاء فقال:

أولوا الفضل في أوطانهم غرباء تشذ وتنأى عنهم القرباء

ومن كلام أبي جعفر: الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت، لو سكت الجاهل ما اختلف الناس، الرأي مع الأناة، من وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن وعظه علانيةً فقد شانه.

عليّ الهادي

ولد سنة ٢١٤ وتوفي سنة ٢٥٤هـ

أبو الحسن العسكريّ عليّ الهادي بنُ محمد الجواد بن عليّ الرضّى: عاشُرُ الأئمة الاثنى عشر: كان معروفًا بالتقى والصلاح، ولد في المدينة المنورة وبها نشأ؛ فلما بلغ سن الشباب وأصبح في منزلة يُنظر بها إليه تواترت الوشائيات به على المتوكل العباسي الخليفة في بغداد فأرسل إليه فاستقدمه من المدينة وأنزله في سُرّمن رأى (سامراء) وكانت تسمى «مدينة العسكر»؛ لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فنُسبت إلى العسكر، ولذلك لُقّب أبو الحسن عليّ المترجم [له] بالعسكري، فأقام بها، فسعى بعض أعدائه إلى المتوكل وأخبروه أن في منزل عليّ سلاحًا وكتبًا وغيرها من شيعة وأوهموه أنه يطلب الإمرة لنفسه فوجّه إليه عددًا من جند الأتراك ليلاً فهجموا عليه وهو في منزله على الأرض وعليه مدرّعة من الشعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات

من القرآن لا يفصل بينه وبين الأرض فاصل إلا الرمال والحصي، فأخذوه إلى المتوكل ووصفوا له حالته وكان المتوكل جالساً يستعمل الشراب فأجلسه إلى جانبه وعرض عليه كأساً فاعتذر بأنه لم يذقها فعافاه منها، ثم قال: أنشد في شعراً أستحسنه فقال: إني لقليل الرواية للشعر قال: لا بد أن تنشدي، فأنشده:

باتوا على قُلل الأَجبال تحرُّسُهم غُلب الرجال فما أغتتهم القُللُ
واستُنزلوا بعد عز عن معاقلهم فأودعوا حُفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهمُ صارخ من بعد ما قبروا أين الأسرَّةُ والتيجان والحُللُ
أين الوجوه التي كانت منعمّة من دونها تُضربُ والاستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم: تلك الوجوه عليها الدود يقتل
قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

فهاجت الأبيات إشفاق المتوكل فبكى وأمر برفع الشراب، ثم قال: يا أبا الحسن عليك دين؟ قال: نعم، أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه وردّه إلى منزله مكرماً.. أقول: هذه الأبيات التي أنشدها صاحب الترجمة نقلتها وقصتها عن وفيات الأعيان.

وحكى مؤلف سراج الملوك أنها مترجمة عن كتابة بالجميرية قديمة قبل الإسلام كانت منقوشة على بعض قصور ملوك حمير؛ وعبارته: قال وهب بن منبه: أصبْتُ على غُمْدان وهو قصر سيف بن ذي يَزَن بأرض صنعاء اليمن، وكان من الملوك الأَجَلَّة مكتوباً بالقلم المُسند مترجماً بالعربية، وإذا هي هذه الأبيات، وفي الكثر المدفون جاءت الأبيات أكثر مما تقدم بزيادة الأبيات الآتية في أولها:

انظر لماذا ترى يا أيها الرجل وكن على حذر من قبلٍ تنتقلُ
وقدّم الزاد من خير تُسرُّ به فكلُّ ساكن دار سوف يرتحلُ

وانظر إلى معشر باتوا على دعة فأصبحوا في الثرى رهناً بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيان وادخروا مالا فلم يُغنهم لما انقضى الأجل
باتوا على قلل الأجمال... إلخ.. قال صاحبه: ووجد مكتوباً على قصر
عُمدان أيضاً هذه الأبيات:

من كان لا يطاء التراب برجله وطىء التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه شبران كان بغاية البعد
لو بعثر الناس الثرى ورأوه لم يعرفوا المولى من العبد!
وتوفي الإمام علي الهادي (عليه الرحمة والرضى) بمدينة سامراء فدفن في
بيته وخلف ثلاثة أبناء وابنة.

الحسن الخالص

ولد سنة ٢٣٢هـ وتوفي سنة ٢٦٠هـ

أبو محمد الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد: حادي عشر
الأئمة عند طائفة الإمامية، ولد في المدينة المنورة وانتقل مع أبيه الهادي إلى
سامراء (أو سُرَّمن رأى أو سُرَّمن راء أو مدينة العسكر = كلها أسماء بلدة واحدة
في العراق)، وولي الإمامة بعد وفاة أبيه، وكان على سَنَن سَلَفه الصالح في التقى
والنسك والعبادة يجله الناس ويحترمونه، قال صاحب الفصول المهمة: لما ذاع
خبر وفاة الحسن ارتجت سُرَّمن رأى، وقامت صيحة واحدة وعُطلت الأسواق
وعُلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والمعدّلون
وسائر الناس إلى جنازته وصلّى عليه أبو عيسى ابن المتوكل بأمر الخليفة، ودفن
في البيت الذي دفن فيه أبوه وخلف محمداً الآتي ذكره.

وأصحاب القصص والأخبار ينقلون عنه وعن تقدمه من أهل البيت (رضوان الله عليهم) كرامات وحكايات كثيرة أضربت عن ذكرها لأنني لا أقول بها ولا سيما وجلها مملوء بالأوهام التي لا يتحصل منها للقارئ ما يفيدُه وأما التاريخ فأضيق صدرًا من أن يتسع لهاتيك الأخبار والأقاصيص، وهو إنما يُكرّم الرجال الذين شرفوا بأعمالهم وسمّوا بأنفسهم وما أجدر أولئك بالإجلال والإعظام إذا هم جمعوا بين التالد والطارف والنسب والمكتسب ذلكم خيرة الخلق وصفوة البشر.

محمد المهدي

ولد سنة ٢٥٥ وتوفي سنة ٢٦٥ هـ

أبو القاسم محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي: آخر الأئمة الاثني عشر فيما تعتقده الإمامية، وهو المعروف عندهم بالمهدي وصاحب الزمان والمنتظر والحُجّة، والذي يُحقّقه المؤرخون الثقات أنه ولد بسامراء، ومات أبوه وعمره خمس سنين، ولما بلغ التاسعة أو العاشرة؛ فقد فلم يُعرف له أثر. هذا ما عُرف من خبره.

أما الشيعة فيروون أنه دخل سردابًا كان في دار أبيه، ثم لم يخرج منه، وهم ينتظرون خروجه ويأتون بالأدلة الثابتة عندهم على أنه حيٌّ يُرْزَق وأنه سيعود إلى هذا الوجود فيملاً الأرض رحمةً وعدلاً وسلامًا، وهناك أقوال وآراء لا يدخل إيرادها والمناقشة بها في بحث هذا الكتاب وحسبي منها الإشارة إليها.

وأمر خروج المهدي المنتظر لا خلاف فيه عند الشيعة ولكن بعضهم يرى أنه غير صاحب هذه الترجمة ويؤكد أنه محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب والقول الأول هو الشائع الذائع عندهم.

قال ابن بطوطة الرحالة في حديث رحلته ما لفظه: ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهي مستطيلة مع الفرات وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية وبها مسجد على بابها ستر

حرير يقولون: إن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر فيهم كل يوم يلبس آلة الحرب مئة منهم ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مُسَرَّجة مُلجمة ومعهم الطبول والبوقات ويقولون: اخرج يا صاحب الزمان فقد كثر الظلم والفساد وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل، ويقفون إلى الليل ثم يعودون، كذلك دأبهم أبداً.

وأما أهل السنة فأكثرهم على اعتقاد ظهور رجل من نسل النبي (ﷺ) تصلح به الأرض بعد فسادها وتزهو بعد اكمدادها، وفيهم من يأخذ بالحديث الشريف: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إداراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم»، وفيهم من يتكلم في هذا الحديث، وهذا بحث يطول فاطلبه إن شئت فيما أُلِفَ له خاصة من الأسفار والتصانيف أو في المصنفات الكبيرة مما له علاقة بأمر المهدي وظهوره ومن هو.

وتأمل فيمن ظهر في الإسلام حتى اليوم يدعي أنه ذلك الرجل المُصلح الإلهي وما أحسبنا معاشر المسلمين إلا ونبينا الأعظم (صلوات الله عليه) قد أغلق الله به باب التنبؤ وكفى الناس ظهور نبي جديد في كل جيل وقبيل: فأبينا نحن إلا أن نوجد تلك الشنشنة حية خالدة، لكن حَرَفْنَا الاسم وبدَلْنَا مادَّة التنبؤ بمادة الهدى فكان القائم لإصلاح البشر قبل خاتم الأنبياء يدعوه الناس نبياً ورسولاً فجئنا نحن ندعوه مَهْدِيّاً ومنتظراً، أقلق أبناء القرون الأولى والأجيال الخالية قيام كَذَبَة دجالين تسربلوا رداء النبوة وظهروا بمظهر الرُّسل فأسكت الله تلك النامة بآخر أنبيائه، ومَهَّدْنَا نحن السبيل لمن نحا ذلك النحو وانتهج ذاك النهج فأوجدنا له سربالاً من سرايل الدعوة إلى الله والهداية إليه فعادوا يعاودون الكرة ويرزون في هذه الأجيال المرة بعد المرة، ذلك بما جَنَّتْ أيدينا واقترفت أنفسنا فلا حول ولا قوة إلا بالله مرشد خليقته، إلى طريقته، ومُلهِم كل قلب ما يشتغل به عما سواه.

كتاب الملوك والأمراء

بيان

أَمْضِينَا الْكَلَامَ فِي الْمَطْلَبِ الْأَوَّلِ مِنْ مَطَالِبِ الْكِتَابِ عَلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّسَبِ النَّبَوِيِّ الطَّاهِرِ وَالسَّادَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الْكَرَامِ، وَهَازِلًا أَفْتَتَحُ الْبَابَ الثَّانِي مِنْهُ وَفِيهِ الْكَلَامُ عَلَى الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ وَالْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ جَاهِلِيَّتِهِمْ وَإِسْلَامِيَّتِهِمْ، مُتَقَدِّمِيهِمْ وَمَتَأَخِّرِيهِمْ، وَرَتَبْتُهُ عَلَى فُصُولٍ أَرْبَعَةٍ:

الأول: فِي مُلُوكِ الْجَاهِلِيِّينَ كَحَمِيرٍ وَسَيْفٍ وَتَبَعٍ وَجَذِيمَةٍ، وَأَمْرَائِهِمْ كَقَيْسِ ابْنِ زَهِيرٍ وَزَهِيرِ بْنِ جَنَابٍ.

والثاني: فِي خُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةِ وَأُولِهِمْ أَبُو بَكْرٍ.

والثالث: فِي صُدُورِ الْخُلَفَاءِ وَأَعْيَانِ الْمُلُوكِ بَعْدَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفِيهِ أَشْهُرُ مُلُوكِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَمُرُوانَ وَآلِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ.

والرابع: وَهُوَ فَصْلُ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ فِي الْإِسْلَامِ كَالْبِرَامِكَةِ وَأَضْرَائِهِمْ^(١).

وَإِنَّمَا أَنَا مُتَوَخٍّ أَوْلَثُكَ الرِّجَالِ الَّذِينَ بَنَوْا مَجْدَهُمْ بِسُوءِ أَعْدَائِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ غَيْرِ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى آبَائِهِمْ وَجَدُودِهِمْ، وَهَذَا الْبَابُ مِنْ أَجْلِ أَبْوَابِ الْكِتَابِ لَا شَتْمَالَهُ عَلَى أَخْبَارِ الْجَاهِلِيِّينَ فِي بَادِيَّتِهِمْ وَالْإِسْلَامِيِّينَ فِي حَاضِرَتِهِمْ، وَتَرَى فِيهِ نُبْدًا كَثِيرَةً عَنِ الْمَدِينَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ وَالْحَضَارَةِ الْأُمَوِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ مِمَّا يَعْرِضُ فِي خِلَالِ تَرَاجُمِ أَصْحَابِهَا.

وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمُرْشِدُ لِلصَّوَابِ.

(١) تَوَقَّفَ الزُّرْكَلِيُّ فَلَمْ يَذْكُرْهُمْ فِي الْكِتَابِ.

ملوك الجاهلية وأمرؤها

(كلمة)

جاهلية العرب لم تزل أمرًا غامضًا مستور الحقيقة في مدتها وأسماء ملوكها وأخبار قبائلها وأعمار رجالها، ولا سيما ما سلف منها، وإنما اندفع مؤرخونا المتقدمون بسائق حب الاطلاع فبحثوا ونقبوا فيما وصلت إليه يدهم من أساطير الأولين والآخرين، ولكن كان جلُّ ما أتوا به من الأرقام التاريخية تكهنًا وتقديرًا ورميًا في الغيب، ولقد قُدِّرَ علينا أن نصنع صنيعهم فلم تكن نتيجة بحثنا غير العلم بأنهم يحققون ما لا يتحققون، ويدعون علم ما لا يعون، وأعظم ما استندوا إليه في أبحاثهم وعولوا عليه في أرقامهم أمران:

الأول: علم الأنساب في الجاهلية، يسلسلون الرجال حتى يبلغوا بهم أبا البشر آدم (عليه السلام) على ما يعترضهم من العقبات وما يضطرون إلى سلوكه من وعر المسالك، وفي هذا ما فيه من التصدي بما لا يدرك وحسبنا سندًا في الوقوف عن الأخذ بأقوالهم ما صرَّح به النبي القرشي (ﷺ) وَمِنْ حَوْلِهِ النَّسَابُونَ وَالْإِخْبَارِيُّونَ وَالشُّعْرَاءُ وَدَهَاءُ الْحِجَازِ وَالْيَمَنُ مِنْ كَرَاهِيَةِ الْإِغْرَاقِ فِي نَسَبِهِ نَفْسُهُ إِلَى مَا يَتَجَاوَزُ عَدْنَانَ، وقوله عند بلوغه وإرادة اجتيازه: كذب النسابون! فبمثل هذا تسقط عندنا دعوى الوثوق بعلم الأنساب في الجاهلية الأولى، أي ما وراء عدنان، وفي ذلك اختلافنا.

وأما الأمر الثاني: الذي عول عليه مؤرخونا بعد الأنساب فهو التوراة في أنبائها عن بدء الخليقة وأزمان آدم ونوح وغيرهما^(١)، وقد أظهرت الاكتشافات

(١) انظر: سفر التكوين.

الجيولوجية وتنقيبُ علماء العاديات والآثار ما خالف كثيرًا من أخبار التوراة وأرقامها وأبحاثها.

والتوراة إنما هو كتاب دين يوضح قدرة الله في خلقه الأكوان ويشرح شريعة موسى التي سنّها الله، لا كتاب تاريخ وعلم يبحث عن الحقائق الطبيعية^(١) والعلمية؛ فإنه كثيرًا ما تدخله الشبهة في مباحثه في الطبيعة والتاريخ^(٢). ولا يهولنك دفاع علماء اللاهوت عما جاء به والتماسهم له الوجوه البعيدة؛ فالكتب السماوية وفي مقدمتها القرآن الكريم: إذا تعرضت للبحث الغامض في التاريخ أو العلم الطبيعي توجز فيه ولا تزيده بيانًا عما يعلمه أهل ذلك العصر المرسل إليهم ذلك الكتاب.

فإذا سقطت هاتان الدعوتان: دعوى الأنساب، ودعوى الوثوق بالتوراة، تلاشى ما يقال عن الحكم على الزمن الذي حكم فيه الحموريون مملكة بابل والعراق، والذي كانت فيه قبائل طسم وجديس وعاد وشمود ذوات الذكر والشأن، وداخلنا الشك في عصر القحطانيين حكام البلاد اليمانية والجرحميين وأضرابهم.

واخترنا ترك إرادة التحقيق في ذلك حتى تنبأ أيدي الباحثين في أطراف العراق واليمن والحجاز بعناية قوية وغيره على العلم كبيرة؛ فإذا بدت لهم الآثار وانكشفت الأستار زالت الأوهام وقام البتُّ والقطع في الحكم مقام الوهم والتكهن والتقدير.

ولما كان هذا المصنّف مرتبًا على السنين في أكثر أبوابه وفصوله اضطرتت إلى أن أتابع فيه الأقرب إلى الحق واليقين، مما ذهبت إليه جماعة المؤرخين، بينما يظهر ما يشبهه أو يُعدّله من عاديات الآثار، وربك يفعل ما يشاء ويختار.

(١) انظر: تفسير الكتاب المقدس المطبوع في مطبعة الأمريكان، ص ٣٣١، و ٣٣٤.

(٢) المرجع السابق.

حموربي

كان في نحو سنة ٣٢٠٠ قبل الهجرة

ما زالت شريعة حموربي ومؤسسها موضع عناية الباحثين وتنقيب المنقبين حتى تضاربت بهما الأقوال واختلفت إلى مظان آثارهما رجال الرجال، والذي اتضح لهم بعد البحث أن مقر الدولة الحمورية كان في القطر العراقي، وأن عاصمتها مدينة بابل: دَلَّهم على ذلك ما وجدوه من آثارها الماثلة للباحث عنها فيما بين النهرين، حيث ظهرت أنقاض مدرسة صغيرة (في مدينة زيارا) يرجع عهد بنائها إلى ما يقارب ثلاثة آلاف سنة قبل الهجرة، وعثروا بجوارها على كثير من الآجر المشويّ والأحجار المنبسطة منقوشًا عليها نصوص تاريخية وصكوك وعقود ورسائل وأدعية دينية كُتبت بالحروف المسمارية مما استدلّ منه العلماء الجيولوجيون على أن تلك الدولة يرجع عهد تأسيسها إلى نحو القرن الثاني والثلاثين قبل الهجرة، وهو رأي القائلين بأن حموربي كان معاصرًا لإبراهيم الخليل، وأنه هو المذكور في سفر التكوين من التوراة باسم (امرافل) موحد المملكة البابلية، قاله الأب شيل الدومنيكي، وحجّ هذا الرأي العلامة الأب انستاس الكرمللي قال في لغة العرب: إن الرأي القائل بأن حموربي وامرافل اسمان لمسمى واحد قريب الاحتمال ولو اختلف مبناهما.

وأمرافل: لفظة سنسكريتية من امرابلا Amarapala ومعناها: حامي المخلّدين، وحموربي: آرامية تفيد ما يقارب هذا المعنى وهو رب الأرباب.

ودولة حموربي وإن جزم بعض فضلاء المؤرخين كصاحب (العرب قبل الإسلام) وغيره بأنها عربية الأصل واللسان؛ فإن جلّ علماء الآثار والعاديات ما برحوا في شك من ذلك: فيهم من يقول: إن حموربي عربي لا دولته، وفيهم القائل بأن الأسرة المالكة والدولة معًا كانوا عربًا ينطقون باللسان العربية المتداولة في تلك العصور، وهي تختلف عن لسان عرب اليوم، وتُشبه لغة الآشوريين «سكان

نينوى وما جاورها»، وكانوا معاصريهم ومجاوريهم ويتفقون معهم في كثير من أزيائهم وعاداتهم وطرز بنائهم.

والحموريون إذا ثبتت عربيتهم بما سيكتشفه المتقّبون من آثارهم يكونون أول دولة عربية عرّف بها تاريخُ البشر ووصف حضارتها ومدينتها بما أفصحت عنه الأطلال الشاخصة بها، وفي (العرب قبل الإسلام) أن بعض الباحثين ظفر في بلاد السوس (فيما وراء النهر) بمسلة^(١) من الحجر الأسود الصلب قد نُقشت عليها شريعة حموري مؤلفة من ٢٨١ مادة تبحث في طبقات الأمة وحقوق المرأة وواجباتها والزواج والإرث، وعثر آخرون على كتابات تدل على معرفتهم بفنون الجراحة والطب، وبالجملة؛ فإن الأمة الحمورية وإن ظلمها التاريخ بإغفال ذكرها وإهمال أمرها فستُظهرها آثارها الخالدة وتُفصح عنها بنياتها وأنقاضها حتى تكون في عداد الدول القديمة المعروفة ذات المكانة الرفيعة والمنزلة السامقة والمجد والإعظام.

قحطان

توفي في نحو سنة ٢٦٩٠ قبل الهجرة

سبقت الإشارة إلى صاحب هذه الترجمة في الكلام على عدنان وقلنا بأن الجيل الثاني من أجيال العرب الثلاثة، وهو المسمى «العرب المتعربة» يتدعى بقحطان وأنه وابنه يعرب أخذوا العربية عن تقدمهما من قبائل العرب العاربة. وقحطان هو: ابنُ عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ذلك ما يذكره

(١) المسلة في اصطلاح الأثرين اليوم: أعمدة طويلة مربعة محددة الرأس، والأصل في هذه التسمية شيوعها عند العامة من المصريين في إطلاقهم على بعض الأعمدة القديمة اسم مسلة فرعون. قال ياقوت في المعجم: في البحث عن عين شمس: «وكانت مدينة كبيرة.. وبها آثار قديمة وعواميد تسميها العامة مسال فرعون سودّ طوالاً جدّاً تبين من بعد كأنها نخل بلا رؤوس».

علماء الأنساب ويقدمونه على ما عداه، واسم قحطان في التوراة يقطان، وأبوه عابر هو نبي الله هود (عليه السلام)، وكانت إقامة أبيه هود في حضرموت وهو من أشرف قومه ووجوهمم وبها توفي وفيها قبره، وأما ابنه قحطان؛ فمولده ومنشأه الأول في حضرموت، ثم انتقل بجماعة من قبيلته وأهله إلى مدينة صنعاء وكانت أرضاً خالية فابتنى بها واقتدى به من جاء معه فمضروها وصيروها مدينة تذكروهم آثارها بعد مرّ الألوف من السنين، وكثرت جماعة المتنقلين إلى صنعاء لما وجدوا بها من الخصب وطيب الهواء فنادوا بقحطان أميراً عليهم (ملكاً) وكان كما قدمنا من أعيان قومه وأبوه ذو الشأن الرفيع بوجاهته بينهم ونبوته فيهم، وأحسن قحطان السياسة فأحبوه وكرمّوه، ورأى نفسه في قوة وسلطان فجمع جيشاً وزحف به إلى العراق، وكان قد بلغه أن شداد بن عاد (أحد أمراء العرب العاربة) جاور العراقيين مدة واستولى في نحو سنة ٢٩٢٧ ق.هـ على مدينة بابل قاعدة مملكة الكلدانيين والحموريين.

ولما كانت سنة ٢٦٩٥ ق.هـ، وذلك في أيام قحطان، وثب الملك الآشوري بعلوس على من كان فيها من العرب فطردهم وجعلها عاصمة لمملكته الآشورية، فزحف إليه قحطان بما اجتمع لديه من المقاتلة ونشبت بين الفريقين حرب هائلة طالت أيامها، ومات في أثنائها قحطان سنة ٢٦٩٠ ق.هـ، ثم إن ابنه يعرب عقد الصلح مع بعلوس، وعاد إلى صنعاء مقر مملكته ومثل أبيه من قبله.

أما قحطان فيقال: إنه أول من لبس التاج ولعله لما قدم العراق ورأى حضارة بابل ونيوى في ذلك العهد قلّد ملوكهم بلبس التاج فكان أول من لبسه من ملوك اليمن وجزيرة العرب، وهو وابنه يعرب أول من نطق باللغة العربية وكانت لغتهم اللغة الكلدانية وهي لسان أهل العراق الأصليين، واستبعد ابن خلدون ما ينقله المؤرخون من أن قحطان أول من تكلم بالعربية، وأنه أتى بها مخترعاً من ذات نفسه، فقال: وقحطان تعلم العربية ممن أدركه من العرب العاربة (البائدة).

وولد لقحطان ثلاثة عشر ولدًا، وكثر نسله حتى امتلأت به البلاد اليمنية بعد زمن يسير، وإنما تشعبت القبائل والبطون القحطانية من حفيده سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان، فكانت منه بطون حمير وبطون كهلان وانتشرت أبنائهم في الشام والحجاز والعراق واليمن، ومن نسله التابعة ملوك اليمن، واللخميون ملوك الحيرة، والغساسنة ملوك الشام، وفيه يقول الشاعر:

فما مثل قحطان السماحة والندى ولا كابنه رب الفصاحة يعرب

يَعْرُبُ

مات في نحو سنة ٢٦٥٠ قبل الهجرة

يعرب بن قحطان بن عابر: أحد ملوك العرب وحكمائهم وخطبائهم ومن ذوي البسالة والإقدام فيهم ولي إمارة صنعاء بعد موت أبيه، واشتد ساعده، وكثر رهطه بعد عودته من قتال الآشوريين في العراق وبابل، فأقام في مقر إمارته سنينًا يعدُّ عدده ويُنمي عدده، ورأى قوم عاد (الثانية) قد طغوا في اليمن فخاف زحفهم عليه، فجمع جموعه وابتدأهم فحاربهم فحالفه التوفيق والظفر فامتلك البلاد اليمنية، وصفا له الملك بها، ثم حارب العمالقة وكانوا في الحجاز فغلبهم على أمرهم، وولى إخوته الأعمال؛ فجعل جرهمًا على الحجاز، وعاد بن قحطان على الشحر، وحضر موت بن قحطان على جبال الشحر، وعمان بن قحطان على بلاد عُمان.

ويعرب هذا أول من حيَّاه وولده بتحية الملك: أنعم صباحًا! و: أبيت اللعن! وهو وأبيه اللذان نشرَا لغة العرب في البلاد والممالك، وذلك بعد تفرق الألسن وتبلبلها واختلاف الناس في أساليب التعبير عن ضمائرهم وخواطرهم، وبذلك يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

تعلمتم من منطق الشيخ يعرب أبينا فصرتم مُعربين ذوي نَفَرٍ
وكنتم قديمًا ما لكم غيرَ عجمة كلامٍ وكنتم كالبهائم في القفرِ
ويزعم أصحاب الأخبار أن يعرب لما حضرته الوفاة جمع بنيه وأوصاهم
بقوله:

«أي بني! تعلموا العلم واعملوا به، واتركوا الحسد؛ فإنه داعية القطيعة
بينكم، وتجنبوا الشر وأهله؛ فإن الشر لا يجلب عليكم إلا الشر، وأنصفوا الناس
من أنفسكم؛ فإنهم ينصفونكم من أنفسهم، واجتنبوا الكبرياء؛ فإنها تبعد قلوب
الرجال عنكم، وعليكم بالتواضع؛ فإنه يقربكم من الناس ويحببكم إليهم، وإذا
استشاركم مستشير فأشيروا عليه بما تشيرون به على أنفسكم بمثل ما استشاركم
فيه؛ فإنها أمانة قد ألقاها في أعناقكم».

وملك بعد أبيه ثلاثًا وثلاثين سنة، ومات في صنعاء.

سبأ

مات نحو سنة ٢٥٩٠ قبل الهجرة

عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان: أحد كبار ملوك اليمن ومن
أصحاب الذكر والشأن في تاريخ تلك الأصقاع، ملك صنعاء وما جاورها من
الديار التي أخضعها يعرب لسلطانه، كما قدمنا في ترجمته، وكان موصوفًا
بالشجاعة وعلو الهمة وحب الغزو؛ فإنه طمح ببصره إلى القبائل البعيدة عنه
فقصدها وحاربها وأكثر السبي فيها فلما عاد إلى صنعاء أكبرت قبيلته أمره
وأعظمت شأنه وكانت عادة السبي غير مألوفة فسَنَّها عبد شمس.

قال أصحاب التواريخ: ولذلك لُقِّبَ بسبأ.. ولا يحسن عندي هذا التوجيه.

وكان مولعًا بال عمران وإقامة الأبنية الفخمة، فابتنى مدينة مأرب، وهي

من المدن التي ما زالت آثارها شاخصة إلى هذا الحين وقد عثر بعض علماء الآثار واللاهجين بالبحث والتنقيب من فضلاء الغرب على كثير من الكتابات منقوشة على الحجارة باللسان الحميري استدلوا منها على اسم المدينة ورأوا بعض الأنقاض الآخذة بالاندثار فعرفوا منها حدود المدينة، وفيها سور له بابان أحدهما شرقي والآخر غربي، وفي وسطها آثار هيكل يسميه سكان ذلك القطر الآن هيكل سليمان، وبنى بها السد المعروف بسد مأرب.

قال المسعودي: ومات سبأ قبل أن يستتمه فأتمته ملوك حمير بعده.

وفي المؤرخين من ينسب له بناء مدينة عين شمس في إقليم مصر وتعرف اليوم باسم مصر الجديدة، وما أحسبها إلا من بناء الفراعنة كما يفهم من صدر كلام ياقوت الحموي عنها.

وكان موصوفاً بقوة العارضة حتى قال واصفوه: هو أول من خطب في الجاهلية على الجماعة يريدون أنه أول خطيب جاهلي قام في ملأ من الناس فحذرهم أو أنذرهم أو وعظهم أو شجّعهم، لم يكن ذلك معروفاً عند من تقدمه من ملوك القبائل وأماؤها.

وعاش بعد موت أبيه خمساً وثلاثين سنة، وأعقب نسلًا حميدًا. قال النسابة الكلبي: وُلد لسبأ: حمير وكهلان وصيفي وبشر ونصر وأفلح وزيدان والعود ورهم وعبد الله ونعمان ويشجب وشداد وربيعة ومالك وزيد.

فيقال لبني سبأ كلهم السبئيون إلا حميرًا وكهلان؛ فإن القبائل قد تفرقت منهما؛ فإذا سألت الرجل: ممن أنت؟ فقال: سبئي، فليس بحميري ولا كهلاني. اهـ.

وفي كثرة غزواته وفتوحه يقول الشاعر:

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها إلى الغرب منها عبد شمس بن يشجب سعى بالجياد الأعوجية والقنا إلى بابل في مقنب بعد مقنب قال صاحب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب: «ويقال: إن سبأ أغار على بلبل^(١) بالخيـل ففتحها وأخذ أتاوتها، وضرب بالخيـل والرجال في الأرض؛ فكان لا يذكر له بلد إلا قصده وفتحـه، وهو أول من فتح البلاد وأخذ أتاوتها.

حمير

مات نحو سنة ٢٥٤٠ قبل الهجرة

الحميريون: ملوك عظام كانت منازلهم في اليمن ودام لهم الملك زمناً طويلاً، وهم ينتسبون إلى صاحب هذه الترجمة: حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وكان ملكاً شجاعاً مظفرًا، حكم بعد موت أبيه سبأ، ولم تزل عاصمة ملكه صنعاء، وغزا وافتتح حاذيًا حذو آبائه في توسيع دائرة ملكهم حتى قيل: إن غزاته بلغوا الصين.

وحمير: لقبٌ عليه لاختياره الثياب الحمر وكثرة لبسه لها واسمه العرنجج: وهو مشتق من قولهم: اعرنجج في الأمر: إذا جدَّ فيه، واتخذ من الذهب الوهاج تاجًا، فكان أول من تتوج بالذهب، وله وقائع مشهورة منها أنه قاتل قبائل ثمود، وكان مقامها في اليمن ففرَّقها فارتحلت إلى الحجاز.

والدولة الحميرية ذات ذكر وشأن في تاريخ جاهلية العرب، وأصحاب الأخبار لا يعولون في مدتها على رأي، ولكنهم يختلفون اختلافًا عهدها بهم في مثلها فلا غرابة فيه، وضعفت في منتهى أمرها، شأن غيرها من الدول الكبيرة، فأسست على أنقاضها دولة حبشية أسسها أرياط الحبشي الذي أغار بجيش كبير من أبناء جلدته على آخر الملوك الحميريين ذي نواس، وهو أحد الملوك

(١) كذا بالأصل.

اليمنيين المعروفين بالأذواء^(١)، فقاتله وامتلك اليمن سنة ٨٥ ق.هـ. فدام لأرباط الملك وتوارثه عنه بعض أبنائه، والعرب اليمنيون يتحفزون إلى الوثوب بهم، ولكنهم لا يستطيعون لاستئثار الحبشة بالقوة دونهم، حتى نهض فيهم شاب كان من سلالة الأذواء الحميريين واسمه: سيف بن ذي يزن فإنه دهم الأحباس بجيش أتى به من الفُرس؛ على نحو ما سيأتي مفصلاً في ترجمة سيف المذكور؛ فأعاد الملك إلى أهله واستقل به سنة ٢١ ق.هـ.

وللحميريين لغة انفردت بها قبائل اليمن تختلف عن العربية الحجازية بفروق كثيرة في كتابتها وكلماتها، ولها ألفاظ لا يعرفها غير اليمنيين؛ فمما اختصوا من الألفاظ: العباهلة، والأقيال، والأرواع، والمشاييب^(٢)، وغير ذلك مما ورد شيء منه في بعض رسائل النبي (ﷺ) التي بعث بها إليهم، وكان يخاطب كل قبيلة بلهجتها ولغتها، ورسائله محفوظة في أكثر كتب الأدب والتاريخ.

ومما خالفوا فيه غيرهم من قبائل العرب: الوثوب: يعنون بن القعود، وإبدال لام التعريف بالميم، يقولون: طاب أمهواء، وجاء امشتاء، وصفا امجؤ؛ يريدون الهواء والشتاء والجو، ويحفظ عن رسول الله (ﷺ) أن جماعة من الحميريين سألوه عن الصيام في السفر فأجابهم بلغتهم: ليس من امبر أمصيام في امسفر، يعني: ليس من البر الصيام في السفر.

والعامة في مصر والشام يقولون: امبارح «إذا أرادوا البارحة». ومنها: الوتم، وهو إبدالهم السين تاء، يقولون: ألنات بالنات، يعنون: الناس بالناس.

(١) جمع «ذو» وهم ملوك اليمن الحميريون المبدوءة أسماءهم بذو: منهم: ذو يزن وذو غمدان وذو جدن وذو سلحين وغيرهم.

(٢) العباهلة في لغتهم: الذين استقر ملكهم، والأقيال: جمع: قتل وهو دون الملك الأعلى كالوزير الأكبر (صدر أعظم)، والأرواع: السادات، والمشاييب: الأذكاء.

والشنشنة: وهي إبدالهم الكاف شيئاً: سُمع أحدهم في عرفة، يقول: لبشّ
اللهم لبش، أي: لبيك اللهم لبيك، وهذه شائعة اليوم في كثير من القرى
والبوادي، ويبدلون الياء جيماً في الإضافة والنسب نحو غلامج (أي غلامي)
وبصرج (أي بصري).

ويقفون على الهاء بالتاء: يقولون: عربيتّ، ولغويتّ، ونجديتّ، وهم
يريدون: عربية، ولغوية، وهذه أيضاً شائعة اليوم في المدارس المسيحية، خاصة
في بلاد الشام، والبحث في هذا الأمر يطول، وعلماء العربية لا يحتجون بكلامهم
في اللغة لمخالطتهم الحبشة والهنود (المزهر: للسيوطي).

وعلماء الآثار اليوم يرون بوئاً بعيداً بينها وبين العربية الحجازية، وذلك فيما
عثروا عليه من كلامهم، حتى شك بعضهم في أنها فرع من العربية وعدوها لغة
قائمة بنفسها. قال البستاني في دائرة المعارف (ج ٧ ص ٢٤٢): وذهب بعضهم
إلى أن الحميرية تختلف جداً عن العربية، حتى أنه لا يجوز جعلهما معاً، وأول
من بين لأوروبا وجود الكتابة الحميرية في المقاطعات الجنوبية من بلاد العرب
هو العالم نيور، وذلك سنة ١١٩٠ هـ (١٧٤١ م)، ثم كُشفت عدة كتابات وآثار
في ظفار وصنعاء والخربة ومأرب وحرم بلقيس وحضرموت، وفي المتحف
الإنكليزي بلوندره نموذج منها منقول على ألواح نحاسية باللغة الحميرية
وُجدت في حضرموت، وجوهرتان عليهما كتابة حميرية جيء بهما من بابل،
واكتشف الباحثان بليفير وكوغلان عدة ألواح برنزية عثرا عليها في القرب من
صنعاء وأهدياها إلى المعرض. قال البستاني: ووُجد حديثاً كتابات كثيرة حتى
صارت تعد بالمئات.

والأحرف الحميرية اكتشفها موسيو كلدور في أبين (جهة في الشمال الشرقي
من عدن) منقوشة على قطعة من البلاط، والكتابة الحميرية تختلف عن غيرها

من لغات القبائل العربية اختلافاً واضحاً وخطها يعرف بالمُسند وهو قريب في صورته من الخط السرياني والحبشي.

ونقل صاحب المطالع النصرية عن ابن خلكان قوله: والحميرية هي خط أهل اليمن قوم هود وهم عاد الأولى، وكانت كتابتهم تسمى المسند الحميري وكانت حروفها كلها منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد إلا بإذنهم. اهـ.

وعاش حمير خمسين سنة في ملكه بعد أبيه، وولد له خمسة أولاد: مالك، وعامر، وعمرو، وسعد، وواثلة. كذا في المعارف لابن قتيبة.

ومن بطون حمير على ما ذكره القلقشندي في كتاب الأنساب: السكاسك، والشعبيون، وبنو الريان، وقضاة، وبطون قضاة، وبنو عبد شمس.

ومن ملوك حمير: التبابعة، والأذواء، والأقيال. وعلى ما في تاريخهم وأخبارهم من الغموض تجد في كتب التاريخ الكبيرة كتاريخ ابن خلدون وأشباهه كلاماً كثيراً عنهم، وفيه ما تؤيده الآثار المكتشفة في عصرنا هذا.

تَبَع

مات في نحو سنة ١٠٥٣ ق.هـ.

الملك الأكبر من ملوك الدولة الحميرية الثانية في بلاد اليمن، كان يُلقَّب بتَبَع، كما كان الفرس يدعون كل ملك منهم كسرى (معرب خُسرو الفارسية)، والروم قيصر (معرب: Cesar)، والترك خاقان، والحبشة النجاشي (معرب انكاش، في الحبشية، وهي بالكاف المشمة بالجيم، كما في العبر).

وامتاز تَبَع هذا بأنه ورد ذكره وذكر قومه كثيراً في الأخبار الإسلامية، وهو من ذوي الفتوح والشأن، واسمه حسان وأبوه تبع أسعد أبو كرب الحميري (قاله أبو الفداء). كان من أعظم ملوك حمير، ولعله أكثرهم غارات وأظفرهم كتائب.

قال الإمام ابن عساكر في تاريخ الشام: سار تَبَع بجيش عرمرم حتى انتهى إلى

سمرقند يغزو ويفتح وكلما دخل مدينة أو قرية كبيرة اختار من كلمائها وذوي العقول الراجحة من أبنائها عددًا لا يقل عن العشرة فاستصحبهم معه، ثم انصرف فأخذ طريق الشام، فامتلك دمشق واعتقل منها أحرارًا من اليهود جعلهم فيمن سِيرَ معه من الحكماء، وما كَرَّ راجعًا نحو اليمن إلا وبين يديه من الأحرار والكهنة والحكماء ما يناهز أربعة آلاف رجل، وبينما هو سائر إلى اليمن كان الأحرار يحدثونه عن الأديان والكتب السماوية حتى استمالوه إليهم، ولما قُرب من مكة شاع في الناس أنه يريد هدم الكعبة؛ فهرع إليه الأحرار فحدثوه بشأن الكعبة وأنها بيت الله وما زالوا به إلى أن كانت لها في نفسه هيبة؛ فخلع ثيابه مُحرمًا واصطفى دين إبراهيم الخليل، ودخلها فقصى نسكه وكساها سبعة أثواب، فهو أول من كسى البيت، ثم مرَّ ببقعة يثرب (المدينة) وعاد إلى اليمن فاستمرت بينه وبين قومه مناظرات في أمر دينه الجديد، وكانوا وثنيين يعبدون بيتًا شيدوه يزعمون أن به إلها يكلمهم ويخرج إليهم، وثبت تُبَّع، وتبعه جماعات منهم وأحرق كثيرًا من الذين قاوموه في نشر دينه، واعتزله جماعة بقوا على دياناتهم فهدم تُبَّع وأصحابه بيت عبادتهم، واتخذ في اليمن مدينتي «مأرب» و «ظفار» فجعلهما سكنًا له يقيم في أيام الشتاء بمنزل في مأرب مبني بالصفائح الذهبية، ويقضي فصل الصيف في «ظفار» بمنزله المبني من الرخام، وجعل في مأرب مكانًا يُنشأ أبناء الملوك من حمير يتعلمون به اللغة والأخلاق فهو كمدرسة للعلم والتربية، ثم ثار عليه جمع من قومه فقتلوه، وقيل: بل مات في «غلسان» من بلاد الهند.

هذه أخبار تُبَّع حسان اليماني لخصتها كما ترى عن بعض الكتب العربية الموثوق بها عند أصحاب هذه اللغة، وأما آثار التبابعة فحتى يومنا الذي نحن فيه لم ينكشف للباحثين من أمرها غامض ولا وضحت حقيقة وعساها تنبئ الأطلال الدارسة بأقدار بُناتها وأهلها الأولين ولو بعد حين، أما زمن صاحب الترجمة فلم أرَ ما أثق به من الأقوال الصريحة في كتب التواريخ غير كلمة يُستأنس بها الآن أوردَها الحافظ ابن عساكر قال: وبين تُبَّع ومولد رسول الله (ﷺ) ألف

سنة، فأضفت ما بين مولد النبي وهجرته إلى الألف فكان مجموعهما ألف سنة وثلاثاً وخمسين سنة، وإنما هو تقدير وتقريب: وقد يحسن إيرادهما ويحتاج بهما عند فقدان الحقيقة وامتناع التأكيد.

وينسبون لتبع هذا شعراً يزعمون أنه ناظمه وأثبت شيئاً منه ابن عساكر في تاريخه، أما عندي فلا يثبت من ذلك شيء ونحن نرى الخلاف في أسماء ملوكهم قائماً فكيف بما يُعزى إليهم من الشعر على كثرة ناظميه والمشتغلين فيه.

عمرو بن لحي

مات نحو سنة ٣٩٠ ق.هـ.

كانت العرب حتى سنة ٤٠٠ قبل الهجرة آخذة بدين إبراهيم الخليل (عليه السلام) إلا قليلاً منها اتبعوا ديانات مجاورينهم من الفرس والروم والوثنيين وغيرهم حتى نشأ في الحجاز ملك منهم يُدعى «عمرو بن لحي» بن حارثة بن عمرو مزقياء الأزدي من ولد كهلان بن سبأ، وكان ملكاً مطاعاً شائع الذكر داهية خضعت له الحجاز، وهو أول من أدخل الأصنام على تلك البقعة وجعلها في الكعبة، وذلك أنه أصيب بعلّة شديدة أعياه شفاؤها فليل له: لو قصدت البلقاء من أعمال الشام فإن بها حمةً إن أتيتها برأت، فأتاها، فاستحم، فبرأ من مرضه، واختلط ببعض أهلها فرآهم يعبدون أصناماً فسألهم عنها، فقالوا: هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والأشخاص البشرية نستنصر بها فننصر ونستسقي بها فنسقي، فأعجبه ذلك، فطلب منهم صنماً وبذل لهم ما يعدله من النقود فدفعوا إليه «هَبَلٌ» واسمه في العبرانية «هَبَلٌ»، وهو اسم أكبر أصنام الفينيقيين أو الكنعانيين ومن جاورهم من أمم الشام.

قال النويري: وهَبَلٌ: صنم من خرز العقيق على صورة الإنسان، فاحتمله عمرو به لحي وسار به إلى مكة فوضعه على الكعبة، واشترى صنمين أحدهما

«إساف»، والثاني «نائلة»، فعكف على عبادتهما وأمر قومه وعشيرته بعبادة الأوثان وتعظيمها، ثم دعا العرب كافة إلى رفع شأنها واحترامها والتقرب منها، فأجابه السواد الأعظم منهم رغبةً أو رهبةً، وشذَّ جماعة من عقلائهم ومفكريهم، ففضّلوا الديانات المعروفة في ذلك العصر كالإسرائيلية والنصرانية، ومنهم من اختار مذهب المجوس والزنادقة أو الثنوية، أو عبادة الكواكب، وثبت فريق على ديانتهم الأولى. واستمر الأكثرون على عبادة الأصنام وتقريب القرابين لها حتى جاء الإسلام فحطمها وحول الناس عن ابتغائها بعد أن كثر عددها وفشا أمرها واتخذت كل قبيلة من قبائل العرب صنمًا ابتدعته، ومنهم من بنى له بيتًا ليكون كالكعبة يُطاف حوله، حتى إذا ارتفع لصاحب ذلك الصنم شأن أو كان له سلطان على من جاوره من العشائر دعاهم إلى تعظيمه وعبادته وناضل عنه ببأسه وقوته، تشبهاً بقريش في سدانيتها للكعبة وسيادتها بذلك.

وقد حطّم المسلمون نيّفاً وثلاثمائة صنم، وقيل: إنها كانت على عدد أيام السنة، ومن أشهر أصنام العرب: «هبل» الأنف ذكره، و«إساف»، وكان على الصفا، و«نائلة» وكان على المروة، و«مناة» وكان عند الأوس والخزرج في مدينة يثرب، و«اللات» وكان لثقيف في الطائف، و«العزى» وكان لقريش وكنانة، و«ود» لبني كلب بدومة الجندل، و«سواع» لهذيل، و«يغوث» لمذحج، و«يعوق» لهمدان، وأصنامهم كثيرة يضيق بها مجال هذا الكتاب.

أما عمرو بن لحي المترجم: فقد كان في عصر سابور ملك العجم (قاله الشهرستاني)، وسوابير العجم ثلاثة: سابور بن أردشير (مات سنة ٣٩٨ ق.هـ) وسابور بن هرمز المعروف بذي الأكتاف (مات سنة ٢٧٨ ق.هـ)، وسابور ابن ذي الأكتاف (مات سنة ٢٦٩ ق.هـ)، وأشهرهم عند سكان جزيرة العرب ذو الأكتاف؛ فإنه غزاهم وكان له معهم حديث طويل، والذي ذهبت إليه في تاريخ صاحب الترجمة أنه كان في عصر سابور الأول ورجحه عندي قدّم

الأصنام في الكعبة ورجوعها إلى عهد أبعد من عهد سابور الثاني أو الثالث، وكذلك صنع السيد رفاعة الطهطاوي في كتابه بداية القدماء وهداية الحكماء، اختارَ لعمرٍو مُعاصرةَ سابور الأول، وهو متردّد في الحكم غير جازم.

جذيمة الوضاح

مات سنة ٣٦٥ ق.هـ.

جذيمة بن مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي: أحد ملوك العراق ومن ذوي الذكر الذائع والاسم الشائع. قال المؤرخ ابن الأثير: «كان من أفضل ملوك العرب رأياً، وأبعدهم مغاراً، وأشدّهم نكاية، وهو أول من غزا بالجيوش، وشنّ الغارات على قبائل العرب».

كان مقره في الأنبار والياً على من جاوره من عرب العراق من قبَل الأكاسرة ملوك العجم في أيام ازدهار ملكهم وامتداد سلطتهم، ثم استولى على السواد (في شمالي العراق) وانقادت له الحيرة والأنبار وسائر القرى المجاورة، ثم طمح بنظره إلى مشارف الشام وأرض الجزيرة فغزاها وحارب ملكها عمرو بن الظرب والد الزباء، فقتله وانتهب بلاده، وكان له من الفرات إلى تدمر، وفرت ابنته الزباء، حتى انصرف جذيمة فعادت إلى تدمر مقر ملك أبيها فجمعت شمل الجند واستعدّت، ثم راسلته وعرضت عليه نفسها زوجة له، وكانت أجمل وأعقل وأشهر نساء عصرها، فقَدِم عليها جذيمة ليتزوجها فاغتالته وقتلته وأخذت بثأر أبيها: وقصتها مشهورة تجدها في أكثر كتب التاريخ والأدب العربي وفي حوادثها أمثال جيدة وأخبار تلذّ التلّة، ولبحثة الإفرنج اهتمام كبير بأمرها وهم يسمونها «زينوبيا - ملكة تدمر»، فارجع إن شئت البحث عنها إلى كتب المستشرقين وأهل التحقيق منهم، وابتعد ما استطعت عن كتب العرب وأقوالهم فيها إلا في ما لا بدّ منه كالأمثال العربية أو إرادة المقابلة.

وجذيمة أول ملك أو أمير عربي جلس على سرير اتخذه لنفسه في مجلسه: أخذ ذلك عن الفرس، وجُبيت له أموال البلاد الخاضعة لحكمه فقال فيه شاعره: أضحي جذيمة في الأنبار منزله قد حاز ما جمعت في عصرها عادُ مستعملُ الخير لا تفنى زيادته في كل يوم وأهل الخير تزدادُ وضاع له ابن أخت يُدعى عَمْرًا وهو صغير فمضى عليه زمن ثم لقيه رجلان: اسم أحدهما مالك والثاني عقيل. فأتياه به فقال لهما جذيمة: تَمَنِّيَا عَلَيَّ مَا شِئْتُمَا، فطلبا منادمته ما بقي وبقياً، فنادماه أربعين سنة، ورأى منهما عقلاً وأدباً فصحبهما حتى مات وفرقت بينهما الأيام، فَضَرَبَتِ الْعَرَبُ بِهِمَا الْأَمْثَالَ فِي تَأْكِيدِ الْأَلْفَةِ وَطُولِ الصَّحْبَةِ؛ قَالَ أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ يَرِثِي أَخَاهُ عُرْوَةَ:

تقول أراه بعد عروة لاهياً وذلك رُزْءٌ لو علمتِ جليلُ
فلا تحسبي أن قد تناسيتُ عهده ولكنَّ صبري يا أميمٌ جميلُ
ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلاً صفاء: مالكٌ وعقيلُ

وكان يقال لجذيمة «الأبرش» و«الأبرص» لبرص كان فيه، ولكن العرب هابته أن تنعته به فلُقِّبَ بالبوضَّاح، وقتل في تدمر كما ذكرنا واختلفوا في مدة ملكه بين ٥٠ سنة و[٦٠].

الضيزنُ السليحي

مات سنة ٣٠٤ ق.هـ

ما برحت الآثار الشاخصة والأطلال البالية تذكّر رأيها ببيانها وتدلُّ مُشَاهِدُهَا على شائدها، فإن علماء البلدان وأصحاب الرحلات المولعين بالأسفار والبحث عن الآثار كلما مرَّ واحد منهم بتلك الأخربة المبعثرة في ذلك المكان

المائل بين الكوفة والقادسية استوقفه منظرها طويلاً فنقّب وبحث ثم كتب ما لاح له، فأما ياقوت فثبت عنده أن مجاوري ذلك الموضع كانوا يسمونه في عصره «طيزناباذ» ونسبه إلى بيان ذلك المؤرخ البلاذري، واتفقا على أن اسمه الأول «ضيزناباذ»، ولكن مجاوريه الفرس حرفوا الضاد طاء؛ لأن لغتهم خالية من الضاد، وقالوا: ضيزناباذ: مؤلفة من كلمتين «ضيزن» وهو اسم بانيتها و«أباز» ومعناها بالفارسية العمارة فتكون ترجمتها «عمارة ضيزن»، وحرقتها العامة في العهد الأخير فقالت: «طُعيريزات»، وهو اسمها الشائع اليوم على ما جاء في مجلة لغة العرب البغدادية، ص ٣١٩، وربما قالوا «العريسات»، كما جاء بها أيضًا في مواضع مختلفة، وهي كما في معجم البلدان تبعد عن القادسية في جادة الحاج مسافة ميل، وكانت في صدر الإسلام من أئزّه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر مقصودةً للهو والبطالة، وفي القرن السادس كانت خرابًا ولم يبق بها إلا أثر قباب كانوا يسمونها «قباب أبي نواس» لأبيات نظمها أبو نواس فيها أوردها ياقوت (ج ٦، ص ٧٩)، وهي اليوم آثار أبنية في تلال وهضاب.

أما مشيد دعائمها والمنسوبة إليه فهو صاحب هذه الترجمة: الضيزن بن معاوية بن الإحرام (أو الأجرام) بن سعد بن سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة (كذا نسبه في كتابي المعجم والفتوح رواية عن الكلبي)، وكان ملكًا مذكورًا بالبأس والمنعة تخشاه أقيال العرب وملوكها، فكانوا يُهادونه ويسالمونه خوفًا من بطشه، وكان قد ملك الجزيرة إلى الشام، والعرب في ذلك العهد، كما تدلّك كتب الثقة من مؤرخيهم، كانوا بين جاذبين سياسيين قويين:

أحدهما دولة الفرس وهي لا تألو جهدًا في تقريب من داناها من أمراء القبائل وملوك العشائر فتتعم عليهم وتحسن إليهم ثم تطلقهم في بلاد الروم يعيشون بها فسادًا ويقلقون سكانها، والثاني: الروم، يصنعون صنيع الفرس، حذوك النعل بالنعل! وكان الضيزن مشايعًا للروم متحيزًا إليهم يغير رجاله على العراق

والسواد، وذلك في أيام كسرى سابور ذي الأكتاف وهو من بُغاة الأكاسرة وأشدهم عداوة للعرب، فجمع جيشًا كبيرًا وزحف به إلى بلاد الجزيرة حتى بلغ «الحضر» وهو بناءٌ بناه الضيزن، أو مدينة له فيها حصن، فلجأ الضيزن إلى الحصن، وأقام سابور مدة لا يُرشد إلى فتحه وزعموا أنه كان للضيزن بنت تدعى «النضيرة» رأت سابور فأحبهت وراسلته، ثم مهّدت له سبيل دخول الحصن، فدخله، وقتل الضيزن، وانتهبه وأمر بهدمه، ولعله هو «أخو الحضر» الذي أراده صاحب القصيدة المشهورة وهو عدي بن زيد بقوله:

[أين] كسرى كسرى الملوك أنوشر وان أم أين قبله سابور
وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر إذ بناه وإذ دج لة تُجبي إليه والخابور
شاده مرمراً وجلّله كل سا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد المُلْكُ عنه فبابه مهجور

النعمان السائح

مات في نحو سنة ٢٢٠ ق.هـ

النعمان بن امرئ القيس بن عمرو اللخمي الأعور السائح: أحد ملوك الحيرة من قبل ملوك الفرس، وكان شجاعاً كثير الغارات رفيع الذكر، غزا الشام مراراً بتحريض الفرس، كما سبقت في الترجمة السالفة الإشارة إليه، فغنم ورجع وظفر واتخذ كتيبتين حازهما عن جنده، إحداهما كانت مؤلفة من رجال الفرس، وسماها الشهباء. والثانية من تنوخ وسماها دوسر، وبهذه يُضرب المثل في البطش والفتك؛ فيقال: أفتك من دوسر.

واجتمعت له في حروبه أموال كثيرة، وكان موصوفاً بالعقل والدهاء منعوتاً

بالحزم وبُعد النظر، وكان معاصرًا ليزدجرد، المعروف بالأثيم، ملك الفرس، فدفَعَ إليه ابنه بهرام (الذي سُمي بهرام جور) ليربيه ويهذبه، فأنشأه على غاية ما يكون من حُسن الأخلاق والشجاعة والفروسية، وطالت أيام النعمان، وهو باني القصرين العظيمين الخورنق والسدير، وللشعراء فيهما كلام كثير، ولما بلغ سن الكهولة فكَّر في أمر الحياة الدنيا فلم يرها إلا غرورًا، فسلك مسلك النساك والحكماء. واستعاض عهد داء المُلك، بقاء النُك، وانصرف سائحًا في البلاد، فانقطع خبره، وخفي أثره، وذلك بعد أن حكم ثلاثين سنة، وفيه يقول عدي بن زيد من قصيدة تقدم بعضها:

وتدبر رَبَّ الخورنق إذ أشرف يومًا وللهدي تفكيرُ
سرَّه ماله وكثرةُ ما يملك والبحر مُعرَّضًا والسديرُ
فارعوى قلبه وقال: فما غطبة حيَّ إلى الممات يصيرُ
ومطلع هذه القصيدة:

أيها الشامت المعيرُّ بالدهر أنت المبرِّأ الموفورُ
وفي ختامها بعد ذكر الملوك وآثارهم:

ثم بعد الفلاح والمُلك والنعمة وارتهمُ هناك القبورُ
ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ فألوت به الصبا والدُّبورُ

ولما غاب النعمان وتحدَّث الناس بأمره عثروا على بعض آثارٍ منه عرفوا منها ما صار إليه حاله فتولَّى مكانه المنذر الأولي، وتعاقت الأبناء والإخوة من بني لخم حتى آل الأمر إلى المنذر بن ماء السماء الآتي خبره. [أورده الزركلي في الترجمة التالية بالفعل، ثم أدخل تعديلًا، فتأخرت ترجمة المنذر قليلًا].

كُليبُ وائلٍ

ولد سنة ١٨٧ وقُتل سنة ١٣٣ ق.هـ.

من أمراء العرب الذين تشبهوا بالملوك في سلطتهم وسعة ديار دان، وأن لهم وخضع لحكمهم صاحب هذه الترجمة: كليب واسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن مُرَّة التغلبي الوائلي من أحفاد عدنان، سيدُ الحَيِّين بكر وتغلب ابني وائل، ومن الشجعان المذكورين في الجاهلية، كانت منازلهم في نجد وأطرافها، وكانت الإمارة في بني ربيعة ابن نزار للأكبر، فالأكبر من ولده وكلما ولي الإمارة حَيٌّ منهم اتخذ له شارة أو سنة يعرف بها؛ فكان لواء الإمارة، بعد جدهم ربيعة، في بني عنزة بن أسد بن ربيعة فجعلوا سنتهم التي يمتازون بها أنهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم ولا يباح لغيرهم من قبائل ربيعة أن يفعل ذلك إلا من أراد حربهم وقتالهم فيفعل خرقاً لحرمتهم ونبذاً لطاعتهم.

ثم تحوّل اللواء إلى بني عبد القيس بن أفصى بن دغمي بن جديلة بن أسد؛ فكانت سنتهم أنهم إذا شُتم أحدهم لنظم من شمة، وإذا لُطم قُتل من لطمه يرون ذلك حقاً لهم لا ملام فيه.

وانتقل اللواء إلى بكر بن وائل فكانوا يوثقون فرخ طائر ويضعونه في قارعة الطريق فإذا عَلِمَ بمكانه لم يسلك أحد ذلك الطريق وإنما يتنحى عنه بعيداً ومن دنا منه أو حاذاه فقد خرق حرمة الأسرة المالكة ونجاز قتله، ومنهم تحوّل اللواء إلى تغلب فوليه كليب بن ربيعة بعد أبيه، فاتخذ جرواً كان إذا جلس في روضة أو مكان يضربه ويُلقيه فيعوي فحيثما بلغ صوته كان في حمايته فلا يُرعى كلاً منه ولا يُصاد فيه ولا يأوي أحد إليه.

وقالوا: إن اسمه وائل ولكنه لما اتخذ الجرو فكان إذا عوى ابتعد الناس يحذّر بعضهم بعضاً ويقولون: هنا كليب وائل فغلب ذلك عليه، وزاد في منزلة

كليب انضمّام قبائل معدّ له وقيادته لجموعهم يومَ خزاز، وهو من أيام العرب المشهورة كان بين معد واليمن فأظهر كليب شجاعة وبسالة ففضّ جموع اليمن وهزمهم وأطاعته معد فوثق بها ودخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب فيقول: ما أظلت هذه السحابة في حماي، فلا يُرعى ما تظله، وكان يقول: وحش أرض كذا في جوارى، فلا يُصاد، ولا يورد أحدٌ مع إبله، ولا توقد نار مع ناره، ولا يمر أحد بين بيوته، ولا يجتبي أحد في مجلسه، وحمى أرضاً من العالية في أول الربيع فكان لا يقربها أحد، وبه يُضرب المثل: يقال: «هو في حمى كليب» لمن كان آمناً، ومن أجله ثارت حرب البسوس التي هي أطول حرب نشبت في الجاهلية: قيل: دامت أربعين سنة، وسببها أنه رأى ناقة غريبة ترعى في أرض العالية التي هي في حماه فرماها بسهم فقتلها، وكانت الناقة لرجل يقال له سعد بن شمس الجرمي نزل ضيفاً عند البسوس بنت منقذ التميمية خالة جسّاس بن مرة، وهو أخو زوجة كليب، فوقع الشقاق بين جسّاس وكليب على ما هو مسطور في كتب الأمثال (انظر كتاب «الصيّب المنثال» لصاحب هذا الكتاب) وجعل جسّاس يترقب كليياً حتى انفرد به يوماً فقتله، ونشبت الحرب بين التغلبيين رهط كليب، والبكرين رهط جسّاس، وكان بطل تلك المواقع مهلهل بن ربيعة أخو كليب، وسيأتي ذكره في ديوان الشعراء، وفي كامل التواريخ كلام طويل على يوم البسوس كما في أكثر كتب التاريخ والأخبار، وجاء في معجم البلدان (ج ٤ ص ١٩٨): قوله: وسوق الذنائب قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل.. قال مهلهل يرثيه:

أليتنا بذي حُسم أنيري إذا أنتِ انقضيتِ فلا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصيرِ

ولو نُبش المقابر عن كُليب لخبَّر بالذنائب أيُّ زير!
 فلولاً الريح أسمع أهل حُجر صليل البيض تفرع بالذكور
 والزير لقب كان يدعوه به كليب؛ لأن مهلهلاً كان في صباه يُكثر من معاشره
 النساء فسماه أخوه «زير النساء» فلما قُتل هَجَرَ مهلهلاً ذاك النعيم، وعكف على
 السلاح والكفاح.. والبيت الأخير يقال: إنه أول كذب ورد في شعر العرب لأن
 بين الذنائب وحجر سبع ليال، وله في كليب مراثٍ كثيرة يأتي بعضها في ترجمته
 إن شاء الله.

ذو نواس الحميري

ولد سنة ١٧٥ ومات سنة ١٠٩ ق.هـ

أشرت في بعض ما تقدم إلى ملوك الحميريين ومآثرهم في القطر اليماني،
 وصاحب هذه الكلمة هو: ذرعة بن كعب الحميري، أحد ملوكهم والأعزة
 فيهم، ولقبه ذو نواس؛ لأنه كان له ضفيرتان تنوسان (أي تضطربان) على عاتقه.
 وهو صاحب الأخذود المذكور في القرآن الكريم، وكان من حديثه أنه بلغه
 أن رجلاً من الدعاة إلى النصرانية والمبشرين بها بعثته آل جفنة ملوك غسان
 إلى أهل نجران فتنصروا وكان دينه اليهودية فغاضه ذلك وسار إليهم بنفسه فأمر
 بأخاديد حُفرت وملأها جمرًا وجمع من في المدينة فجعل يعرضهم على النار
 من تبعه نجا، ومن أبى هوى! حتى قتل منهم جمعًا كثيرًا.

وأُفلت رجل منهم اسمه «دوس ذو ثعلبان» فركب البحر وفرَّ إلى النجاشي
 ملك الحبشة، وكان على النصرانية فحدّثه بما حدّث، فكتب النجاشي إلى قيصر
 يعلمه ذلك ويستأذنه في التوجه إلى اليمن فأتاه الجواب بالإيجاب فجهز جيشًا
 عدّته سبعون ألف مقاتل وزحف يريد صنعاء فاستقبله ذو نواس بجيشه على

ساحل البحر الأحمر عند عدن فتقاتل الجيشان وشعر ذو نواس بالغلبة فرأى أن الموت قد كمن له بين شغار أسياف العبيد فركض جواده برجله ركضةً أبلغتهما البحر وودع ذو نواس الحياة وهو يلاطم الموج ويعارك الحيتان مختاراً بطون الأسماك وهو عزيز كريم على الوقوع في أسر السودان وامتهانهم وإذلالهم له؛ فمات شريفاً!

زهير بن جناب الكلبي

مات سنة ٦٤ق.هـ

زهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله (أو عبد اللات) به كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة الكلبي من أهل اليمن: أحد أمراء العرب المشهورين وشعرائهم وذوي الرأي فيهم، وكان يُدعى الكاهن لصحة رأيه، وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة، عاش طويلاً: ومؤرخونا يذكرون عن عمره ما يقولونه عن سائر المعمرين، وهو أحد الذين شربوا الخمر صرفاً حتى ماتوا (انظر ترجمته ملاعب الأُسنة)، ومن أخباره أنه لما بلغه أن بني بغيض بن ريث بن غطفان بنُوا حرماً كحرم مكة لا يُقتل صيده ولا يُهاج عائده قال: والله لا يكون ذلك وأنا حي! فنادى في قومه فغزا بني بغيض فظفر بهم وأخذ فارساً منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم، ثم مرَّ على غطفان وردَّ النساء وأخذ الأموال، وقال في ذلك من أبيات:

فلم تصبر لنا غطفانُ لما تلاقينا وأحرزت النساءُ
فلولا الفضل منا ما رجعتُم إلى عذراء شيمتها الحياءُ
نفينا نخوة الأعداء عنا بأرماح أسنَّتها ظمَاءُ

واشتهرت واقعة مع بكر وتغلب ابني وائل: وسببها: أن أبرهة الأشرم حين طلع إلى نجد أتاه زهير فأكرمه وفضَّله على من أتاه من العرب ثم أمره على بكر

وتغلب فوليههم حتى أصابهم قحط فلم يؤدوا الخراج فقاتلهم زهير فترقبه ابن زبابة وكان فاتكاً حتى نام فاعتمد بالسيف على بطن زهير حتى ظن أنه قتله، وسلمت أمعاء زهير فلم يتحرك لثلاً يعود إليه، فلما انصرف التيمي إلى قومه أخبرهم أنه قتل زهيراً، ولم يكن مع زهير إلا نفر من قومه فأمرهم أن يُظهروا أنه ميت ورحلوا به مجذّين إلى قومهم فشفّوا وجمع جموعاً من أهل اليمن فهاجم بكرّاً وتغلب فأثخن فيهم وأسر كليلاً ومهلهلاً ابني ربيعة وجماعة من فرسانهم وقال في ذلك من قصيدة:

أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ	إِذَا يَتَقَوْنَ بِالْأَسْلَابِ
إِذْ أَسْرَنَّا مَهْلَهلاً وَأَخَاهُ	وَابْنَ عَمْرٍو فِي الْقَيْدِ وَابْنَ شِهَابِ
وَسَبِينَا مِنْ تَغْلِبِ كُلِّ بِيضَاءِ	رَقُودِ الضَّحَى بِرُودِ الرُّضَابِ
وَاسْتِدَارَتْ رَحَى الْمَنَايَا عَلَيْهِمْ	بَلِيُوثٍ مِنْ عَامِرٍ وَجَنَابِ
فَهَمَّ بَيْنَ هَارِبٍ لَيْسَ يَأْلُو	وَقَتِيلٍ مَعْفَرٍ فِي التَّرَابِ
فَقُضِلَ الْعَزُّ عَزُّنَا حِينَ نَسْمُو	مِثْلَ فَضْلِ السَّمَاءِ فَوْقَ السَّحَابِ

وكان زهير خطيب قضاة، وسيدها، وشاعرها، ووافدها إلى الملوك، وبطلها، واجتمعت فيه خصال محمودة لم تجتمع في غيره وأحصى بعضهم ما عُرِفَ له من الغزوات والحروب فبلغ مئتي واقعة، وأسنّ وطال عمره حتى ضعف عقله فمات منتحراً بشرب الخمر صرفاً على ما سيأتي بيانه.

المنذر بن ماء السماء

مات نحو سنة ٦٤٤ ق.هـ

المنذر بن امرئ القيس اللخمي: أحد ملوك الحيرة وما بينها من جهات العراق وهو من أعظم رجال هذه الطائفة المالكة ومن كبار مشاهيرها ومغاويرها، أمه ماء

السماء أخت كليب وائل؛ السابق ذكره، وكان المنذر ينتخي بها في بعض حروبه فيقول: أنا ابن ماء السماء! فُنسب لها، وقيل: لأنها كانت جميلة، وصاحب هذه الترجمة هو المنذر الثالث: ولي مُلك الحيرة بعد أبيه سنة ١١٠ ق.هـ، وذلك من قِبَل ملوك الأعاجم وملكهم المعاصر له كسرى قباد: وفي أيامه ظهر مزدك الفارسي ينشر مذهب الزندقة فاختره قباد على المجوسية ودعا إليه المنذر بن ماء السماء وهو نائبه على العرب فأبى المنذر متابعتة، فأضمر له قباد حقداً، وكان قد اشتهر في زمنه ملك من ملوك العرب يُدعى الحارث بن عمرو بن حُجر الكندي: منازل في نجد، وهو من بُسَل الأمراء وذوي النجدة منهم، وسيأتي ذكره في الكلام على ابنه امرئ القيس الشاعر. فدخل الحارث هذا في مذهب مزدك وهجر الأوثان وبلغ ذلك ملك العجم قباد فُسِّرَ وطرَدَ المنذر من مُلك العراق وولّى مكانه الحارث، فدام للحارث الملك حتى مات قباد وتولى مملكة فارس كسرى أنو شروان المعروف بالملك العادل، وذلك سنة ٩٣ ق.هـ، وكان كارهاً للزندقة وأشياءها فقتل مزدك الزنديق وأصحابه وطرَدَ الحارث الكندي وأعاد المنذر بن ماء السماء، فدام ملك العراق في بني لخم حتى جاء الإسلام.

والمنذر هذا هو باني الغُرَيَّين وصاحب يومي البؤس والنعيم، وذلك في رواية الأغاني، وأمالي القالي، ومعجم ياقوت، وكامل ابن الأثير، وقال الجاحظ في المحاسن والأضداد، وابن قتيبة في الشعر والشعراء والمعارف، والجوهري في الصحاح، والزبيدي في التاج، بل هو النعمان بن المنذر الآتي ذكره، هذا خلاف المؤرخين فاختر أحد القولين.

والغُرَيَّان: بناءان في ظاهر الكوفة دُفِنَ فيهما رجلان كانا ينادمان المنذر وهما: خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود الأسديان، غضب عليهما يوماً وهم يشربون فأمر بهما فقتلا، فلما أصبح وصحا سأل عنهما فأخبر بما كان فندم وأمر أن يُبْنَى عليهما طُرْبَالان ليعرَفَا بهما، وجعل لنفسه في كل سنة يومين أحدهما للبؤس

والثاني للنعيم؛ فكان يضع سريره بينهما، فأول من يظهر له في يوم يؤسه يذبحه ويطلي الغريين بدمه، وأول من يراه في يوم النعيم يمنحه مئة من الإبل ويُغدق عليه إحسانه، وظهر له في أحد أيام يؤسه عبید بن الأبرص الأسديُّ الشاعر وافداً عليه رجاء خيره ولم يكن دارياً بذلك اليوم فتردد فيه المنذر ثم قتله (انظر ترجمة عبید في ديوان الشعراء).

وما زال على تلك الحال حتى أتاه في يوم يؤس حنظلة بن أبي عفراء الطائي، فعرضه على القتل وكانت له عند الملك المنذر يدٌ فسأله أن يمهل سنة يرجع بها إلى أهله فينظر في أمرهم ويعود في مثل هذا اليوم فأجابه وكفله شريك بن عمرو الشيباني فلما كان اليوم الموعود أقبل حنظلة وقد تكفّن وتحنّط وجاء بنادبته فعجب المنذر من وفائه وسأله عما جاء به بعد أن أفلت من القتل، فقال: إن لي ديناً يمنعني من الغدر. قال: وما دينك؟ قال: النصرانية. ووصفها له فرآها المنذر أحبَّ إليه مما كان عليه فتنصّر ودعا أهل الحيرة إلى النصرانية، وبنى بها الكنائس وعفا عن الطائي وأبطل تلك العادة.

وعاش إلى أن حدث بينه وبين الحارث بن أبي شَمَر الغساني شؤون وتلاقيا بجيشهما في موضع يُعرف بعين أباغ، وهو واد وراء الأنبار على طريق الفرات إلى الشام، فقتل المنذر وانهزم جمعه وهذه الواقعة مذكورة في أيام العرب مشهورة باسم الموضع الذي كانت فيه.

الحارث الغساني

ولد نحو سنة ١٣٤ ومات نحو سنة ٦٢٢ ق.هـ.

الغسانيون هم عرب الشام قبل الإسلام ترجع أنسابهم إلى أصول يمانية تفرق أهلها من اليمن عند انفجار سد مأرب، والمؤرخون مختلفون في أخبارهم على ما سنورده وإنما يتلخص لنا أن الغسانيين كانت لهم الولاية على جميع أطراف

الشام من الجنوب والشرق والشمال الشرقي: تمتد جنوباً إلى الحجاز وشرقاً إلى حدود ملوك العراق من اللخمين، ولم يصح ملكهم لدمشق، وإنما كانت لهم الزعامة والإمارة على عرب الشام كافة، وكانت عاصمتهم بصرى (اسكي شام) في حوران، أما دمشق فكان أكثر سكانها من الروم يحكمها أمراء من قبل القياصرة أصحاب القسطنطينية؛ كانوا يقربون أمراء غسان منهم ويكرمونهم ليكونوا للشام مِجَنًّا يدفعون به غارة مهاجميها من عرب الحجاز والعراق، وُسُمُوا غسانين لنزولهم على ماء يدعى غَسَّان بالقرب من الشام وهم قادمون من اليمن، وكانت الديانة الشائعة فيهم هي النصرانية وفيهم وثنيون كثيرون، وطالت مدتهم نحواً من خمس مئة سنة، أولهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو ابن مزيقياء، وآخرهم جبلة بن الأيهم الذي أسلم وارتد.

والعجب من ديار الشام فإنها على كثرة ما تضم من الآثار الشواخص لا تزال موضع بحث الباحثين من المستشرقين وعلماء العاديات والآثار والتاريخ، والخلاف ما برح قائماً فيما يتعلق بالغسانيين من وجوه أربعة:

أولها: هل ملك الغسانيون بلاد الشام كلها أم بعضها؟

ثانيها: هل حكموا دمشق؟

ثالثها: لماذا سُمُوا غسانيين؟

رابعها: هل كانوا جميعهم نصارى؟

فأما امتلاكهم الديار الشامية فلا دليل عليه غير ما جاء في كتاب «أشهر مشاهير الإسلام» قال مؤلفه الفاضل (ج ٢ ص ٢٣٣): «... والذي يترجح عندنا أن الفرس لما دَوَّخوا الولايات الرومانية سنة ٦١٤م أقروا ملوك غسان على ما كان لهم وأقاموهم ملوكاً على الشام ولما استعاد هرقل من الفرس البلاد لم يشأ أن ينزع من ملوك غسان الولاية لضعفه في حرب الفرس وخوفه من شغب القوم

فاستمرت بيدهم ولاية دمشق إلى حين الفتح الإسلامي، بل هناك دليل آخر على أن سلطة بني غسان يومئذ تجاوزت ولاية دمشق، وربما شملت سورية كلها فقد ذكر المؤرخون أن جبلة بن الأيهم آخر ملوك غسان ابتنى بين اللاذقية وطرابلس مدينة سماها باسمه وهي جبلة التي لم تزل عامرة إلى هذا العهد... لا جرم إن سلطة العرب كانت يومئذ مبسوطة على الشام، وكانت عاصمة ملوكهم دمشق ولولا ذلك لما تسنى لجبلة أن يبتني تلك المدينة ويسميتها باسمه، وهذا القول لم يشاركه فيه غيره من أهل البحث والنقد فيما نعلم فيثبت أو يسقط.

وأما الخلاف في حكمهم دمشق فقوي جدًا ولفريقي المختلفين أدلة وحجج؛ فمن القائلين بالسلب المستشرق الكبير نُلدك صاحب تاريخ أمراء غسان (ص ٤٧).

قال: «وأما عاصمة الغسانيين فكانت الجابية في الجولان، وهي عبارة عن قرية كان يسكنها قوم من الحضرم مع لواحق تُحَدِّقُ بها يأوي إليها أهل الوَبَر، وكان ملوك غسان في وسطهم كشيوخ القبيلة يقطنون قصرًا ابتنوه في ظهرانيهم»، كذا نقلته المشرق وقد نقصهم هذا المحقق قدرهم لما ثبت في التاريخ من إعظام ملوك الروم لهم وتقدمهم عندهم مما لا يكون لشيوخ القبائل مثله، وأيد أحد الباحثين رأي نُلدك (راجع مجلة المشرق ج ١، ص ٤٨٤، وج ٣، ص ٤٣٨)، ومن القائلين بأن الغسانيين حكموا دمشق المستشرق الدكتور فاندريك قال في كتابه «المرأة الوضعية»: «وكانت - يعني دمشق - قبل الإسلام تحت آل جفنة ملوك غسان الذين يقول فيهم حسان بن ثابت:

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية المَعْمُ المَحُولِ
يسقون من ورد البُرَيْصِ عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسلِ
ومن نَقَضَ هذا القول فحجته قول حسان في نفس القصيدة:

لله در عصابة نادماتهم يوماً بجِلْق في الزمان الأول
وعنده أن جلق قرية من قرى الغوطة يمر بها نهر بَرْدَى، لا دمشق نفسها، ذهب
إلى هذا الرأي نلّك صاحب أمراء غسان ودي برسفال في تاريخ الجاهلية:
وفي أشهر مشاهير الإسلام (ج ١، ص ٦٠، وج ٢، ص ٢٢٩) بحث حاول
صاحبه فيه إثبات حكم الغسانيين للشام فراجع.

وأما سبب تسميتهم غسانيين فلم يكن من الأمور التي فكّر بها الباحثون،
ولكن ياقوت في معجمه (٦ ص ٢٩٢)، اضطرب فيه فقال: «يجوز أن يكون
فعلان من الغس وهو دخول الرجل في البلاد، وهو اسم ماء نزل عليه بنو مازن بن
الأزد بن الغوث وهم الأنصار (الأوس والخزرج)، وبنو جَفْنَة وخزاعة فسُمُّوا
به، ويقال: غسانُ ماء بالمشلّ قريبٌ من الجُحْفَة - وهي قرية بين المدينة ومكة
- وقال نصر: غسانُ ماء باليمن بين رَمَع وزبيد وإليه تنسب القبائل المشهورة
إلى آخر كلامه».

وأما نصرانيتهم فالأكثر على أن الدين الذي كان غالباً على تلك القبائل هو
النصرانية لا أن جميعهم كانوا نصارى، وللاب أنستاس الكرملي بحث موجز
مفيد يؤخذ منه هذا القول (راجع مجلة لغة العرب، ج ٣، ص ١٤١).

هذه خلاصة يسيرة لا تفي بالمراد، ولكنها ترشد الباحث إلى مظان البحث،
ومواضع الخلاف ولعل الآثار توضح لنا ما جهلناه وتكشف ما وددناه.

أما صاحب هذه الترجمة فإن «الحارث الغساني» لقب يتناول كل من مُلْك أو
أُمَرّ في بني غسان، ولفظ الحارث فيهم كلفظ قيصر في الروم وكسرى في الفرس،
والذي أردناه هو ترجمة أشهر ملوك غسان ذكراً وأبعدهم صيتاً: الحارث
الخامس المعروف بالأعرج بن أبي سُمَيْرِ جَبَلَة بن الحارث الرابع بن حُجْر،

صاحب الوقائع المشهورة في عرب الحجاز والعراق وممدوح حسان بن ثابت الأنصاري الشاعر.

قال ابن قتيبة في كتاب المعارف: وأمه (أي الحارث) مارية ذات القرطين، وكان غزا خير فسي من أهلها ثم أعتقهم بعدما قدم الشام، وكان سار إليه المنذر بن المنذر بن ماء السماء في مئة ألف فوجه إليهم مئة رجل، وأظهر أنه إنما بعث بهم لمصالحته فأحاطوا برواقه فقتلوه وقتلوا من معه في الرواق وركبوا خيلهم فنجوا بعضهم وقتل بعض، وحملت خيل الغسانيين على عسكر المنذر فهزموهم، كما قدمنا في ترجمة المنذر، وكان للحارث بنت جميلة حليلة كانت تطيب أولئك الفتيان الذين دخلوا على المنذر وأوقعوا به وهي التي ألستهم الأكفان وفوقها الدروع التي كانت تحجبها الثياب في الظاهر، وهذه الواقعة ذكرها ابن الأثير أيضًا وسماها يوم مرج حليلة (انظر الكامل، ج ١، ص ١٩٥)، وفي هذه الحادثة خلاف عند أصحاب الأخبار فبعضهم يقول: إن الذي قتل بها هو المنذر بن ماء السماء، وبعض يقول: بل مات المنذر في وقعة عين أباغ - المذكورة في ترجمة المنذر - وفي الكامل تفصيل الخلاف فراجع في الكلام على يوم عين أباغ ويوم مرج حليلة، وفي عين أباغ يقول ابن الرعلاء الضبالي:

كم تركنا بالعين عين أباغ	من ملوك وسوقة أكفاء
أمطرهم سحائب الموت تترئ	إن في الموت راحة الأشقياء
ليس من مات فاستراح بميت	إنما الميت ميت الأحياء

سيف بن ذي يزن

مات سنة ٤٩٩ ق.هـ

اسمه معد يكرب ولقبه سيف بن ذي يزن المكنى بأبي مرة الحميري: أحد ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم المذكورين، ولد ونشأ في صنعاء، وكانت الحبشة قد تغلبت على البلاد اليمنية (سنة ١٠٧ ق.هـ)، وملكتها بعد أن قتلت ملوكًا من آل حمير (السابق ذكرهم)، ثم اشتد ضغط الحبشان السود على الأمة الخاضعة، وحاولوا بها أمورًا لم تُطق الصبر عليها، فتحركت سواكن اليمانيين وهاجت أضغانهم وأخذوا ينتظرون وثبة تائر ينحرفون إليه، حتى نهض من بينهم أحد أبناء ملوكهم سيف بن ذي يزن الحميري: وكان شابًا عاقلًا شجاعًا، فقصد قيصر ملك الروم وهو حينئذ في أنطاكية، فشكا إليه أمره وما صنعت الحبشة من اغتصاب ملك آبائه وسوء تحكمهم بأهل البلاد وأطمعه بأنه يُملكه اليمن إذا أخرج الحبشة منها فلم يلبه قيصر، فقصد النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكا إليه ما حلَّ بهم، فقال له النعمان: إن لي في كل عام رحلة إلى كسرى فانتظر، فلبث سيف حتى كان الموعد ثم خرج معه فأدخله على كسرى «أنو شروان» ملك الفرس، فسأله عن شأنه، فقال له: أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة. فقال له كسرى: أيُّ الأغربة الحبشة أم السند؟ قال: بل الحبشة، وقد جئتكَ لتصرفني، ويكونُ ملكٌ بلادي لك. قال: بُعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشًا من فارس بأرض العرب، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه، فلما قبض سيف الدراهم رأى خير الأمور أن يحتال فخرج وجعل ينثر تلك الدراهم للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إن لهذا شأنًا وأمر بإعادته فعاد فقال له: عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس؟ قال: وما أصنع بهذا وكل جبالنا مملوءة بالذهب والفضة! فجمع كسرى مرازبه فاستشارهم فقال أحدهم: أيها الملك إن في سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل

فلو بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ما تريد، وإن ظفروا ملكت بلادًا بلا مشقة، فبعث كسرى معه مَن في سجنونه وهم نحو ثمان مئة رجل وأمر عليهم رجالاً من أشراف العجم اسمه وَهْرَز بن الكامجار وهو شيخ مُسن، فسار بهم حتى بلغوا الأُبُلَّةَ، فركبوا البحر في ثمان سفائن وخرجوا بساحل عَدَن فأقبل عليهم رجال اليمن يناصرونهم، فقتلوا ملك الحبشة وهو مسروق بن أبرهة الأشرم، ودخلوا صنعاء وضبطوا البلاد وكتبوا إلى كسرى بالفتح، فألحقت اليمن ببلاد الفرس، على أن يكون ملكها والمتصرف في إدارتها سيف بن ذي يزن الحميري، واتخذ سيفٌ غُمدانَ قصرًا له، وعاد الفارسيون إلى بلادهم بأمر كسرى، واستبقى سيفٌ جماعة من السودان أشفق عليهم وجعلهم خدماً له، ووفدت عليه وفود العرب تهنئه، ومكث في المُلك نيفاً وعشرين سنة، فاتفق عبيده الذين كانوا من بقايا الدولة الحبشية على قتله، فشدوا عليه يوماً وهم بين يديه في موكبه بصنعاء فضربوه بحراهم حتى قتلوه (سنة ٤٩٩ ق.هـ)، وبلغ كسرى خبر قتلته فأرسل إلى اليمن جيشاً آخر أفنى من بها من السودان.

وظلت اليمن تابعة لملوك فارس حتى جاء الإسلام وافتتحها المسلمون سنة ١٣ للهجرة.. وتجد أخبار الملك سيف في كتاب مروج الذهب للمسعودي، والكامل، وتاريخ الطبري، والسيرة لابن هشام، والأخبار الطوال للدينوري، وتاريخ الحبشان للقنائي ودائرة المعارف للبستاني وأكثر كتب التاريخ والأخبار.

عمرو بن هند

قُتل سنة ٤٤٤ ق.هـ.

أوردنا فيما تقدم ترجمة المنذر بن ماء السماء من ملوك الحيرة الذي قتله الحارث الغساني، وقد استولى على مُلك العرب من قبل الفرس بعد المنذر ابنه صاحب هذه الترجمة عمرو بن المنذر بن ماء السماء، واسم أم عمرو: هندُ

الكنديةُ عمة امرئ القيس الشاعر، وإليها ينتسب عمرو، كما انتسب أبوه إلى أمه ماء السماء، ولما تملك عمرو وانتظم أمره أكثر الغزو وأظهر قوةً وبأساً، فشاع خبره، وهابته العرب، وأطاعته القبائل، وكان شجاعاً فاتكاً، وأخباره كثيرة، وهو صاحب صحيفة المتلمس (انظر قصتها في ترجمته). وقاتل طرفه ابن العبد (انظر ترجمته)، ويُلقَّب بالمحرق: لشدته وبطشه، أو لأنه أحرق مئة رجل من بني تميم وقصتهم لا بأس بالإشارة إليها، وذلك أن ملوك العرب كانوا كثيراً ما يرسلون أطفالهم إلى بعض القبائل المطيعة لهم ليتربوا بها تربية بعيدة عن زهو الملوك وكبرياء الأمراء قريبة من السذاجة ويتعلموا الفروسية والرماية ومهاجمة الأبطال، وكان لعمرو أخ اسمه أسعد^(١)، دَفَّعه أبوه إلى بني تميم يتربى بينهم، فلما ترعرع وأخذ يتعلم الرماية مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرماها بسهم أصابها فقتلها، فغضب صاحبها سويد الدارمي التميمي فضرب أسعد فقتله، ثم علم الملك عمرو بن هند بما أصاب ابنه فحلف ليحرقن من بني دارم مئة رجل وقصدهم بجيش حتى بلغ أواره (موضع لبني تميم بناحية البحرين) فظفر منهم بجماعة فأحرقهم، وبآخرين فألحقهم بهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً فمَرَّ رجل من البراجم (وهم خمسة رجال من بني تميم) فشم رائحة الحريق فظن وليمة، ولم يبلغه الخبر، فمال إليه، فلما رآه عمرو بن هند قال: ممن أنت؟ فقال: رجل من البراجم، فقال عمرو: إنَّ الشقيِّ وافدُ البراجم فأرسلها مثلاً، وأمر به فألقي في النار، وبرَّت يمينه.

وصارت تميم تعير بالشره وحب الأكل. قال شاعر يهجوهم:

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجيء بزاز

وعاد عمرو وقد خافته القبائل، فبينما هو يوماً في مجلس له قال لجلسائه:

(١) هذا قول ياقوت في معجم البلدان في كلامه على أواره (ج ١، ص ٣٦٤)، وأما ابن الأثير فقال في الكامل: إن أسعد ابن لعمرو بن هند (ج ١، ص ١٩٩).

هل تعلمون أن أحدًا من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أُمي، قالوا: ما نعرفه، إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي؛ فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو، فكتب الملك عمرو إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ويدعو والدته إلى زيارة أمه، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطئ الفرات، وعلم الملك عمرو بقدومه فأمر فُضِرِبَتْ له الخيام بين الحيرة والفرات، وضرب سرادقًا لأُمَيَّهِمَا: هند وليلى، وقال: لأُمه هند، إذا فرغ الناس من الطعام فنحي خدمك عنك ومري ليلى فلتناولك الشيء بعد الشيء يريد أن تستخدمها، ثم أرسل إلى عمرو بن كلثوم ومن معه فحضرُوا ونزلوا في الخيام، وجلس القوم للطعام في سُرَادِقِ الملك، فلما انتهى وقت الطعام طلبت هند من ليلى أن تناولها حاجة، فقالت: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها، فَأَلَحَّتْ عليها، فصاحت ليلى: واذلَّاه يا آل تغلب! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم وكان السرادقان متقاربين، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون، فقفز من بينهم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه فضرب به رأس الملك عمرو ابن هند فقتله وخرج فقبَّعه أصحابه فانتهبوا ما في الخيام وانهمز رجال عمرو بن هند.

قال أفنون التغلبي:

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلًا وأمسك من ندمائه بالمخنق
وجلله عمرو على الرأس ضربةً بذى شطب صافي الحديد رونق

ولعمرو بن كلثوم قصيدة هي من أفضل المعلقات بناها على قتله لعمرو بن هند وسيأتي ذكرها في ترجمته (انظر ديوان الشعراء)، وبعد قتل الملك عمرو يتولى مكانه أخوه قابوس بن المنذر الذي تلاه المنذر الرابع الذي ولي بعده ولده النعمان بن المنذر الآتي ذكره.

النعمان بن المنذر

مات سنة ١٨ ق.هـ

أشهر ملوك الحيرة على الإطلاق، أبو قابوس النعمان بن المنذر اللخمي: داهيةٌ أبِّي شجاع كثير الأخبار، مَلَكَ الحيرةَ إرثًا عن أبيه، وكان قد ضعف شأن دولتهم بعد قتل ابن كلثوم لابن هند، فلما ولي النعمان أعادها سيرتها الأولى وأبلغها من الترف منتهاه ومن العزة أقصاها، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى، والقصة مشهورة، نذكر خلاصتها: وذلك أنه قدم النعمان على كسرى هرمز؛ فإذا عنده وفود من الروم والهند والصين فذكروا ملوكهم وبلادهم وشاركهم النعمان في الحديث فافتخر بالعرب وفضلهم على جميع الأمم لا يستثني فارس ولا غيرها، فتألم كسرى فذم العرب، وأجابه النعمان بما كذب ظنه في حديث طويل، ثم عاد النعمان إلى الحيرة فبعث إلى عشرة رجال هم من خيار العرب في ذلك العهد فحضروا وهم: أكثم بن صيفي «من بني تميم»، وحاجب بن زرارة «تميمي»، والحارث بن ظالم «بكري»، وقيس بن مسعود «بكري»، وخالد بن جعفر «عامري»، وعلقمة بن علاثة «عامري»، وعامر بن الطفيل «عامري»، وعمرو بن الشريد «سلمي»، وعمرو بن معد يكرب «زبيدي»، والحارث بن ظالم «من بني مرة»، فلما وفدوا عليه جمعهم في الخورنق وقال لهم: «قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله»، ثم حدثهم بما كان بينه وبين كسرى، ودعاهم إلى الوفود على كسرى وأن يخطبوا بين يديه ليعلم أن في العرب رجالاً ذي عقول كبيرة وألسنة فصيحة، فأجابوه إلى ما انتدبهم إليه، فرتبهم في الكلام بين يدي كسرى وقدم عليهم أكثم بن صيفي، خلع عليهم الخلع وكتب معهم كتاباً إلى كسرى يذكرهم

فيه، فارتحلوا حتى بلغوا المدائن، فدفعوا الرسالة إلى أحد الحجاب فأوصلها إلى كسرى، فعقد لهم مجلساً لسماع أقوالهم ودعاهم، فمثلوا بين يديه وألقى كل واحد منهم ما تهيأ له من الكلام، ولولا خوف الإطالة لذكرت أقوالهم لما فيها من الحكمة والإبداع، وكان الترجمان يؤدي إليه معنى ما يقولون. فلما انتهوا قال كسرى: «قد فهمت ما تكلم به خطباؤكم ولولا علمي بأن الأدب لم يثقف أودكم وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون بين يديه منطق الرعية الخاضعة لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به، وإني لأكره أن أجبه وفودي وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم وأحسنوا أديهم فإن في ذلك صلاح العامة»، ثم أكرمهم وأحسن إليهم فعادوا إلى ديارهم، وإن شئت الإطالة في قصة الوفود فقد وردت في المجلد الأول من العقد الفريد لابن عبد ربه فارجع إليه.

ولما انتقل ملك فارس إلى كسرى ابرويز بن هرمز الرابع أراد مصاهرة العرب فأرسل إلى النعمان يخطب منه بعض بنات عمه لأولاده، فامتنع النعمان وقال للرسول: «ما في عين السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم؟» وكتب إلى كسرى يعتذر له بأنه ليس في بنات عمه ما يرضيه، وانصرف الرسول فأعاد ما قاله النعمان وترجم له لفظة «العين» بالبقرة: وهي من الأوصاف الحسنة في العربية لتشبيه عيون النساء بعيون البقر في السعة والملاحة، فكان كلامه: «ما في بقر السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم» فأغضب هذا القول كسرى، وسكت أشهراً، ثم بعث إلى النعمان يستقدمه إليه، وعلم النعمان بما كان، فأخذ سلاحه وأمواله ولجأ إلى بعض القبائل فلم يحموه حتى نزل على بني شيبان سرّاً فأودعهم أهلهم وماله وتوجه مستسلماً إلى كسرى، فقبض عليه وأرسله مُبَعِّدًا إلى خانقين، فأقام بها مسجوناً حتى أصابها وباء فمات بالطاعون.

وبسببه كانت واقعة ذي قار بين الفرس والعرب؛ فإن كسرى لما اعتقل

النعمان أرسل إلى بني شيبان يطلب ما أودع عندهم، فامتنعوا من تسليمه، فجهز لهم الجيوش واجتمعوا في مكان يُعرف بذي قار فثبتت العرب وأبليت بلاءً حسنًا وانهمزت العجم، وذلك بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة.

وكان كسرى قد ولي على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي فلما ضعف أمرهم عن قتال العرب عاد بنو لخم إلى ملكهم فتولى الأسود بن المنذر أخو النعمان، ثم المنذر الخامس بن النعمان، وهو آخر ملوك العراق، وفي زمنه استولى خالد ابن الوليد على الحيرة فصالحه أهلها كما هو مسطور في كتب الفتوح.

وصاحب هذه الترجمة النعمان بن المنذر ذهب جماعة من ثقة المؤرخين إلى أنه صاحب الغرّين، ويومي البؤس والنعيم، وقاتل عبید بن الأبرص وقد أوردنا الكلام على كل ذلك في ترجمة المنذر بن ماء السماء السالفة فارجع إليه، وأنت تعلم أن مثل هذه الحوادث من وقائع الأجيال الخالية لا يجد المؤرخ اليوم ما يعوّل عليه فيها إلا النقل وتحريّ أصح الأقوال وقد تعارضت في هذا الأمر الآراء وصعب الترجيح فانظر وتأمل واختر ما يقوى لديك.

قيس بن زهير

مات سنة ١٠هـ

الأمير قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي: أمير عبس وداهيتها وأحد السادة القادة في عرب العراق، كان يلقب بقيس الرأي؛ لجودة رأيه وهو محدود في الأمراء، والدهاة، والشجعان، والحكماء، والخطباء، والشعراء؛ فأما إمارته فقد ورثها عن أبيه زهير بن جذيمة أمير عبس من قبله، وأما دهاؤه ففيه المثل السائر «أدهى من قيس»، وأما شجاعته فحروبه مع بني فزارة وذبيان شاهد صدق على ما يقال، وأما كلمته فله في أقواله غرر تحفظ من الشعر والنثر، وهو خطيب

مذكور، وشاعر مفطور، عُرِفَ بقيس تلك الخلال بعد مقتل أبيه، وذلك أن أباه زهيراً كان سيِّداً شريفاً فتزوج ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس ابنته (وهو جدُّ النعمان بن المنذر) وأرسل النعمان إلى زهير يستزيره بعض أولاده فسيَّر إليه ابنه شأساً، فأكرمه وحباه وردَّه إلى أبيه، فلما كان شأس في طريقه بماء بني غنِّيَّ اعترضه رباح بن الأشل الغنويَّ فقتله وأخذ ما معه، ثم علم زهير بالأمر فأغار على بني غني، وكانوا حلفاء بني عامر فقتل منهم عدداً كثيراً، ووقع الشر بين بني عامر وبني عبس، فترقب خالد بن جعفر العامريَّ فرصةً بزهير حتى قتله، وانطلق إلى ملك الحيرة النعمان بن امرئ القيس فاستجار به فأجاره فلحقه الحارث بن ظالم المرِّي الفاتك المشهور فقتله في الحيرة، وأخذ قيس ابن زهير العبسي يتجهز لقتل بني عامر أخذاً بثأر أبيه، فوقع خلاف بينه وبين أحد شيوخ بني عبس الربيع بن زيارد، فانضم إلى الربيع أكثر القبيلة، فارتحل قيس بأهله ومن انحاز إليه حتى نزل بجوار حذيفة وحَمَل ابني بدر الفزاريين، وكان لبني عبس قرابة في بني فزارة فأكرموه فأقام فيهم، وكان مع قيس أفراس له ولإخوته رآها حذيفة فحسده عليها، وجرى حديث الخيل يوماً فقال حذيفة لقيس: فرسي الغبراء أسبق من فرسك وأحسن، فخالفه قيس، فتراهنا، وضمرَّ الفرسين واختار كل منهما فارساً لفرسه، وأرسلهما ورجال القبيلة، وقوف ينظرون، وكانت مسافة السباق بعيدة فأقام حذيفة رجلاً في الطريق وأمره إذا رأى داحساً سابقاً فليعترضه حتى تجوزه الغبراء، وسبق داحس فلطمه الرجل فحوله عن السير وهو على شفير وادٍ فهوى الفرس بفارسه فكادا يهلكان، ومَرَّت الغبراء فسبقَت، ثم أقبل راكب داحس يسير الهوينا فقَصَّ عليهم خبره فكذبه حذيفة فتشاحن حذيفة وقيس وافترقا فأرسل حذيفة ابنه ندبة يطالب قيساً بالرهان فردَّه قيس فأغلظ ندبة الكلام لقيس فطعنه فقتله، ونادى قيس بأهله فركبوا وابتعدوا، وبلغ حذيفة ما كان بابنه فطلب قيساً فلم يدركه، وكان

مالك ابن زهير أخو قيس متزوجاً في فزارة وهو مقيم بينهم، فرآه حذيفة بعد ذلك فقتله، وشاع مقتل مالك فحزنت عليه عبس وبعثوا إلى قيس أن يأتيهم بمن معه فجاءهم قيس فلقية الربيع بن زياد فتعانقا وبكيا لمصائبهم بمالك، فقال قيس للربيع: «إنه لم يهرب منك من لجأ إليك ولم يستغن عنك من استعان بك، وقد كان لك شرُّ يومٍ فليكن لي خيرُ يوميك، وإنما أنا بقومي، وقومي بك وقد أصاب القومُ مالكا ولست أهمُّ بسوء؛ لأنني إن حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وإن حاربتني خذلني بنو عبس، إلا أن تجمعهم عليّ وأنا والقوم في الدماء سواء قتلتُ ابنهم وقتلوا أخي فإن نصرتي طمعتُ فيهم وإن خذلني طمعوا فيّ».

فقال الربيع: «يا قيس إنه لا ينفعني أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لي، ولا ينفعك أن ترى لي ما لا أراه لك، وقد مال عليّ قتلُ مالك، وأنت ظالم ومظلوم، ظلموك في جوادك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك بانبهم، فإن يبؤ الدم بالدم فعسى أن تلقح الحرب أقم معك وأحبُّ الأمرين إليّ مساعدتهم وتخلو بطلب ثأر أبيك»، وعلم حذيفة باتفاقهما فشق ذلك عليه واستعد للقتال، ثم حدثت الوقائع المعروفة بحروب داحس والغبراء وعظم الشر والبلاء، وانضمت ذبيان إلى فزارة فكانت وقعة جفر الهبأة وبها قُتل حذيفة وحمل ابنا بدر، وعدد كبير من فزارة وعبس، وبموت حذيفة وأخيه انحسم الشر ودخل بعض أمراء القبائل في الإصلاح بينهم، فأذن قيس لقومه بالصلح، وتنسك وسار عنهم لا يريد إمارة ولا سيادة فنزل ببني النمر ابن قاسط، ثم دعاهم يوماً فخطبهم فقال:

«يا معاشر النمر أنا قيس بن زهير: غريب حريب طريد شريد موتور فانظروا لي امرأة قد أدبها الغنى، وأذلها الفقر»، فزوجوه بامرأة منهم، فقال لهم: «إني لا أقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقي: أنا فخور غيور أنف، ولست أفخر حتى أبتلى ولا أغار حتى أرى ولا آنف حتى أظلم»، فرضوا أخلاقه، فأقام فيهم حتى

ولد له، ثم أراد أن يتحول عنهم، فقال: «يا معاشر النمر إن لكم حقاً عليّ في مصاهرتي فيكم ومقامي بين أظهركم وإني موصيكم بخصال آمركم بها وأنهاكم عن خصال: عليكم بالأناة؛ فإنّ بها تُدرَك الحاجة وتُنال الفرصة، وتسويد من لا تُعابون بتسويده، والوفاء بالعهود؛ فإن به يعيش الناس، وإعطاء ما تريدون إعطاءه قبل المسألة. ومنع ما تريدون منعه قبل الإنعام، وإجارة الجار على الدهر، وتفيس البيوت عن منازل الأيامي، وخلط الضيف بالعيال [بالإكرام]، وأنهاكم عن الغدر؛ فإنه عار الدهر، حاد عن الرهان؛ فإنّ به ثكلت مالكا أخي، وعن البغي؛ فإن به صُرع زهير أبي، وعن السرف في الدماء؛ فإن قتلى أهل الهباءة أورثنني العار، ولا تعطلوا في الفضول؛ فتعجزوا عن الحقوق، وأنكحوا الأيامي الأكفاء؛ فإن لم تصيبوا بهنّ الأكفاء فخير بيوتهنّ القبور، واعلموا أني أصبحت ظالماً مظلوماً، ظلمني بنو بدر بقتل أخي مالك، وظلمتهم بقتل من لا ذنب له»، ثم رحل إلى عُمان فتنصّر بها وتقشّف وعفّ عن المأكّل حتى أكل الحنظل، وما زال بها إلى أن مات.

وقد رُوي له شعر جيد، منه قوله بعد وقعة جفر الهباءة يرثي حمل ابن بدر:

تعلّم أن خير الناس مَيّتٌ	على جَفَرِ الهباءة لا يريمُ
ولولا ظُلُمه ما زلت أبكي	عليه الدهر ما طلع النجومُ
لكن الفتى حَمَل بن بدر	بغى والبغى مرتعه وخيمُ
أظنّ الحلم دل عليّ قومي	وقد يُستجهل الرجل الحليمُ
ومارستُ الرجال ومارسوني	فمعوّجٌ عليّ ومستقيمُ
فلا تغشّ المظالم، لن تراه	يُمَتّع بالغنى الرجل الظلومُ

وقوله:

شفيتُ النفس من حَمَلِ بنِ بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
شفيتُ بقتلهم لغيليلِ صدري ولكني قطعتُ بهم بناني!

وقوله:

إذا أنت أقررت الظلّامة لامرئ رماك بأخرى شعبها متفاقمُ
فلا تُبدِ للأعداء إلا خشونة فما لك منهم إن تمكّن راحمُ
وأخباره كثيرة تجدها في كامل التواريخ (ج ١، ص ٢٠٤)، وفي شرح النهج
لابن أبي الحديد (ج ٤، ص ١٥٠)، وأكثر مصنفات الأخبار.

الخلفاءُ الراشدون

علاوة

ال خليفة لقب كل ملك شرعي من ملوك الإسلام وهو كقيصر عند الروم والنجاشي عند الحبشة، وامتاز من خلفاء المسلمين أربعة هم سادة من مَلَكَ بعدهم نهجوا منهج رسول الله (ﷺ) واهتدوا بهديه، أولهم أبو بكر، والثاني عمر، والثالث عثمان، والرابع علي (رضوان الله تعالى عليهم)، وهم الذين قاموا بجمع شتات المسلمين بعد وفاة النبي (صلوات الله عليه) وسنوا القوانين الإسلامية بأعمالهم وأقوالهم، وجمعوا القرآن الكريم، وكانوا قدوة من تلاهم، وينفردون بنعت خاص بهم دون سائر خلفاء الإسلام، وهو لقب الراشدين، كما أن ثانيهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حدث في الإسلام تلقيب كل ملك منهم بأمر المؤمنين وجرت سنته في الملوك مقترنة بلقب الخلافة فكل ملك مسلم جُمعت فيه شرائط التملك على المسلمين يحق له أن يدعي «أمير المؤمنين الخليفة...».

وهذا الفصل إنما أفردته لترجمة هؤلاء الأربعة الكرام وسيعقبه إن شاء الله الكلام على غيرهم كخلفاء الأمويين في المشرق والمغرب وخلفاء بني مروان وبني العباس وأمثالهم ممن حكموا البلاد وساسوا العباد، وكان لهم القول والحول والطول والسيادة والقيادة والوفادة، نقدّم المتقدم في عصره ونؤخر عنه من تلاه جرياً مع العصور والأزمنة بحيث تتألف منذ هذا الفصل إلى بدء فصل الأمراء والوزراء سلسلة مُحكمة ينتظم بها ذكر أشهر الخلفاء الإسلاميين مرة، وسألتزم في ذلك جانب الاختصار والإيجاز ما استطعت وما تضامّت أجزاء الفوائد التاريخية فلا يفوتني من أخبار المترجم إلا ما هو دون ما ذكرت وأوردت، والله نعم العون.

أبو بكر الصديق

ولد سنة ٥١ ق.هـ. وتوفي سنة ١٣ هـ.

توفي رسول الله (ﷺ) واضطرب أمر المسلمين من بعده في من يتولى أمرهم؛ فما زالوا حتى اتفقت كلمتهم على الصحابي الجليل أبي بكر، عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب التيمي القرشي، أقرب الناس مودة من النبي، وأول من آمن به من الرجال، وأحد عظماء أصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده وبذلوا النفس والنفس في سبيل إعزاز دينه.

بويع بالخلافة يوم وفاة النبي في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ، فخطب في المسلمين خطبة طويلة يُحفظ منها: «أيها الناس، قد وليت عليكم ولست بخيركم، وإن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له حقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ الحق منه، لا يدع أحد منكم الجهاد؛ فإنه لا يدعه قومه إلا ضربهم الله بالذل. أيها الناس، إنما أنا متبع لا مبتدع، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛ فإذا عصي الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، إن أصبت الحق فأعينوني عليه، وإن زغت فقوموني».

وحاله في الجاهلية حال سيادة ورياسة، وكانت العرب تدعوه «عالم قريش»، وله ثروة طائلة، وربما عالج تجارة البز، وهو من علماء الأنساب المذكورين كان عارفاً بأخبار القبائل وبطون العرب وجماهيرهم كارهاً للسيئ من عادات الجاهلية وحرّم على نفسه الخمر فلم يشربها، ولما نال الخلافة في الإسلام قام بشؤون الأمة حق القيام فحارب الذين ارتدوا عن الدين الإسلامي وقاتل الذين امتنعوا من إعطاء الزكاة، ثم اتجه إلى الاستعمار^(١) والفتح فافتتحت في أيامه الشام وقسم كبير من العراق واتفق له قوّاد أمناء كخالد بن الوليد وعمرو بن

(١) يقصد العمارة والبناء.

العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة، وازدهرت أيام العالم الإسلامي في زمنه، وود الناس لو طال ولكن المنية عاجلته فأصابته حمى شديدة فعهد بالأمر من بعده لعمر بن الخطاب حذرًا من اختلاف الأمة بعده، كما اختلفت بعد رسول الله.

ومات بعد أن حكم سنتين وثلاثة أشهر ونصف شهر وعمره ثلاث وستون سنة.

وكان موصوفًا بالحلم والصبر والرأفة بالعامّة عادلاً في أحكامه أثبت في الوقائع الإسلامية في حياة الرسول وبعده حباً عجيّباً وولوعاً غريباً بخير الأمة ونفعها وأظهر شجاعة وبسالة يدلُّك عليها ما أخرجه البزاز في مسنده عن علي أنه قال: أخبروني من أشجع الناس، فقالوا: أنت؟ قال: أما إني ما بارزتُ أحداً إلا انتصفت منه ولكن أخبروني بأشجع الناس، قالوا: لا نعلم فمن؟ قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر فجعلنا لرسول الله عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله لئلا يهوي إليه أحد من المشركين، فوالله ما دنا منّا أحد إلا أبا بكر شاهراً سيفه على رأس رسول الله (ﷺ) لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه فهو أشجع الناس... إلى آخر الحديث.

وقد شهد مع النبي (ﷺ) أكثر الغزوات وهو صاحبه في الغار ساعة لا ثالث لهما إلا الله، وكان خطيباً لسنّاً، وله مقالات محفوظة وكلمات مأثورة، ومن خيار ما يُنقل عنه وصيته ليزيد بن أبي سفيان لما ولاه قيادة جمهور من المسلمين وسيّره لفتح الشام فإنه شيعه ماشياً، وهو يقول له:

«إني قد وليتُك لأبلوك وأجربك؛ فإن أحسنت رددتُك إلى عملك، وزدتك، وإن أسأت عزلتُك، فعليك بتقوى الله؛ فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعِدهم إياه،

وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام يُنسي بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وإذا قَدِم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع مَنْ قَبْلِكَ من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، وإذا استشرت فاصدق الحديث تُصدّق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتئ من قَبْل نفسك، واسهر بالليل في أصحابك تأتلك الأخبار، وتكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارستهم بغير علم منهم؛ فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة؛ فإنها أيسرهما: لقربها من النهار، لا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء، واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبّن الناس، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتفِ بعلانيتهم، وستجد أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له».

ومن كلامه: «ثلاث من كُنَّ فيه كُنَّ عليه: البغي والنكث والمكر، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (يونس: ٢٣)، وقال: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (الفتح: ١٠)، وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: ٤٣)».

وهو القائل لخالد بن الوليد: «فرّ من الشرف يتبعك الشرف، واحرص على الموت تُوهب لك الحياة» يريد بالشرف الرياسة والسيادة.

ولما عهد بالخلافة إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان كتاب عهده ما ترى:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله (ﷺ) عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب؛ فإن برّ وعدل فذلك

علمي، ورأيي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

فانظر إلى الإنشاء العذب الذي يمثل لك البلاغة بأوضح معانيها، كما أنت تراه في تضاعيف كلامه وخطبه ووصاياهم (رضوان الله عليه)، وكان إذا خطب يقول في ختام كلامه: «اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك»، فيُعرف أنه انتهى.

واطلع على هذه النبذة مما نقله عنه المؤرخون. قال أحدهم: كان أبو بكر إذا سقط خطام ناقته ينيخها ويأخذها، فقليل له: هلاً أمرتنا؟ فقال: إن رسول الله (ﷺ) أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً.

ومن قصار خطبه مما أورده له ابن عبد ربه في العقد قوله:

«أيها الناس، اتقوا الله في سريرتكم وعلايتكم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه، فنظر إليه أصحابه فمنعوه، فقال: هو موضعي ولي أن أحكم فيه، فإن أخذوا على يده سلم وسلموا، وإن تركوه هلك وهلكوا معه، وهذا مثّل ضربته لكم رحمنا الله وإياكم».

وقد جمع الفاضل صاحب كتاب أشهر مشاهير الإسلام طائفة كبيرة من أخباره وآثاره بلغت مئة وخمسين صفحة فارجع إلى الجزء الأول منه إن شئت الاطلاع على أكثر مما قدمت لك، وأما كتب التاريخ كتاريخ أبي جعفر الطبري وتاريخ ابن الأثير وتاريخ ابن خلدون وأشباهاها؛ فهناك الكثير من أنبائه (رحمهم الله).

ودفن مع النبي (ﷺ) في حجرة عائشة.

عمر بن الخطاب

ولد سنة ٤٠ ق.هـ وتوفي سنة ٢٣ هـ

مضى الخليفة الراشد الأول لسبيله بعد أن اختار للمسلمين إمامًا كان له من الذكر ما لم يكن لأحد من قبله ومن بعده: أعني ثاني الخلفاء الراشدين أبا حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، ذلك الرجل الكبير، وما أحسبني إلا على شيء من الجرأة وقد هممت بالإشارة إلى بعض نبأه في صفحات يسيرة من هذا الكتاب الذي يضيق عن الإطالة والإكثار من الأخبار، ولكن قول: ما لا يستطيع كله لا يترك قلبه، حدا بي أن أقول:

كان عمر (رضي الله عنه) من شرفاء العرب ووجوههم في الجاهلية والإسلام. أما في الجاهلية فكانت له السفارة في قريش، وذلك أنهم إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرًا، وإن نافرهم حيًّا لمفاخرة جعلوه منافقًا وراضوا به. وأما في الإسلام فحسبك أن رسول الله (ﷺ) كان يدعو ربه أن يُعزَّ به دينه، وكان يُرزق من التجارة بين الشام والحجاز حتى ولي الخلافة. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ونصر الإسلام نصرًا بيِّنًا، وكان شجاعًا مهيبًا طويل القامة، إذا مشى فكانه راكب والناس يمشون.

وبويع بالخلافة سنة ١١ هـ يوم وفاة أبي بكر، فحذا حذوه وسلك سبيله، فسير البعث وجيش الجيوش؛ فأتى فتح الشام والعراق وفتح القدس والمدائن ومصر والجزيرة، ودون الدواوين على الطريقة الفارسية لإحصاء أرباب الأعطيات وتوزيع المرتبات المالية عليهم، ووضع للمسلمين التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع الشهيرة كعام الفيل وعام الفجار، وكانوا يتعاملون بالدرهم والدنانير الفارسية والرومية ف ضرب عمر الدراهم على نقش الكسروية وزاد في

بعضها «الحمد لله» وبعض «محمد رسول الله»، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء مدينتي البصرة والكوفة فشيديتا، وهو أول من دُعي بأمر المؤمنين، وكانوا ينادونه يا خليفة خليفة رسول الله، فاستُقلت، وضُرب بعدله المثل.

قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): «إن الله جعل أبا بكر وعمر حجةً على من بعدهما من الولاة إلى يوم القيامة فسبقا والله سبقاً بعيداً، وأتعبا والله من بعدهما إتعاباً شديداً، فذكرهما حزن للأمة وطعن على الأئمة...».

وكان يطوف في الأسواق منفرداً ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وقصة «اضرب ابن الأكرمين» من غريب أخباره: روى أنس بن مالك فقال: بينا كان عمر جالساً أتاه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، فقال عمر: لقد عدت بمجير فما شأنك؟ فقال: سابتُ بفرسي ابناً لعمر بن العاص (وهو يومئذ أمير مصر) فجعل يعلوني بسوطه، ويقول: أنا ابن الأكرمين، فبلغ ذلك أباه عمرًا فخشي أن آتيك، فحبسني في السجن، فانفلت منه حتى أتيتك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص: إذا أتاك كتابي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان، وقال للمصري: أقم حتى يأتيتك، فأقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج، وقعد عمر مع الناس وعمرو بن العاص وابنه إلى جانبه، فقام المصري، فرمى إليه عمر بالدرة (وهي سوطه)، وأشار إليه أن يضرب ابن عمرو.

قال أنس: فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه فلم يُنزع حتى اشتبهنا أن ينزع من كثرة ما ضربه وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين! فقال المصري: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت، قال: ضعها على ضلع عمرو، قال: يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني، قال: أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى تكون أنت الذي تنزع، ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال: يا عمرو! متى

تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ فجعل عمرو يعتذر إليه، ويقول: إني لم أشعر بهذا.

قال الغزالي في إحياء علوم الدين: وشهد عند عمر شاهد فقال: ائتني بمن يعرفك، فأتاه برجل: فأتني عليه خيراً، فقال له عمر: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا، فقال: كنت رفيقه في السفر الذي يُستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا، قال: فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل؟ قال: لا، قال: أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى؟ قال: نعم! فقال: اذهب فلست تعرفه، وقال للرجل: اذهب فأتني بمن يعرفك.

وذكر عنده رجل فقيل: يا أمير المؤمنين، فاضلٌ لا يعرف من الشر شيئاً، فقال: ذاك أوقع له فيه.

وكتب إلى أبي موسى الأشعري كتاباً يوصيه فيه: نقله ابن قتيبة في عيون الأخبار، نصه: «أما بعد؛ فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني، وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة، أقم الحدود ولو ساعة من نهار، وإذا عرض لك أمران: أحدهما لله والآخر للدنيا؛ فآثر نصيبك من الله؛ فإن الدنيا تنفد والآخرة تبقى، أخفِ الفساق واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً، وعُدْ مريض المسلمين، واشهد جنازتهم، وافتح لهم بابك، وباشر أمورهم بنفسك؛ فإنما أنت رجل منهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملاً، وقد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها؛ إياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة: مرت بواد خصيب فلم يكن لها همٌّ إلا السمن، وإنما حتفها في السمن، واعلم أن العاقل إذا زاعغ زاعغ رعيته، وأشقى الناس من شقي الناس به والسلام».

وهذه خطبة أوردها له أبو جعفر الطبري قال: قال عمر:

«إِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ وَلَّانِي أَمْرَكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْفَعَ مَا بِحَضْرَتِكُمْ لَكُمْ وَإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَنِي عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْرُسَنِي عِنْدَهُ كَمَا حَرَسَنِي عِنْدَ غَيْرِهِ، وَأَنْ يُلْهِمَنِي الْعَدْلَ فِي قِسْمِكُمْ كَالَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَلَنْ يَغَيِّرَ الَّذِي وَلَيْتُ مِنْ خِلَافَتِكُمْ مِنْ خُلُقِي شَيْئًا، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ: إِنَّ عَمْرٍو قَدْ تَغَيَّرَ مِنْذُ وَلِيٍّ، أَعْقَلَ الْحَقِّ مِنْ نَفْسِي وَأَتَقَدَّمَ وَأَبَيَّنَّ لَكُمْ أَمْرِي فَأَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ أَوْ ظَلَمَ مَظْلَمَةً أَوْ عَتَبَ عَلَيْنَا فِي خُلُقٍ فَلْيُؤْذَنِي إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّكُمْ وَعِلَانِيَتِكُمْ وَحَرَمَاتِكُمْ وَأَعْرَاضِكُمْ، وَأَعْطُوا الْحَقَّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَلَا يَحْمِلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَى أَنْ تَحَاكُمُوا إِلَيَّ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ هَوَادَةٌ، وَأَنَا حَبِيبٌ إِلَيَّ صَلَاحُكُمْ، عَزِيزٌ عَلَيَّ عِتْبُكُمْ، وَأَنْتُمْ أَنْاسٌ عَامَتُكُمْ حَضَرَ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَأَهْلُ بِلَدٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ، إِلَّا مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ، وَإِنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ وَعَدَكُمْ كَرَامَةً كَثِيرَةً وَأَنَا مَسْئُولٌ عَنْ أَمَانَتِي وَمَا أَنَا فِيهِ، وَمَطْلَعٌ عَلَيَّ مَا بِحَضْرَتِي بِنَفْسِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا أَكِلُهُ إِلَّا أَحَدٌ، وَلَا أَسْتَطِيعُ مَا بَعْدَ مِنْهُ إِلَّا بِالْأَمْنَاءِ وَأَهْلِ النَّصِيحِ مِنْكُمْ لِلْعَامَةِ وَلَسْتُ أَجْعَلُ أَمَانَتِي إِلَّا أَحَدًا سِوَاهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

ومن كلامه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): لَا تُؤَخِّرْ عَمَلَ يَوْمِكَ إِلَى غَدِكَ.

- لَسْتُ بِخَبٍّ وَالْخَبُّ لَا يَخْدَعُنِي.

- اتَّقُوا مَنْ تَبْغِضُهُ قُلُوبُكُمْ.

- إِنَّمَا مَثَلُ الْعَرَبِ: مَثَلُ جَمَلٍ أَنْفٍ اتَّبَعَ قَائِدَهُ فَلْيَنْظُرْ قَائِدَهُ حَيْثُ يَقُودُهُ.

- لَا يَنْبَغِي أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا رَجُلٌ فِيهِ أَرْبَعٌ خِلَالٌ: اللَّيْنُ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَالشَّدَّةُ فِي غَيْرِ عُنْفٍ، وَالْإِمْسَاكُ فِي غَيْرِ بَخْلٍ، وَالسَّمَاحَةُ فِي غَيْرِ سُرْفٍ؛ فَإِنْ سَقَطَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ فَسَدَتْ الثَّلَاثُ.

- مِنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَ الْخِيَارُ فِي يَدِهِ.

- مُرّ ذوي القربات أن يتازوروا ولا يتجاوروا.

- تعلموا المهنة؛ فإنه يوشك أحدكم أن يحتاج إلى مهنته.

- إياكم والمعاذير؛ فإن كثيراً منها كذب.

ولما كان فجر يوم الأربعاء لأربع ليالٍ بقين من ذي الحجة سنة ٢٣هـ، ووقف عمر للصلاة بالناس فاجأه فيروز أبو لؤلؤة الفارسي غلام المغيرة بن شعبة قطعنه في خاصرته بخنجر ذي رأسين مسموم فسقط عمر، فانهاك الناس على الفارسي يريدون القبض عليه فطعن منهم ثلاثة عشر رجلاً هلك سبعة منهم، ثم طعن نفسه فمات منتحراً.

واختلف أصحاب الأخبار في الدافع الحقيقي لأبي لؤلؤة على عمله فقيل: إنه شكاً لعمر ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة فلم يره كثيراً فحقد عليه فضربه.

وقيل غير ذلك، وكله وهم وأمور اتخذها الغلام الفارسي ليستر بها مؤامرة سياسية كانت بينه وبين جفينة النصراني من أهل الحيرة، والهرمزان الفارسي، ولا يُعلم إن كان ثمة غيرهما فإن عمر أبقى في قلوب الفرس والروم جروحاً لا تأسوها اليوم، أو ليس الذي قوّض أركان دولة الأكاسرة وزلزل عروش القياصرة بحزمه وبأس رجاله؟ كان فيروز الفارسي رجلاً غيوراً على أمته أخذته الآلام مما صنع أمير المؤمنين بقومه فأراد الانتقام ففعل ما فعل.

وأخذ عمر إلى داره فدعا بعلي وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، وأمرهم أن يتشاوروا في أمر الخلافة وأن ينتظروا طلحة؛ فإن أبطأ فليقضوا بأحدهم وأن يشهدهم عبد الله بن عمر (ابنه) وليس له أن يولي، وإنما صنع ذلك ليتخلص من تبعة خلفه وليكون أمر المسلمين شورى، وقيل له في ذلك، فقال: إن تركتكم فقد ترككم من هو خير مني (يريد رسول الله) وإن استخلفت فقد

استخلفَ عليكم من هو خير مني (يعني أبا بكر)، وكأنه بهذا القول يشير إلى حيرة عرته في الأمر، فاختار سنة النبي الأمين ولم يعهد إلى أحد، وعاش ثلاث ليالٍ ثم لقي ربه.

هذا ما اتسع المجال لإيراده من أخبار أعدل الخلفاء وأمير الأمراء (رضوان الله ورحمته عليه) وإن شئت الزيادة فعليك بكتاب أشهر مشاهير الإسلام؛ فهناك نحو ثلاث مئة صفحة جمعت من أخباره ما لا تراه في غيرها.

عثمان بن عفان

ولد سنة ٤٧ ق.هـ. وتوفي سنة ٣٥ هـ.

توفي الله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وترك الأمر شورى في ستة من كبار المسلمين وبعد بحث وحديث طويل تجده في تاريخ الطبري قرأ رأيهم على أن يكون ثالث الخلفاء الراشدين ذو النورين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية: نودي به خليفة في المسلمين بعد وفاة عمر بثلاثة أيام، وهو أحد الرجال الذين أعز الله بهم الإسلام من السابقين إلى الدين، وله في سبيل الدعوة الإسلامية أياد بيضاء، وهو صاحب جيش العسرة.

وذلك أن رسول الله (ﷺ) لما حشد جيش العسرة في غزوة تبوك وقف في القوم، فقال: «مَنْ يُنْفِقْ اليوم نفقةً متقبلةً؟» فلم يكن من عثمان إلا أن جهّز نصف الجيش من ماله فبذل ثلاث مئة بغير بأقتابها وأحلاسها وتبرع بألف دينار، فقال رسول الله (ﷺ): ما ضرَّ عثمانَ ما عملَ بعد اليوم.

ولما ولي الخلافة كتب إلى أمراء الأمصار يقول:

«أما بعد؛ فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاةً ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباباً وإن صدر هذه الأمة خلُقوا رعاةً ولم يُخلَقوا جباباً وليوشكنَّ أئمتكم أن يصيروا

جُباة ولا يصيروا رعاة؛ فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء، ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو تتبابون فاستفتحو عليهم بالوفاء».

وكتب إلى أمراء الجنود في الثغور:

«أما بعد؛ فإنكم حُماة الإسلام وذاتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان عن ملائمة ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه».

وكتب إلى عمال الخراج:

«أما بعد؛ فإن الله خلق الخلق بالحق، فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به؛ والأمانة الأمانة: قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء ولا تظلموا اليتيم ولا المعاهد؛ فإن الله خصم لمن ظلمهم».

وكتب إلى العامة من المسلمين بالأمصار:

«أما بعد؛ فإنما بلغتم ما بلغتم بالافتداء والاتباع فلا تفتكم الدنيا عن أمركم؛ فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن؛ فإن رسول الله (ﷺ) قال: «الكفر في العجمة؛ فإذا استعجم عليهم أمرٌ تكلفوا أو ابتدعوا».

وسار عثمان في بادئ الأمر سيرة من تقدّمه، ثم ما لبث أن جعل يتشيع لأقاربه من بني أمية في عزل عن البلاد الأكفاء ويوليها من لا يصلح لها منهم، وقد كان

عمر يتخوَّف ذلك منه. قال العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج من فصل عقده لذكر ما فُقم على عثمان في خلافته:

«لما ولي عثمان صحَّت فيه فِرَاسة عمر؛ فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس وولاهم الولايات وأقطعهم القطائع وافتتحت أرمينية في أيامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان بن الحكم، وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربع مئة ألف درهم، وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيره رسول الله (ﷺ) ولم يرده أبو بكر ولا عمر وأعطاه مئة ألف درهم، وتصدق رسول الله (ﷺ) بموضع سوق بالمدينة يُعرف بتَهروز على المسلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان، وحمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية، وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب - وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة - من غير [أن] يشركه فيه أحد من المسلمين، وأعطى أبا سفيان بن حرب مئتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمئة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال للخلفاء شعراً كثيراً لست أدري مبلغه من الصحة، جاء فيه هذان البيتان لعثمان:

غنى النفس يُغني النفس حتى يكفها وإن عضها حتى يُضر بها الفقر
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها بكائنة إلا سيتبعها يُسر

وُترجم في كثير من كتب التاريخ الإسلامي ولعلك تجد ما يكفيك في أشهر مشاهير الإسلام.

علي بن أبي طالب

ولد سنة ٢٣ ق.هـ وتوفي سنة ٤٠ هـ

أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين أبو الحسن، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي: ولد بمكة وأسلم صغيراً وناصر ابن عمه كبيراً؛ فكان من أعظم أعوان رسول الله (ﷺ) على نشر الدعوة الإسلامية والدود عن حياض شريعة القرآن، وكان ممتازاً بثلاث خلال: الشجاعة في الحروب: وهو ابن بجدها وصاحب الصوت والصيت في المعارك والملاحم، والفقه في الدين، وكان أعلم أصحاب النبي (ﷺ) بالأحكام وبه يضرب المثل في حسن القضاء، والفصاحة في المنطق، وله الخطب الرنانة والأقوال المتناقلة والكلم السوائر.

تولى الخلافة بعد مقتل عثمان (عام ٣٥ هـ) فحدثت في أيامه من وقائع عظيمة أشدها ما كان بينه وبين معاوية مزاحمه الأكبر على الخلافة والداهية الأموي المشهور.

يكاد الباحث المؤرخ يوجل من إبداء رأيه في صاحب هذه الترجمة عليه الرضى والسلام لما يراه من اختلاف الناس فيه وإدخال بعض العامة ورهط من الخاصة الحكم عليه في أمور الدين، علي أن العاقل المنصف إذا وجد مجالاً للقول لم يسعه إلا أن يجهر بحقيقة ما يجب أن يُذكر به هذا الخليفة الراشد مما يكون له أو عليه، لنترك أقوال الغالين في حبه والذين يبلغون به مقام الربوبية أو ما دونها، ولندعُ التعرض للمفاضلة بينه وبين من تقدمه من الخلفاء؛ فالأولون جهلة أغبياء لا يُقاومون بغير التهذيب والتعليم فلا تلبث أن تنقشع عن قلوبهم تلك العمّاية الرائنة والغواية الكامنة، وأما الخلفاء من الأصحاب فكأصابع الكف للدين، لكل منهم مقام ومنزلة لا ينوب بها عنه الآخر، ولا سيما والشحناء في مثل هذا لا تجدي من أورى بها الزند نفعاً.

أما ما شغل جماعات المؤرخين من أنه كان الأحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان، مما يؤدي بفريق من الناس إلى الحط من كرامتهم بنسبتهم إلى الظلم، ثم بأن يُقال فيهم ما يقال في الظالم المغتصب، فهذا أيضًا أمر مفروغ منه، والذي نعتقه أن أبا بكر كان أرضى الله والناس من سواه لاطلاعه على روح الدين في نشأته الأولى والثانية، حين كان أمير المؤمنين عليّ يُعدُّ في الفتیان، يقوده إلى الدين حبه لرسول الله (ﷺ) وشغفه بأخلاقه واستحسانه لما جاء به، وأبو بكر من شيوخ المسلمين وأهل الحنكة والدربة والعلم والرأي فيهم، فهو أولى بها، واجتهد أبو بكر في المسلمين فعهد إلى عمر فلم يكن دونه ضبطًا للأمر وقيامًا بمصلحة الأمة، وانتهى الأمر إلى عثمان فكان في عصره ما كان، وجاءت النبوة إلى علي والناس له مُريدون عليه مُجمعون، فكان (رضي الله عنه) شديدًا في الدين إذا رأى الرأي لم يردّه عنه رادّ يصدع فيما يأمره به قلبه النقي وما يوحى إليه ضميره الطاهر غير وإن ولا مُحابٍ وأنت ترى أن سياسة المُلك ربما قضت على القائم بها أن يغض بصره على بعض القذئ وأن يتوقع الفرصة ويتربص للسوانح؛ فهذا ما يأخذه على عليّ من آخذه، ومن دافع عنه عدّ تلك الخلال سياسة خداع ودهان، ورأى عليًا عليه الرضوان أجدر بأن لا يتصف بها وأحرى بأن يتعرى منها، وذلك ما يظهر لنا في أمره يتجلى لك فيما سنذكره من الكلام على أخباره:

قُتل عثمان وولي عليّ بمبايعة الناس له، فلم يكن ليطيب له الصبر وهو يرى البلاد قد طوّقت بني أمية وفيهم الصالح والطالح، فسير الولاة إلى الجهات وعزل بعض من ولّاهم سلفه، وكانت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان عداوات وحزازات أشار إليها العلامة ابن أبي الحديد في شرح النهج حكاية عن معاصره أبي جعفر نقيب البصرة، قال (ج ٢، ص ٥٧٩): «وكيف يتوهم من يعرف السير أن معاوية كان يبائع لعليّ لو أقرّه على الشام وبينه وبينه ما لا تبرك الإبل عليه

من الترات القديمة والأحقاد، وهو - أي عليّ - الذي قتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة في مقام واحد ثم ما جرى بينهما في أيام عثمان حتى أغلظ كل واحد منهما لصاحبه وحتى تهدده معاوية، وقال له: إني شاخص إلى الشام وتاركٌ عندك هذا الشيخ - يعني عثمان - والله لئن أنحضت منه شعرة واحدة لأضربنك بمئة ألف سيف... إلخ».

فلما بعث عليّ الرجال إلى الأمصار سير سهل بن حنيف والياً على الشام؛ فسار حتى بلغ تبوك فإذا خيل من الشام فقالوا: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء؟ قال: على الشام. قالوا: إن كان بعثك عثمان فحيّ هلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع، فرجع إلى علي، وبلغ معاوية الخبر فقام في الناس فأخبرهم بأن علياً قتل عثمان وحرضهم على القيام لقتل من اشترك في دمه فاتجهت إليه القلوب، وكان عليّ (رضي الله عنه) لما أراد توجيه الأمر بالعزل إلى معاوية وأضرابه من عمال عثمان نهاه أصحابه وأطالوا عليه ولا سيما المغيرة بن شعبة وعبد الله بن العباس وهما من خيرة عقلاء المسلمين ودهاتهم فأبى وأصرّ (راجع كامل ابن الأثير المجلد الثاني)، قال له المغيرة: «أقر معاوية وابن عامر - والي البصرة - وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس، ثم اعزل من شئت»، فكان يقول: «لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنيا في أمري»، قال: «فإن أبيت فانزع من شئت واترك معاوية فإن فيه جرأة وهو في أهل الشام يُستمع منه ولك حجة في إثباته، كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد ولّاه الشام»، فقال: «لا والله لا أستعمل معاوية يومين!»، ودخل عليه ابن عباس فحدثه علي بنقول المغيرة فقال: نصحك. قال: ولم نصحني؟ قال: «لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى ثبّتهم لا يبالون من ولي هذا الأمر، ومتى عزلتهم يقولون أخذ هذا الأمر بغير شوري، وهو قتل صاحبنا ويؤلّبون عليك فتنتفض عليك الشام وأهل العراق مع أي لا آمن طلحة والزبير أن يكرأ عليك، وأنا أشير عليك أن تثبت

معاوية؛ فإن بايع لك فعليّ أن أقلعه من منزله»، قال علي: «والله لا أعطيه إلا السيف»، فقال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: الحرب خدعة؟ قال: بلى! قال: «والله لئن أطعنتني لأصدرنهم بعد ورد، ولأتركنهم ينظرون في دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا أثم لك..» فأزمع عليّ على ما ارتأى وبعث الرجال فكان لسهل بن حنيف ما كان فلما عاد وأخبره أخذ يتجهز للزحف على الشام لقتال معاوية [و] من أخذ إخذه، وإذا هم بنباً جديداً، جمع من المسلمين ثاروا عليه في البصرة يرأسهم طلحة والزبير الصحابيَّان الجليلان وعائشة أم المؤمنين وكلهم يتهمون به بقتل عثمان، فحوّل عليّ قوّته إليهم وتوجه نحوهم فكانت الواقعةُ المعروفة باسم «وقعة الجمل» حاربهم فيها عليّ بنصراء له من أهل الكوفة والحجاز فظفروا بهم وفرّق جمعهم، فلم يطمئن حتى بلغه وهو في الكوفة أن معاوية يتهياً للوثوب، فكتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى البيعة له ويؤكد له أنه بريء من دم عثمان، فأجابه معاوية بأنه: إن لم يكن هو قاتل عثمان؛ فإنه أغرئ به وخذّل عنه أنصاره، وأنه لا يبايع إلا بعد أمرين: أن يدفع إليه قتلة عثمان ينتقم منهم، وأن يترك الأمر شورى بين المسلمين كما تركه عمر؛ فإن اتفقوا عليه بايعه، فأغلظ له عليّ في الجواب، وترادفت الرسائل بينهما، ولم يشعر عليّ إلا وأهل الشام زاحفة بجيوشها عليه، فجهز أهل العراق، ومن كان معه من رجال الحجاز وخرج يريد القتال، فتلاقى الجمعان في موضع يقال له صِفِّين (كسجِّل: موضع بقرب الرِّقَّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس) قال ياقوت في معجم البلدان (ج ٥، ص ٣٧٠): «كانت وقعة صفين في سنة ٣٧ في غرة صفر.. وكان عليّ في مئة وعشرين ألفاً، ومعاوية في تسعين ألفاً، وقُتل في الحرب بينهما سبعون ألفاً منهم من أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً، ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً.. وكان مدة المقام بصفين مئة يوم وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعة».

واختتمت تلك الحروب الهائلة في ذلك السبب التافه حتى اتفق الفريقان على تحكيم رجلين منهما والرضى بما يتفقان عليه فاختر معاوية وأصحابه عمرو بن العاص القائد الداهية، واختار أصحاب عليّ أبا موسى الأشعري أحد الأشراف وكان في سن الشيخوخة؛ فخدعه عمرو في حديث طويل (تراه في تاريخ الطبري وابن الأثير) فخلع أبو موسى صاحبه عليّاً، وأثبت عمرو صاحبه معاوية، وعليّ في الكوفة ومعاوية في الشام، فانصرف الناس كل فريق إلى صاحبه وسلّم أهل الشام عليّ معاوية بالخلافة، وأسف عليّ ما كان ثم خرجت عليه الخوارج فما زال في حروب وخطوب حتى اعترضه عبد الرحمن بن ملجم المرادي في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه وهو واقف بباب مسجد الكوفة يصيح بالناس: «الصلّاة الصلاة» فضربه بسيفه فأصاب قرّنه وفرّ فشدّ عليه الناس فأمسكوه، وأخذ عليّ إلى منزله فجمع بنيه وأوصاهم بما يصلح به دينهم ودنياهم وأمرهم أنه إذا مات فليقتلوا ابن ملجم ولا يمثلوا به، ففعلوا ذلك، ودفن أمير المؤمنين بالكوفة عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة، وقال القلقشندي: دفن بالنجف.

ولم يتسع أجل عليّ (كرّم الله وجهه) لتكون له أوليات كبيرة، وإنما عُرف له منها أنه أول من وضع «بيت القصص» وهو غرفة يُلقى بها الناس رقاعهم وشكاواهم، وتبعه بمثله بعض خلفاء بني العباس (ذكره ابن أبي الحديد).

وأما خطبه وأقواله فقد جمعت في كتاب سُمي «نهج البلاغة» وربما شك بعض الناس في نسبة جميعه إلى عليّ، وهو في أعلى طبقة من طبقات كلام البشر يحسّن بكل مشتغل في اللغة والأدب والإنشاء أن يكثر من تلاوته، وقد شرّحه أحد كبار علماء المعتزلة ابن أبي الحديد شرحاً وافياً (انظر ترجمة ابن أبي الحديد)، وفي هذا الشرح الكبير تجد جميع أخبار أمير المؤمنين وجانباً عظيماً من أخبار صدر الإسلام والمباحث الجدلية والفلسفية النافعة.

ومن كلامه: المرء مخبوء تحت لسانه، الناس أعداء ما جهلوا، لا راحة لحسود، لا مُروءة لكذوب، الراحة مع اليأس، من كثر مزاحه لم يَخُلْ من حقدٍ عليه واستخفافٍ به، كفى أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك، من أكثر من شيء عُرِف به، الناس من خوف الذل في الذل، خير أموالك ما كفاك، وخير إخوانك من واساك، من عذب لسانه كثر إخوانه، بالبر يُستعبد الحر، إذا تم العقل نقص الكلام، النصح بين الملاء تفرع، من أكثر فكره في العواقب لم يشجع، من أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ.

وجاء في إحدى خطبه بصفيّ يوصي الجيش: «لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم؛ فإذا هزمتهم فلا تقتلوا مُدْبِراً ولا تُجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا ولا تأخذوا مالا ولا تهيجوا امرأة وإن شتمتكم؛ فإنهنّ ضعاف الأنفس والقوى».

ومن كلامه: قَصَمَ ظهري رجلان؛ عالم متهتك، وجاهل متنسك، هذا ينقّر الناس بتهتكه، وهذا يُضل الناس بتنسكه، ما ذَبَّ عن الأعراض كالصنح والإعراض.

وقال لابنه الحسن: يا بني، ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئنّ إليه كل الطمأنينة، وأعطه كل المواساة ولا تُفش له كل الأسرار.

وقال: من كثر دَيْنُه لم تقرّ عينه، من فعل ما شاء لقي ما ساء، من استعان بالرأي ملّك ومن كابد الأمور هلك، من حسنت سياسته دامت رياسته، من ركب العجلة لم يأمن الكبوة.

وعنه (رضي الله عنه): الوحدة راحة، والعزلة عبادة، والقناعة غنى، والاقتصاد بلغة، والعزيم بغير الله ذليل، والغني الشره فقير، ولا تُعرف الناس إلا بالاختبار؛ فاختر

أهلك وولدتك في غيبتك، وصديقك في مصيبتك، وذا القرابة عند فافتك، والتودد والملي عند عطلتك، لتعلم بذلك منزلتك.

وجاء في خطبة أثبتها له الجاحظ في البيان والتبيين:

أما بعد؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة؛ فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة، وشمله البلاء، وألزمه الصغار، وسيم الخسف، ومُنِع النصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم - يريد بني غامد - ليلاً ونهاراً سرّاً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزؤهم قبل أن يغزؤكم فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظهيراً، حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتل ابن حسان البكري وأزال خيلكم من مسالحها وقتل منكم رجلاً صالحين، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيتنزع أحجالها وقُلُبها ورعثها، ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم حلماً فلو أن امرأ مسلماً مات من بعدها أسفاً ما كان عندي ملوماً، بل كان عندي جديراً بها فيا عجباً من جد هؤلاء القوم في باطلهم وفشلهم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم غرضاً يرمى وفيئاً يَنْهَب، يُغار عليكم ولا تغيرون وتُغزون ولا تغزون، ويُعصى الله وترضون فإذا أمرتكم بالسير إليهم في الحر قلتهم حرارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلتهم أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر كل هذا فرازاً من الحر والقر؟ فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أقر، يا أشبه الرجال ولا رجال! ويا أحلام الأطفال وعقول ربات الخجال! وددت أن الله أخرجني من بين ظهرائكم وقبضني إلى رحمته من بينكم والله لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفتكم، والله حرّت ندماً وورثتم صدري غيظاً وجرعتموني الموت أنفاساً وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب شجاع، ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم! وهل منهم أحد أشد

لها مراسًا وأطول لها تجربة مني؟ لقد مارسها وما بلغت العشرين فيها وقد نيفت على الستين، ولكنه لا رأي لمن لا يُطاع».

قال الجاحظ: وهذه الخطبة خطب عليّ بها الناس وهو جالس على باب السدة، أقول: وذلك في الكوفة؛ فإنه كان اتخذها دار إمارة له.

وروي له أصحاب المجاميع والأقاصيص شعراً جعلوه في كتيب سموه (ديوان علي بن أبي طالب)، وجله أو كله مما ينطق ببراءته من عليّ لبعده عن بلاغة معاني أمير المؤمنين وضخامة ألفاظ ذلك الجيل العربي المحض وما يذكرونه ويعزونه إليه أشبه بشعر الفقهاء والمؤدبين فأين هو من ناشر لواء البلاغة (عليه رضوان الله وسلامه)، وقرأت في تاريخ النحاة للسيوطي كلمة نقلها عن المرزباني قال: ما صح عندنا ولا بلغنا أن عليّ بن أبي طالب قال شعراً إلا هذين البيتين:

تلكم قريش تمننتني لتقتلني فلا وربك ما برؤوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهنّ ذمتي لهم بذات روقين لا يعفوها أثر



بنو أمية في الشام

توطئة

مضى الكلام في الصحف السالفة على القسم الأول من كتاب الملوك والأمراء، وكان بها الكلام على الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم أجمعين)، وهذا هو القسم الثاني نورد فيه تراجم ملوك بني أمية في الشام وهم الذين ورثوا الخلافة الإسلامية عن الحسن بن علي بن أبي طالب كما جاء في الكلام عليه، وإنما خُص بالذكر من كان في الشام منهم إعلماً بأن ملوك الأندلس الذين من أصل أموي سيجري البحث عن رجالهم في فصل آت.

والدولة الأموية أسسها في الشام [و] أول أمرائها معاوية بن أبي سفيان، وكان كما سترى في ترجمته أميراً على الشام من قبل عمر ابن الخطاب، ثم أقره على ولايته عثمان بن عفان وأراد علي بن أبي طالب عزله عنها فوثب عليه وألبس السياسة ثوباً دينياً فادعى أنه لا يحارب علياً من أجل مُلك أو رياسة، وإنما هو يعتقد أن علياً قَتَلَ عثمان أو اشترك بدمه فهو يريد قتله ويطلب دمه على نحو ما أوردنا في ترجمة عليّ وانتهى الأمر بأن كان في المسلمين خلافتان في زمن واحد: راشدية في العراق، وصاحبها علي بن أبي طالب، وأموية في الشام وصاحبها معاوية بن أبي سفيان، فلما قُتل عليّ بايع أصحابه ابنه الحسنَ فصالح الحسن معاوية وولاه الخلافة فصفت لابن أبي سفيان يتوارثها بنوه من بعده، وبنو هاشم في معزل عنها يتطاللون إليها، ولا يطولونها، حتى آلت إلى بني مروان وهم فرع من بني أمية وسنذكرهم في المبحث القادم بعد الكلام على معاوية وبنيه إن شاء الله ولا قوة إلا به.

معاوية بن أبي سفيان

ولد سنة ٢٠ ق.هـ وتوفي سنة ٦٠ هـ

بنو أمية بطن من قريش كبنني هاشم، وهم من ذوي السيادة والرياسة في هذه القبيلة، وإنما قُدِّم عليهم الهاشميون برسول الله (ﷺ)؛ فلما لقي ربه طمحووا نحو الإمرة من بعده، فتولاها أبو بكر فصبروا، وعمر فانكمشوا، وصارت إلى عثمان فأحياهم وأنعش آمالهم وفرقهم ولاية وحكامًا في البلاد.

أما معاوية وهو صاحب هذه الترجمة، فأبوه أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: ولد بمكة وأسلم يوم فتحها (سنة ٨ هـ)، وكان من ذوي الرأي والدهاء عارفًا بالكتابة وهي فضل كبير في ذلك الحين فجعله رسول الله (ﷺ) في كتّابه.

ولما ولي أبو بكر ولاه قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان فكان على مقدمته في فتح مدينة صيدا، وعرقه، وجبيل، وبيروت.

وآل الأمر إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فولاه ولاية الأردن، فرأى فيه معرفة وحزمًا؛ فلما مات أخوه يزيد وكان والي دمشق ولّاه عمر بدلًا منه.

وجاء عثمان وصلته النسب تربطهما فجمع له الديار الشامية معها وجعل ولاية أمصارها تابعين له، فشرع معاوية يتحجب إلى أهل الشام ويدي رؤسائهم من حضرته حتى استألفهم واستمالهم إليه، ومات عثمان فقام عليّ مقامه، وهو الأمر الذي تكرهه أمية لعلمها بأن الخلافة متى توارثتها قريش حُرمت هي منها: فأعدَّ معاوية العدة واتخذ قتل عثمان ذريعة له يستحث به الجموع على قتال عليّ وأصحابه وكان بينهما ما أسلفنا ذكره في ترجمة عليّ من الحروب والوقائع بصفتين وانتهى الأمر بإمامته على الشام وإمامة عليّ في العراق، ثم قُتل عليّ

وبويع بعده ابنه الحسنُ فسَلِمَ الخلافة إلى معاوية (انظر ترجمته الحسن بن علي)، وذلك في عام ٤١هـ، وهو المعروف بعام الجماعة لاجتماع المسلمين فيه يدًا واحدة على إمام واحد، ودامت له الخلافة حتى بلغ سن الشيخوخة فعهد بها إلى ابنه يزيد. ومات بدمشق فدفن في مقبرة باب الصغير.

ذلك إجمال في سيرة معاوية مؤسس دولة بني أمية، ومن عظماء ملوك العرب وخلفائهم، وهو أحد كبار الفاتحين، بلغت فتوحاته المحيط الأتلاطيقي [الأطلنطي]، وكان واليه على مصر عمرو بن العاص (الآتي ذكره) فافتتح السودان سنة ٤٣هـ، وفي هذه السنة غزا عبد الله بن سوار العبدي القيّان من بلاد السند فأصاب مغانم كثيرة عاد بها إلى معاوية ورجع إلى الغزو فقتل في بعض بلاد السند، وكان عدد السفن في أيام معاوية ١٧٠٠ سفينة كاملة العدة، وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو، وذلك حينما كان عاملاً على الشام في خلافة عثمان بن عفان، وفي أيامه فتح كثير من الجزائر اليونانية والدردييل وحاصر القسطنطينية بحرًا وبرًا سنة ٤٨هـ فلم يتمكن من فتحها وأُصيبت سفنه بخسائر فادحة فعاد ما بقي منها، وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة، وأول من اتخذ المقاصير (وهي الدور الواسعة المحصّنة)، والحرس والحجاب، ولم يكن ذلك للخلفاء الراشدين لازدراهم تلك المظاهر والزخارف وبُعدهم عن أبهة المُلْك وقناعتهم بما كانوا عليه قبل الخلافة من السذاجة والتقشف وأما معاوية فلم يتسنَّ له ذلك في بلاد ألفت أنظارها ما كان عليه ملوكها السابقون من الروم، وربما سخرت بمن كان دونهم وعدته دخيلاً على الرئاسة، حديث عهد بالإمارة، وهو أول من خطب قاعدًا لأنه كان بطيئًا بادئًا، وأول من قدّم الخطبة على الصلاة في يوم الجمعة، وكانت الخطبة بعد الصلاة فخاف معاوية أن يفرق الناس عنه قبل أن يُتم ما يريد أن يقول فقدّمها: وتابعه المسلمون حتى اليوم، وهو أول من جلس بين الخطبتين: وبقيت بعده إلى يومنا هذا، وفي أنساب

العرب للقلقشندي أنه كان طويلاً أبيض جميلاً مهيباً، قال: وكان عمر ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب!

وفي سنة ٥٠ هـ سار إلى المدينة بموكب حافل فألقى بها عدة خطب وكان قوي المنطق جيد البديهة سريع الخاطر، ومن أحسن ما تتمثل به سياسته في قوله في بعض خطبه:

«يا أهل المدينة إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق يعييون الشيء وهم فيه: كل امرئ منهم شيعة نفسه، فأقبلونا بما فينا؛ فإنَّ ما وراءنا شرٌّ لكم، وإن معروف زماننا هذا مُنكر زمان قد مضى، ومُنكر زماننا معروف زمان لم يأت ولو قد أتى، فالرتق خير من الفتق، وفي كل مقال بلاغ ولا مقام على الرزية».

ودخل دار عثمان بن عفان - في المدينة - فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباه، فقال معاوية: «يا ابنة أخي إنَّ الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا ذلاً تحته حقد، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه؛ فإن نكثناهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، ولأن تكوني ابنة عم أمير المؤمنين خيرٌ من أن تكوني امرأة من عرض الناس».

وخطب في المدينة أيضاً فقال: «أيها الناس، إن أبا بكر (رضي الله عنه) لم يُرد الدنيا ولم تُرده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يُردها، وأما عثمان فنال منها ونالت منه، وأما أنا فمالت بي وملت بها؛ فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم».

وكان يُضرب المثل بحلم معاوية ومن أخباره أنه كان لعبد الله بن الزبير أرض مجاورة لأرض فيها عبيد لمعاوية من الزنوج يعمرونها فدخلوا في أرض عبد الله فكتب إلى معاوية: «أما بعد؛ فإنه يا معاوية إن لم تمنع عبيدك من الدخول في أراضي كان لي ولك شأن!»، فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد فلما قرأه قال له: ما ترى؟ قال: أرى أن تنفذ إليه جيشاً أوله عنده وآخره

عندك يأتونك برأسه، فقال: يا بني عندي خير من ذلك عليّ بدواة وقرطاس، وكتب: «وقفت على كتابك يا ابن حوارى رسول الله (ﷺ) وساءني والله ما ساءك، والدنيا هينة عندي في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي برقمًا بالأرض والعبيد، وأشهدت عليّ فيه ولتُصَف الأرض إلى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام»، فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب إليه: «وقفتُ على كتاب أمير المؤمنين أطل الله بقاءه فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام»، فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله رماه إلى ابنه يزيد فلما قرأه أشرق وجهه، فقال: «يا بني إذا رُميت بهذا الداء داوه بهذا الدواء».

ويُذكر في الاتفاقات الغريبة أن أول ملوك بني أمية اسمه معاوية وآخرهم معاوية، وأول ملوك الدولة الأيوبية صلاح الدين يوسف وآخرهم صلاح الدين يوسف، وأول ملوك بني العاص مروان وآخرهم مروان وأول ملوك الفاطميين عبد الله وآخرهم عبد الله.

يزيد بن معاوية

ولد سنة ٢٥ وتوفي سنة ٦٤ هـ

ما ينسّ المسلمون لا ترهُم ناسين فاجعتهم الكبرى بآبن بنت نبيهم وفادحتهم العُظمى بأحب الناس إليهم تلك الجريمة المؤلمة التي اقترفها صاحب هذه الترجمة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثاني ملوك بني أمية: عهد معاوية إلى يزيد بالخلافة فلما مات تولاها وانضم إليه من أخلصوا في حب أبيه وفاءً له وتنفيذاً لعهد، وكان يزيد فتىً لهو وقصف، ولكنه عارف بالأدب رُوي له من الشعر رقيقه، ولم تصفُ له الخلافة، بل كثرت في عهده الثورات وامتنع كثير من الناس عن مبايعته والرضى بخلافته، فقامت الفتنة في العراق ودعا أهل الكوفة الحسين ليبايعوه؛ فلما ارتحل إليهم اعترضه بكرلاء عمرو بن سعد ابن أبي وقاص قادمًا

من قِبَل عبيد الله بن زياد، وكان يزيد قد كتب إليه يأمره بتوجيه من يقاتل الحسين قبل أن يبلغ الكوفة، فحاربوه، وقتله شمر بن ذي الجوشن، وأُتي برأسه إلى دمشق على ما قدمنا في ترجمته (انظر ترجمة الحسين)، فلما ذاع خبره كان عبد الله بن الزبير بمكة فحضر أهل مكة والحجاز على الثورة فبايعوه، واتفق أهل المدينة على خلع نائب يزيد، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان فطردوه من المدينة، وعلم يزيد بما حدث فوجّه مسلم بن عقبة في عشرة آلاف مقاتل فساروا إلى المدينة فافتتحوها وجعلها مسلم مباحة للسلب والنهب ثلاثة أيام، ثم رحل عنها يريد مكة؛ فمات في طريقه بموضع يُعرف بالمشلل، وأقام نائباً عنه الحصين ابن نمير، فقدم مكة، فقاتله ابن الزبير فلم يزل بها حتى جاءه خبر موت يزيد فعاد بجيشه إلى الشام.

هكذا تجد المسلمين بعد اشتغالهم بفتح البلدان وتوسيع سلطة الدولة الإسلامية وتوطيد أركانها عادوا فشغلوا بأنفسهم، يقتل بعضهم بعضاً، ويحارب الرجل قريبه ونسيبه وحبيبه، ثورات في البلاد على كل مستخلف فيهم وخروج وعصيان وخوف مستمر:

كأنما القوم عادت جاهليتهم لهم فما أغنت الآيات والنذر

وفي أيام يزيد فُتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع، وكان قد وجّهه يزيد إلى إفريقية فلما بلغ القيروان جمع من بها من الجند ودخل مدينة باغاية فحاربه أهلها وكانوا من الروم، ثم أغلقوا أبوابها، فأراد حصارهم ولكنه اختار قَصْدَ غيرها، فسار إلى بلاد الزاب فامتلك مدينتها العظمى إربه، وسار إلى طنجة ومنها عاد بغنائم وافرة.

فانظر هداك الله إلى المسلمين في ذلك الحين لو وجّهوا سيوفهم التي يضربون بها وجوههم إلى بلاد الأعداء وأمصار الروم وغيرهم هلا كانوا بلغوا أقاصي

الأرض وأطاعهم الناس أجمعون؟ وأنت ترى أن جيشاً قليل العدد قليل العدد يتوغل يحارب البرابرة والروم ويرجع ولواؤه يخفق بالظفر والغنم والريح.

وكانت وفاة يزيد بجوار أبيه من أرض حمص لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وعمره تسع وثلاثون سنة، وخلد في صحيفة بني أمية تلك النقطة السوداء التي لن تزول، وقد سبق القول بأن يزيد شعراً مروياً فلا نرى بأساً من ذكر شيء منه، وإن كنت لا أثق بصحة كل ما يُنقل عنه من هذا النوع؛ فمن ذلك قصيدة تنمى إليه في كتب الأدب قال:

خذوا بدمي ذاتَ الوشاح فإنني	رأيت بعيني في أناملها دمي
ولا تقتلوها إن ظفرتم بقتلها	بلى خبروها بعد موتي بمأثمي
لها حكم لقمان وصورة يوسف	ونجمة داود وعفة مريم
ولي حزن يعقوب ووحشة يونس	وآلام أيوب وحسرة آدم

إلى أن يقول:

ولما تلاقينا وجدتُ بنانها	مخضبة تحكي عصارة عندهم
فقلت: خضبت الكف؟ بعدئ، وهكذا	يكون جزاء المستهام المتيم
فقلت وأبدت في الحشا حرق الجوى	مقالة من في القول لم يتبرم
وعيشك ما هذا خضابا عرفته	فلا تك بالبهتان والزور متهمي
ولكنني لما رأيته نائياً	وقد كنت لي كفي وزندي ومعصمي
بكيته دماً يوم النوى فمسحته	بكفي وهذا الأثر من ذلك الدم
ولو قبل مبكاها بكيت صباة	بسعدي شفيئ النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا	بكاهها فكان الفضل للمتقدم

وتُنسب له القصيدة المشهورة التي مطلعها:

نالت على يدها ما لم تنله يدي نقشا على معصم أو هت جلدي

ويُروى له هذان البيتان:

دعوتُ بماء في إناء فجاءني غلامٌ به خمرًا فأوسعته زجرا

فقال: هو الماء القراح وإنما تبدّى به خدي فأوهمك الخمر

وهو صاحب الأبيات التالية قالها حين جاءه النبأ بموت أبيه، وكان غائبًا عن

دمشق:

جاء البريد بقرطاس يخبّ به فأوجس القلب من قرطاسه فزعا

قلنا: لك الويل ماذا في صحيفتكم قالوا الخليفة أمسى مثبتًا وجعا

فمادت الأرض أو كادت تميد بنا كأن أغبر من أركانها انقلعا

ثم انبعثنا إلى خوص مزمنة نرمي العجاج بها ما نأتلي سرعا

فما نبالي إذا بلغن أرحلنا ما مات منهنّ بالموماة أو طلعا

أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه كذا [ك] كنا جميعًا قاطنين معا

أغرّ أبلج يُستسقى الغمام به لو قارع الناس عن أخلاقهم قرعا

لا يرقع الناس ما أوهى ولو جهدوا أن يرقعوه ولا يوهون ما رقعا

قال الشافعي: والبيتان الأخيران سرقهما من الأعشى.

معاوية بن يزيد

ولد سنة ٤١ ومات سنة ٦٤ هـ

لما مات يزيد بايع أهل الشام ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ثالث ملوك بني أمية وأضعفهم: فتولى الملك ثلاثة أشهر بعد أبيه وأصيب بأمراض حالت بينه [وبين] شؤون الخلافة والنظر في مصالح الناس فأمر فنودي: «الصلاة جامعة» فاجتمع الناس فقام فيهم خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد؛ فإن جدي معاوية نازع الأمر من كان أولى به، ثم تقلده أبي، ولقد كان غير خليق به، وصرت أنا الثالث والساخط عليّ أكثر من الراضي، وقد ضعفتُ عن أمركم، ولا أحب أن ألقى الله (عَزَّوَجَلَّ) بتبعاتكم، فابتغيتُ لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم، فأنتم أولى بأمركم، فاختروا له من أحببتهم، فقد خلعتُ بيعتي من أعناقكم».

ثم دخل منزله وأغلق بابه وأقام يعبد الله حتى مات، ولم يعيش في الرواية المشهورة أكثر من أربعين يوماً.



ملوك بني مروان

صلة

رأيت في ترجمة «معاوية بن يزيد» آخر أبناء معاوية بن أبي سفيان، كيف ترك الخلافة للناس دون أن يعهد أو يوصي واعتذر عن نفسه بأنه لم يجد الرجل الذي يُحق له أن يركن إليه ويعتمد في أمور المسلمين عليه، وأنت ترى أن المسلمين كانوا على عهد والده في نفور واضطراب وسُخط فلما بلغهم موته، وتولية ابنه معاوية المعروف بالضعف وقصر اليد قويت شوكة الثائرين، فبوع لابن الزبير بالخلافة في الحجاز وامتدت سلطته إلى المدينة ومصر فسير إلى المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير، وإلى مصر عبد الرحمن بن جحدم الفهري، واليين عليهما، وأبعد بني أمية ومروان بن الحكم إلى الشام، وانبثت الدعاة إلى ابن الزبير بحمص وقنسرين وفلسطين والعراق، ولا سيما حين استقال معاوية من الملك وتركه لمن لا يُعرف من يكون، واختلف أهل دمشق وفيهم مريدون لابن الزبير. ومبايعون لمروان بن الحكم، ثم انتهى الأمر باجتماع الشاميين على مروان وهو ابن الحكم بن العاص بن أمية، أمويٌّ ولكنه غير مُعاويّ فكان أول من ملك من هذا البيت وترادفت أبنائوه من بعده وبوع ابن الزبير في الحجاز والعراق فاجتمع للمسلمين خليفتان حتى كان زمن عبد الملك بن مروان فوجّه الحجاج إلى ابن الزبير فقتله وصلبه، ثم نشأت الثورة العباسية على ما سيذكر إن شاء ربك.

مروان بن الحكم

ولد سنة ٢ وتوفي سنة ٦٥ هـ.

علمت ما كان في أيام معاوية بن يزيد من تركه للملك على ما تقدم بيانه وقلنا: إن أهل الشام اتفقوا على مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهو أموي قرشي.

وكان شيخاً كبير السن، ولد بمكة وانتقل إلى المدينة حتى كانت أيام عثمان ابن عفان جامع شتات بني أمية بن عبد شمس فقرّبه عثمان إليه وجعله أحد خاصته الذين يرجع إلى آرائهم ويعتمد عليهم في المعضلات ولما قُتل عثمان انصرف إلى مكة وأقام يتردد بين الحجاز والشام حتى طرده ابن الزبير من مكة، فانصرف إلى الشام وهي بلا خليفة بعد انفصال معاوية بن يزيد عن الخلافة، فبويع مروان بها لسنة وقُربه من عثمان وأمويته فهدأ الشام وخرج إلى مصر فصالحه أهلها، وكانت قد فشت فيها البيعة لابن الزبير فوثق منهم مروان وولى عليهم ابنه عبد العزيز وعاد إلى الشام، ورجا أن تصفو الخلافة لبنيه إلا أنه خاف مطالبة خالد بن يزيد بن معاوية بها متى كبر، وكان آنئذ صغيراً فرأى أن يستميله فتزوج أمه.

وبقي مروان في الملك تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً، حتى دخل عليه يوماً خالد بن يزيد في شأن له فشتمه مروان وسب أمه فانحرف إليها ونقل لها الكلام فانتظرت حتى أقبل فوضعت على وجهه وسادة ضخمة بعد أن اضطجع وأمرت الجواري فقعدن عليها فصاح واستنجد فلم يغثه فمات مخنوقاً (قاله ابن الأثير)، وقال القلقشندي: توفي بالطاعون بدمشق.

عبد الملك بن مروان

ولد سنة ٢٦ وتوفي سنة ٨٦هـ

ما انفكت خلافة الأمويين في اضطراب وتزلزل منذ غادر الحياة معاوية الأول حتى انقلبت ألعوبة في أيدي الرجال، فقاذف لها زاهدٌ بها، ومتلقف لها راغب فيها ومشرئبٌ إليها طامع بانتقالها إليه، بحيث لم تستقر على حال واحدة إلا في زمن صاحب هذه الكلمة وهو: أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، انتقلت إليه الخلافة بموت أبيه مروان سنة ٦٥هـ فبويع في دمشق وأعظم ما يهدد مُلكه استفحال أمر عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق، فلما بويع قام في الناس خطيباً فقال:

- «أيها الناس إني والله ما أنا بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا بالخليفة المداهن - يريد معاوية الأول - ولا بالخليفة المأفون - يريد يزيد بن معاوية - فمن قال برأسه كذا - أي امتنع - قلنا له بسيفنا كذا - أي ضربناه - ثم نزل».
- وعلم عبدُ الملك أن ابن الزبير وجَّه المختار الثقفي إلى الكوفة أميراً عليها فجهز عبد الملك جيشاً فيه عبيد الله بن زياد ورجال من كبار القادة عنده فأرسل المختارُ جيشاً لقتال عبيد الله بقيادة إبراهيم ابن الأشر، فالتقى الجيشان بالجازر (قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن) فقتل عبيد الله بن زياد وأصحابه وأخذت رؤوسهم إلى ابن الزبير، فلما بلغ عبد الملك ذلك عظم عليه فنادى أهل الشام فلم يلبوه، وكان في رجال شرطته الحجاج بن يوسف، وهذا أول ما اشتهر به: فتقدم إلى عبد الملك فسأله أن يسلطه عليهم، فقال: قد سلطتك!! فانصرف من مجلسه لا يمر على رجل من أهل الشام قد تخلف عن القيام إلا أحرق عليه داره، فجزع الناس واتجهوا إليه فجهزهم عبد الملك وسار بهم يريد العراق، وخرج إليه مصعب بن الزبير بأهل البصرة والكوفة فالتقوا بين

الشام والعراق، وكان عبد الملك كتب كُتُبًا إلى رجال من وجوه أهل العراق يدعوهم إلى نفسه ويجعل لهم الأموال، فلما تلاقى الفريقان انضم رجال مصعب إلى عبد الملك، وبقي مصعب في قليل من أصحابه فأتاه غلام لعبيد الله ابن ظبيان فأعان عليه مولاة عبيد الله بن ظبيان فقتلاه (وستأتي ترجمة مصعب في القواد)، ودخل عبد الملك الكوفة، فبايعه الناس فجاءه الحجاج فقال: رأيت في المنام كأني أسلخ ابن الزبير من رأسه إلى قدميه، وكان عبد الملك قد رأى من الحجاج حزماً وشدة بأس فقال له: أنت له، فخرج الحجاج بجيش كثيف يريد عبد الله بن الزبير.

وفي سنة ٧٢هـ كان في منى ثم حصر ابن الزبير في مكة ونصب المجانيق على جبالها ونواحيها يرمي أهلها بالحجارة، وانتهى القتال بقتل عبد الله بن الزبير أمير المؤمنين في العراق والحجاز، فأرسل الحجاج رأسه إلى عبد الملك بن مروان في دمشق، ونصب للناس راية الإمارة فجعلوا يغدون عليه، فلم ينصرف عن الحجاز إلا وهي مبايعة لعبد الملك وبهذا سكنت الفتنة واجتمع المسلمون مع عبد الملك واستتب له الأمر فيهم، ودامت له الخلافة العامة بعد مقتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر.

وكان يقال: معاوية للحكم، وعبد الملك للحزم، وكان ملكاً جباراً على من عانده وقوي الهيبة شديد السياسة، حسن التدبير، جمع بين العلم والعقل. قال الشعبي: ما ذاكرت أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك فإني ما ذاكرته حديثاً ولا شعراً إلا زادني فيه.

وقال نافع وهو من مشاهير القراء: لقد رأيت أهل المدينة وما بها شاب أشدّ تسميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان. وفي أيامه كانت تكتب الدواوين باللغتين الفارسية والرومية فأمر بترجمتها

ونُقلت إلى العريية، وهي ماثرة تذكر، وكانت الرعية كما علمت من ترجمة عمر ابن الخطاب وغيره تتكلم بحضرة الخلفاء وترجع إليهم في جميع أمورهم؛ فنهاهم عبد الملك عن ذلك وجعل الكلام لخاصته ومن أراد من العلماء والأمرء.

وهو أول من سكّ الدنانير في الإسلام، وكان عمر قد سكّ الدراهم كما أسلفنا، وكأني بعبد الملك اتخذ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إمامًا له يقتدي به في سياسته وأعماله فإنه أتمّ مشروعات جليلين بدأ بهما عمر، وهما: الدواوين، وضعها عمر على نسق الفرس بلغتهم ونقلها عبد الملك إلى العريية، والدراهم: نقشها عمر فتابعه عبد الملك بنقش الدنانير، ولعل هذا كان سرّ صفاء الأمر له وخلوّه من المكدرات.

وفي مراسلاته وكتبه تجد عقلاً كبيراً وحباً للخير جمّاً: كتب إليه الحجاج بن يوسف عامله على العراق في شأن عروة بن الزبير عامل اليمن، وكان قد لجأ إلى عبد الملك:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإن لو ذان المعترضين بك وحلول الجانحين إلى المكث بساحتك واستلافتهم دمث أخلاقك وسعة عفوك كالعارض المبرق لأعدائه، لا يعدم له شائماً رجاء استمالة عفوك، وإذا أدنى الناس بالصفح عن الجرائم كان ذلك تمريناً لهم على إضاعة الحقوق مع كل ضال، والناس عبيد العصا هم على الشدة أشد استباقاً منهم على اللين ولنا قبل عروة بن الزبير مال من مال الله، وفي استخراج منه قطع لطمع غيره فليبحث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام».

فأجابه عبد الملك: «بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خارطاً في السياسة ضبط عشواء الليل؛ فإن رأيك الذي يسؤل لك أن الناس عبيد العصا هو الذي أخرج رجالا العرب إلى الوثوب

عليك، وإذا أخرجت العامة بعنف السياسة كان أوشك وثوباً عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ولا هداه إذا رَجَوْا بذلك إدراك الثأر منك، وقد وُلِّيتَ العراق قبلك ساسة وهم يومئذ أحملُ أنوفاً وأقرب من عمياء الجاهلية وكانوا عليهم أصلح منهم عليك، وللشدة واللين أهلون، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة والسلام».

وفي أيام عبد الملك ضُبطت الحروف العربية النقط والحركات؛ فعل ذلك نصر بن عاصم النهوي المتوفي سنة ٩٠هـ، ولما حضرت عبد الملك الوفاة جمع أبناءه وقال يعظهم:

«أوصيكم بتقوى الله؛ فإنها عصمة باقية، وجنة واقية وهي أحسن كهف وأزین حلية، وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والأخذ بجميل الأمور، وإياكم والفرقة والخلاف، فبهما هلك الأولون، وذل ذوو العز المعظمون كونوا بني أم بَرَّة لا تدب بينكم العقارب، وضعوا معروفكم عند ذوي الأحساب؛ فإنهم أصون له وأشكر لما يؤتى إليهم منه، وتعهدوا ذنوب أهل الذنوب فإن استقالوا فأقيلوا، وإن عادوا فانتقموا»، ثم أقبل على ابنه الوليد ولي عهد فقل: «لا أُلَفينَكَ إذا متُ تعصر عينيك! وتحنُّ حنين الأمة! ولكن شَمِّر واتزر والبس جلد نمر! وذُلَّني في حفرتي وخلَّني وشأني وعليك وشأنك، ثم ادعُ الناس إلى البيعة؛ فمن قال برأسه كذا (لا) فقل بالسيف كذا (اضرب عنقه)»، والجملة الأخيرة أثبتتها مترجموه له مرَّتين، حين وُلِّيَ وحين وُلِّيَ، كما رأيت، ومات في منتصف شوال فدفن خارج باب الجابية.

لخصت هذه الترجمة من الكامل لابن الأثير (المجلد الثالث)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح، والعقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٢)، وفوات الوفيات (ج ٢)، والمعارف لابن قتيبة وغيره.

الوليد بن عبد الملك

ولد سنة ٤٨ هـ وتوفي سنة ٩٦ هـ

اتصف أكثر الملوك من بني مروان بصفات جعلت لهم فضلاً كبيراً على العالم الإسلامي؛ ففيهم الزاهد الناسك في غير ضعف، والمؤطد السائد في غير عنف، والعمري الفاتح، والرجل الصالح، مما لا يُنكره المنكر ولا يجحده الجاحد، وكان عمرانيّهم الأكبر وصاحب الآثار فيهم مترجمنا هذا.

وهو: أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الأمويّ القرشي، ولي الخلافة بعهد من أبيه عبد الملك (سنة ٨٦ هـ)، والبلاد مطمئنة والمسلمون ساكنون، فوجّه القواد لفتح البلاد فكان من رجاله موسى بن نصير، ومولاه طارق بن زياد، فسيرّه الوليد إلى بلاد المغرب (سنة ٨٩ هـ)، وموسى سير طارقاً، فاجتاز طارق جبال إلبيرة، وهي سلسلة جبال تفصل بين مملكة أسبانيا (الأندلس) وفرنسا، وافتتح الجانب الجنوبي من فرنسا، وأوشك يتوغل في أوروبا، إلا أن موسى حسده ولحق به وأهانته وأوقفه عن السير وقيل: إنه سجنه فبلغ الوليد ذلك فطلب موسى إلى الشام وضربه وطرده إلى مكة، حيث كانت وفاته، وأصبحت جبال إلبيرة (أو البرينات) حدّاً بين العرب والعجم.

وامتدت في زمنه المملكة العربية شرقاً إلى بلاد الهند فتركستان فحدود الصين، بحيث بلغت مسافتها ستة أشهر بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، قال أحد المؤرخين: فتح المسلمون في ثمانين عاماً ما لم تفتحه الرومان في ثمان مئة.

أما ولوع الوليد بالبناء والعمران فكان غريباً جداً، قال ابن الأثير في حوادث سنة ٨٨ هـ: «وفي هذه السنة كتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز - والي المدينة - يأمره بتسهيل الثنايا وحفر الآبار وأن يعمل الفوارة بالمدينة فعملها وأجرى ماءها

فلما حج الوليد ورآها أعجبه فأمر لها بقوام يقومون عليها، وأمر أهل المسجد أن يستقوا منها وكتب إلى البلدان جميعها بإصلاح الطرق وعمل الآبار، ومنع المجذومين من الخروج على الناس وأجرى لهم الأرزاق. اهـ.

والوليد أول من أحدث المستشفيات في الإسلام وأمر ببنائها مؤاسة للمرضى والمصابين بعقولهم، وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ولا عمل له إلا قيادته والنظر في شأنه، وأقام لكل مقعد خادماً، ونشط القراء المشتغلين بحفظ القرآن الكريم فخصص لهم أموالاً تكفيهم وتمنعهم من أن يكونوا عالة على الناس أو يتخذوا القرآن حرفة يعيشون بها كما هو الحال اليوم في بلاد المسلمين من تكسب القراء بالقراءة، حتى دخلت علينا بدعة من أسوأ البدع في الإسلام، وهي بيع الخُتْمَةِ بقيمة محتومة وهم يحتالون على الله فيجعلون الدراهم هبة ويهبون الخُتْمَةَ لروح الميت ولو امتنعت من بذل المقابل من الأجرة لزنوا على دفينك بالكلمة يتلونها والحرف يجودونه، وهذا بحث يجز إلى سواه فلنتركه إلى الباحثين من علماء الدين.

وأقام الوليد بيوتاً ومنازل تأوي إليها الغرباء وتهوي عليها الضيفان كما هو الشأن في قبائل العرب والآخذين إخذهم، وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به ثم بناه بناء جديداً، فجعل مساحته مئتي ذراع في مئتين (ذراعاً هاشمياً، وهو نحو نصف الذراع الشامي)، ودفع أثمان البيوت من بيت مال المسلمين، وصفح الكعبة والميزاب والأساطين في مكة، وبنى المسجد الأقصى في القدس، أرسل إليه الصُّنَّاع والعملة من الشام، والمأثرة الخالدة للوليد بناؤه مسجد دمشق المعروف بالجامع الأموي وهو من أشهر مساجد البلاد الإسلامية وفيه قبر ماريوحنا، وكان كنيسة لنصارى الشام فلما فتح خالد بن الوليد دمشق ودخلها عنوة من جانبها الشرقي دخل الكنيسة، وقد علم أن أبا عبيدة بن الجراح دخلها صلحاً من الجانب الغربي فاتفق المسلمون مع الروم على أن يجعلوا النصف

الشرقي مسجداً ويبقى النصف الغربي كنيسة، فلما استُخلف الوليد الأموي دعا النصارى إلى أن يعرضهم عن ذلك الجانب الغربي الذي بأيديهم مكاناً غيره في دمشق، فأبوا فانتزعه قهراً وضمه إلى النصف الأول.

وكتب إلى ملك الروم والقسطنطينية أن يوجه إليه اثني عشر ألفاً من صناع بلاده فأبى فهدده فأذعن وبعث بهم وأنفق على بنائه، كما نقل ابن جبير في حلته عن ابن المعلّى الأسدي (١١, ٢٠٠, ٠٠٠) أي نحو ستة ملايين ليرة إنكليزية من نقود زماننا، وعلّق فيه ست مئة سلسلة ذهبية للمصابيح، وملاً جدرانها كلها بفصوص الفسيفساء ممزوجة بها أنواع من الأصبغة الغريبة تمثل أشجاراً وأغصاناً بديعة الصنع، بدأ فيه سنة ٨٨هـ، ومات ولم يكمله فأتته أخوه سليمان، وقد وصف ابن جبير هذا المسجد وصفاً شاملاً فارجع إليه إن شئت ولا بأس بنقل النبذة التاريخية الآتية عنه قال:

«وله - أي الجامع الأموي - أربعة أبواب: باب قبلي، ويُعرف بباب الزيادة وله دهليز كبير متسع له أعمدة عظام وفيه حوانيت للخرزيين وسواهم، وعن يسار الخارج منه سماط الصفارين - لعلها المعروفة بالصاغة اليوم - وهي كانت دار معاوية (رضي الله عنه) وتُعرف بالخضرَاء، وباب شرقي، وهو أعظم الأبواب ويُعرف بباب جيرون، وباب غربي، ويُعرف بباب البريد، وباب شمالي، ويُعرف بباب الناطفين، وللشرقي والغربي والشمالي أيضاً من هذه الأبواب دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها إلى باب عظيم كانت كلها مداخل للكنيسة فبقيت على حالها وأعظمها منظراً الدهليز المتصل بباب جيرون، ليخرج من هذا الباب إلى بلاط طويل عريض قد قامت أمامه خمسة أبواب مقوَّسة لها ستة أعمدة طوال، وفي وجه اليسار منه مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي (عليه السلام)، ثم نُقل إلى القاهرة وبازائه مسجد صغير يُنسب لعمر بن عبد العزيز... إلخ».

وبالجملة فقد كان هذا المسجد من مفاخر الأبنية الإسلامية ولما ولي عُمر ابن عبد العزيز أتاه جمع من النصارى وأروه عهدًا في أيديهم من الصحابة بإبقاء جانب الغربي لهم فهمم بإعادته إليهم، ثم عوضهم منه بمال عظيم أرضاهم به فقبلوه.

وأحرق هذا الجامع مرات متواليات آخرها في عهدنا هذا، وبنائه اليوم يختلف كثيرًا عن شكله الأول؛ فإنه الآن مسجد متسع عمارته لا تزيد عن عمارة غيره من المساجد العظيمة المبنية في الأزمنة المتأخرة وفيه كثير من آثاره لا تزال كمشهد الحسين وبعض الأعمدة وشيء من الفسيفساء في الجانب الشمالي من داخله، وقد أطلنا في الكلام عليه حتى كدنا نخرج عن موضوعنا.

وامتدت الخلافة للوليد تسع سنين وثمانية أشهر أبقى فيها آثارًا جلييلة وذكرا حسنا، وكان محبا للنساء كثير الزوجات، قيل: إن عدد اللواتي تزوجهنّ ينيف على الستين، وكان كثير الصدقات والمبرات والخيرات، وكانت وفاته بدير مران في غوطة دمشق، ودُفن بها وقيل في خارج الباب الصغير.

وهذه الترجمة لخصتها من كتب كثيرة أوثقها: (الكامل: ج ٤، ٥)، وشذرات الذهب، والفخري لابن الطقطقي، ورحلة ابن جبير، وتاريخ الشام لابن عساكر.. وغيرها.

سليمان بن عبد الملك

ولد سنة ٥٤هـ وتوفي سنة ٩٩هـ

لم يكن صاحب هذه الترجمة من أولئك الرجال الذين حالفهم التوفيق فسادوا وسادوا ولكنه قصرت مدته وحاول القيام بعمل عظيم فلم يفلح وكان الناس قد استبشروا بتولييه بعد أخيه، وذلك أنه بويج يوم وفاة أخيه الوليد وهو بالرملة سنة ٩٦هـ فلم يتخلف عن مبايعته أحد لرسوخ قدم هذه الأسرة في منصب الخلافة

ولكّزه الناس المشاغب بعد ما قاسوا وما عانوا في أيام مروان ومن تقدمه، وكان الحجاج بن يوسف قد توفي سنة ٩٥هـ، أي قبل تولية سليمان بسنة والناس له كارهون، ومن شدته مشتكون، فسّرهم موته ثم استخلف سليمان فأملوا به خيرًا؛ فإنه أطلق الأسرى وأمر بإخلاء السجون والعفو عن المجرمين وأحسن إلى الناس بما علّقهم بحبه، وعهد أولاً بالخلافة إلى ابنه أيوب، فمات في حياته فعهد إلى وزيره ومشيره ابن عمه عمر بن عبد العزيز الملك الصالح، وكان الناس يعرفون صلاحه وحسن دينه وفضله، فشمّلهم السرور وسَمّوا سليمان: مفتاح الخير.

وهو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، وكان موصوفًا بالفصاحة وجودة الفهم والفطنة وحب الخير والعدل والميل إلى فتح البلدان والغزو.

وفي سنة ٩٨هـ أراد أن يقرن اسمه بأسماء كبار الفاتحين فجهز الجيوش والسفن وسيّر بها بقيادة أخيه مَسْلَمَةَ بن عبد الملك لحصار القسطنطينية فلما بلغها خدعته الروم وأصاب الجيش جوع شديد ومحنة وبلاء ولم يزل بها حتى بلغه موت أخيه سليمان، وتولية عمر بن عبد العزيز فكتب إليه عمر أن يعود فعاد، ولم يُصَبْ نجاحًا، وفي أيام سليمان فُتحت جرجان وطبرستان من بلاد الترك ولم تكن أمصارًا، بل هي جبال ومخارم وأبواب يقوم الرجل على باب منها فلا يُقدّم عليه أحد.

وكانت عاصمة دمشق عاصمة آبائه، وأما إقامة مدة خلافته فأكثرها كان في دابق من أرض قنسرين، وبها مات ودفن ولم يحكم غير ستين وثمانية أشهر إلا أيامًا، وكان مُعجَبًا بنفسه، لبس يومًا حلة خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال: أنا الملك الفتى! فمات قبل تمضي عليه جمعة، ونظرت إليه جارية فقال: ما تنظرين؟ فقالت:

أنت نعم المتاع لو كنتَ تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان

عمر بن عبد العزيز

ولد سنة ٦٢هـ وتوفي سنة ١٠١هـ

لعلك تجد في بعض كتب التاريخ والسير اسم هذا الخليفة الأمويّ مقترناً بلقب: خامس الخلفاء الراشدين؟ وأنت تعلم أن زمرة الراشدين قد ذهب بهم وذهبوا به فكيف عادت تلك النعمة المحبوبة والذكرى المصطفاة؟ فاعلم أن صاحب هذه الصحيفة وهو:

أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: الخليفة المرواني الأمويّ القرشي: هو الرجل الفذُّ الذي سلك طريقة الراشدين واهتدى بهديهم ونسج على منوالهم، هو الملك الناسك والخليفة الصالح والإمام العابد، مولده بحلولان قرب القاهرة، ولما شبَّ وُلِّيَ إمارة مصر، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك، وولي الخلافة بعهد من سليمان ولم يكن يعلم به؛ فلما مات سليمان (سنة ٩٩هـ) أقبل رجاء بن حياة أحد المقرَّبين من سليمان وكان ذا رأي وفضل فنادى بالناس فاجتمعوا إليه في مسجد دمشق فابتدأ يقرأ عليهم عهد سليمان إلى عمر، وعمر بناحية من المسجد يستمع كغيره فلما ذكر اسمه وكان يخشى أن يكون هو المولَّى وهذه صورة العهد:

«بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر ابن عبد العزيز: إني قد وليتك الخلافة بعدي ومن بعدك يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم».

فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون. فأسرع إليه رجل من ثقيف يقال له سالم، من أحوال عمر، فأخذ بضبعيه فأقامه، فالتفت إليه قائلاً: أما والله ما الله أردت بهذا ولن تُصيب بها مني دنيا! ثم أجلسه رجاء بن حياة على المنبر فأقبلت الناس تباعيه وهم يبيكون على سليمان، ثم وقف عمر فحمد الله وصلى على نبيه وقال:

«أيها الناس، إني ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني فيه ولا طلبه ولا مشورة من المسلمين، إني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي فاختاروا لأنفسكم غيري»، فصاحوا كلهم: قد اخترناك ورضيناك، فقال: «أوصيكم بتقوى الله؛ فإنَّ تقوى الله خَلَفٌ من كل شيء وليس من تقوى الله خَلَفٌ واعملوا لآخرتكم فإنَّ من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته وأصلحوا سرائركم يُصلح الله علانيتكم، والله إني لا أعطي أحداً باطلاً ولا أُمْنَعُ أحداً حقاً، من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له، أطيعوني ما أطيعتُ الله؛ فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

ولما نزل أتي بمراكب الخلافة ولكل دابة سائس، فقال: ما هذا؟ فقليل: مراكب الخلافة. قال: دابتي أوفق لي، وركب دابته وصُرفت تلك الدواب، فقليل له: أُمْنَزَلُ الخلافة نبغي؟ قال: لا؛ فإن فيه عيال أبي أيوب - يعني سليمان بن عبد الملك - وفي فسطاطي كفاية حتى يتحوّلوا، ولما استقرَّ به مجلسه دعا بكاتب واحد فجعل يُملّي عليه الرسائل إلى العمال، فكان فيما كتبه كتاب إلى عبد الرحمن بن نعيم:

«... أما بعد؛ فاعمل عمل من يعلم أن الله لا يُصلح عمل المفسدين».

وإلى سليمان بن أبي السرى: «.. واعمل خانات فمن مرَّ بك من المسلمين فاقروه يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم، ومن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين، وإن كان منقطعاً به فأبلغه بلده».

وكتب إلى عامل الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب:

«.. أما بعد؛ فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة سنّها عليهم عمال السوء، وإن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكوننَّ شيء أهم إليك من نفسك فلا تحمّلها قليلاً من الإثم، ولا تحمل خراباً على عامر - يريد في أمر الجباية - وخذ منه ما أطاق وأصلحه حتى يعمر ولا يؤخذنَّ من العامر إلا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لأهل الأرض، ولا تأخذنَّ أجور الضرايين ولا هدية النوروز والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا أجور الفتوح ولا أجور البيوت، ولا درهم النكاح ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض فاتبع في ذلك أمري فإني قد وليتك من ذلك ما ولاني الله، ولا تعجل دوني بقطع ولا صلب حتى تراجعني فيه، وانظر من أراد من الذرية أن يحج فعجل له مئة ليحج بها والسلام».

وقال في إحدى خطبه وقيل في خطبته الأولى:

«أيها الناس، من صحبنا فليصحبنا بخمس وإلا فلا يقربنا: يرفعُ إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخير بجهد، ويدلنا من الخير على ما نهتدي إليه ولا يغتابنَّ أحدًا ولا يعترض فيما لا يعنيه».

ودخلت عليه امرأته فاطمة فرأته يبكي وهو في مصلاه فقالت: أحدث شيء؟ فقال: إني تقلدت أمر أمة محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع، والغازي والمظلوم المقهور، والغريب الأسير، والشيخ الكبير، وذوي العيال الكثير، والمال القليل وأشباههم في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة فخشيت أن لا تثبت حجتي فرحمت نفسي فبكيت.

وأول حسنة قام بها عمر أنه منع سبَّ علي بن أبي طالب وكان الخلفاء من بني أمية يسبونونه ويعزّون إليه أموراً مستكرهة فكتب عمر ابن عبد العزيز إلى عماله أن يستعصوا عنها بآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ (النحل: ٩٠).

فكان (ﷺ) من الخلفاء الأتقياء سكن إليه الناس واطمأنوا وآمنت الرعية في زمنه؛ لأنه كان لا يحابي ولا يراعي وإنما الناس في الحقوق سواءً عنده كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم، سيدهم وحقيرهم.

كتب إليه عامل حمص يقول: إن هذه المدينة تحتاج إلى حصن، فوقع له في الكتاب: حصَّنها بالعدل.

ومن كلامه: الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما، وقوله: لولا أن ذكر الله فرض عليّ لما ذكرته إجلالاً له.

وكان قد شرع بأمر لا يصدر عن غيره ولو طالبت مدته لأتمَّه ولكن المنية التي لم تمكنه من المكوث في منصب الخلافة غير ستين وخمسة أشهر ونصف شهر حالت بينه وبين ما أراد، وذلك أنه همَّ بنزع الأموال والزخارف التي كان يملكها رجال من بني أمية وهو يعلم أنها إنما أخذت سلباً وانتهاباً من بيت مال الأمة فرأى أن يعيدها إلى مصدرها، ولكنه خاف الفتنة وقيام الثورة فجعل يمهد السبل رجاء أن يعيش فيظهر ما عوّل عليه، وشعر بذلك بعض أهله فدسوا له السم في الدسم فمرض أياماً، وتوفي (رحمه الله) وهو بدير سمعان من أرض المعرة فدفن به وقبره يُزار إلى اليوم. قال الشاعر:

دير سمعان لا عدتك الغوادي خيرٌ ميّت من آل مروان ميّتك

وقد جمعت سيرته وأخباره في عدة مصنفات منها كتاب بقي بن مخلد الأندلسي، وهو مفقود فيما أحسب، وكتاب أبي الفرج ابن الجوزي: سماه سيرة عمر بن عبد العزيز وهو مطبوع في مصر صفحاته تقارب ست مئة، وترجمه أكثر أصحاب التراجم والتواريخ.

ذيل

لما توفي عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة من بعده، يزيد بن عبد الملك ابن مروان بعهد من أخيه سليمان كما تقدم في ترجمة عمر، وكان يزيد يتواضع ويتظاهر بالصلاح فلما صار إليه المُلْك رجا به الناس أن يتابع سيرة سلفه فخاب رجائهم ولم يكن الرجل العظيم الذي يبقي المآثر، بل خالف مظهره الأول ومال إلى لذائذه، ولد سنة ٧٦هـ وتولى سنة ١٠١هـ، ومات سنة ١٠٥هـ، وليس في أخباره ما يجعله في عظماء الرجال الذين أُلِف هذا الكتاب ليذكرهم، وقد كانت في أيامه حروب وغزوات تجدها في تراجم أخبار السنين والعصور كتاريخ العبر والكمال والطبري فارجع إليها.

وعهد يزيد هذا بالملْك إلى أخيه هشام بن عبد الملك ثم ابنه الوليد ابن يزيد ابن عبد الملك، فلما مات تولى هشام الآتي خبره.

هشام بن عبد الملك

ولد سنة ٧١هـ وتوفي سنة ١٢٥هـ

امتاز صاحب هذه الترجمة برجاحة العقل وضبط الأمور بالحزم والأخذ بقوة البطش وجلال الهيبة، مات أخوه يزيد والأطماع ممتدة إليه، وهشام بحمص فبويح بها وأقبل على دمشق وذلك سنة ١٠٥هـ، وكانت في عهده أمور كثيرة منها، خروج زيد بن علي بن الحسين بن علي سنة ١٢٠هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة قد بايعوه وعاهدوه على قتال جيوش الشام وما يرد عليهم من ملوك بني أمية قال ابن خلدون في العبر:

ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجاً على هشام: داعياً للكتاب والسنة، وإلى جهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، والعدل في

قسمة الفيء، ورد المظالم، وأفعال الخير، ونصر أهل البيت. اهـ.

وكان العامل على العراق يوسف بن عمر الثقفي وهو حينذاك في الحيرة فكتب إليه هشام، بعد أن أعلمه يوسف بالأمر، يأمره أن يقاتل زيّداً، فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت وهو في الكوفة، فطلب الحكم زيّداً، ثم اجتمع الثائرون من أصحاب زيد، والعساكر من جنود الحكم، فنشب قتال أظهر فيه زيد بن علي شجاعة خارقة وجلّداً على الحرب عجيّباً، وأصابه سهم في جبهته فلما عاد إلى منزله في المساء نزعه وقد بلغ دماغه فنزف دمه فمات من ساعته ودفنه أصحابه.

وفي اليوم الثاني تفرق جمعه وبحث عنه الحكم فعثر عليه فقطع رأسه وأرسله إلى يوسف في الحيرة ويوسف بعث به إلى هشام في الشام فنصبه على باب دمشق، وانطفأت الفتنة.

وفي أيامه حدثت حروب كثيرة مع خاقان الترك في ما وراء النهر، انتهت بقتله خاقان وملكوا بعض بلاده وفازوا بغنائم وافرة.

وتحرك فريق من الخوارج يريدون الظهور فعلم بهم هشام فوجّه إليهم جنّداً فكان قتال ختم بقمع ثائرتهم وتخضيد شوكتهم واستتباب الأمر له.

وكان هشام محبّاً لجمع الأموال منعوتاً بالبخل، قيل لم يجتمع في خزّانة أحد من ملوك بني أمية من المال ما اجتمع في خزّائنه.

قال الثعالبي في الإعجاز والإيجاز: قيل لهشام - قبل أن يلي الملك - : أتطمع في الخلافة وأنت جبان بخيل؟ فقال: كيف لا أطمع بها وأنا عفيف حلیم.. قال: وكتب إلى أخيه مسلمة بن عبد الملك: «طهر عسكرك من أهل الفساد فإن الله لا يوصلح عمل المفسدين».

ونقل ابن الأثير في الكامل عن مجمع بن يعقوب الأنصاري نبذة تدل على

حلم هشام وحسن أخلاقه قال: شتم هشام رجلاً من الأشراف فوبخه الرجل وقال: أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في الأرض؟ فاستحيى هشام منه، وقال: اقتصص مني! قال: إذا أنا سفيه مثلك! قال: فخذ مني عوضاً من المال! قال: ما كنت لأفعل! قال: فهبها لله! قال: هي لله ثم لك! فنكس هشام رأسه واستحيى وقال: والله لا أعود إلى مثلها أبداً!

ولما كانت سنة ١٢٥ هـ مرض هشام بن عبد الملك وهو في الرصافة (قال ياقوت: رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها في الصيف، فهي غير رصافة بغداد والبصرة) ففكر في أمر من يلي الخلافة بعده، وكان أخوه يزيد قد عهد بها إلى ابنه الوليد بن يزيد، فرأى هشام أن الوليد لا يصلح لها ولا هو من رجالها؛ فحاول خلعه وتولية من يكون أولى منه بها فلم يستطع، ومات في الرصافة.

ومدة خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وأيام.

الوليد بن يزيد

ولد سنة ٨٤ وقُتل سنة ١٢٦ هـ

قلت في آخر سيرة هشام السالف ذكره: إن هشاماً رأى الوليد لا يصلح للخلافة، وذلك لما كانوا يصفونه به من حب المجون والميل إلى اللهو وإيثار اللذائذ على التفكير بشؤون الملك، وأوشكت أن أضرب صفحاً عن إلحاقه بعظماء الرجال الذين عقدت النية على إثباتهم في هذا المصنّف، ثم رأيت بعض المؤرخين يذهبون إلى الثناء على الوليد ويعُدُّون ما قيل فيه افتراءً عليه وهم يرون له شعراً حسناً يصلح لنا أن ندعوه به شاعر الملوك الأمويين، وعلماء الأدب يذكرون أن كثيراً من الشعراء والكبار كابي نواس وطبقته يسرقون معاني

الوليد ويدمجونها في أشعارهم، فقلت: إذا لم يكن الوليد ملكًا همامًا فهو شاعر مجيد، ولم أر أخلاء الكتاب من وصفه.

وهو: الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولي الخلافة بعد عمه هشام بعهد من أبيه يزيد. قال ابن الأثير المؤرخ بعد أن ذكر أخباره ونسبه: وكان من فتیان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم وأشدائهم منهمكًا في اللهو والشرب وسماع الغناء، ومن جيّد شعره قوله لما بلغه أنّ هشامًا يريد خلعه وكتب إليه بالأبيات:

رأيتك تبني دائبًا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني
تثير على الباقيين مَجْنَى ضغينة فويل لهم إن متّ من شرّ ما تجني
كأنّي بهم والليث أفضل قولهم ألا ليتنا والليث إذ ذاك لا يُغني
كفرت يداً من منعم لو شكرتها جزاك بها الرحمن ذو الفضل والمنّ

يشير إليه بأنه لو صرف الخلافة عنه ومات لحدثت حروب ووقائع وفتن، ولما مات هشام أتى خبره الوليد، وهو في مجلس طرب فأصغى قليلاً وأمر مغنيه أن يغنيه:

طاب يومي ولذّ شرب السُلافه وأتانا نعيّ من بالرصافه
وأتانا البريد ينعي هشامًا وأتانا بخاتم للخلافه
فاصطحبنا من خمر عانة صرفًا ولّهونابقية عزّافه

فغناه بها وفي صبيحة اليوم الثاني من توليته أجرى على الزماني من أهل الشام الجرايات وكسا المعوزين وأمر بإحصاء العميان، وأن يُدفع إلى كل واحد منهم خادم يخدمه وفرّق على الناس العطايا والمنح ولم يُسأل شيئًا إلا سمح به،

وقال:

ضمنتُ لكم إن لم يَعْقِنِي عائقُ بأن سماء الضر عنكم سَتَقْلَعُ
 سيوشك إلحاق معًا وزيادة وأعطية مني عليكم تبرعُ
 فيجمعكم ديوانكم وعطاؤكم به تكتب الكتاب شهرًا وتطبعُ
 وهو الذي قتل خالد بن عبد الله القسري وقال في ذلك قصيدته العامرة يوبخ
 أهل اليمن، وكانوا قد حاولوا نصره خالد، ثم تخلوا عنه، وقيل: إن القصيدة
 لأحد شعراء اليمن جعلها على لسان الوليد ولا أراه حقيقة، قال الوليد:

ألم تُهْتَجْ فتَذَكَّر الوصالا وحبلاً كان متصلاً غزالاً^(١)
 بلى فالدمع منك إلى انسجام كماء المزن ينسجل انسجالا
 فدع عنك أذ كارك آل سُعدى فنحن الأكثرون حصى ومالا
 ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلة والنكالا
 وطئنا الأشعريّ بنعزّ قيس فيالك وطأة لي تُستقالا
 وهذا خالد فينا أسير ألا مَنَعُوهُ إن كانوا رجالا
 عظيمهم وسيدهم قديماً جعلنا المخزيات له ظلالا
 فلو كانت قبائل ذات عزّ لما ذهب صناعه ضلالا
 ولا تركوه مسلوباً أسيراً يعالج من سلاسلنا الثقالا
 ولكنّ الوقائع ضععتهم وجذّتهم وردّتهم شلالا
 وأثرت هذه القصيدة في اليمانية فأخذوا يسعون في قتله وقال حمزة ابن بيض
 الشاعر يرد على الوليد في أبياته السابقة:

وصلت سماء الضر بالضر بعدما زعمت سماء الضر عنا سَتَقْلَعُ

(١) القصيدة أوردتها مصادر كثيرة.. وقد ورد الشطر الثاني برواية: ... كان متصلاً فزالا.

فليت هشامًا كان حيًا يسومنا وكننا كما كنا نرجى ونطمح
ثم أتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأرادوه على البيعة فأطاعهم فبايعوه
وانعقدت له البيعة سرًا وفشت الدعوة إليه في الناس واستفحل أمره وشعر بهم
الوليد فأراد تجهيز جيش فرأى الناس عنه راغبين فنهض برجاله يقاتل يزيد
وأشيعاه فنشب القتال، ثم انهزم الوليد فدخل قصر النعمان بن بشير في البخراء
بظاهر دمشق وأغلق الباب، ثم أطل على الجماهير، وقال: أما فيكم رجل
شريف له حسب وحياء أكلمه؟ فأجابه رجل من أصحاب يزيد، فقال: ألم أزد في
أعطياتكم، ألم أرفع المؤمن عنكم، ألم أعط فقراءكم، ألم أخدم زمناكم، قالوا:
بلى! ولكنك انتهكت حرمة الله وشربت الخمر واستخففت بأمر الله، فعلم أنه لا
سبيل لإقناعهم فعاد فأخذ مصحفًا وجلس يتلو، فدخلوا عليه، فقال: يوم كيوم
عثمان! فقتلوه.

وذلك سنة ١٢٦ هـ، ومدة خلافته سنة وستة أشهر، وله من الكلام ما هو غاية
في بلاغته: يُذكر أنه لما مات مسلمة بن عبد الملك قعد هشام للجزاء فأناه الوليد
يجر مطرف خز عليه، فوقف على هشام فقال: «يا أمير المؤمنين إن عُقبى من
بقي لحوق من مضى، وقد أقفر بعد مسلمة الصيد لمن رمى واختل الثغر فهوى،
وعلى أثر من سلف يمضي من خلف، فتزودوا فإن خير الزاد التقوى»، فأفحم
هشام ولم يجبه، ومن شعره قوله في نصرانية اسمها شقراء:

أضحى فؤادك يا وليد عميدا	صبا قديما للحسان صيودا
من حب واضحة العوارض طفلة	برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعيني وامق	حتى بصرت بها تقبل عودا
عود الصليب فويح قلبي من رأى	منكم صليبا مثله معبودا
فسألت ربي أن أكون مكانه	وأكون في لهب الجحيم وقودا

تتمة

لما قُتل الوليد ولي الخلافة ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك؛ فكانت أيامه على قصرها أيام شرور وفتن وثورات وإحن وليس له ما يدل على عظمة أو كبر نفس أو فضل إلا قوله حين ولي؛ فإنه خطب الناس بعد أن قُتل الوليد فذكر لهم زيد ما كان عليه ابن عمه من الخلاعة والفسق ثم قال:

«أيها الناس، إن لكم عليّ أن لا أضع حجرًا على حجر ولا لبنة ولا أكثرني نهرًا، ولا أكثر مالا، ولا أعطيهِ زوجة وولدًا، ولا أنقل مالا عن بلد حتى أسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم فما فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ولا أحجركم في ثغوركم كأفتنكم، ولا أغلق بابي دونكم، ولا أحمل على أهل جزيتكم، ولكم أعطياتكم كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى يكون أقصاكم كأدناكم؛ فإن وفيتُ لكم بما قلتُ فعليكم السمع والطاعة وحسن الوزارة، وإن لم أفِ فلکم أن تخلعوني إلا أن أتوب، وإن علمتم أحدًا ممن يُعرف بالصلاح يُعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم وأردتم أن تبايعوه فأنا أول من يبايعه، أيها الناس لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

كان الوليد قد زاد في أعطيات الناس (أي رواتبهم) عشرة عشرة من الدراهم فلما ولي يزيد نَقَصها فلقبوه «يزيد الناقص».

وكان مولده سنة ٨٦هـ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦هـ فأقام خليفة خمسة أشهر وثمانية أيام ومات في هذه السنة وليس في تاريخ حياته ما يجعله في العظماء، أما أخبار أيامه فكثيرة كما قلنا وهذه ليست من خصائص هذا الكتاب فارجع إليها في تواريخ الأزمنة والعصور.

ولما مات يزيد بن الوليد بن عبد الملك قام بعده بالأمر أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره مغلول اليد فازدراه أتباعه، فكانوا تارةً يسلمون عليه بالخلافة، وتارةً بالإمارة، وتارةً لا يُسلم عليه بوحدة منهما، فمكث سبعين [يوماً] (وذلك سنة ١٢٦ هـ - ١٢٧ هـ) فثار عليه مروان ابن محمد بن مروان، وكان والي أذربيجان ودعا إلى نفسه بالخلافة وسار إلى الشام؛ فأنفق أموالاً استمال بها الجند إليه، وعرف إبراهيم عجزه عن دفع هذه الغائلة، وكان على ما عرفت من الضعف، فقرّر واختفى، فاستولى مروان على الشام، ثم أمّن إبراهيم فظهر، واستقرت الخلافة لمروان سنة ١٢٧ هـ.

مروان بن محمد

ولد سنة ٧٣ وقُتل سنة ١٣٢ هـ

قدّمنا أن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وثب على إبراهيم بن الوليد فاغتصب الملك منه، ونرى أن لمروان هذا ذكرًا كثير الورود في التاريخ فلا ينبغي إغفاله، وإن لم يكن قد أبقى من الآثار ما يُذكر به، فأيامه ليست من أيام إبقاء الآثار وتخليد الذكر، ولآه هشام بن عبد الملك على إرمينية (سنة ١١٤ هـ) فسار إليها وافتتح بلادًا وقلاعًا، واستولى على ولايات كثيرة من إرمينية إلى طبرستان، وفي سنة ١٢٧ هـ كان عاملاً على أذربيجان فبلغه ما أصاب الدولة الأموية، وهي على ما رأيت من ضعف الكلمة وتقهر السلطان واضطراب الحال، فدعا الناس إلى البيعة له فبايعوه وقدم بجيش كثيف إلى الشام فخلع إبراهيم واستوى على عرش بني مروان، فكثرت في أيامه فتن الثائرين والمخالفين لما انبث بهم من روح الشقاق والخروج عن طاعة هذه الطائفة المالكة فكان كلما رأب صدعًا انصدع رأب، وكلما داوى جرحًا سال جرح، وسترى في الكلام على خلفاء بني العباس ما صنعوه من بث الدعوة إليهم وتحريض الناس على نزع بيعة بني أمية والناس عبيدٌ

القوة؛ فلما رأوا أن أبا مسلم الخراساني وهو القائد الأعظم الذي أقام العباسيين في خراسان أولاً، ثم بمرو وغيرها من بلاد فارس والعراق يدعو إلى بني العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي انضموا إليه وعطفوا عليه وقت في عضد مروان ومن والاه فجمع ما استطاع جمعه من الجيوش، وذلك سنة ١٣٢ هـ وقصد قتال قحطبة به شبيب الطائي: وكان أبو مسلم الخراساني قد سيره إلى طوس فلما عظم شأنه سار إليه مروان بعسكره فنزل بالزاب، وهناك جيش من عسكر قحطبة عليه عبد الله بن علي فاشتعلت بينهما نار الحرب، فانهزم جنود مروان، وفر مروان إلى الموصل، ثم إلى حران ومنها إلى حمص فدمشق ففلسطين، وانتهى إلى بوصير من أعمال مصر.

وكان السفاح (أول الخلفاء العباسيين) قد كتب إلى عبد الله بن علي يأمره بأن يتعقب مروان فلحقه حتى أدركه ببوصير فقتله وبعث برأسه إلى السفاح، وهو في الكوفة سنة ١٣٢ هـ، وهو آخر ملوك بني مروان وبه انقرضت دولتا بني أمية: المعاوية والمروانية؛ في الشام، وصفا الملك لبني العباس على ما سنذكره إن شاء الله.

ومن كلام مروان: كنزنا الكنوز فما وجدنا كنزاً أنفع من كنز معروف في قلب حر. أيام القدرة، وإن طالت، قصيرة والمتعة بها وإن كثرت قليلة.

وكان مروان حازماً مدبراً فلم ينفعه حزمه وتدبيره عند إدبار الملك وانحلال السلطان.

الدولة العباسية

تمهيد

قُتل الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي والأبصارُ حائمة على شخصه المحبوب، فانقلبت القلوب تبكيه والألسن تنعاه وترثيه واتخذ بنو هاشم مقتله وما عمَّ من الحزن عليه ذريعة لبث الضغينة في المسلمين على بني أمية وأحلافهم ومحضاً يثيرون به نار الحُقود والبغضاء؛ فكانوا كلما آنسوا من أنفسهم قوةً هيَّجوا فريقاً من أشياعهم فثار على من عاصره من خلفاء بني أمية فلم يظفروا بدأةً ذي بدءٍ لِمَا كان أولئك قد اتخذوه لأنفسهم من الوقاية وما عدَّوه من العدة حتى كان العام الأخير من القرن الأول للهجرة فكثرت أنصارهم ونبغت نابغتهم وعُدَّت مثالب الدولة المالكة وأُحصيت هَفَوَاتها وزَلَّاتُها وكان مرجع الهاشميين في ذلك الحين إلى رجلين هما: محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم مات أبو هاشم مسموماً قيل سمَّه سليمان بن عبد الملك وأوصى أصحابه والدعاة إليه بمتابعة محمد ابن علي، وكان محمد ينزل أرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام فأقبلوا عليه فبايعوه سرّاً كما كانوا يبايعون من قبله فاختر منهم رجالاً وثق بهم فسيرهم إلى الآفاق لبث الدعوة إليه، وكتب لهم كتاباً يكون لهم مثلاً وسيرة يسرون بها وهو أشبه بنظام جمعية سرية ثورية، فانصرفوا وهم كلما شكَّ فيهم شاكٌّ من ولاية بني أمية أظهروا أنهم يشتغلون في التجارة وفي سنة ١٠٧هـ، وشئ بجماعة منهم في خراسان واش إلى أميرها أسد بن عبد الله فقطع أيدي من ظفر به منهم وصلبهم

فكتب بعضهم بذلك إلى محمد بن علي فأجابه: الحمد لله الذي صدّق دعوتكم وحقّق مقاتلتكم وقد بقيت منكم قتلى ستعدّ.

ومن غريب أمرهم أن أسد بن عبد الله علم بدعاة منهم سنة ١٠٩ هـ فقبض على أحد عشر رجلاً يرأسهم زياد أبو محمد مولى همدان فقتله أسد وعرض البراءة منه على أصحابه فمن تبرأ خلّى سبيله، فتبرأ اثنان فتركّا، وأبى البراءة ثمانية فقتلوا، فلما كان الغد أقبل أحد الاثنين إلى أسد فقال: أسألك أن تلحقني بأصحابي! فقتله.

وسنة ١٢١ هـ أعلن العصيان زيد بن علي بن الحسين في الكوفة فكان من أمره ما ذكرناه في ترجمة هشام وقُتل سنة ١٢٢ هـ، وفي سنة ١٢٥ هـ توفي محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس وأوصى إلى ابنه إبراهيم بن محمد بالقيام بأمر الدعوة، وفي سنة ١٢٦ هـ وجّه إبراهيم ابن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان وهو من أمانته إلى خراسان، فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة فنعى محمد بن علي، ودعا إلى ابنه إبراهيم فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من الأموال وكانت الشيعة تدفع إلى النقباء في كل سنة خمس أموالها يستعينون به على بث الدعاة في البلاد، فعاد بكير إلى إبراهيم بالأموال.

وفي سنة ١٢٨ هـ كان قد اتصل بإبراهيم بن محمد أبو مسلم الخراساني واسمه عبد الرحمن بن مسلم (انظر ترجمته) ورأى منه ما جعله يثق به فوجّهه إلى خراسان وكتب إلى من بها من الشيعة أن يأتروا بأمره ويطيعوه، فأبوا ذلك واستصغروا سنه، وكان في التاسعة عشرة، ثم شافهم به إبراهيم فأطاعوه، وفي شهر شعبان من سنة ١٢٩ هـ نزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها فنين، فجمع حوله النقباء ورؤساء الشيعة وفرقهم في البلاد، وأمرهم أن يُظهروا الدعوة في الليلة الخامسة والعشرين من شهر رمضان في جميع الآفاق بيوم واحد، ومن خالفهم قاتلوه، وذلك بعد أن اعتقد ضعف خلفاء بني أمية ونفرة الناس منهم

وكثرة عدد الشيعة في الأقطار، فتفرّق أصحابه في طخارستان، ومرو، الروذ، والطالقان، وخوارزم، ثم انصرف هو [إلى] منزل قرية سفيدنج من قرى مرو في الليلة الثانية من رمضان، فبث الدعاة في الناس وأظهر أمره فأتاه أهل ستين قرية من قرى خراسان، وأمير خراسان نصر بن سيار مشغل في قتال جماعة خرجوا عليه، ولما كانت ليلة الخميس في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هـ، وهو اليوم الموعود المتفق عليه عقد أبو مسلم لواءً كان إبراهيم الإمام قد بعث به إليه يُدعى الظل على رمح طوله أربع عشرة ذراعاً ونشر راية تُدعى السحاب ولبس هو وأصحابه السواد، وأوقد النيران في الليل وكانت علامتهم، فاجتمعت إليه شيعته وقدمت عليه الرجال وكتب كتاباً إلى نصر بن سيار فوجّه إليه نصر جيشاً عليه مولاه يزيد، وعلم به أبو مسلم فسير إليه جيشاً عليه مالك بن الهيثم الخزاعي فتلاقيا بقرية تعرف بالين فأسر يزيد وانهزم من معه وجيء به إلى أبي مسلم فأحسن أبو مسلم إليه وعالجه حتى اندملت جراحه وخيرّه بين البقاء معهم أو الرجوع إلى نصر على أن يعاهدهم أنه لا يحاربهم ولا يكذب عليهم، بل يقول فيهم ما رأى فعاهده وعاد، فليّم أبو مسلم على تركه فقال: إن هذا سيردّ عنكم أهل الورع والصلاح فما نحن عندهم على دين الإسلام، وكان الأمر كذلك فإنهم كانوا يُرجفون بأنهم يعبدون الأوثان ويستحلون الدماء والأموال، فلما انصرف إليهم يزيد نفى عنهم ما يقال، وشهد فيهم بشهادة حسنة، ثم اجتمع الناس على قتال أبي مسلم فقاتلهم.

وفي سنة ١٣٠ هـ دخل مرو وهرب نصر بن سيار إلى سرخس وطوس ونيسابور وانتهى إلى ساوة من قرى الريّ فمرض فمات بها، وبعث أبو مسلم الرجال إلى الجهات حتى امتلك كل ولاية خراسان وسير الجيوش إلى الشام والعراق، وكان مروان بن محمد بن مروان قد عثر على كتاب من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم عرف فيه ما بينهما، فكتب إلى عامله بالبلقاء أن يوثق إبراهيم

ويرسله إليه فأتي به فحبسه مروان في حران، وأرسل إبراهيم إلى أهل بيته يأمرهم بإطاعة أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد وأن يرحلوا إلى الكوفة، فارتحل بهم أبو العباس، ولما علم مروان بما صنع أبو مسلم في خراسان أرسل إلى إبراهيم فقتله سنة ١٣٢هـ.

وفي هذه السنة عظم أمر أبي مسلم ووصل إلى الكوفة أبو العباس أخو إبراهيم فبويع بالخلافة جهراً، وأمر أبو العباس عبد الله بن علي أن يلحق مروان فقصده وقاتله بالزاب فانهمز مروان إلى بو صير كما قدمنا في الكلام عليه وتبعه عبد الله فقتله في بو صير.

وصفت الخلافة الإسلامية لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم فتتابع أبناء العباس على ما سيلي.

أبو العباس السفاح

ولد سنة ١٠٤هـ وتوفي سنة ١٣٦هـ

أصبح المُلْك بعد بني أمية ثابت الأساس لبني العباس وأولهم: أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد [الله] بن العباس عم النبي (ﷺ)، وذلك على ما بيناه في التمهيد السالف: تولّى بالكوفة سنة ١٣٢هـ بعد أن قتل مروان بن محمد آخر ملوك بني مروان، وكان أبو العباس هذا شديد العقوبة حازماً مفكراً، لم يأل جهداً في الانتقام من بني أمية، بل أخذ يقتل ويصلب ويحرق كل من ظفر به منهم حتى تشّت شملهم واختفت آثارهم ولم يسلم منهم غير الأطفال، ومن ذهب إلى الأندلس، ونش قبورهم فرأى معاوية بن أبي سفيان قد فني وابنه يزيد رماداً، وعبد الملك بن مروان لم يبق إلا جمجمته، ووجد هشام بن عبد الملك لا يزال عليه لحمه فأخرجه وصلبه وضربه بالسياط حتى تناثر لحمه، ثم أمر به فأحرق وذّر رماده في الفضاء، ولم ينفرد أبو العباس بعمله، بل كان جميع أمرائه وولاته الذين وجّههم إلى الأمصار يصنعون صنيعه لِمَا كان الأمويون قد جعلوه في قلوبهم من الأحقاد الكامنة؛ فإن عبد الله بن علي دعا من بني أمية تسعين رجلاً إلى الطعام فلما كانوا عنده أنشده شبل بن عبد الله مولى بني هاشم أبياتاً حرّضه بها على قتلهم وذكره بما صنعوا فثارت ضغينته وأمر بهم فضرّبوا بالعمد، وبُسِطت عليهم الانطاع فجلس هو وأصحابه عليهم يأكلون وهم يسمعون أنيهم من تحتهم حتى ماتوا جميعاً.

وسليمان بن علي بن عبد الله بن عباس قتل منهم بالبصرة جمعاً وافراً وألقاهم للكلاب فأكلتهم، وامتدت إليهم الأيدي من كل ناحية وصوب حتى فني أكثرهم، ونجا من فرّ إلى الأندلس حيث أسست الدولة الأموية الثانية هنالك وستكلم في الفصل الآتي على رجالها.

وُلِّقَ أبو العباس «السفاح» لكثرة ما سفح من دماء بني أمية، وبني في الأنبار مدينة سماها «الهاشمية» وجمعها مقر خلافته، واتخذ الوزراء، وهو أول من أحدث الوزارة في الإسلام، فإن الأمويين لم يكن لهم من يطلقون عليه هذا [الاسم]، وإنما كانوا يقرَّبون منهم رجالاً يستشيرونهم في بعض شؤونهم ويعولون على آرائهم.

وكان السفاح من أسخى الناس يدًا لا يعد وعدًا ويؤخره عن وقته، وهو أول خليفة في الإسلام وصل بمبلغ مليوني درهم، وكان يلبس خاتمه باليمين، وذلك أن رسول الله (ﷺ) كان يتختم في يمينه، وكذلك الخلفاء بعده، ولما ولي معاوية جعله في يساره واقتدت به بنو أمية فلما استولى السفاح أعاده إلى اليمين وتابعه الكثيرون، وبقي يُستعمل في اليمين حتى كانت أيام الرشيد فنقله إلى اليسار وتبعته الناس حتى الآن، وكان فصيحًا متأدبًا.

ومن كلامه: «لأعملنَّ اللين حتى لا ينفع إلا الشدة، ولأُكرمنَّ الخاصة ما أمِنتُهُم على العامة، ولأُغمدنَّ سيفي حتى يسلَّ الحق ولأُعطين حتى لا أرى للعطية موضعًا».

- «ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا، وأولياؤنا خالون من حسن آثارنا»

- «إذا عظمت القدرة قلَّت الشهوة».

مرض بالجدري وهو شاب في الثانية والثلاثين من عمره، ومات بالأنبار فدفن بها وقد عهد بالخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور، وكانت في أيامه ثورات فمنعها بالقوة وشدة الجدة ونشاط فتوة المُلْك.

أبو جعفر المنصور

ولد سنة ٩٥هـ وتوفي سنة ١٥٨هـ

قال صاعد الأندلسي في طبقات الأمم: «أول من عُني بالعلوم من ملوك العرب الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، فكان مع براعته في الفقه، وتقدمه في علم الفلسفة، وخاصة في علم صناعة النجوم كلفاً بها وبأهلها»، وكان مولده بالشرأة (كما في المعارف)، وولي الخلافة بعد أخيه السفاح، ببيع يوم وفاته وهو بطريق مكة آتياً من الحج (سنة ١٣٦هـ)، فقدم عليه أبو مسلم الخراساني وكان السفاح قد ولّاه على خراسان، فلما ولي المنصور كان حاقداً على أبي مسلم خائفاً من شره لما رآه من ميل الناس إليه والتفافهم حوله، فاستدعاه، فامتنع أبو مسلم ثم أطاع، وجاء المدائن مخدوعاً يحسب أن المنصور سيحبوه ويكرمه، فلما تمكن منه أبو جعفر قتله شر قتلة (انظر ترجمة أبي مسلم)، وذلك عام ١٣٧هـ، وهو لعمر الله بئس الجزاء جزئ به آل عباس، مشيد دولتهم، ورافع لوائهم ومؤسس ملكهم، ولكن رحم الله المتنبئ إذ يقول:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم!

وكان أبو جعفر يُتهم بالبخل لحرصه ولأنه لم يكن يضع الأموال في غير موضعها، ولا يبذلها إلا في منفعته، فجمع مالاً وفيراً، وكانت في أيامه أمور كثيرة لا علاقة لها بموضوع كتابنا هذا؛ لأنه لا يُكتب فيه إلا ما يتعلق بترجمة صاحب الترجمة وأما ما كان في زمنه من الأحداث والخطوب فمرجعها كتب الأخبار وتواريخ الأعصار.

وهو باني بغداد، بدأ ببنائها سنة ١٤٥هـ لجعلها مقر الملكة بدلاً من «الهاشمية» التي لم تكن من الحصانة على ما يروم، وفي عصره شرع العرب يطلبون علوم

اليونان والفرس ويترجمونها إلى العربية، وفي زمنه عُمِلَ أول اسطرلاب في الإسلام صنعه محمد بن إبراهيم الفزاري، وكان أبو جعفر بعيداً عن اللهو والعبث كثير الجدِّ والتفكير في الأمور، وله تواقيع هي غاية في البلاغة منها:

- أن رجلاً رفع إليه شكايّة على بعض عمّاله فوقَّع فيها العامل: «اكفني أمره وإلا كفيتَه أمرك»، ووقَّع إلى عامل آخر: «قد كثر شاكوك، وقَلَّ شاكروك فإما اعتدلت، وإما اعتزلت».

- وكتب إليه سوار بن عبد الله القاضي: «إنَّ عندنا رجلاً شديد الترفض يُدعى السيد الحميري» فوقَّع في كتابه: «إنا بعثناك قاضياً لا ساعياً!».

- ووقَّع في كتاب بليغ استمache: «إن البلاغة والغنى إذا اجتمعا في رجل أطغياه، وقد رُزقتَ إحداهما، فاكتف بها واقتصر عليها»، ورُفِعَ إليه في بناء مسجده فوقَّع: «إن من أشراط الساعة أن تكثر المساجد فزد في خُطاك يُرَدُّ في أجرك».

- وأوصى ابنه المهديّ قبل وفاته فقال:

«لقد جمعتُ لك من الأموال ما إن كُسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لإرزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث، فإياك والأثرة والتبذير بأموال الرعية، واشحن الثغور، واضبط الأطراف، وأمن السبل العامّة، وأدخل المرافق عليهم، وادفع المكاره عنهم، وأعدّ الأموال واخزنها فإنَّ النوائب غير مأمونة، وهي من شيم الزمان، وأعدّ الكراع والرجال والجند ما استطعت، وإياك وتأخير عمل اليوم إلى الغد فتتدارك عليك الأمور وتضيع، وأعدّ رجلاً في الليل لمعرفة ما يكون في النهار، ورجلاً في النهار لمعرفة ما يكون في الليل، وباشر الأمور بنفسك، ولا تضجر ولا تكسل، واستعمل حُسن الظنّ، وأسئ الظنّ بعَمّالك وكتّابك، وخذ نفسك بالتيقظ».

وفي سنة ١٥٨ هـ أراد المنصور الحج فسار فلما كان في الكوفة مرض فمات ببئر ميمون من أرض مكة المكرمة.

قال القلقشندي: ودُفن بالحجون، وكانت مدة خلافته اثنين وعشرين عاماً.

هارون الرشيد

ولد سنة ١٢٦هـ وتوفي سنة ١٩٣هـ

مات أبو جعفر المنصور وتولى من بعده بعهد ابنه أبو عبد الله محمد المهدي فكانت خلافته عشر سنين لم يأت فيهن بعمل يدل على ما يجعلنا نلّمزه في قرن مع عظماء الرجال، وكان مولده سنة ١٢٦هـ وخلافته سنة ١٥٨هـ وموته سنة ١٦٩هـ بما سبذان.

* وبعد المهدي تولى ابنه الهادي موسى بن محمد المهدي، وكان ضعيفاً فاستبدت الخيزران بالأمر فلم يشعر إلا والقواد والرؤساء يغدون ويروحون إلى بابها فنهاها عن الدخول في شؤونها وقال لها: ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك، إياك أن تفتحي بابك لمسلم، أو ذمي فإني ضارب عنقه وقابض ماله، فانصرفت وهي مغضبة وأمرت جواريتها أن يقتلنه: فجلس على وجهه وهو نائم فمات، وكان مولد سنة ١٤٤هـ وخلافته سنة ١٦٩هـ وموته سنة ١٧٠هـ وليس بذي بال. أما الرجل الذي امتلأت بأحاديثه صحائف الأخبار وشُحنت بآثار سفائن الآثار فهو صاحب هذه الترجمة:

أبو جعفر هارون الرشيد بن المهدي محمد بن المنصور: خامس الخلفاء العباسيين وأشهرهم على الإطلاق، خدم العلم وقرب العلماء من مجالسه رافعاً من شأنهم وموسعاً عليهم في العطاء، وكان عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً مقداماً كثير الغزوات، حازماً كريماً متواضعاً لأولي العلم والفضل، وكان يحج سنة، ويغزو سنة حتى قال فيه بعضهم:

فمن يطلب لقاءك أو يُردّه ففي الحرمين أو أقصى الثغور

ولي قبل الخلافة أعمالاً لأبيه وأخيه، وغزا الروم في القسطنطينية فصالحته الملكة إيريني (Irene: marte en803)، على أن تفتدي منه المملكة الرومانية بسبعين ألف دينار تدفعها إليه في كل عام، ولما بويغ بالخلافة وله من العمر أربع وعشرون سنة قام بأعباء الملك أحسن قيام وتشبه في أفعاله بالمنصور [إلا] في بذل المال؛ فإنه لم يُر خليفة أجود من الرشيد، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن ولا يُؤخر، وكان يحب الشعر والشعراء ويجزل لهم العطاء، وكانت دولته من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والكتّاب والندماء ما اجتمع على بابه.

جاءته البيعة ليلة وفاة أخيه الهادي وفي تلك الليلة وُلد ابنه المأمون؛ فكانت ليلةً، وُلد فيها خليفة، ووُلِّي خليفة، ومات خليفة.

وكانت بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير المُلقب بشارلمان (bharlemagne: 742-814) صلةً موثقة العرى، وكثيراً ما كان الرشيد يتحفه بالهدايا، ومن جملة ما أهداه ساعة شمسية دقيقة، وشطرنج ثمين، وأرسل إليه مفاتيح كنيسة القمامة في القدس مع أمر لنوابه بأن يعاملوا زائري الأراضي المقدسة أحسن معاملة.

وكان الرشيد يطوف في أكثر الليالي مستتراً باللبسة العامة في أسواق بغداد وشوارعها فيعلم من أمر رعيته ما خفي عنه من ظالم يزرجه أو مظلوم ينصره أو عالم يقربه، وهو أول خليفة عربي لعب الكرة والصولجان، وهو صاحب وقعة البرامكة وكانوا طائفة فارسية الأصل استولت على المُلك إدارته وسياسته وماله ورجاله، فخاف الرشيد بادرة تبدر منهم نحوه ففتك بهم تلك الفتكة الهائلة فقتل بعضهم وشرّد بعضاً وسجن آخرين في ليلة واحدة لم يتمكنوا بها من أقل حركة يقومون بها على قوّتهم وتصرفهم في الدولة والأعمال والأموال، وذلك سنة ١٨٧هـ، وسيأتي الكلام عليهم أيضاً في أخبارهم.

وكان الخراج يُحمل إليه من القسطنطينية منذ غزاها في أيام أبيه؛ فلما كانت سنة ١٨٧ هـ خلع الرومانيون ملكتهم «إيريني» وولوا عليهم ملكاً يدعى نيقيفور، فكتب «نيقيفور» إلى الرشيد كتاباً ترجمته: «من نيقيفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد؛ فإن الملكة إيريني حملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بأن تحمل أضعافه إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهنّ فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما أخذت وإلا فالسيف بيننا وبينك»، فقرأ الرشيد الكتاب فغضب وأجابه على ظهر كتابه: «من هارون أمير المؤمنين إلى نيقيفور كلب الروم؛ قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه»، وجَهَز جيشاً جزاراً وسار يحرق المدن ويدمر المعازل حتى قرب من القسطنطينية فارتاع ملك الروم وألقى السلاح فضرب عليه الرشيد الجزية وعاد فلم يبلغ بغداد حتى بلغه أن نيقيفور نكث عهده، فرجع إليه ولم يبال ببرد تلك البلاد وثلجها فدمّر وأضرب حتى بلغ البوسفور فتدلل نيقيفور له فصطح عنه ثم أخلف، وغدر ثالثةً فضربه الرشيد ضربة كادت تكون قاضية قُتل بها من جيش الروم أربعون ألفاً في وقعة واحدة، وجُرح نيقيفور، فانتهب الرشيد ماله وسلاحه ثم جعل عليهم مالاّ يبعثون به في كل سنة فأتاعوا وأقبل الرشيد على بغداد ظافراً قاهراً.

وأخبار الرشيد مع الأدباء والشعراء كثيرة تجدها في مظانها من كتب الأدب وله كلم مأثورة منها:

إِيَّاكَ والدَالَّةُ فَإِنهَا تُفْسِدُ الحِزْمَةَ، وَقَالَ يَوْمًا لَبْنِيهِ: مَا ضَرَّ أَحَدَكُمْ لَوْ تَعَلَّمَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا يُصْلِحُ بِهِ لِسَانَهُ، أَيْسُرُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ لِسَانُهُ كَلِسَانِ عَبْدِهِ وَأَمَّتِيهِ؟ وَسَأَلَ جَلَسَاءَهُ: مَنْ أَرْغَدَ النَّاسَ عَيْشًا؟ قَالُوا: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لَهُمْ: كَلَّا، إِنَّ لَأَعْوَادِ الْمَنَابِرِ لِهَيْبَةً، وَإِنَّ لَقَعْقَعَةِ اللَّجْمِ لَفَزْعَةً، وَإِنْ أَهْنَى النَّاسَ عَيْشًا رَجُلٌ لَهُ دَارٌ يَسْكُنُهَا، وَزَوْجَةٌ يَأْوِي إِلَيْهَا، فِي كِفَافٍ مِنَ الْعَيْشِ، لَا يَعْرِفُنَا وَلَا نَعْرِفُهُ؛ فَإِنْ مِنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَا، أَفْسَدْنَا عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ!

وكان قد أرسل رافع بن الليث عاملاً على خراسان فلما اطمأن بها خلع الطاعة وأظهر العصيان وتبعه كثيرون فأغار على مدينة سمرقند فملكها وقتل عاملها فبلغ الرشيد ذلك فأغضبه فركب في عسكر ضخيم فمرض في الطريق ولما وصل إلى مدينة طوس من أعمال خراسان مات بها فدفن هناك، وأوصى بالخلافة من بعده لأبنائه الأمين، ثم المأمون ثم المؤمن، ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة، وكانت عاصمة ملكه بغداد.

ولما توفي الرشيد بطرس بايع الناس ابنه محمدًا الأمين وهو ببغداد سنة ١٩٣هـ، وكان ضعيف الرأي منهمكًا بالملذات والشهوات وحسن له بعض وزرائه خلع المأمون أخيه من ولاية العهد وتولية ابنه موسى وفي سنة ١٩٤هـ أمر بالدعاء على المنابر لابنه موسى وإبطال الدعاء للمأمون، وكان المأمون بمرور فغاضه ما صنع أخوه وجاءته رسالة من الأمين يدعوه بها إلى المسير إليه فاستشار المأمون أخصاءه فحذروه شرَّ الذهاب، فرجع الرسول بخبر امتناعه، فجيش الأمين جيشًا أراد توجيهه إلى مرو لقتال المأمون وكانت للمأمون عيون ببغداد تأتيه بأخبار الأمين فلما جاءه النبأ جهز جيشًا ممن كانوا قد انضموا إليه بعد إعلان العصيان على أخيه، وسير به بقيادة طاهر بن الحسين؛ فالتقى الجيشان بقرب الري فانهمز جيش الأمين وقتل قائده على بن عيسى بن ماهان، وسار طاهر بن الحسين حتى بلغ بغداد فحاصرها ثم افتتحها، وفرَّ الأمين فقبض عليه بعض جنود طاهر فقتلوه وأخذوا إليه رأسه فبعث به إلى المأمون، وابتدأت خلافة المأمون على ما سيأتي، وكان مولد الأمين سنة ١٧٠هـ وتولى الخلافة سنة ١٩٣هـ، وقتل سنة ١٩٨هـ.

المأمون

ولد سنة ١٧٠هـ وتوفي سنة ٢١٨هـ

سعدت الدولة الإسلامية في أزمان رجال كانوا خير من أخرجتهم بطون الأمهات، ظفرت بهم الأمة برافعي شأنها ومشيدّي ذكرها، ومؤسسي مجدها، وكان من الطراز الأول فيهم صاحب هذه الصحيفة الذي كان قسارى الملوك من بعده أن يتشبهوا به ويتخذوه قدوة في إحياء دارس المعارف ونشر لواء العلوم وإكرام النابغين بما ينشط المشتغلين بالدرس المنقطعين إلى البحث والتنقيب والتأليف والتصنيف على متابعة السير في ذلك السبيل الحميد والمنهج الرشيد.

قال صاعد الأندلسي في طبقات الأمم: لما أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع - من الخلفاء العباسيين - عبد الله المأمون بن هارون الرشيد بن محمد المهديّ ابن أبي جعفر المنصور تم ما بدأ به جده المنصور، فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخراجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطيرة وسألهم بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس، وغيرهم من الفلاسفة، فاستخار لها مَهَرَة الترجمة، وكلّفهم إحكام ترجمتها، فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حضّ الناس على قراءتها، ورغّبهم في تعلمها، فنفتت سوق العلم في زمانه، وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولو النباهة في العلوم، لما كانوا يرون من إحضائه لمتحليها، واختصاصه لمتقليديها، فكان يخلو بهم، ويأنس بمناظرتهم، ويلتذ بمذاكرتهم، فينالون عنده المنازل الرفيعة، والمراتب السنية، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتعلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب، فأتقن جماعة من ذوي الفنون والتعلم في أيامه كثيرًا من أجزاء

الفلسفة، وسنوا لمن بعدهم منهاج الطب، ومهدوا أصول الأدب، حتى كادت الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومانية أيام اكتمالها، وزمان اجتماع شملها..

تولى أبو العباس المأمون الخلافة سنة ١٩٨ هـ وصفت له بعد مقتل أخيه الأمين عشرين سنة خدم بها الأمة الإسلامية والعالم العربي خدمة لا تُنسَى على وجه الدهر، وكان أفضل بني العباس على الإطلاق، وأكثرهم حزمًا وفطنة واعتناءً بنشر العلوم والاشتغال في الفنون، وأطلق في أيامه حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، ونشر الأمان لكل بائع برأته مُعلن لمذهبه وإن خالف الجمهور أو كُفر أو زندق فكانت بغداد في أيامه أشبه بمدينة راقية من بلاد الغرب اليوم تُقام فيها الاجتماعات لخوض المباحث المختلفة دون مسيطر أو رقيب، وعلى ذلك آخذه أُمّام الحرمين الجويني، قال في كتابه: «غياث الأُمم»:

«وقد اتفق للمأمون وكان من أنجد الخلفاء وأقصدهم خطةً ظهرت هفوته فيها وعُسّر على من بعده تلافيها؛ فإنه رأى تقرير كل ذي مذهب على رأيه فنبغ النابغون وزاغ الزائغون وتفاقم الأمر وتطوّق خطبًا هائلًا وانتهى زلله وخطله؟ إلى أن سوّغ للمعطّلة أن يُطهروا آرائهم، ورتب مترجمين ليردوا كتب الأوائل إلى لسان العرب وهلمّ جرّا إلى أحوال يقصر الوصف عن أدناها ولو قلت إنه مطالب بمغبات البدع والضلالات في الموقف الأهل في العرصات لم أكن مجازفًا».

وقد جُمعت أخبار المأمون في مجلد كامل (صفحاته ٣٨٤) من تاريخ بغداد لأبي الفضل طيفور (انظر ترجمته والكلام على تاريخه)، قال طيفور: وكان المأمون قد همّ بلعن معاوية وأن يكتب بذلك كتابًا فثناه عن ذلك يحيى بن أكنم قائلاً: يا أمير المؤمنين، إن العامة لا تحتمل هذا، ولا سيما أهل خراسان ولا تأمن أن تكون لهم نفرة وإن كانت لم تدر ما عاقبتها، والرأي أن تدع الناس

على ما هم عليه ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق فإن ذلك أصلح في السياسة وأحرى في التدبير، فرجع المأمون عن رأيه.

وكان شعار العباسيين السواد فأراد المأمون أن يستبدله بشعار العلويين وهو الأخضر فأمر قواده وخاصته أن يخلعوا الثياب السود ويلبسوا ثياباً خضراً ففعلوا فخاطبه بنو العباس وقواد خراسان في الأمر فخاف الفتنة فعاد إلى شعار آبائه، وكان مؤلماً بالصفح محباً للعفو حباً عجيباً حتى إنه ربما ضُرب به المثل فيه ومن كلامه:

لو علم المذنبون ما أجد في العفو من اللذة لتقربوا إليّ بالذنوب دون رهبة، وفي شرح النهج أنّ أحد كتّاب المأمون أذنب ذنباً فتقدم ليحتج لنفسه ويعتذر، فقال له المأمون: يا هذا قف مكانك، فإنما هو عذر أو يمين، وقد وهبتهما لك، وقد تكرر منك ذلك، فلا تزال تسيء ونحسّن، وتذنب ونغفر، حتى يكون العفو هو الذي يصلحك.

وقد نقلت بعض أخباره في العفو في كتابي «الصّيب المثل في شرح أرجوزة الأمثال» فارجع إليه إن شئت، وله كلم رائعة يؤثّر عنه منها قوله:

- لله در القلم كيف يحوك وشي المملكة، إنما تطلب الدنيا لتُملك فإذا مُلكت فلتوهب.

- الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد.

- النساء شرّ كلهنّ ومن شرّ ما فيهنّ قلة الاستغناء عنهنّ.

- الناس أربعة: ذو سيادة أو صناعة أو تجارة أو زراعة فمن لم يكن منهم كان عيالاً عليهم.

- النميّة لا تقرب مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جدّدتها ولا جماعة إلا بددتها ثم لا بد لمن عُرف بها ونُسب إليها أن يُجتنب ويُخاف من معرفته ولا يُوثّق بمكانه.

وله تواقيع تدلّ على مقدرة وإبداع منها ما وقّع به إلى الرستمي أحد عمّاله وقد تظلم منه غريم له: «ليس من المرءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة وجارك طاوٍ، وغريمك عاوٍ».

وتوقيعه إلى حميد بن قحطبة من عماله أيضًا في قصة متظلم منه: «يا أبا حامد لا تتكل على حسن رأيي فيك فإنك، وأحد رعيتي عندي في الحق سواء»، وفي قصة متظلم من علي بن هشام: «يا أبا الحسين الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر أيّ الرجلين أنت؟».

ورفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم فوقّع فيها: «نحن أولى بضيافة الجراد من أهل السواد فليحطّ عنهم نصف الخراج»، وجاءته قصة يتظلم كاتبها من عمرو بن مسعدة أحد كتّاب المأمون وخاصته فوقّع بها: «يا عمرو عمّر نعمتك بالعدل فإن الجور يهدمها».

وتظلم رجل من أبي عيسى وهو أخو المأمون فوقّع في قضيته: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١)، وأخبره مع أهل الأدب والظرف والعلم والشعر كثيرة لا مجال هنا للإلمام بها، وله شعر رقيق منه قوله:

لساني كتوم لأسراركم ودمعي نُموم لسري مُذيعُ
فلولا دموعي كتمتُ الهوى ولوا الهوى لم تكن لي دموعُ

وفي سنة ٢١٨هـ مرض فخلع أخاه المؤتمن من ولاية العهد وأخذ البيعة لأخيه أبي إسحق المعتصم ومات (رحمته الله) بطرسوس فدفن بها في دار خاقان خادم الرشيد.

المعتصم بالله

ولد سنة ١٧٩هـ وتوفي سنة ٢٢٧هـ

لم يكن أبو إسحق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي من حَمَلَة العلم أو ناشري لواء العرفان، ولكنه اشتهر في ملوك بني العباس بما أحرزه من قوة البأس والشجاعة والإقدام فقد كان خارقة زمنه في قوة الساعد ومتانة الأضلاع، يكسر زناد الرجل بين إصبعيه، ويحمل عشرة قناطير، ولا تعمل في جسمه الأسنان، وكان في صغره يكره التعلُّم وضعه والده الرشيد مع مملوك له صغير عند أحد المؤدبين فمات مملوكه فلما رأى أباه تأوّه فجعل أبوه يسّليه عن المملوك وهو يحسب أنه حزين عليه فقال: لا يا أبي أنا لا أتأوّه لموته، ولكني سُررت له لأنه استراح من التعليم! فعلم أبوه أنه لن يكون من رجال العلم فأعفاه منه فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أميًا.

وهو فاتح عمورية من بلاد الروم في غلاطية، وذلك أنه كان في أحد أيام سنة ٢٢٣هـ جالسًا يتناول كأسًا من الشراب، وإذا برجل دخل عليه فحدثه أن امرأة هاشمية سبها أحد ملوك الروم ووضعها في عمورية فلطمها يومًا فصاحت: وامعتصماه! فهزئ بها الرومي وقال: دعيه يأتي على فرس أبلق، فنهض المعتصم فختم الكأس وقال: والله لأشربته إلا بعد إطلاقها والتفريح عنها، ونادى رجاله أن يركبوا الخيول البُلُق فسار في سبعين ألف فارس حتى بلغ عمورية فحاصرها ثم هدمها ودخل على الأسيرة وهو يقول: لبيك لبيك، ثم ضرب عنق الرومي بيده ودعا بالكأس ففك ختامها وشربها.

وهو باني مدينة سامراء حين ضاقت بغداد بجنده فخطّطها وأمرهم بسكنائها فدُعيت «سُرْمَن رأى» ثم حُرِّف فقالوا: «سامراء، وسامرا، وسرْمَن را، وسرْمَن راء» - راجع معجم البلدان.

ولقبه بعض المؤرخين «بالمثمن»؛ لأنه ولي سنة ٢١٨ هـ وتوفي ثامن عشر رمضان، وعمره ثمان وأربعون سنة، وهو ثامن الخلفاء من بني العباس، وفتح ثمانية فتوح، واستخلف ثماني سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وخلف ثمانية بنين وثمانين بنات، وخلف من الذهب ثمانين مليون دينار ومن الدراهم مئة وثمانين مليوناً، ومن الخيل ثمانين ألف فرس، ومن الممالك ثمانية آلاف، ومن الجواري ثمانية آلاف جارية، وبني ثمانية قصور؛ وقد ذكر هذا الاتفاق في كثير من مصنفات التاريخ وهو إن صح من غريب الموافقات.

وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى فقليل: المعتصم بالله، وكانت وفاته بسامراء ودفن بها، ومن كلامه:

إذا نصر الهوى بطل الرأي، وذكر التيه عنده فقال: حظ صاحبه من الله المقت ومن الناس اللعن، ولما احتضر قال: ذهبت الحيلة، وذكرها حتى صمت، وكان موصوفاً بلين العريكة وطيب الأخلاق، عهد بالخلافة إلى ابنه الواصل بالله.

ولما مات ولي ابنه أبو جعفر الواصل بالله واسمه هارون بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد وكان كريماً أديباً، أصيب بعللة الاستسقاء فمات بها: مولده سنة ٢٠٠ هـ وخلافته سنة ٢٢٧ هـ ووفاته سنة ٢٣٢ هـ، وكانت في زمنه أمور غير ذات بال فهو غير جدير بالترجمة الواسعة.

ومثله أخوه المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ولد سنة ٢٠٦ هـ وبويع بعد وفاة أخيه الواصل سنة ٢٣٢ هـ وقُتل سنة ٢٤٧ هـ طالت مدته فلم يحدث بها ما يجعله في طبقة عظماء الملوك ولكنه كان يحب العمران فبنى «المتوكلية» وأنفق عليها أموالاً كثيرة، وأراد نقل العاصمة العباسية من بغداد إلى دمشق، فأقام بها شهرين وأياماً فلم يطب له مناخها فعاد إلى سامراء، وكان يلبس في زمن الورد الثياب الحمر ويأمر بالفُرُش الحمر، ولا يرى الورد إلا في مجلسه، وكان يقول:

أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكلُّ منا أولى بصاحبه.

وكثر الزلازل في أيامه فخرّت أماكن كثيرة فعمر بعضها.

وقتل غلام تركي اسمه باغر بإيعاز من ابنه المنتصر، فدفن في سامراء.

وولي بعده ابنه **المستنصر بالله** أبو جعفر محمد بن المتوكل على الله بن المعتصم: مولده سنة ٢٢٣هـ وخلافته بعد أبيه المتوكل سنة ٢٤٧هـ ومات بسامراء سنة ٢٤٨هـ، لم تطل مدته غير ستة أشهر، وكان حليماً عاقلاً غزير المعروف راغباً في الخير إلا أنه قويت في أيامه سلطة الغلمان فحرضوه على خلع أخويه المعتز والمؤيد وكانا ولي عهده فخلعهما وأهانهما فعاش شهراً.

وقيل: مات مسموماً بمبضع أحد أطبائه، توفي بسامراء ومولده بها، قال ابن الأثير: وهو أول خليفة من بني العباس عُرف قبره، وذلك أن أمه طلبت إظهار قبره، وكانوا لا يحفلون بقبور موتاهم.

وكان قواد الأتراك قد تحكّموا بالدولة والأموال فلم يرق لهم أن يجعلوا الخلافة في أبناء المتوكل وهم قاتلوه، فلما مات المستنصر اتفقوا على مبايعة أحمد بن محمد بن المعتصم ولقبوه **المستعين بالله** فولوه الخلافة فلم يكن له منها غير اسمه وكثرت فتن الغلمان المتسلطين في زمانه، وكان مولده بسامراء سنة ٢٢١هـ، وولي الخلافة الموهومة سنة ٢٤٨هـ ونقم عليه قواده الأتراك فخلعوه سنة ٢٥٢هـ، ثم قتلوه في هذه السنة بواسط.

وبايعوا بعده **المعتز بالله** بن المتوكل وكان في سجن المستعين فأخرجوه وولوه سنة ٢٥٢هـ ومولده سنة ٢٣١هـ فلم يكن له من الملك إلا الزخرف الباطل، ولبت وليس في يده عقد ولا حلّ إلى سنة ٢٥٥هـ فجاءوه فطلبوا مالاً لا يملكه المعتز فانزلوا مقداره إلى خمسين ألف دينار، وكانت أم المعتز قد قبضت على أمواله فسألها أن تعطيه ما يرضيهم فامتنعت فدخلوا عليه فضربوه، فخلع

نفسه فسَلَّموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام، وذلك سنة ٢٥٥هـ، وكان فصيحاً وله خطبة ذكرها ابن الأثير في حوادث هذه السنة.

وفي اليوم الثاني من خلع المعتز أسندوا منصب الخلافة إلى محمد ابن الواثق ولقبوه **المهتدي بالله** وكان يكنى أبا عبد الله، فلم يقبل بيعته أحد فأُتي بالمعتز فخلع نفسه أمام الناس وأقر بالعجز عما أُسند إليه، وبالرغبة في تسليمها إلى ابن الواثق فبايعه الخاصة والعامة: مولده في القاطول سنة ٢٢٢هـ، وخلافته سنة ٢٥٥هـ، فكان كأسلافه وأقرب الخلفاء عهداً منه، ولكنه أخذته في آخر أيامه حَمِيَّةُ القويِّ المستضعف فخرج لقتال جمع من الأتراك كان قد أعلن العصيان فلما تقابل الفريقان خانته من كان معه من الأتراك، وانضموا إلى أصحابهم فبقي المهتدي وحده وتخلَّى عنه أنصاره فولَّى منهزماً وبيده السيف وهو ينادي يا معشر المسلمين أنا أمير المؤمنين قاتلوا عن خليفتم فلم يجبه أحد من العامة، وأصيب بطعنة فمات على أثرها سنة ٢٥٦هـ في بغداد ومدة خلافته أحد عشر شهراً ونصف، وكان محمود السيرة يأخذ أخذ عمر بن عبد العزيز في الصلاح وإطراح الملاهي وتحريم الغناء والشراب على نفسه ومنع أصحابه وخاصته عن الظلم ومن كلامه:

عاون على الخير تسلم ولا تؤخره تندم.

وقبل قتل المهتدي بيومين بويع بالخلافة أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل، وكان محبوباً بالجوسق في سامراء فأطلقت الأتراك سراحه وبايعوه ولقبوه **المعتمد على الله** فاستولى على مراسم الخلافة وزخارف الإمارة وهو يعتقد أنه سيدخلها ويخرج منها، لا عليه ولا له، آلة تديرها قوة فتدار، مولده سنة ٢٢٩هـ وخلافته سنة ٢٥٦هـ وطالت أيام ملكه وظهر فيه الضعف والعجز عن إدارة الشؤون والتفكير في الأمور فاتجه أخوه أبو أحمد الموفق بالله وأعانه على

بعض العصاة وكُفَّت يد المعتمد عن كل قول وعمل، حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاث مئة دينار فلم ينلها، فقال في ذلك:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ مِمْتَنَعاً عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تُحْمَلُ الأموال طراً ويُمنع بعض ما يُجْبَى إليه
وكان الخلفاء من قبله يقيمون في سامراء فانتقل المعتمد منها إلى بغداد، ولم يعد إليها أحد من بعده، وكانت في أيامه شؤون وشجون تجد الكلام عليها في تصانيف الأخبار.

ومات المعتمد سنة ٢٧٩هـ ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر، ومات أخوه الموفق في السنة التي قبلها، وكانت ولاية العهد للمعتضد الآتي خبره.

المعتضد بالله

ولد سنة ٢٤٢هـ وتوفي سنة ٢٨٩هـ

مضى الكلام فيما أسلفنا على عدد كثير من خلفاء بني العباس لم يكونوا من نباهة الذكر وجلالة القدر وارتفاع الشأن بحيث يُقرنون مع أسلافهم الأولين كالمنصور والرشيد والمأمون، وجاء في عَرَض كلامنا إشارات واضحة إلى أن أولئك الخلفاء كانوا موثقين عن العمل غير مُطلقين، ومسيرين غير مخيرين، لعبت بهم طوائف الغلمان والمماليك حتى استولت على عقولهم ثم على أموالهم وانتهت إلى التحكم بهم واجتياز تدبير المملكة دونهم فإذا المال في خزائنهم، والرجال طوع أيديهم، والبلاد منقادة لهم فاستراح ضعفاء الخلفاء، بحيث يتعب العظماء، واستمر الأمر جاريًا في منهاجه حتى قضى على هذه

الدولة العباسية بعجز ملوكها وخَوَر عزائمهم وهو الذي قَوَّض بعد ذلك أركانها وهَدَمَ بنيانها وزلزل سلطانها وفرَّق أعوانها، وكان حَسْبُ الرجل العظيم منهم أن يستميل بعض أولئك الدخلاء إليه ويجعل لكلمته بعض النفوذ ولقوته بعض التأثير كما كان شأن صاحب هذه الترجمة وأبيه من قبله وإليك طرفاً من حديثهما:

لما تولى المعتمد (سنة ٢٥٦هـ) وهو الخليفة المتقدم ذكره أراد أن ينهض بأعباء المُلْك فأثقلته فلجأ إلى أخيه أبي أحمد طلحة بن المتوكل فعهد إليه بالخلافة ولَقَّبَه الموفق بالله واستعان به على أعدائه فكان الموفق من كبار الرجال صدَّ عن أخيه المعتمد غارات الطامعين بملكه، ولكنه اختص بأمور المملكة نفسه وحجر على المعتمد حتى كان يتمنى الشيء اليسير فلا يناله، وكان الموفق شجاعاً كثير الحروب موفقاً في جميع أعماله، عادلاً حسن السيرة يجلس للمظالم وعنده القضاة وغيرهم فينتصف الناس بعضهم من بعض، وهو عالم بالأدب والنسب والفقه وسياسة الملك وأخباره مستطابة (راجع الكامل ج٧)، ولم تخدم الموفق السعادة فيتولى الخلافة اسماً كما تولاها فعلاً فإنه توفي في أيام أخيه المعتمد بعلة النقرس سنة ٢٧٨هـ وودفن ببغداد، ولما مات الموفق بايع القواد بولاية العهد بعد المفوض [إلى الله] بن المعتمد للمعتضد بالله أحمد ابن الموفق.

وفي مبدأ سنة ٢٧٩هـ خلع المعتمد على الله ابنه جعفر الملقب بالمفوض إلى الله من ولاية العهد وعهد بالخلافة من بعده للمعتضد ابن أخيه الموفق، فأسقط اسم المفوض من السكة والخطبة وأثبت اسم المعتضد وهو صاحب هذه الترجمة:

أبو العباس المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق بالله طلحة بن المتوكل: ولد ببغداد ونشأ بها، فكان عَضُد أبيه الموفق وساعده في حياته أيام خلافة

المعتمد وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو في سن الشباب ويبيع بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد سنة ٢٧٩هـ: فحلَّ عن بني العباس عقدة المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين، ثم جعل يتوجه بنفسه إلى المفسدين في البلاد وأصحاب الشغب فيجمع نائرتهم ويفرق عصبتهم ويعود ظافراً فاخراً. قال ابن الأثير: «وكان المعتمد شهماً شجاعاً مقداماً، وكان ذا عزم مهيباً عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن الظلم خوفاً منه».

وكانوا يقولون: قامت الدولة بأبي العباس وجُدِّدت بأبي العباس، يريدون بالأول السفاح وبالثاني المعتضد، قال ابن الرومي:

هنيئاً بني العباس أنَّ إمامكم إمام الهدى والجود والناس أحمدُ
كما بأبي العباس أنشئ مُلكُكم كذا بأبي العباس أيضاً يُجَدِّدُ

وكان المعتضد عارفاً بالأدب والشعر، قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١، ص ٢٠٣ من طبعة باريس): «كان أبو بكر المعروف بابن العلاف النهرواني الشاعر ينادم الإمام المعتضد بالله قال: بت ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائهم فأتانا خادم ليلاً فقال: أمير المؤمنين يقول: أرقَّت الليلة بعد انصرافكم فقلت:

ولما انتبهنا للخيال الذي سرى إذا الدار قَفَرى والمزارُ بعيدُ
وقد أُرْتَجَ عليَّ تمامه فَمَنْ أجازه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة، قال:
فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل فابتدرت وقلت:

فقلتُ لعيني عاودي النوم واهجعي لعلَّ خيالاً طارقاً سيعودُ

فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال: أمير المؤمنين يقول: قد أحسنت وأمر لك بجائزة».. والمعتضد ممن اتصف بالحلم العجيب، نقل صاحب تاريخ دول

الإسلام (ج ١، ص ١٢٨) عن أحد وزراء المعتضد عبد الله بن سليمان قال: كنتُ عند المعتضد يوماً، وخادم بيده المِذْبَة (المِرْوَحَة)، إذ ضربتُ قلنسوة المعتضد، فسقطتُ، فكدتُ أختلطُ إعظاماً للحال، ولم يتغير المعتضد، وقال: هذا الغلام قد نعس، ولم يُنكر عليه، فقبلتُ الأرض وقلتُ: والله يا أمير المؤمنين ما سمعتُ بمثل هذا، ولا ظننتُ أن حلمه يسعه، فقال: وهل يجوز غير هذا؟ أنا أعلم أن هذا الصبيّ البائس لو دار في خَلْدِه ما جرى لذهب عقله وتلف، والإنكار لا يكون إلا على [المتعمد] دون الساهي الخاطئ، ولم يكن حلمه فيما يحسُن به الحلم دون شِدْته فيما تجب به الشدة؛ فإنه كان صارم العقوبة اتخذ للمجرمين وذوي المفاسد مطامير تحت الأرض، (وهي حفائر كانت تخبأ فيها الحبوب)، فجعل يزجهم بها ولما مات وولي ابنه المكتفي أمر بهدمها، ومرض المعتضد في بغداد فجدد البيعة لابنه المكتفي بالله ومات بها ومدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر، ونصف شهر إلا يومين.

مات المعتضد، وابنه أبو محمد علي الملقَّب بالمكتفي بالله في الرقة فلما جاءه الخبر أخذ البيعة على من عنده من الأجناد، وقدم بغداد فاستلم زمام الملك فقام به قياماً حسناً وظفر في أكثر ما كان بينه وبين العصاة والثائرين من الوقائع، مولده سنة ٢٦٣هـ وخلافته سنة ٢٨٩هـ ووفاته سنة ٢٩٥هـ، وعاصمته بغداد مقرّ آبائه وهو:

المكتفي بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل، مرض وهو شاب في الثانية والثلاثين من عمره وطال مرضه فعهد بالخلافة إلى أخيه جعفر المقتدر، ومات ومدة حكمه ستة سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، ولم يكن كآبيه.

وبويع أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالخلافة ولقّب نفسه المقتدر بالله بعد وفاة أخيه المكتفي، وكان صغير السن لا يتجاوز الثالثة عشرة فاستصغر وتكلم الناس في أمره فخلعوه.

وولوا أبا العباس عبد الله بن المعتز بالله ولُقّب بالمرتضى بالله ثم خذله أصحابه وهجم عليه بعض غلمان المقتدر فانهزم واختفى ثم عثروا عليه فقتل وستأتي ترجمته في ديوان الشعراء.

وصفا الملك للمقتدر وطالت أيامه على ما ضمت من الفتن والمحن وكان يستعين في أكثر شؤونه بخادم له يُدعى مؤنسًا، فبلغ هذا الخادم أن الخليفة يريد به الشر فأعلن عصيانه فأرسل إليه المقتدر يحلف له أن ما بلغه كذب فعاد إلى الطاعة، ثم نكث وجمع أنصاره ودخل بهم دار المقتدر فأخرجوا المقتدر وأمه وأولاده وخواص جواريه من دار الخلافة إلى دار مؤنس فاعتقلوا بها وبايعوا أخاه المقتدر وهو القاهر بالله محمد بن المعتضد فاستُخلف يومين ثم ثارت فرقة من الجيش تُعرف بالرجالة فقتلت بعض رؤساء الغلمان ودعت بالخلافة للمقتدر فأعيد إلى الملك ثانية وخرج مؤنس من بغداد وقد علم أن قلب الخليفة لن يصفو عليه فاجتمعت عليه العساكر والغلمان وقصد الموصل فاحتلها، ثم سار بمن معه يريد بغداد فخرج له المقتدر بعسكره فانهزم أصحاب المقتدر وبقي منفردًا فرآه جماعة من المغاربة فقتلوه وسلبوه ثيابه وزينته، ثم دفن في موضعه، وكان مولده سنة ٢٨٢هـ وخلافته سنة ٢٩٥هـ وخُلع بابن المعتز سنة ٢٩٦هـ، وأُعيد بها ثم خُلع ثانية بالقاهر سنة ٣١٧هـ، وأُعيد فقتله بعض أصحاب خادمه مؤنس الملقب بالمظفر سنة ٣٢٠هـ، وكان المقتدر ضعيفًا في إرادته وقوته وسياسته فاستولى على الملك خدمه ونساؤه وخاصته وكان مبذرًا كثير الإنفاق على البذخ والجواري والندماء مضياغًا لماله، والبون شاسع بينه وبين أبيه المعتضد: ذاك أعاد للدولة العباسية شأنها، وهذا هدم ركنها، وقد أطلنا في هذه الكلمة عليه وكان يجدر بناء إغفاله؛ لأنه لا يدخل في رجال هذا الكتاب ضعفاء الرجال وصغارهم.

قرّ الرأي بعد المقتدر على إعادة أخيه لأبيه محمد بن المعتضد الملقب

بالقاهر فلما وُلِّي ساء السياسة فأحضر أم المقتدر وطلب منها أموال ابنها فأقسمت له أنها لا تملك غير ما في منزلها من متاع الزينة والثياب والأثاث فضربها وعذَّبها وصادر جميع أصحاب المقتدر وباع أملاكهم وأوقفهم وبلغه أن بعض وزرائه ساءهم ما صنع فهم يتآمرون عليه فقتل مؤنسًا، وعلي بن بليق وأباه، وطلب ابن مقله، وكلهم من خاصته، فاختنفَى وهَيَّج عليه الجند فزحفوا إلى دار الخلافة ببغداد فاستيقظ القاهر، وفرَّ فقبضوا عليه، وحبسوه وسحلت عيناه فبقي أعمى لا يبصر إلى أن مات، ومولده سنة ٢٨٧هـ وخلافته الثانية سنة ٣٢٠هـ وخلعه سنة ٣٢٢هـ ومدة حكمه سنة وسبعة أشهر ووفاته سنة ٣٢٢هـ.

الراضي بالله

ولد سنة ٢٩٧هـ وتوفي سنة ٣٢٩هـ

علمت كما أسلفناه ما نصارت إليه حال الدولة العباسية من الضعف وتحكّم الخاملين، مما أدّى بها إلى عصيان أمراء البلاد واستقلال كثير من العمال بما كانوا يلون، وانتهى أمرها إلى صاحب هذه الكلمة.

وهو: أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله، وكان محبوبًا مع والدته في أيام القاهر فلما خُلع أخرج وبويع بالخلافة سنة ٣٢٢هـ ولُقّب بالراضي بالله وكان فاضلاً أديباً سمحاً يحب محادثة الأدباء والفضلاء والجلوس معهم.

وختم الخلفاء في أمور عدة منها: أنه آخر خليفة له شعر يدوّن، وآخر خليفة كان يجيد الخطبة على المنبر ويُطيلها، وآخر خليفة جالس الجلساء ووصل إليه الندماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وحُجّابه وأموره على ترتيب الخلفاء المتقدمين، وشعره رقيق جيد منه قوله:

يصفراً وجهي إذا تأمله طرفي ويحمرّ وجهه خجلاً
حتى كأن الذي بوجنته من دم جسمي إليه قد نُقلاً
وقوله في رثاء أبيه المقتدر:

ولو أن حيّاً كان قبراً لميت لصيرت أحشائي لأعظمه قبراً
ولو أن عمري كان طوع مشيئتي وساعدني في التقدير قاسمته العمرا
بنفسي ثرئ ضاجعت في تربة البلى لقد ضم منك الغيث والليث والبдра

وولي الخلافة فحاول رتق ما فتق أسلافه فلم يستطع، ولكن البلاد زاد اضطرابها واتسع خرقها فكتب إلى محمد بن رائق عامله على واسط والبصرة والأهواز يستقدمه إلى بغداد وقلده إمارة الجيش وجعله أمير الأمراء وولاه الخراج والدواوين، وذلك سنة ٣٢٤هـ فاستولى ابن رائق على جميع ما ذكر، وأصبح الحاكم المطلق فتصرف بالأمور والأموال والخليفة الراضي راض بما وقع لا يملك لنفسه قوة يدفع بها ما أصابه، وتفاقم أمر العمال فلم يبق اسم للخليفة في غير بغداد وأعمالها، فكانت بلاد فارس في أيدي بني بويه، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان، ومصر والشام في يد محمد بن طغج [الإخشيدي]، والمغرب وإفريقية في يد أمير المؤمنين القائم بأمر الله العلوي، والأندلس في يد الناصر من ملوك بني أمية، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر ابن أحمد الساماني، وطبرستان وجرجان في يد الديلم.

وهكذا تفرقت هذه المملكة وانحلت رابطتها وانفرط عقدها، ولبت الخليفة الراضي يتلهّى بمن كانوا يسامرونه وينادمونه من رجال الأدب وأعيان البيان حتى كانت سنة ٣٢٩هـ فتوفي في بغداد ودفن بالرصافة وخلافته ست سنين وعشرة أيام.

ونودي من بعده باسم أخيه أبي إسحق إبراهيم بن المقتدر ولُقِّبَ **المتقي لله** مولده سنة ٢٩٧هـ وخلافته سنة ٣٢٩هـ، ودامت خلافته أربع سنين إلا شهراً أو أياماً فلم يصنع شيئاً إلا أنه تغيرت في أيامه بعض أسماء قواده أو بكلمة أجمع أسماء المسيطرين على المُلْك الذين كان هو وأشباهه آله صماء في أيديهم، وكان موصوفاً بالصلاح والتقوى وفي أيامه قُتل محمد بن رائق قتله ناصر الدولة بن حمدان (سنة ٣٣٠هـ) وفي سنة ٣٣١هـ تولى إمارة الأمراء تورون (أوطوزون) التركي ثم خافه المتقي على نفسه فخرج في أهله من عاصمته بغداد إلى الموصل ومنها إلى الرقة وتورون يأمر وينهى، وفي سنة ٣٣٣هـ بعث إلى تورون يستأمنه فأقسم له بالأمان، فركب الفرات حتى إذا وصل السندية قبض عليه تورون وخلعه، وسمل عينيه فعمي، وأتى به إلى بغداد فأقام وهو أعمى حتى مات سنة ٣٥٧هـ.

وبايع تورون وأصحابه يوم خلع المتقي لأبي القاسم عبد الله **المستكفي بالله** بن المكتفي بالله بن المعتضد، وكان مستتراً فلم تطل مدته غير سنة وأربعة أشهر مات في خلالها تورون (سنة ٣٣٤هـ) وقدم عليه معز الدولة بن بويه الديلمي والي الأهواز، فخلع عليه المستكفي ولقبه منذ ذلك اليوم معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة، وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تُضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدرهم: فعل ذلك كله اتقاءً لشركهم وخوفاً من بطشهم به، ثم تغير عليه معز الدولة؛ فبينما كان المستكفي جالساً وحوله معز الدولة وبعض الأعيان أقبل رجلان من الديلم فتناولوا يد المستكفي فظن أنهما يريدان تقبيلها فجذباه عن السرير وجعلا عمامته في رقبته وقاده إلى منزل معز الدولة ثم سُحِلَ فعمي وسُجِنَ إلى أن مات، وكان مولده سنة ٢٩٦هـ، وخلافته سنة ٣٣٣هـ، وخلعه سنة ٣٣٤هـ ووفاته سنة ٣٣٨هـ.

وكان للمقتدر ابن آخر اسمه الفضل وكنيته أبو القاسم يطمع بالخلافة بعد أخيه المتقي؛ فلما خلع أخوه وولي المستكفي خاف الفضل واستتر فطلبه المستكفي فلم يظفر به، فلما قدم معز الدولة بغداداً انتقل إليه وأغراه بالمستكفي حتى فعل به ما فعل، وقدمه معز الدولة للخلافة فبايعه الناس ولُقّب **المطيع لله** وازداد أمر الخلافة العباسية إداراً في توليته ولم يبق للخلفاء من الأمر شيء البتة وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشيء فلما كانت أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث إن الخليفة لم يبق له وزير إنما كان له كاتب يدبر إقطاعه وإخراجاته لا غير، وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد.

قال ابن الأثير (في حوادث سنة ٣٣٤هـ): وكان من أعظم الأسباب في ذلك أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع ويعتقدون أن العباسيين قد أغضبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة... إلخ.

وكان مولد المطيع سنة ٣٠١هـ وخلافته سنة ٣٣٤هـ، وفي سنة ٣٥٦هـ مات معز الدولة وقد عهد إلى ابنه بختيار الملقّب بعزّ الدولة فأساء السيرة وزاد أمر الدولة تقهقراً وضعفاً ثم مرض المطيع لله وفُجِع وثقل لسانه، وتعدّرت الحركة عليه فدعاه سبكتكين وهو حاجب بختيار إلى أن يخلع نفسه من الخلافة ويسلمها إلى ولده ففعل ذلك، وأشهد على نفسه بالخلع في أواخر سنة ٣٦٣هـ بعد أن أقام يدعى بلقب الخليفة تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر ومات بعد شهرين من استقالته وذلك سنة ٣٦٤هـ.



وعلى أثر خلع المطيع بويغ ولده أبو الفضل عبد الكريم ولُقّب **الطائع لله** سنة ٣٦٣هـ، وفي أيامه ثار الأتراك ببختيار لتبديده الأموال وتأخيرهم مرتباتهم

فكتب إلى ابن عمه عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه يستنصره فدخل عضد الدولة بغداد.

ثم أخرجه بختيار وابنه المرزبان منها، وفي سنة ٣٦٧هـ طمع عضد الدولة ببختيار وأقبل على بغداد فانهزم بختيار منها إلى تكريت فأدركه عضد الدولة وأسرته ثم قتله وعاد إلى بغداد فعمر منها ما خربته وفرق الأموال وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والشعراء والأطباء والمهندسين، وزوج ابنته للطائع ليكون لها عقب منه وتكون الخلافة فيهم، ثم مات عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ فقام مقامه ابنه بهاء الدولة.

وفي سنة ٣٨١هـ قبض بهاء الدولة على الطائع وحبسه في داره وأشهد عليه بالخلع ونهب دار الخلافة، ومولد الطائع سنة ٣١٥هـ وولي سنة ٣٦٣هـ، وخلع سنة ٣٨١هـ، ومات سنة ٣٩٣هـ.

القادر بالله

ولد سنة ٣٣٦هـ وتوفي سنة ٤٢٢هـ

لقد هزلت دولة بني العباس حتى استامها الديلم والأترك وضعفت قوى ملوكها حتى طمع بها المتغلبون وامتدت إليها الأيدي وانصرفت نحوها وجوه الطامعين وأصبح بهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي بعد أن خلع الخليفة الطائع حاكمًا مطلقًا لا يد تعلو يده، غير أنه خاف ثورة الجند إذا علموه قد استقل بالملك فلم ير إلا أن ينصب في مقام الخلافة رجلاً يكون له مطيعًا ولأمره سميًا فشاور خاصته في الأمر فاتفقوا على: أبي العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر بن المعتضد، وكان بالبطيحة (وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة)؛ فأرسل إليه بهاء الدولة خواص أصحابه فقدموا عليه وأخبروه فركب وأتى بغداد فبايعه الناس، وحُطبت له في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٣٨١هـ، ولقب بالقادر بالله، فأقام بضعة أشهر

ينظر في أمور الدولة ويبحث عن أسباب وهنها، ثم طلب الخليفة المخلوع الطائع لله فسلمه إليه بهاء الدولة وكان قد سجنه في منزل منفرد، فأكرمه القادر بالله وأنزله في حجرة من أفضل حجراته ووَكَّلَ به من يقوم بخدمته وحُسن ضيافته بحيث لم يختلف أمره بين خلافته وخلعه إلا بالخطبة له.

وطالت أيام القادر، وكان حازماً مطاعاً فألقى الله هيبته في القلوب فأطاعه الذين كانت لهم السيطرة والغلبة على الخلفاء أحسن إطاعة وكان موصوفاً بالحلم والكرم وحب الخير والبعد عن الشر إلا فيما يتعلق بالأمور السياسية فأحبه الناس وصفاً له المُلْك، وأصلح من شؤون الدولة ما استطاع إلى إصلاحه سبيلاً وحَسَبَهُ أنه كَفَّ عنها آمال المشرئين بأعناقهم إلى التسلط والتملك عليها، وكان محباً للعلم فاضلاً في نفسه، وقد أَلَّفَ كتاباً في اعتقاد أهل السنة، فُقِدَ مع ما فُقِدَ من قديم الكتب وحديثها، وكان الخليفة القادر كثيراً ما يلبس لباس العامة ويخرج يتجول في دار السلام يزور قبور الصالحين ويتفقد أمور الأمة.

ودامت له الخلافة إحدى وأربعين سنة وتوفي ببغداد عن سبع وثمانين سنة إلا شهرين، ومات في أيامه بهاء الدولة (سنة ٤٠١ هـ)، وانتهى أمر رئاسة الأمراء إلى ابنه أبي طاهر جلال الدولة، وتوفي الخليفة في أيامه بعد أن عهد بالملك من بعده إلى ولده الذي لُقِّبَ القائم بأمر الله الآتي خَبْرُهُ.

القائم بأمر الله

ولد سنة ٣٩١ هـ وتوفي سنة ٤٦٧ هـ

كان الخليفة القادر بالله قد عهد بالخلافة إلى ابنه أبي جعفر عبد الله ولقَّبَهُ القائم بأمر الله سنة ٤٢١ هـ، ولما كانت سنة ٤٢٢ هـ توفي القادر على ما تقدم ذكره فصلى عليه ابنه القائم وأتبع سنته في إدارة شؤون ما بقي له من ملك بني

العباس، وكان ورعاً دنيئاً له فضل وعناية بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثراً للعدل والإنصاف يريد قضاء حاجات الناس لا يرى منعهم من شيء هو لهم ولا يضجر من إلحاحهم وتكاثرهم على بابه، قال ابن الأثير:

قال محمد بن علي بن عامر الوكيل: دخلت يوماً إلى المخزن فلم يبق أحد إلا أعطاني قصة (عرض حال) فامتألت أكمامي منها، فقلت في نفسي: لو كان الخليفة أخي لأعرض عن هذه كلها فألقيتها في بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت إليه أمر الخدم بإخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها، فوقّع فيها بأغراض أصحابها، ثم قال لي: يا عامي! ما حملك على هذا؟ فقلت: خوف الضجر منها، فقال: لا تعد إلى مثلها فإنما ما أعطيناهم من أموالنا شيئاً إنما نحن وكلاء!..

هذه ترجمة القائم بأمر الله في نفسه وأما ملكه فلم يزد على ما كان لأبيه ومن تقدمه، وقد طال عمره وحدثت في أيامه أمور ليست من أمور هذا الكتاب فارجع إليها في تواريخ الممالك والأزمنة إن أردتها، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر، وعهد بالخلافة إلى ابن ابنه أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله، ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سواه؛ لأن ابنه أبا العباس محمداً توفي في أيامه ولا عقب له إلا أن إحدى جواريه واسمها أرجوان كانت حاملاً فوضعت بعد ستة أشهر من موت محمد بن القائم ولدًا سمي عبد الله وكُني أبا القاسم وسيأتي الكلام عليه.

المقتدي بأمر الله

ولد سنة ٤٤٩هـ وتوفي سنة ٤٨٧هـ

مات القائم بأمر الله بعد أن عهد إلى حفيده أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم، ولقبه المقتدي بأمر الله، وذلك سنة ٤٦٧هـ، وعمره ثماني عشرة سنة، فانصرف إلى عمران بغداد وخدمة الأمة فكانت أيامه أيام خير وسعة وعظمت في عهده الخلافة أكثر مما كانت قبله وبني في بغداد عدة محال منها ما لا يزال عامراً حتى اليوم.

وأمر بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع دورهن فنّين، وكان المغتسلون ربما دخل بعضهم الحمام غير مؤترز فأمر بالأتزار والاستار، وأمر بقلع أبراج الطيور ومنع الناس من اللعب بها حفظاً للحرم المصونات في الخدور من اطلاع أولئك عليهن، ومنع من إجراء ماء الحمامات إلى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه، ومنع الملاحين أن يحملوا في زوارقهم الرجال والنساء مجتمعين، وكان قوي النفس عظيم الهمة أحبه الناس وودوا لو طال عمره؛ فإنه حكّم تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ومات فجأة وهو شاب لم يبلغ الأربعين، ولادته ووفاته ببغداد.

المستظهر بالله

ولد سنة ٤٧٠هـ وتوفي سنة ٥١٢هـ

لما توفي المقتدي بأمر الله أحضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله وهو ولي عهده فأعلم بموته وبإيعه من حضر وله من العمر ست عشرة سنة وشهران، واتسق له الأمر على ما كان لأبيه وجده، أما أخلاقه فكان ممدوحها.

قال صاحب الكامل: كان المستظهر لين الجانب كريم الأخلاق يحب

اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع إلى أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يردّ مكرمة تطلب منه، وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ إلى سعاية ساع ولا ملتفت إلى قوله واش، ولم يُعرف عنه التلون أو انحلال العزم بأقوال أصحاب الأغراض، وهذه من أحسن خصال الحزم؛ فإن الملك والأمر إذا ضعفت ثقته برجاله تلاعب فيه الناس وسلكوا به كل مسلك ولم تبق له إرادة يعزم بها على المهمات وكيف يُخلص الوزير أو المستشار في خدمة مولاه وهو يعتقد أن كلمة من عدو أو وشاية من حاسد تزلزل منزلته وتذهب بإخلاصه وخدمه، على أن هذه الحسنة ربما انقلبت سيئة إذا لم تتخذ الحيلة في شأنها، فإن صاحب الأمر لا ينبغي له إذا وثق أن يُفرغ ثقته ويستنيم إلى صاحبه بحيث لا ينظر في شيء يرد عنه، بل لا بد لمن ولي من أمور الناس جانباً أن يكون شديد الثقة في غير اطمئنان، كثير الحذر في غير استراحة، وإلا فلا يتم له أمره، وكان المستظهر عارفاً بالأدب والإنشاء والشعر، وله توقيعات لا يقاربه فيها أحد تدل على فضل غزير وعلم واسع، وباسمه ألف العلامة الغزالي كتابه في التاريخ الذي سماه «المستظهري».

وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً، ومات ببغداد وله من العمر واحد وأربعون عاماً وستة أشهر، ودُفن في حجرة له كان يألفها وقد عهد بالخلافة من بعده إلى ولده الفضل الملقب بالمسترشد بالله.

وكان المسترشد بالله شهماً شجاعاً بعيد الهمة فصيحاً بليغاً جيد التوقيعات واسمه الفضل وكنيته أبو منصور، إلا أنه ارتكب خطأ ذهب بحياته وأخر دولته بعد تقدمها، وذلك أنه بلغ من أمر الخلافة العباسية أن أصبح الحكم فيها لرجلين أحدهما الوازع السياسي المنفذ وهو صاحب الحل والعقد والأمر والنهي في

شؤون الدولة داخلها وخارجها وكان يسمى أمير الأمراء، ثم صار من أُسندت إليه هذه الإمارة يُلقب بملك أو سلطان، والثاني وهو صاحب الاسم الديني يُباع وتُعرض عليه الأمور قبل عرضها على الأول فيرى فيها رأيه وهو الخليفة، فكان الدولة في ذلك العهد بين سُلطتين: نظرية وتنفيذية.

فالنظرية يتولاها الخليفة، والتنفيذية يتولاها الملك أو السلطان أو أمير الأمراء، وكان المعاصر للخليفة المسترشد بالله هو السلطان مسعود بن ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي ومقره في همذان، زار بغداد فأكرمه المسترشد، ثم إن الخليفة شعر بخيانة جماعة من الأمراء فأراد عقابهم فلجأوا إلى السلطان مسعود فطلبهم الخليفة منه فأبى ردّهم إليه، فحدثت بينهما النفرة والوحشة وسافر السلطان مسعود إلى همذان فلما استقرّ بها، علم الخليفة أن مسعوداً يستعد لقتاله فتجهز هو أيضاً وجاءته رسائل من الأمراء الذين انضموا إلى مسعود يعرضون عليه طاعتهم ويستأمنونه فأمنهم الخليفة، وحضروا فأكرمهم وخرج من بغداد بجيش يريد فيه ابتداء السلطان مسعود بالقتال وجعل أولئك الأمراء في الميمنة وزحف عليه السلطان مسعود فتلاقيا بموضع يقال له «دايمرج» فلما حمي القتال انحازوا إلى السلطان مسعود استداروا حول عساكر الخليفة المسترشد وهو ثابت في مقره وانهزم عسكره فأخذ هو أسيراً فأنزل في خيمة وترددت بينه وبين السلطان الرسل في الصلح فاتفقا على مال يؤديه الخليفة وأن لا يعود يجمع العساكر، وأن لا يخرج من داره ورضي الخليفة وعزم على الرجوع إلى بغداد فدخل عليه جماعة من فرقة تسمى «الباطنية» فقتلوه ومثلوا به، وذلك على باب مراغة لأن السلطان مسعوداً كان قد أخذه معه حتى انتهى إليها فدفنه أهل مراغة عندهم، وكان مولد المسترشد سنة ٤٨٥هـ، وخلافته سنة ٥١٢هـ، وقتله سنة ٥٢٩هـ، والخطأ الذي أودى به هو اعتماده على جماعة

خانوه أولاً فخانوه ثانياً ثم خروجه من بغداد يقود جيشه، وكان الأجدر به أن يوجه قائداً يعتمد عليه في مثل هذا الشأن.

* *

ولما قُتل المسترشد كتب السلطان مسعود إلى رئيس الشحنة ببغداد أن يبايع ابن المسترشد وكان ولي عهده واسمه المنصور وكنيته أبو جعفر ولقبه الراشد بالله، فبوع في بغداد على شروط كتبها للسلطان مسعود بخط يده وحلف عليها وهي أنه متى جند جنداً، أو خرج للقاء أحد من أصحاب السلطان بالسيف فقد وجب خلعه، فلم تطل أيامه حتى وقع نفور بينهما فتهيأ الراشد لقتاله فعلم مسعود فزحف على بغداد فحاصرها حتى دخلها وفر الخليفة الراشد إلى الموصل ومنها إلى أصفهان فأقام بها حتى قُتل.

مولده سنة ٥٠٤هـ وخلافته سنة ٥٢٩هـ، وخلعه سنة ٥٣٠هـ، وقتله سنة ٥٣٢هـ، قُتل بأصفهان بعض خدمه للتخلص منه لأنه لم يكن يستقر في مكان، ودُفن بظاهرها في شهرستان.

المقتفي لأمر الله

ولد سنة ٤٨٩هـ وتوفي سنة ٥٥٥هـ

لما خلع الراشد بالله استشار السلطان مسعود جماعة من أعيان بغداد فيمن يصلح أن يلي الخلافة فاتفقوا على أبي عبد الله بن المستظهر فدعا به فحضر وأكرمه السلطان واشترط عليه ما كان يشترطه على غيره فبايعه الناس ولقب بالمقتفي لأمر الله، وهو:

أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أحمد بن المقتدي، تولى الخلافة وهي على ما علمت من الوهن والضعف وذلك سنة ٥٣٠هـ فجعل لا يترك سبباً من أسباب تقوية ملكه ألا تعلق به دون أن يجاهر السلطان مسعوداً أو غيره بعداوة

فجمع مالا كثيرا وقوة وسلاحا حتى كانت سنة ٥٤٧هـ، وبها توفي السلطان مسعود بهمذان فلم يتصل خبره بالخليفة المقتفي حتى ثار ثورة الأسد فاستولى على دار السلطان مسعود ببغداد وقبض على أصحابه وأعوانه من السلجوقيين وغيرهم وضبط أموالهم وأمر بأن يراق في الطرُق ما في بيوتهم وبيت السلطان من الخمر فأريق مقدار غير يسير وبه نفر الناس إلى الخليفة مُنكرين على أعوان السلطان ما رأوه، وشمر الخليفة عن ساعد الجد فاستقل بالملك وقهر كل مزاحم له عليه، وكان من الرجال ذوي الرأي والعقل والدهاء، وهو أول من استبد من ملوك العراق منفردا عن سلطان يكون معه من أول أيام الديلم إلى أيامه، وأول خليفة تمكن من الخلافة وحكم على عسكره وأصحابه من حين تحكم المماليك على الخلفاء من عهد المستنصر إلى أيامه، إلا أن يكون المعتضد - قاله ابن الأثير.

وكان المقتفي شجاعا مقداما مباشرا للحروب بنفسه، وكان يبذل الأموال العظيمة لأصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى كان لا يفوته منها شيء، وهو موصوف بالحلم والكرم والعدل وحسن السيرة، وكانت مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر صفت له الخلافة منها ثمانين سنين بعد وفاة السلطان مسعود السلجوقي، وعهد إلى ابنه يوسف الملقب المستنجد بالله.

المستنجد بالله

ولد سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٦٦هـ

أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي لأمر الله بن المستظهر بالله، ولي الخلافة على إثر وفاة أبيه (سنة ٥٥٥هـ) فسار سيرته وضبط الدولة ضبط الحازم العاقل وأول ما بدأ أنه أزال المكوس ورفع عن الناس الضرائب حتى لم

يترك في العراق شيئاً منها، وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع الرعية عادلاً فيهم كثير الرفق بهم شديداً على هل العبث والفساد والسعاية بالناس.

يُذكر أنه سجن إنساناً كان يسعى بالناس فأطال حبسه فشفع فيه بعض أصحابه المختصين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وتحضر لي إنساناً آخر مثله لأكفّ شره عن الناس ولم يطلقه.

وقبض على قاض يعرف بابن المرخم كان سيئ المسلك وقد ثبت له أنه أخذ أموالاً كثيرة من بعض الرعية فصادر أمواله ورد للناس ما أخذه منهم، ولكنه أساء إلى العلم إساءة لا تغتفر لأنه لم يكتفِ بأن صادر ذلك القاضي وحبسه وسلبه نعمته حتى امتدت يده إلى كتبه فأحرق منها في الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة وفيها كتاب الشفاء لابن سينا، وكتاب إخوان الصفا، وما يشاكلهما، فهي وصمة في تاريخ حياته سوداء.

حكم إحدى عشرة سنة ثم مرض، وكان قد خان به بعض خاصته فأرغم طبيبه على أن يصف له الحمام فوصفه له فامتنع المستنجد لضعفه فما زالوا به حتى أدخلوه وأغلقوا عليه الأبواب فصاح واستغاث فلم يلبوه حتى مات فأعلنوا وفاته.

وفي الليلة التي مات بها المستنجد بالله بويح ابنه أبو محمد الحسن، ولُقّب المستضيء بأمر الله ففرق أموالاً كثيرة وحذا في الحكم حذو أبيه وكان حليماً جداً قليل المعاقبة على الذنوب محباً للعفو والصفح عن المذنبين، كريم اليد، صفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر، ولا يُذكر له فيها أثر، ولد سنة ٥٣٦هـ، وبويح سنة ٥٦٦هـ، وتوفي سنة ٥٧٥هـ.

الناصر لدين الله

ولد سنة ٥٥٢هـ وتوفي سنة ٦٢٢هـ

وبويع بالخلافة بعد موت المستضيء بأمر الله ولده أبو العباس أحمد بن المستضيء بن المستنجد بن المتقي بن المقتدي بن محمد بن القائم بن القادر ابن المقتدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن عبد الله بن عباس، ولقب أحمد الناصر لدين الله، وذلك سنة ٥٧٥هـ، فلما تملك طالت أيامه حتى إنه لم يل لخلافة من بني العباس أطول منه مدة، وكان شديد السياسة داهية خبيراً بشؤون الملك إلا أنه ربما تشدد في بعض الأمور فنُسب إلى الظلم، والمؤرخ يحار في ما يكتب عنه لأنه لم يكن مستقيم الأطوار، فبينما تراه مولعاً بالمصلحة العامة يفتح دور الضيافة للناس وللحجاج، ويطلق المكوس، ويرفع عن الناس الضرائب والمظالم، ويفقد شؤونهم مختلفاً في الحنادس الداجية يجوب المنازل ويجول في الشوارع العامة والأزقة مرتدياً جلباب سوقي أو شيوخ أو غريب إذا بك تراه قد أغلق تلك الدور، وأعاد تلك الضرائب، وانصرفت همته إلى اللهو واللعب برمي البندق والاشتغال بالطيور والعناية بسراريات الفتوة (المعروفة اليوم باسم التبنانات يتخذها المصارعون، واحدها تَبَان وليس بعربي)، ويقال: إنه هو الذي كاتب التتر وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه السلطان محمد من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق، ولئن صح ذلك ليكوننَّ لطخة عار تشوهت بها صحيفته، وقد شك فيه المؤرخون ورأوا أن العجم ينسبونه إليه. وكانت خلافته ستاً وأربعين سنةً وأحد عشر شهر إلا يومين، وفي آخر عمره ذهبت إحدى عينيه وضعف بصر الثانية، وفُلج فبطلت حركته ثلاث سنين ثم أصابته دوسنطاريا فمات (ﷺ) وله من العمر نحو سبعين سنة.

وولي بعده ابنه أبو نصر محمد الملقب **الظاهر بأمر الله** وكانت أيامه في عصر المؤرخ ابن الأثير فذكره وأثنى عليه كثيرًا حتى داخلني الشك في أنه ربما كان محسنًا إليه فقابله على الإحسان إحسانًا لأن المؤرخ مهما تمكن من الحرية وانطلاق القلم في الحق لا بد له من أن تأخذه على معاصره وولي أمره عاطفة فيثني ويطري ويعدد المحامد ويستر المثالب دفعًا للشر أو جلبًا للخير، والذي يجدر بنا أن ننقله عن مؤرخنا مما يتعلق بهذا الخليفة أنه كان على عكس أبيه مستقيمًا محبًا للخير أطلق المكوس التي كان قد وضعها والده وخفف الأموال عن بعض رعيته، وأخرج المسجونين، ومنع جاسوسية الحراس وكانوا يكتبون للخلفاء كل ما يدور بين الناس من الحديث فأعفاهم من هذا، ولم تطل مدته، ولد سنة ٥٧١هـ، وحكم سنة ٦٢٢هـ، ومات سنة ٦٢٣هـ ومدة حكمه تسعة أشهر.

المستنصر بالله

ولد سنة ٥٨٨هـ وتوفي سنة ٦٤٩هـ

البيان أفضل ما خُلد به الذكر، ولا سيما إذا كان أثرًا نافعًا كمدينة أو مدرسة فخمة أو بناء عظيم يأوي إليه المحاويج أو مستشفى يُطيب فيه أصحاب العاهات والأمراض أو ما ضارعه من الأبنية النافعة وحسبك من أدلتنا أن صاحب هذه الترجمة وهو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر الملقب بالمستنصر بالله عاش كغيره من الخلفاء أو كالمُحسنين منهم لأنه كان عاقلًا عادلاً محبًا للحق، ولكنهم إذا كُرت الأجيال وأنكرت الأطلال الرجال ذهب ذكر أولئك الخلفاء وبقيت آثار مدرسة عظيمة أقيمت في بغداد، ودُعيت المستنصرية فهي ترشد الأمم التالية إلى بانيتها كما ترشد آثار سامراء إلى المعتصم وكما أرشدت أطلال نينوي إلى حمورابي، والمستنصرية هذه مدرسة كبيرة من أشهر مدارس

الإسلام بناها في بغداد مترجماً المستنصر بالله على شط دجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة، وجعل عليها من الأوقاف شيئاً كثيراً وأقام لها الأطباء والصيدالة حتى ظهرت في أهر حُلَّة من الاتساع والزخرفة وما فيها من رجال العلوم الدينية والفنون الدنيوية وهي اليوم مهمة تكاد تغفو آثارها وقد أصبح قسم منها داراً للمكس وآخر مطبخاً وآخر قهوة تعرف بقهوة الشط.

كانت سيرة المستنصر حميدة كسيرة أبيه، وكان جده الناصر يحبه ويسميه القاضي لوفرة عقله، ولكن ما ينفع العقل والفضل والأعمال منتقضة والدولة ذاهبة إلى الخراب، وفي أيامه قويت شوكة قبيلة المغول التتية (وعلا شأنها بظهور جنكيز خان سنة ٥٩٩هـ، وأصلها من جنوبي سيبيريا) فاستولوا على كثير من المملكة الإسلامية حتى أوشكوا يدخلون بغداد في عهده إلا أنهم دُفعوا عنها، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً وإقامته بغداد وفيها توفي ودفن.

المستنصر بالله

ولد سنة ٥٨٨هـ وتوفي سنة ٦٥٦هـ

أتى على الدولة العباسية حين من الدهر كان فيه الخليفة يقنع بامتلاك دار السلام عاصمة ملكه فلا يرى إلى تلك الأمانة من سبيل، ذلك بعد أن ملكوا البلاد وسادوا العباد وامتدت سلطتهم وعظمت سلطنتهم، ولكن الدول في رأي بعض الباحثين من علماء الاجتماع كالأناسي إذا أدركها الهرم لم تنجع في دائها الأدواء، قال ابن خلدون: «.. وإذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما أنه طبيعي والأمور الطبيعية لا تبدل.. وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع

عنها ويومض ذبالها إيماضة الخمود كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال وهي انطفاء».

انتهى أمر الخلفاء العباسيين إلى السابع والثلاثين منهم وهو آخرهم في القطر العراقي، أبو أحمد عبد الله ولقبه المستعصم بالله بن المستنصر بالله، بويع بعد وفاة أبيه باتفاق آراء رجال الدولة ووزرائها عليه (سنة ٦٤٠ هـ)، فلما ولي الخلافة كان مثال الضعف والوهن والانقياد إلى اللهو والعكوف على الدد فألقى زمام الملك إلى الأمراء والقواد واعتمد في أكثر الشؤون على وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي، وكان يتشيع للعلويين، وقد علمت من ترجمة المستنصر السابقة أن المغول عظم أمرهم وخيف شرهم فأشار بعض الناجمين على المستعصم أن يتخذ الحيلة لدرء هجماتهم وأن يعد جيشاً يقوى به عليهم فغلبت عليه غفلته فقال: «إن هؤلاء لا يطمعون بإخراجي من دار ملكي وهم يكتفون مني بأن أترك لهم البلاد ويدعوا لي بغداد وهي تكفيني!».

واتفق أن فتنة حدثت في بغداد بين رجال السنة والشيعة العلويين وهذا مرض قديم في الإسلام وُلد منذ تَوَفَّى اللهُ نبيه محمداً (ﷺ) وانحاز فريق من أهل الإسلام يرون أن علياً أجدر بالخلافة بعد ابن عمه ثم اتسع ذلك الخرق بعد زَمَنٍ فكان في المسلمين الداء الذي لا يُحسم والعلة التي لا تشفى وهو حتى اليوم سبب تأخر المسلمين الأعظم، وعلة تفرقهم، ومنشأ نزاعهم، وحكماء الفريقين دائبون على إصلاح ذات البين ولا أراهم يوفقون إليه إلا بعد أن لا يبقى غير الندم والأمل الأكبر بزوال تلك الشنينة معقود بناصية دور العلم الحديث والفنون فإذا اشتغل فيهما المسلمون وعرفوا حقائق الأديان وسبروا أغوار السياسة والاجتماع كان لهم من أنفسهم زاجر ولكنني أقول:

فيا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

وجارت السنة في هذه الفتنة على إخوانها من الشيعة فانتهبت بيوتها وسفكت دماءها وذلك بتحريض أبي بكر ابن الخليفة وبعض الأمراء الكارهين لابن العلقمي الوزير، وظهر من الخليفة ضعف أو إغضاء، أثار في قلب وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي مراجل حقد كانت كامنة وحزن لما أصاب إخوانه الشيعة من الكوارث فكتب إلى قائد المغول وهو هولاءكو حفيد جنكيزخان يعلمه بضعف الخليفة ويهون عليه أمر احتلال بغداد ويعده بالإعانة على خليفته، فزحف هولاءكو بخيله ورحله يقود جيشاً عرمرماً من التتر، وذلك سنة ٦٥٥ هـ، وخرجت إليه عساكر الخليفة ثم انهزمت ونزل هولاءكو على بغداد من الجانب الشرقي وانتشر عسكره في جميع جهاتها، فقدم عليه الوزير ابن العلقمي فتوثق منه لنفسه وعاد إلى الخليفة المستعصم، وقال: إن هولاءكو يبيك في الخلافة كما فعل بسلطان الروم ويريد أن يزوج ابنته من ابنك أبي بكر وحسن له الخروج إلى هولاءكو فخرج إليه المستعصم في جمع من أكابر أصحابه فأنزل في خيمته ثم استدعى الوزير الفقهاء والأمثال فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون والعلماء فلما تكاملوا أمر بهم هولاءكو فأحاطت فيه العساكر وقتلوا عن آخرهم، وأبقى الخليفة حياً حتى دلّهم على مواضع الأموال والدفائن ثم قتلوه ودخلوا بغداد فأعملوا السيف فيها فدام القتل بها والنهب نحو أربعين يوماً وأحرق وأغرق ما فيها من كتب العلم والتاريخ وهُدم كثير من الأبنية الشامخة والقصور العامة ثم نودي بالأمان.

وبموت الخليفة المستعصم بالله انقرضت الدولة العباسية في العراق وعدة خلفائها ٣٧ خليفة ومدة ملكهم من سنة ١٣٢ هـ إلى موت المستعصم سنة ٦٥٦ هـ، ودام لهم الملك يصفو ويكدر ٥٢٤ سنة، والملك لله يؤتيه من يشاء.

خاتمة

انقرضت دولة بني العباس في العراق وانمحت آثارها فلم يطل أمد احتجاجها غير نيّف وثلاث سنين وظهرت في مصر بوفود أبي القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر بن الناصر بن المستضيء العباسيين على الملك الظاهر بيبرس البندقداري أحد ملوك دولة المماليك في مصر، وكان أبو القاسم هذا غائباً عند حدوث واقعة بغداد فنجاً من شرها وأثبت نسبه العباسي لدى الملك الظاهر بمصر أمام جمع من العلماء وأركان الدولة ففرح به الظاهر؛ لأنه وجده قوةً جديدة لملكه، ولا يخفى أن المسلمين لا ينظرون أن الملوك بعين الرضى والخضوع إلا إذا قرنوا إلى ألقابهم السياسية لقباً دينياً كالخليفة أو أمير المؤمنين، وهذا اللقب لا يحزره إلا أصحاب النسب الثابت كالعلويين والعباسيين وأشباههم، فلما ظفر الملك الظاهر بالخليفة العباسي جمع الناس وأعلن فيهم أن دولته أصبحت دولة ثابتة الأساس بانتسابها إلى دولة العباسيين وبإيعاب أبي القاسم العباسي ولُقّب المستنصر، وكذلك بايعه أركان دولة الملك الظاهر وخطب باسمه على المنابر ونُقش على النقود وأقيمت له المظاهر وأنزل في دار فخمة، وذلك سنة ٦٥٩هـ فهو أول الخلفاء العباسيين في الديار المصرية ولم يكن له ولا لمن بعده أثر يُذكر لأنهم إنما كان لهم من الخلافة الاسم والأبهة والخطبة ولا يحق لهم أن ينظروا في شيء من شؤون الدولة فهي خلافة كاذبة ومُلك وهمي ودام لهم ذلك بمصر ٢٥٥هـ سنة تعاقب منهم خمسة عشر رجلاً على الإمارة، وهذه خلاصة أخبارهم، اعتمدت فيها على تاريخ ابن الوردي:

- ١ - المستنصر: أبو القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر العباسي، بويع سنة ٦٥٩هـ وجهز له الملك الظاهر البندقداري جيشاً زحف به إلى العراق لاسترداد بغداد فحارب التتر فانهمز جيشه، وفُقد هو ولم يُعلم خبره وذلك سنة ٦٦٠هـ.

٢ - الحاكم بأمر الله: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن المسترشد بن المستظهر، ظهر في الديار المصرية بعد أن شاع خبر فقدان المستنصر فأثبت نسبه أمام الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠هـ فبايعه الظاهر وجعل له ما كان للمستنصر وتوفي بمصر سنة ٧٠١هـ فدفن بها.

٣ - المستكفي بأمر الله: أبو الربيع سليمان بن أحمد الحاكم، بويغ بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ وتوفي بقوص سنة ٧٤٠هـ، ومولده سنة ٦٩٠هـ، وكان قد أخرج إلى الصعيد سنة ٧٣٨هـ وعلى لسانه يقول ابن الوردي في تاريخه: «مثلي يعيش بالموت، ويبلغ المنى بالفوت، إلى كم لهم العيشة الرطبة، ولي مجرد الخُطبة، فلهم الملك الصريح، وسليمان الريح!».

٤ - الواثق بالله: أبو إسحاق إبراهيم ابن أخي المستكفي، بويغ بعد موت المستكفي سنة ٧٤٠هـ عاشر السفلة فخلع بعد أن مكث سنة وأيامًا.

٥ - الحاكم بأمر الله (الثاني): أبو العباس أحمد بن المستكفي بالله بن الحاكم (الأول)، بويغ في المحرم من سنة ٧٤٢هـ، وتوفي سنة ٧٥٣هـ.

٦ - المعتضد بالله: أبو بكر بن المستكفي، بويغ بعهد من أخيه الحاكم الثاني سنة ٧٥٣هـ، وتوفي سنة ٧٦٣هـ.

٧ - المتوكل على الله: أبو عبد الله محمد بن المعتضد، بويغ سنة ٧٦٣هـ، وتوفي سنة ٨٠٨هـ، وخلف أولادًا كثيرين، قيل: إنهم نحو المئة.

٨ - المستعين بالله: أبو الفضل بن المتوكل، بويغ بعهد من أبيه سنة ٨٠٨هـ، وتوفي سنة ٨٣٣هـ.

٩ - المعتضد بالله (الثاني): أبو الفتح داود بن المتوكل بن المعتضد (الأول)، بويغ بعد أخيه المستعين سنة ٨٣٣هـ، وتوفي سنة ٨٤٥هـ.

١٠ - المستكفي بالله (الثاني): أبو الربيع سليمان بن المتوكل، بويع بعهد من أخيه المعتضد سنة ٨٤٥هـ، وتوفي سنة ٨٥٥هـ.

١١ - القائم بأمر الله: أبو البقاء حمزة بن المتوكل، بويع بعد أخيه المستكفي الثاني سنة ٨٥٥هـ، فأقام شهرًا واثنى عشر يومًا ووقع خلاف بينه وبين الملك الأشرف سلطان مصر فذهب إلى الإسكندرية فأقام بها حتى مات سنة ٨٦٣هـ.

١٢ - المستنجد بالله: أبو المحاسن يوسف بن المتوكل، بويع بعد انصراف أخيه القائم بالله إلى الإسكندرية سنة ٨٥٥هـ، ومات مفلوجًا سنة ٨٨٤هـ.

١٣ - المتوكل على الله (الثاني): أبو العز عبد العزيز بن يعقوب، بويع سنة ٨٨٤هـ، وتوفي سنة ٩١٣هـ.

١٤ - المستمسك بالله: أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز، بويع بعد أبيه المتوكل الثاني سنة ٩١٣هـ، وتوفي سنة ٩٢٧هـ.

١٥ - المتوكل على الله (الثالث): محمد بن يعقوب المستمسك، بويع بعد أبيه سنة ٩٢٧هـ، وفي أيامه افتتح السلطان سليم أحد سلاطين آل عثمان، بلاد الشام ومصر سنة ٩٢٢هـ، فاستلم من المتوكل الآثار النبوية وهي الراية والسيف والبردة ومفاتيح الحرمين الشريفين، وأخذه معه إلى القسطنطينية بعد أن تنازل له المتوكل عن الخلافة، وأصبح كل سلطان عثماني يُلقب بالخلافة وإمارة المؤمنين منذ ذلك الحين فاجتمعت لهم السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، وأقام المتوكل في القسطنطينية مدة ثم عاد إلى مصر؛ فمات سنة ٩٤٥هـ، وهو آخر الخلفاء العباسيين في العراق والديار المصرية وبه تم الكلام عليهم.

بنو أمية في الأندلس

دخول

علمت مما سبق من أخبار الدولة العباسية أن مؤسسها الخراساني أبا مسلم ضرب الأمويين في المشرق ضربةً تابعة بأشد منها الخليفة العباسي الأول انتقاماً من تلك الأسرة الحاكمة لما كان لبني هاشم عند معاوية وبنيه من الثأر القديم، وسعيًا وراء توطيد الخلافة العباسية بحيث لا تطلع الشمس على مزاحم لهم عليها من آل أمية أو مروان بعد ذلك، وقد تفرّق الناجون من القتل والحبس من الأمويين والمروانيين في أنحاء الأرض فكان منهم عبد الرحمن الأول المعروف بالداخل، وهو الذي ركب الأخطار وقصد بلاد الأندلس فأسس فيها دولة خفقت أعلامها ٢٧٦ عامًا وانتشرت مدنيّتها وعلومها وصناعاتها حتى كان ابن القارة الأوربية يسعى إليها بالأمس كما يسعى السوري، والأندلسي^(١)، والمصري إلى باريز [...] ولوزان وموينخ اليوم.

يبتدئ تاريخ هذه الدولة في المغرب من سنة ١٣٨ هـ وهي سنة إمارة عبد الرحمن الأول على قرطبة، وينتهي سنة ٤٢٢ هـ، وهي السنة التي خلع فيها آخر خلفائهم هشام بن محمد وتفرقت البلاد من بعده فاستقل كل والٍ بما ولي على نسق ما أصاب دولة آل عباس في آخر أمرها.

وقد خرجت الإمارة من أيدي الأمويين في أثناء تملكهم مدة سبع سنين وثمانية أشهر حكم فيها رجال من الفاطميين (نذكرهم إن شاء الله بعد ترجمة

(١) يقصد المغربي.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

سليمان بن الحكم الأموي^(١)، ثم عادت إلى بني أمية فلم تطل أيامهم، وإنه ليؤلمني أن ألتزم جانب الإيجاز في البحث عن تراجم ملوك هذه الدولة ذات الحضارة العجيبة والذكر المجيد غير أن المجال يضيق عن الإسهاب والإطالة فأكتفي بانتداب مؤرخينا وأهل البحث والنظر الثاقب من علمائنا الأعلام إلى وضع كتاب كبير يضم أجزاء تاريخها ويجمع ما تفرق في الكتب العربية والإفرنجية من أخبارها فهي الخدمة الجليلة والعمل النافع أثاب الله من يقوم به خيرًا.

(١) ذكرت في مقدمة الكتاب أن الزركلي كان ينوي استكمال الكتاب لأكثر من ذلك، ولكنه عدل عن ذلك، وتوقف، فلم يترجم لرجال أشار إلى أنه سترجم لهم لاحقًا، علّه اكتفى بتراجمهم في كتابه الأعلام (المقدم).

عبد الرحمن الداخل

ولد سنة ١١٣هـ وتوفي سنة ١٧٢هـ

فتح المسلمون بلاد الأندلس وأخذت تتعاقب عليها ولائهم وأمرائهم من قِبَل دولة الأمويين في الشام أولاً حتى ضعف شأنهم وتزلزل سلطانهم فاستبد الأندلسيون بأمر أنفسهم يعزلون ويولون من يشاؤون، وظهرت بينهم في أوائل القرن الثاني للهجرة ثورات واضطرابات كان أمرائهم يعالجون منها ما يمكنهم علاجه إلى أن أُصيب بنو أمية بتلك الرائعة التي شتت شملهم ومزقت مُلكهم، فتفرق من نجا منهم في بلاد الله وتملك بنو العباس (على ما تقدم بيانه) وكان فيمن فرّ من أيدي المسوودة (آل عباس) أميرٌ من سلالة ملوك بني أمية يُدعى أبا المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أمه بربرية من المغرب، ولد بموضع يعرف بدير حُسيبة^(١) من دمشق، ومات أبوه وهو صغير السن فنشأ في جهات الشام ولما حلّ بقومه ما حلّ انهمز وأقام في قرية على الفرات فتبعته الخيل فأوى إلى بعض الأدغال حتى أمِن فقصده المغرب، فبلغ إفريقية فلجّ عاملها بطلبه حين علم به، وهو حينئذ عبد الرحمن بن حبيب الفهري.

وانصرف المترجم إلى مكناسة وقد لحقه مولاه بدر بنفقة وجواهر كان قد طلبها من أخت له تعرف بأَم الأصبع، ولم تطب له الإقامة في مكناسة، فارتحل منها ونزل بآل نفاذة وهم جيل من البربر منهم أمه فأكرموا حين عرفوا صلته بهم ولبث مدة يكتاب الأمويين من أهل الأندلس يعلمهم بقدومه ويدعوهم إلى نفسه ووجه بدرًا مولاه إليهم فأجابوه وسيروا إليه مركبًا فيه جماعة من

(١) كذا في البيان المُغرب لابن عذارى، ج ٢، ص ٤٩، وفي تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي «دير حَمينا» ولم يذكرهما ياقوت في معجمه.

كبرائهم فأبلغوه طاعتهم وأخذوه وعادوا إلى الأندلس فأرسلهم بهم المركب في المنكب (وذلك في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨هـ)، ثم انتقلوا إلى إشبيلية ومنها إلى قرطبة فعلم بهم والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وكان غائباً عن قرطبة بنواحي طليطلة فأقبل ونشب قتال بين عسكره ومن التف حول عبد الرحمن بن معاوية انتهى بظفر عبد الرحمن فدخل قرطبة واستقر بها وبني فيها القصر والمسجد الجامع ومساجد للجماعات ووافاه عدد كبير من الأمويين، وكان يدعو للمنصور العباسي ويظهر أنه لا يميل إلى الخروج عن طاعة ملوك العباسيين في العراق فهدأت به ثائرة الأندلس واطمأن الناس إليه وأحبوه لعدله ورأفته ثم قطع خطبة العباسيين وجهر بالاستقلال.

وكان من أهل العلم والمعرفة بالأدب وله شعر، ووصفه صاحب البيان المغرب فقال: «أظن صفته: طويل القد، أصهب، أعور، خفيف العارضين، بوجهه خال، له ضفيران»، وكان المنصور يلقبه بصقر قريش، ولُقّب الداخل لأنه أول من دخل الأندلس من ملوك بني أمية: قال ابن الأثير في نعتة:

«... وكان لسنًا شاعرًا حليماً عالمًا حازماً سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يخلد إلى راحة ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ولا ينفرد في الأمور برأيه، شجاعاً مقداماً بعيد الغور شديد الحذر، سخيّاً جواداً، يكثر لبس البياض، يُقاس بالمنصور في حزمه وشدته وضبط المملكة، وبني الرصافة بقرطبة تشبهاً بجده هشام حيث بنى الرصافة بالشام»، وعند أول نزوله بالرصافة رأى فيها نخلة منفردة فهاجت شجنه، وتذكر وطنه فقال:

تبَدَّتْ لنا وسط الرصافة نخلةٌ	تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شيبه في التغرُّب والنوى	وطول التنائي عن بُني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبةٌ	فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غواصي المزن من صوبها الذي	يسحُ ويستمرى السماكين بالوبل

توفي الداخل بقرطه ودُفن بقصرها، وكان دخوله على الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبويع بقرطبة يوم الأضحى من سنة ١٣٨ هـ ومدة خلافته ٣٣ سنة، وأربعة أشهر ونصف، وعقد العهد لابنيه هشام ثم سليمان، ومن شعره يتشوق إلى بلاد الشام:

أيها الراكب الميمم أرضي أقر من بعضي السلام لبعضي
أن جسمي كما علمت بأرضي وفؤادي ومالكيه بأرضي
قُدِّرَ البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

هشام بن عبد الرحمن

ولد سنة ١٣٩ هـ وتوفي سنة ١٨٠ هـ

لم يكن هشام أكبر ولد عبد الرحمن فإن سليمان أكبر منه ولكن أباه كان يتوسم منه الشهامة والاضطلاع في أمر الملك فعهد إليه قبل أخيه، ولما توفي عبد الرحمن كان هشام بماردة متولياً لها، وأخوه سليمان بطليطلة، وكان يروم الأمر لنفسه ويحسد أخاه هشاماً على تقديم والده له ولهما أخ ثالث اسمه عبد الله ويعرف بالبلنسي كان بقرطبة عند موت والده فجدد البيعة لهشام وكتب إليه يخبره فحضر هشام بعد ستة أيام، فبويع سنة ١٧٢ هـ، وحشد أخوه سليمان أجناده وقصد قرطبة مخالفاً لأخيه فانضم إليه أخوهما عبد الله فخرج هشام إليهما بجيشه فالتقى الجيشان بجهة بلج، وانهمز سليمان وعبد الله بعد حرب شديدة [وقفل] هشام إلى قرطبة ظافراً، وكان يُكنى بأبي الوليد، وصفه ابن الأثير وابن عذارى فقالا: «كان أبيض، أشهل، مشرباً بحمرة، بعينه حول»، ومن محاسن سيرته أنه كان يبعث إلى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير

العُمَال، وكان ذا حزم ورأي وشجاعة وعدل محباً لأهل الخير والصلاح شديداً على الأعداء، راغباً في الجهاد.

ومن غريب ما يذكر عن أيامه من عزّ الإسلام أن رجلاً مات وأوصى أن يُفك أسير من أسرى المسلمين من تركته فطلب ورثته ذلك فلم يوجد في دار الأعداء أسير مسلم يُشترى أو يُفك لضعف العدو وقوة المسلمين، وأهل الأندلس يعدّدون مناقبه ويبالغون فيها حتى قالوا: إنه كان يشبه في سيرته بعمر بن عبد العزيز..

خلافته سبع سنين وتسعة أشهر [وثمانية] أيام، بنى عدة مساجد، وتمم بناء جامع قرطبة الذي بدأ أبوه به.

الحكم بن هشام

ولد سنة ١٥٤هـ وتوفي سنة ٢٠٦هـ

أبو العاصي الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل الأموي، أحد ملوك بني أمية العظام في الأندلس، قال المقرئ في نفخ الطيب: هو أول من جعل للملك أبهة بأرض الأندلس، وأول من جند بها الأجناد وجمع الأسلحة والعدد وارتبط الخيول على بابيه، وكانت له عيون يأتونه بأخبار الناس، وكان يباشر الأمور بنفسه، ويقرب الفقهاء والعلماء والصالحين، وهو الذي مهّد الملك لعقبه في تلك البلاد.

ولد بقرطبة مقر مملكه، وبها نشأ، وولي أمر المسلمين بعد أبيه هشام بعهد منه إليه سنة ١٨٠هـ، وكانت في أيامه حروب وفتن كثيرة أثارها عليه جماعات من الخوارج والثوار فاشتغل في حسم شرورهم فجاءه نبأ مجاوريه من الفرنج، وأنهم أخذوا يعيشون فساداً في الثغور، فسار إليهم بنفسه سنة ١٩٦هـ، فافتتح

الحصون وخرَّب النواحي، وأثخن في القتل والسبي والنهب وعاد إلى قرطبة ظافراً، وأرسل سنة ٢٠٠هـ فرقة من الجيش لصد غارات المعتدين على بلاده فأمن بذلك شرهم وتفرغ لسياسة الملك وتديره فنظَّم شؤونه واستقر له الأمر حتى توفي، فدفن في قرطبة، وكان أفحل بني أمية بالأندلس وأشدَّهم إقداماً ونجدة - قاله المقرئ.

وترك أولاداً كثيرين منهم عشرون ذكراً، عشرون أنثى، وكان أسمر طوالاً أشم نحيفاً لم يخضب ونظم الشعر الرقيق يتفكَّه به أورد بعضه صاحب البيان المغرب (ج ٢، ص ٧٠)، وفي نفخ الطيب قوله وأنشده بعد واقعة:

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعاً وقدماً لأمتُ الشعب مذ كنتُ يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرةُ أبادرها مستنضي السيف دارعا
تبئك أني لم أكن في قراعهم بوانٍ وقدماً كنتُ بالسيف فارعا
وهل زدتُ إذ وفيتهم صاع قرضهم فوافوا منايا قُدِّرت ومصارعا
فهذي بلادي إنني قد تركتها مهاذاً ولم أترك عليها منازعا

وعُدَّ له صاحب الكامل صفات منها أنه تشبَّه بالجابرة، وأنه أول من استكثر من المماليك بالأندلس، وأول من جند بها الأجناد المرتزقين..

وقال المراكشي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب في الكلام عليه: الحكم بن هشام الملقَّب بالرَّبْضِي كان طاغياً وله آثار سوء وهو الذي أوقع بأهل الرِّبْض فقتلهم وهدم ديارهم ومساجدهم، والرَّبْض محلة متصلة بقصره اتَّهم أهلها بمكيدة يدبرونها للإيقاع به ففعل بهم ذلك فُسِّمِي الحكم الربضي.

قال: وفي أيامه أحدث الفقهاء إنشاد أشعار الزهد والحض على قيام الليل في صوامع المساجد وأمروا أن يخلطوا مع ذلك شيئاً من التعريض به مثل أن

يقولوا: يا أيها المسرف المتمادي في طغيانه، المصرّ على كبره، المتهاون بأمر ربه أفق مَنْ سكرتك، وتنبه من غفلتك، وما نحا هذا النحو، فكان هذا من جملة ما هاجه وأوغر صدره عليهم، وكان أشد الناس عليه في أمر فتنة الرّبض الفقهاء هم الذين كانوا يحرضون العامة ويشجعونهم إلى أن أوقع بهم..

وجملة ما يتحصل من أقوال المؤرخين فيه أنه كان شديداً جباراً ضابطاً لأمر مملكته يقظاً، إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه، لا يردّه عن سبيله رادّ قويّ الإرادة، وأكثر خلالة تدل على رجل كبير.

وإن شئت التوسع في أخباره فارجع إلى نفح الطيب، وكامل التواريخ، والبيان المغرب، والمعجب وأشباهها.

عبد الرحمن بن الحكم

ولد سنة ١٧٦هـ وتوفي سنة ٢٣٨هـ

بعد موت الحكم بن هشام، استطاع ولده عبد الرحمن أن يقوم بالملك حق القيام، وكنيته أبو المطرّف، وله بطليطة أيام كان أبوه الحكم يتولاها لأبيه لهشام، وبويع بعد وفاة والده بيوم واحد، كان جسيماً طويلاً أسمر، حسن الوجه أقنى أعين أكحل، عظيم اللحية، يخضب بالحناء والكتم.

قال صاحب البيان المغرب في وصفه: «هو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسا الخلافة أهبة الجلالة، فشيّد القصور وأجلب الماء العذب إلى قرطبة وبنى له مصنعاً كبيراً يردّه الناس، وبنى الرصيف وعمل عليه السقائف وبنى المساجد بالأندلس وعمل السقاية على الرصيف واتخذ السكة بقرطبة وفخّم ملكه».

وزاد عليه غيره من المؤرخين فقالوا: إنه علا عن التبذل للعامة، وكانت أيامه

أيام سكون وعافية وكثرت عنده الأموال، وكان عالي الهمة له غزوات كثيرة، وكان أديباً ينظم الشعر للهو به في بعض أوقات خلوه، عالماً بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلاسفة، وهو معدود في جملة من عشق جواريه كان يأنس بهنَّ ويداعبنه كلما فرغ من عناء غزوة أو انتهى من نصب حرب، وكان يميل إلى جارية له اسمها طروب ونظم بها شعراً فشهر بها وأغدق عليها الأموال وله أخبار معها، ولم يكن في بطشه كآبيه بل خالفه في كثير من أخلاقه فاستعاض باللين عن الشدة وبتهدة الفتن عن اقتحام حروبها، وشعره جيد، منه قوله يصف حالة المعزول:

أرى المرء بعد العزل يرجع عقله وقد كان في سلطانه ليس يعقل
فتلفيه جهم الوجه ما كان والياً ويسهل منه ذاك ساعة يُعزلُ

ومن كلامه ما وقع به إلى بعض عماله وقد كتب إليه يسأله عملاً لم يكن أهلاً له فذيله بقوله: «من لم يصب وجه مطلبه كان الحرمان أولى به».

ولد له نحو مئة ولد أكثرهم ذكور وخلف خمسة وأربعين ولداً ذكوراً^(١)، وكان ممدوح السيرة، مدة ولايته ٣١ سنة وثلاثة أشهر [وستة أيام]، وتوفي بقرطبة، وكان يشبه بالوليد بن عبد الملك في سياسته وتأنقه.

* *

ولما مات عبد الرحمن بن الحكم ملك ابنه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام، فجرى على سيرته عدلاً وإحساناً للرعية ورأى الملك ثابت الأساس هادئاً مطمئناً فصفت له أيامه، مولده في قرطبة سنة ٢٠٧هـ، ووفاته سنة ٢٧٣هـ وحكم خمساً وثلاثين سنة إلا شهراً، كان أبيض مشرباً بحمرة ربعة أوقص وافر اللحية يخضب بالحناء، خلف ٣٣ ولداً ذكراً و٢١ بنتاً، وكان

(١) قال ابن عذاري: بنوه الذكور خمسة وأربعون، وبناته: اثنتان وأربعون (المقدم).

مُثَبِّتًا فِي شُؤُونِهِ وَفِيًّا لِمَوَالِيهِ أَنْفُسَهُمْ وَأَعْقَابَهُمْ لَا يَكْذَحُ عِنْدَهُ كَادِحٌ فِي شَيْءٍ عَنْ أَحَدِهِمْ فَيَسْمَعَهُ أَوْ يُسْمَعَهُ، أَحِبَّهُ أَهْلُ الْبِلْدَانِ الْمُسْتَقْلَةِ فِي عَصْرِهِ حَتَّى كَانَ بَنُو مَدْرَارٍ بِسَجْلِمَاسَةِ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَفْلَحٍ صَاحِبُ تَاهَرْتِ لَا يَقْدَمُونَ وَلَا يُؤَخَّرُونَ فِي أُمُورِهِمْ وَمَعْضَلَاتِهِمْ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ، وَمَا يُحْفَظُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِهَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَحَدِ زُرَّائِهِ وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ عَدَمِ التَّثَبُّتِ: يَا هَاشِمُ مِنْ آثَرِ السَّرْعَةِ أَفْضَتْ بِهِ إِلَيَّ الْهَفْوَةُ، وَلَوْ أَنَا أَصْغَيْنَا نَحْوَ زَلَاتِكَ وَأَصْخْنَا إِلَيَّ هَفَوَاتِكَ لَكُنَّا شُرَكَاءَكَ فِي الزَّلَةِ وَقِسْمَاءِكَ فِي الْعَجَلَةِ، فَمَهْلًا عَلَيْكَ رَوِيدًا بِكَ فَإِنَّكَ إِنْ تَعَجَّلَ يَعْجَلُ بِكَ»... وَدَفِنَ بِقَرْطَبَةِ، وَكَانَ ذَكِيًّا فَطْنًا.

وَلِيَ بَعْدَ مَوْتِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ابْنُهُ أَبُو الْحَكَمِ الْمَنْذَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَوْلِدَ سَنَةِ ٢٢٩ هـ، اتَّصَلَ بِهِ خَبَرُ مَوْتِ أَبِيهِ وَهُوَ يَحَارِبُ الْفَرَنْجَ مُحَاصِرًا لِلْفَرِيقِ مِنْهُمْ فِي حَصْنٍ يَعْرِفُ بِحَصْنِ الْحَمَامَةِ فَقَفَلَ رَاجِعًا إِلَى قَرْطَبَةِ فَجَدَّدَتْ لَهُ الْبَيْعَةَ، وَفَرَّقَ الْعَطَاءَ فِي الْجَنْدِ وَتَجَبَّبَ إِلَى أَهْلِ قَرْطَبَةِ وَالرَّعَايَا بِأَنْ أَسْقَطَ عَنْهُمْ عَشْرَ ذَلِكَ الْعَامِ وَمَا يُلْزِمُهُمْ مِنْ جَمِيعِ الْغَرَمِ، وَكَانَ أَسْمَرَ، طَوِيلًا، جَعْدَ الشَّعْرِ، كَثَّ اللَّحْيَةِ، بَوَاجُهُ أَثَرُ جَدْرِي يَخْضُبُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتَمِ، وَكَانَ جَوَادًا يَصِلُ الشَّعْرَاءَ وَيَحِبُّ الشَّعْرَ، وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ فَتَوَفَّى وَهُوَ فِي غَزْوَةٍ لَهُ عَلَى بَرِيْشْتَرِ سَنَةِ ٢٧٥ هـ فَكَانَ مُلْكُهُ سِتِّينَ إِلَّا عَشْرِينَ يَوْمًا.

عبد الله بن محمد

وُلِدَ سَنَةِ ٢٢٩ هـ وَتَوَفَّى سَنَةِ ٣٠٠ هـ

خَالَفَ عَبْدُ اللَّهِ أَبَاهُ وَأَخَاهُ فِي سِيرَتِهِمَا إِذْ ظَهَرَ بِالْمَلِكِ فِي مَظْهَرٍ جَدِيدٍ. وَأَعَادَ لِلدَّوْلَةِ مَا كَادَا يَذْهَبَانِ بِهِ مِنْ رَوْنَقِهَا وَنُضْرَتِهَا، وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، بُويعَ يَوْمَ وَفَاةِ أَخِيهِ الْمَنْذَرِ، وَأَرَادَ النَّهْوَضَ

بالمملكة فاضطرب أمرها حتى كانت أيامه كلها أيام ثورات تفرقت بها القلوب بعد ائتلافها وكثر عدد الخارجين عن سلطته حتى صار في كل جهة متغلب أو مستقل وليس ذلك بدع فإن الجسم إذا طال فيه أمر العلة حتى أوشكت تُزمن وجئته بالإصلاح والعلاج ثارت فيه ثائرةٌ ربما خيف منها على سائر الأضلاع ذلك مثل عبد الله بن محمد في ملكه إذ فجأ أهل الدولة وهم بين مسيطر وسلّاب ونهّاب فترزع عن نفسه حُجُب الجلالة والعظمة وأمر ببناء ساباط بين قصره والجامع في قرطبة فكان يقعد فيه قبل صلاة الجمعة وبعدها فيرى الناس ويُشرف على أخبارهم وحركاتهم ويُسرُّ بجماعاتهم ويسمع قول المتظلم ولا يخفى عليه شيء من أمورهم وأخذ يقعد أيضًا على بعض أبواب قصره (سرايه) أيامًا معلومة فترفع إليه الظلامات وتصل إليه الكتب على باب حديد صُنع لذلك فلا يتعذر على ضعيف إيصال بطاقة بيده ولا إنهاء مظلمة على لسانه.

قال صاحب البيان المُغرب: وكان أهل المكنات والمقرَّبون منه يتحفظون من كل أمر يوجب الشكوى منهم.. وكانت اللذات مهجورة في أيامه واللهو غير مقترَف من أكثر الأمة، ويسمَّى أحد أبواب القصر «باب العدل» يباشر فيه أحوال الناس بنفسه ولا يجعل بينه وبين المظلوم ستراً، وربما عيب علي كرهه للسرف وميله إلى الاقتصاد في النفقة والعطايا إلا ما كان منها في سبيل الصدقات والمبرات فإنه لم يكن يرى بأساً بالإنفاق الغزير فيها مما يدل على أن اقتصاده الأول لا يسمَّى بخلاً كما عرّفه به بعض المؤرخين، فالبخيل الشحيح يتعلق بالدرهم والدينار فيحجبهما عن كل سبيل لا يفرق بين الصدقة والجائزة، ولا بين الإكرام والإحسان، وكان موصوفاً بالورع وصلاح القلب، متفتناً بضروب العلوم، بصيراً بلغات قبائل العرب، فصيح اللسان، حسن البيان؛ أما صورته فأبيض مشرب بالحمرة أصهب أزرق، أقنى الأنف، ربعة إلى الطول، يخضب بالسواد، عظيم الكراديس، وكان أدبياً حافظاً لأشعار العرب وأيامهم، وسير

الخلفاء، راويةً للشعر يُحسن نظمه، وكانوا يعدونه من أصلح خلفاء بني أمية في الأندلس وأمثلهم طريقةً، وأتمهم معرفةً لولا ما كان ينغصه من دوام الفتن التي أُجبر معها على إظهار القوة والإرهاب بالبطش حتى وصفه ابن حزم بأنه كان قتالاً تهون عليه الدماء مع كثرة إقباله على الخيرات وإعراضه عن المنكرات.

ويُذكر أنه احتال على أخيه المنذر فقتله بأن سمَّ له المِبضع الذي فُصد به بمواطاة حجاجه وهو نازل بمعسكره على ابن حفصون الناصر.

وقُتل للمترجم ولدان وأخوان أيضاً، فولداه محمدٌ والد الناصر لدين الله ومطرّف اختصما في ولاية عهده فقتل مطرّف محمداً، ثم قتل الأمير عبد الله مطرّفًا وأخواه أحدهما يدعى هشامًا قتله بالسيف والثاني القاسم قتله بالسم.

ولم أجد فيما بين يديّ من كتب التاريخ ما يصح أن يكون سبباً حقيقياً لفعلته هذه إلا أن يكونا قد زاحماه على الإمرة أو حاولا إيقاظ فتنة جديدة عليه فصنع ما صنع، وتوفي في قرطبة فدفن في مدافن آبائه.

وولايته اثنتان وعشرون سنة إلا شهراً، وخلف أحد عشر ولداً ذكراً أحدهم محمد المقتول والد عبد الرحمن الناصر الآتي ذكره.

أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر

ولد سنة ٢٧٧هـ وتوفي سنة ٣٥٠هـ

بدأ الأمير عبد الله (صاحب الترجمة السالفة) بإصلاح بلاد الأندلس بعدما كادت تؤول إليه من استبداد الوزراء والأمراء بالحكم دون أهل المُلْك والسلطان؛ فكان عمله داعيةً لثورة المتحكّمين وغضبهم فاشتعلت نار الفتنة في أيامه على ما تقدم ذكره ومات ولم يوفق إلى إخمادها.

وتولى حفيده هذا والمملكة جمره تلتهب فكان لها كالمرهم الحاسم طلي به

الجرح الناغل ولم يصفُ له المُلك إلا بعد نحو عشرين سنة من تملكه أمضاها في قتال المخالفين واسترضاء النافرين حتى أذعنوا له واستقام أمر الدولة فعُذِبَ له موردها وابتسمت أيامه فكانت أزهى وأزهر ما عرفه الأندلسيون من أزمان الأمراء والخلفاء والملوك.

أوردتُ في الترجمة السابقة أن الأمير عبد الله كان قد عهد بولاية الأمر من بعده إلى ولده محمد، وأن مطرّفًا أخا محمد حسده فقتله ثم قتله أبوه عبد الله به، وكان لمحمد طفل وُلِدَ قبل قتله بأحد وعشرين يومًا سماه عبد الرحمن نشأ بين يدي جده عبد الله فربّاه التربية الصالحة، وتفرس فيه النجابة فلما شبَّ قرّبه واعتمد عليه في أموره حتى كان كثيرًا ما يقعده في بعض الأيام والأعياد مقعد نفسه ويأمر الجند بالتسليم عليه بالإمارة فتعلقت آمال أهل الدولة به، ولم يشكُّوا في مصير الأمر إليه، ولما مات جده عبد الله أجلسوه مكانه دون ولده لصلبه، وكان يسكن القصر مع جده دونهم فتهيأ أجلسه دونهم مكانه.

ولي الأندلس وهو ابن ثلاث وعشرين سنةً وحوله أعمامه فكانوا أول من بايعه ولم يعترضه أحد.

كنيته أبو المطرّف وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأمير عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن الحكم الرّبضي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، ولي سنة ٣٠٠هـ، وانصرف إلى تهدئة الثورات وإسكان القلاقل حتى صفا له المُلك، ولما كانت سنة ٣١٦هـ رأى ضعف الخليفة العباسي «المقتدر» في العراق وعرف بما هنالك من الانحلال فجمع الناس وخطب فيهم ذاكرًا لهم حق بني أمية بالخلافة وأنهم أسبق إليها من بني العباس فأمر أن ينادوه أمير المؤمنين وأن يُخطب باسمه بالخلافة وتلقّب بلقب سلطاني وهو «الناصر لدين الله» فجرى ذلك سنةً لمن بعده، وكان أسلافه يُسمّون بني الخلائف ويُخطب لهم بالإمارة فقط.

قال ابن شفدة في المنتخب: عبد الرحمن الناصر أعظم أمراء بني أمية في الأندلس، كان كبير القدر، كثير المحاسن، محباً للعمران، مولعاً بالفتح وتخليد الآثار، أنشأ مدينة الزهراء وهي عديمة النظير في الحسن وبنى بها قصر الزهراء المتناهي في الجلالة، وقال المؤرخ المقرئ في وصف القصر: أطبق الناس على أنه لم يُبن مثله في الإسلام البتة، بل لم يُسمع بمثله، بل لم يُتوهم كونه مثله! والمؤرخون يبالغون في مقدار ما أنفق على الزهراء. قال ياقوت:

مدينة صغيرة قرب قرطبة بالأندلس اختطها الناصر.. وعملها متنزهاً له وأنفق في عمارتها من الأموال ما تجاوز فيه حد الإسراف وجلب إليها الرخام من أقطار البلاد وأهدى إليه ملوك بلاده من آلاتها ما لا يقدر قدره وكان الناصر هذا قد قسّم جباية بلاده أثلاثاً: ثلث لجنده، وثلث لبيت ماله، وثلث لنفقة الزهراء وعمارتها.. بدأ فيها سنة ٣٢٥هـ، ومات سنة ٣٥٠هـ وهو لا يزال ينفق على تحسينها وترسينها.

كان الناصر أبيض أشهل حسن الوجه ربعة عظيم الجسم، قصير الساقين، ركاب سرجه يقارب الشبر، طويل الظهر جميلاً بهياً يخضب بالسواد، طالت أيامه فحكم خمسين سنة وستة أشهر، وكان حريصاً على الملك يقظاً ومن عجيب أمره في هذا الشأن ما رأيته في كتاب الطبقات للسبكي (ج ٢، ص ٢٣٠)، قال في ترجمته عبد الله ابنه: عبد الله.. هو ابن الخليفة الناصر صاحب الأندلس كان فقيهاً شافعيّاً أديباً متنسكاً شهماً سمت نفسه إلى طلب الخلافة في حياة أبيه وتابعه قوم وأخفوا أمرهم وبيتوا على اغتيال والده وأخيه المستنصر ولي عهد أبيه، فبلغ أباه، فما لبث أن سجنه وسجن من اطلع على أمره من متابعيه، ثم أخرجه وأخرجهم يوم عيد الأضحى سنة ٣٣٩هـ من الحبس وأحضره وأحضرهم بين يديه وقال لخواصه: هذا ضحيتي في هذا العيد، ثم اضطجع له ولده وذبحه بيده، وقال لأتباعه: ليذبح كلُّ أضحيته، فاقسموا أصحاب ولده

عبد الله فذبحوهم عن آخرهم...!!

ومن غريب ما يؤثّر عن الناصر ما قرأته في شذرات الذهب أنه كان يكتب في دفتر خاص أيام السرور التي كانت تصفو له من غير تكدير فيذكر تاريخها وما كان بها وقد اطلع كثيرون عليه بعد وفاته فإذا هي أربعة عشر يوماً!! فيا لله ما أعجب ما نرى! ملكٌ كالناصر صفا له الملك خمسين عامًا وضربَ به المثل في ارتقاء ملكه في أيامه وخدمه السعد، لا يرى من أيام السرور غير ذلك العدد اليسير؟!

ومن لطيف ما يُذكر في أخباره أنه استدعى الطبيب يوماً ليفصده فأخذ الآلة وحبس يد الملك وإذا بزرزور أشرف على المجلس، وارتقى إناء ذهب وجعل يكرر هذين البيتين:

أيها الفاصد رفقا بأمر المؤمنين
إنما تفصد عرقا فيه محي العالمينا
فسرّ الناصر به وسأل عمن علّمه، ف قيل له عن أم ولده الحكم، فوهب لها ثلاثين ألف دينار.

توفي الناصر وهو في قرطبة، وخلف أحد عشر ولداً ذكرًا فيهم ولي عهده، الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر.

المستنصر بن الناصر

ولد سنة ٣٠٣هـ وتوفي سنة ٣٦٦هـ

ولي بعد الناصر لدين الله ولده الحكم بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، ولقب المستنصر بالله، وكانت البلاد ساكنة مطمئنة إلا أن ملك الأسبان في عهده «أردون بن الفونس» طمع به بعد موت أبيه فهيأ جيشاً وأراد الإغارة

على ما تملكه المسلمون من البلاد ولا سيما في عهد الناصر، فعلم المستنصر بعزم أردون فكتب كتابه وغزا الأسبانيين بنفسه، فبادروا إلى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه وقوي الحكم وكثرت فتوحاته واتصلت الصداقة بين وبين «أردون»، حتى إنه زار الخليفة المستنصر في قرطبة وأظهر خضوعه بين يديه.

وكان الحكم محباً للعلوم مكرماً لأهلها، أحضرهم من البلدان البعيدة ليستفيد منهم ويحسن إليهم، جماعاً للكتب في أنواعها، جمع منها ما لم يجمعه أحد قبله حتى قيل: إنها كانت أربع مئة ألف مجلد، وكان عالماً نبيهاً صافي السريرة عارفاً بالأدب، يُروى عنه شعرٌ، ضليعاً بالعلم بالأنساب مُلمّاً بالتاريخ. ولي سنة ٣٥٠هـ، ومدة حكمه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وكان أصهب أعين أقنى عظيم الصوت ضخيم الجسم أققم قصير الساقين غليظ العنق عظيم السواعد، وسيرته حسنة، وليس فيما رأيت من أخباره ما يبعث على الإطالة، توفي في قرطبة.

المؤيد بن الحكم

ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٠٣هـ

ما في ترجمة هذا الخليفة ما يجعله في عداد كبراء الأمراء إلا أن أخباره كانت عجيبة في شأنها طويلة في إيرادها لا يستغنى المؤرخ عن إشارة إليها فوجب أفراد ترجمة له ينتهي بها الكلام على رجال هذه الدولة.

المؤيد أبو الوليد هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر، بويع يوم وفاة أبيه بعهد منه سنة ٣٦٦هـ وعمره ١١ سنة وثمانية أشهر، فتولى أموره وتدير مملكته الحاجب أبو عامر محمد بن عامر الملقب بالمنصور (انظر ترجمته في باب الأمراء والوزراء)، فحجبه عن الناس فلم يكن أحد يراه ولا يصل إليه فأحسن

أبو عامر المنصور سياسة المُلك إلى أن توفي سنة ٣٩٢هـ فخلفه ولده عبد الملك بن محمد الملقَّب بالمظفَّر، وسار كسيرة أبيه وتوفي سنة ٣٩٩هـ، فولِّي بعده أخوه عبد الرحمن بن محمد، ولُقِّب بالناصر فسلك غير طريقهما وأخذ في المجون، وكان المؤيِّد قد ركن إلى المنصور ثم إلى ابنه المظفَّر فأقرهما على تدبير المملكة والتزم بيته مستريحاً من عنائها ولما رأى حال الناصر كرهه فدسَّ له الناصر جماعة خوَّفوه منه إن لم يجعله وليَّ عهده ففعل المؤيِّد ذلك مرعماً وشاع في الناس فحقَّدوا عليه، ولا سيما بني أمية، وأبغضوه، وغزا الناصر بعد توليته فأوغل في بلاد الجلالقة، وبينما هو راجع بلغة أن محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله قد ظهر بقرطبة واستولى عليها وأخذ المؤيِّد أسيراً، وشاع الخبر في عسكر الناصر فتفرقوا عنه ولم يبق معه إلا خاصته فسار إلى قرطبة ليتلافى الخطبَ فخرج إليه عسكر محمد بن هشام فقتلوه، وحملوا رأسه إلى قرطبة وطافوا به، وذلك سنة ٣٩٩هـ ثم صلبوه.

وكان محمد بن هشام هذا قد تلقب بالمهدي ودعا الناس إليه لما رأى من ضعف المؤيِّد وأعلن ذلك ومعه اثنا عشر رجلاً فبايعه الناس وملَّكوه وأخذ المؤيِّد فحبسه معه في القصر ثم لما قتل الناصر أخرج المؤيِّد ودعاه أن يعهد إليه ففعل المؤيِّد ثم أخفاه وأظهر أنه مات، وكان قد مات إنسان نصراني يشبه المؤيِّد فأبرزه للناس وذكر لهم أنه المؤيِّد فلم يشكُّوا في موته، وصلوا عليه ودفنوه في مقابر الخلفاء وبايع الناس ابنَ عبد الجبار الملقَّب (بالمهدي) ثم نقموا عليه أشياء منها أنه كان يعمل النبيذ في قصره فسموه نبأذاً، ومنها بغضه للبربر فضغنوا عليه، ومنها أنه كان متلوناً سيئ الأخلاق فانقلبوا عليه.

ولما وقع في قلوب أهل الأندلس من المهدي (ابن عبد الجبار) ما وقع قصدوا هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر فأخرجوه من داره وبايعوه فتلقب (بالرشيد) وذلك في أواخر سنة ٣٩٩هـ واجتمعوا بظاهر قرطبة فخرج

إليه المهدي (ابن عبد الجبار) بأصحابه فقاتلهم، فانهزم أصحاب هشام (الرشيد) وأخذ هو أسيرًا فقتله المهدي ومن كان معه من القوادر واستقر أمره، وكان هشام ابن أخيه.

وبعد هذه الواقعة بيومين انضم من انهزم من أصحاب هشام المقتول وكان معهم ابن أخ له اسمه سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر فبايعوه ولقبوه (المستعين بالله) ثم لقب (الظاهر بالله) وساروا إلى من جاورهم من النصارى الأسبانيين فصالحوهم واستنجدوهم فأنجدوهم وساروا معهم إلى قرطبة فقاتلوا ابن عبد الجبار، فانهزم وتحصن بقصر قرطبة، ودخل سليمان (الظاهر بالله) البلد فحصره في القصر، وأغار البربر والروم على قرطبة فنهبوا وسبوا وقتلوا عددًا عظيمًا، ولما رأى ابن عبد الجبار ما نزل به أظهر المؤيد - وكان لا يزال محبوسًا عنده في القصر - وظن أن الناس متى رأوه يرجعوا إليه ويخلعوه هو وسليمان، ولكن الناس لم يسمعوا له لظنهم أن المؤيد قد مات، فهرب إذ ذاك، واختفى ودخل سليمان القصر فبايعه الناس بالخلافة (سنة ٤٠٠ هـ)، وكانت عدة القتلى في هذه الواقعة نحو خمسة وثلاثين ألفًا.

وسار ابن عبد الجبار سرًا إلى طليطلة فجاء بعض أصحابه فجمعوا جمعًا من نهب الأسبان وسلبتهم وخرج بهم إلى سليمان فحدث وقعة انهزم فيها سليمان إلى شاطبة ودخل ابن عبد الجبار (المهدي) قرطبة وجدد البيعة لنفسه وحجّب المؤيد الذي لم ينتبه له الناس.

وكان مع سليمان جماعة من الفتيان وعدوه خيرًا، وانصرفوا إلى ابن عبد الجبار يطلبون قبول طاعتهم، وأن يجعلهم في جملة رجاله فأجابهم إلى ذلك، فلما كان تاسع ذي الحجة سنة ٤٠٠ هـ اجتمعوا في القصر فملكوه وأخذوا ابن عبد الجبار أسيرًا وأخرجوا المؤيد بالله فأجلسوه مجلس الخلافة وبايعوه

وأحضروا ابن عبد الجبار بين يديه فعدد ذنوبه عليه، ثم أمر بقتله، فقتل وطيف برأسه في قرطبة وعمره ثلاث وثلاثون سنة.

عاد المؤيد إلى سرير الملك فسلم زمام تدبيره إلى رجل من العامرين، فتian الوزير أبي عامر، يدعى واضحاً وأدخل أهل قرطبة إلى حضرته فوعدهم ومناهم وأحبوه، وكتب إلى سليمان بن الحكم وأصحابه من البربر وهم في شاطبة يدعوهم إلى طاعته فلم يجيبوه فأمر أجناده بالحذر والاحتياط، ثم أن سليمان والبربر راسلوا ابن الفونس ملك الإفرنج أنهم يسلمون إليه حصوناً كان المنصور بن أبي عامر قد فتحها، ويستمدونه فأرسل ملك الإفرنج إلى المؤيد يعرفه الحال ويطلب منه تسليم الحصون فسلمها إليه خيفة أن يعين عليه سليمان.

ولما أيس البربر من أنجاد الفرنج رحلوا فزلوا قريباً من قرطبة وجعلت خيلهم تغير يميناً وشمالاً، وخرّبوا البلاد فعمل المؤيد سوراً وخندقاً على قرطبة أمام السور الكبير، فانتقل سليمان إلى الزهراء فملكها عنوة، وطغى البربر في أهلها، ثم أن واضحاً كاتب سليمان يعرفه أنه يريد الانتقال عن قرطبة سراً ويشير عليه بمنازلتها بعد مسيره عنها، ونما الخبر إلى المؤيد فقتله وحدث وقائع كثيرة بين المؤيد وسليمان راسل في آخرها سليمان نائب المؤيد بسر قسطة وغيرها يدعوهم إليه فأجابوه واتفقوا معه وانتهى إلى قرطبة فملكها بعد حرب وحصار وشدائد وأخرج المؤيد من القصر محمولاً إلى سليمان ودخل سليمان قرطبة سنة ٤٠٣ هـ.

ثم حدث للمؤيد مع سليمان أمور فخرج المؤيد إلى شرق الأندلس في قول حيث قضى نجه، وفي آخر أمره غموض (راجع في [ذلك] ابن الأثير، ج ٩، بحث تفرق ممالك الأندلس، وبحث ابتداء الدولة العلوية).



واستقر الملك لسليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر

المتلقب بالمستعين بالله أولاً، ثم أضاف إليه الظافر بحول الله آخرًا، وكان أديبًا شاعرًا بليغًا مولده سنة ٣٥٤هـ، وقد أريقت في أيامه دماء كثيرة كما تقدم، وكان البربر هم الحاكمون في دولة لا يقدر على خلافهم لأنهم كانوا عامة جنده وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه.

ولا أرى بأسًا بإيراد هذه القصيدة من شعر سليمان (المستعين / الظافر) نقلًا عن كتاب المعجب في أخبار المغرب، تفكهة، قال:

عجبًا يهاب الليث حدّ سناني	وأهاب لحظ فواتر الأجفانِ
وأقارع الأهوال لا متهيبًا	منها سوى الإعراض والهجرانِ
وتملك نفسي ثلاثٌ كالدمى	زُهر الوجوه نواعم الأبدانِ
ككواكب الظلماء لُحْنٌ لناظر	من فوق أغصان على كُثبانِ
هذي الهلال تلك بنت المشتري	حسنًا وهذي أخت غصن البانِ
حاكمت فيهن السلو إلى الصبي	فقضى بسلطان على سلطانِ
وأبحن من قلبي الحمى وثينيني	في عزّ ملكي كالأسير العاني
لا تعذلوا ملكًا تذلل للهوى	ذل الهوى عزٌّ ومُلك ثاني
ما ضرّ أني عبدهنّ صبايةً	وبنو الزمان وهنّ من عبداني
إن لم أطع فيهنّ سلطان الهوى	كلفًا بهنّ فلسْتُ من مروانِ
وإذا الكريم أحبّ أمّن إلفه	خطبَ القلى وحوادث السلوانِ
وإذا تجارئ في الهوى أهل الهوى	عاش الهوى في غبطة وأمانِ

وهذه القصيدة إنما نظمها المستعين معارضًا بها الأبيات التي عملها العباس ابن الأحنف على لسان هارون الرشيد فنُسبت إليه وهي:

مَلَكُ الثَّلَاثُ الْأَنْسَاتُ عَنَا فِي وَحَلَلَنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعَنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأَطِيعَهُنَّ وَهَنَ فِي عَصِيَانِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ سُلْطَانَ الْهُوَّى وَبِهِ قَوِينَ أَعَزَّ مِنْ سُلْطَانِي
وهذه القطعة أرشق وأعذب، ومن لمثل المستعين وهو لا [...] ^(١) مشتغلاً في
ثورة يطفئها أو نار يوقدها ومُلك يدبره أو عرش يحافظ عليه، فيجاري العباس
ابن الأحنف وهو الشاعر الرقيق المطبوع ولا عمل له يشغل قلبه إلا ترقيق شعره
وترويقه. انتهى.

وكان من جملة جند سليمان (المستعين / الظافر) عند دخوله قرطبة، رجلان
من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وهما القاسم وعلي ابنا حمود بن ميمون
ابن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب، فجعلهما سليمان قائدين على المغاربة ثم ولى
أحدهما علياً وهو الأصغر منهما مدينتي سبتة وطنجة، وولى القاسم الجزيرة
الخضراء، ورأى علي ما صارت إليه حال خلافة الأمويين فتحركت في نفسه
غيرة العلويين فكتب بعض العصاة من العبيد والبربر يخبرهم أن المؤيد لما
كان محصوراً في قرطبة كتب إليه يوليه عهده ويعدّهم وعوداً طائلة فاستجابوا
له وبايعوه فزحف بهم إلى مالقة فتملكها ثم إلى قرطبة فدخلها بعد قتال عنيف،
وكان ناقماً على سليمان أشياء يضمنها له في نفسه فاستحضره إليه، وضرب
عنقه بيده يوم الأحد لتسع بقين من المحرم (٢١ محرم) سنة ٤٠٧ هـ، وقتل أباه
الحكم بن سليمان بن الناصر أيضاً في ذلك اليوم وهو شيخ كبير له ٧٢ سنة.

وكانت مدة ولاية سليمان منذ دخل قرطبة إلى أن قتل ثلاثة أعوام وثلاثة
أشهر وأياماً، وكان قد ملكها قبل ذلك ستة أشهر، وكانت مدته منذ قام مع البربر

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

إلى أن قتل سبعة أعوام وثلاثة أشهر، وبمقتله أطفئ ذكر دولة بني أمية على المنابر في هذا الوقت في جميع أقطار الأندلس.

* *

وولي علي بن حمود وتسمى بالخلافة وتلقب (بالناصر) وقد تقدم نسبه فاستمر له الأمر في قرطبة عامًا وعشرة أشهر إلى أن قتله صقالبة له في الحمام سنة ٤٠٨ هـ، وخلف من الولد يحيى وإدريس.

* *

فولي بعده أخوه القاسم بن حمود، وكان أسنّ منه بعشرة أعوام، وكان وديعًا رقيقًا فلم يغير للناس عادة فأمنوا معه وبقي كذلك إلى شهر ربيع الأول سنة ٤١٢ هـ فقام عليه ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود بمالقة فهرب القاسم من قرطبة بلا قتال ورحل إلى إشبيلية وزحف ابن أخيه يحيى المذكور من مالقة بعسكره، ودخل قرطبة بلا قتال وتسمى بالخلافة، وتلقب بيحيى (المعتلي).

وبقي المعتلي كذلك إلى أن اجتمع للقاسم أمره واستمال البربر وزحف بهم إلى قرطبة فدخلها سنة ٤١٣ هـ وهرب يحيى (المعتلي) إلى مالقة، فبقي القاسم بقرطبة شهورًا ثم اضطرب أمره وغلب ابن أخيه يحيى على الجزيرة الخضراء وابن أخيه الثاني إدريس بن علي صاحب سبتة على طنجة، ورأى تغيرًا من أهل قرطبة عليه فخافهم وانتقل إلى إشبيلية وبها كان ابنه محمد والحسن، فلما عرف أهل إشبيلية خروجه عن قرطبة ومجيئه إليهم طردوا ابنه ومن كان معهما من البربر، وضبطوا البلد؛ فلحق القاسم بشريش، واجتمع البربر على تقديم ابن أخيه يحيى فحصره وأخذوه إلى يحيى أسيرًا حيث ظل عنده وعند أخيه إدريس بعده إلى أن مات إدريس فقتل قبل موته القاسم خنقًا سنة ٤٣١ هـ، وحُمل إلى ابنه محمد بن القاسم وهو بالجزيرة فدفن هناك.

فكانت ولاية القاسم منذ تسمى بالخلافة بقرطبة إلى أن أسره ابن أخيه ستة أعوام ثم كان مقبوضاً عليه ست عشرة سنة عند ابني أخيه يحيى وإدريس إلى أن قتل وعمره ثمانون سنة وله من الولد محمد والحسن.

* *

وأقام يحيى بن علي الفاطمي (المعتلي) نافذ الأمر في الولاية إلا أنه لم يدخل قرطبة، وإنما كان مقيماً بقرمونة، وبينما كان محاصراً لإشبيلية في أوائل سنة ٤٢٧ هـ خرجت عليه خيل كانت كامنة له فقتلته وانقطعت دعوته^(١).

* *

وكان قد نقم أهل قرطبة على العلويين ميلهم إلى البرابرة وانقيادهم لهم فأزعموا على رد الأمر إلى بني أمية فاخترأوا منهم عبد الرحمن ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، ولقبوه (المستظهر) وكان أديباً فهماً رقيق النفس عارفاً بالبلاغة وأساليها، هكذا يصفه المؤرخون ولا أراهم ينعتونه بالخبرة في السياسة والمعرفة بشؤون الملك على أن الملوك لا يحسن البحث عن معرفتهم بالشعر والأدب والإغضاء عن بيان منزلتهم في السياسة والدهاء ولكن ما الحيلة وجل أصحاب تواريخنا إنما يُعنون بالملك إذا كانت له أخبار مع جواريه حساناً، أو كان له اشتغال بالأدب وعلم بالمنظوم والمنثور!

ولد المستظهر سنة ٣٩٢ هـ وكنيته أبو المطرف وبويع بالخلافة في رمضان سنة ٤١٤ هـ وعمره ٢٢ سنة فلم تطل مدته غير ٧٤ يوماً، إذ ثار عليه محمد ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر مع طائفة من أراذل العامة فقتلوه في آخر ذي القعدة سنة ٤١٤ هـ ولا عقب له.

* *

(١) أشار الزركلي في هامش الأصل إلى فترة أخرى بقوله: «نشير هنا إلى فترة السنين السبع بين سليمان بن الحكم وصاحب هذه الترجمة» «المقدم».

وولي بعده محمد بن عبد الرحمن المذكور، ومولده سنة ٣٦٦هـ وكنيته أبو عبد الرحمن، ولقب (المستكفي بالله) وكان في غاية السخف وركاكة العقل، وسوء التدبير، فاستوزر رجلاً حائكاً! اسمه أحمد بن خالد، كان المدبر لأمره والمدير لدولته، فدامت خلافته ستة أشهر وأياماً وساء القرطبيين سيرة فدخلوا عليه فقتلوا وزيره الحائك وأخرجوه هو إلى ظاهر المدينة مخلوعاً مطروداً فلحق بالثغور ومعه قائد ضجر منه فعمد دجاجة فسمّمها وقدمها إليه فأكلها المستكفي فمات مكانه، وهو في قرية تعرف «بشمنت» بالقرب من مدينة سالم، وذلك سنة ٤١٨هـ.

وبعد ذلك اجتمع رأي رؤساء القرطبيين على تولية أبي بكر هشام بن محمد ابن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وكان مقيماً بحصن يدعى البنت من ثغور قرطبة، فبايعوه في شهر ربيع الأول سنة ٤١٨هـ وتلقب (المعتد بالله) وكان مولده في سنة ٣٦٤هـ، وخاف إن دخل قرطبة أن يقتله أهلها فبقي يتنقل في الثغور ثلاثة أعوام والفتن قائمة في البلاد إلى أن اتفقوا على أن يسير إلى قرطبة عاصمة المُلْك فدخلها في ثامن ذي الحجة سنة ٤٢٠هـ، ولكنه لم يبق بها إلا يسيراً حتى قامت عليه طائفة من الجند فخلعوه وأخرجوه من قصره هو ونساؤه وخدمه، فدخلوا الجامع الأعظم يُتعطف عليهم بالطعام والشراب أياماً، ثم أخرجوا عن قرطبة فقصد الثغور ولحق بابن هود، وكان متغلباً على مدينة لاردة وسرقسطة وإفراغة طرطوشة وتلك الجهات فأقام هشام عنده إلى أن مات في سنة ٤٢٧هـ ولا عقب له.

وهشام هذا آخر ملوك بني أمية في الأندلس، وبخلعه انقطعت الدعوة لهم، وانقطع ذكرهم على المنابر بجميع الأقطار، وآل أمر البلاد إلى استقلال كل عامل بما يلي فاستمرت بينهم الفتن والإحن يستنصرون بالأسبانيين تارة،

وبالروم طورًا حتى سنة ٨٩٧هـ حين انتزع الرئاسة منهم أهل البلاد من الأسبانيول وتفرقوا واطمحل شأنهم.

وهذا آخر ما يقال على ضيق المجال في الكلام على خلفاء بني أمية في المغرب اعتمدت فيه على عدة كتب يثق بها العارفون بالتاريخ منها: كتاب نفح الطيب للمقري، والكامل لابن الأثير، والشذرات لابن شفده، والبيان المغرب لابن عذارى، والمعجب للتميمي، والاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، وغيرها مما يطول شرحه تجدها في بيان الكتب، التي أخذت منها في آخر هذا الكتاب إن شاء الله^(١).

(١) لا يوجد بالأصل ثبت بهذه الكتب. وعله كان ينوي كتابة هذا الثبت، ولكنه لم يكتبه لسبب ما (المقدم).

ملوك على غير تنسيق

كشف

قدمت الكلام في هذا المطلب، مطلب صدور الخلفاء والملوك، على دولة الراشدين في الحجاز فالأمويين في الشام، ثم العباسيين في العراق، فالأمويين في الأندلس، وأردت إكمال الشوط إلى زمننا هذا مترجمًا مشاهير كل دولة من دول الإسلام كالدولة الإدريسية بمراكش، والأغلبية بتونس، والطولونية بمصر، ودولة بني بويه بإيران، والمرابطين والموحدين بمراكش، والأيوبيين والخديويين بمصر وهلم جرا غير أني لم أجد في ذلك العمل كبير نفع؛ لأنه يشغل مكانًا رحيبًا من الكتاب أضطرّ فيه عند ذكر كل ملك إلى الإلمام بتاريخ دولته صعودها وانحطاطها، وقوتها وضعفها، وهذا يحتاج إلى كتاب كبير ينفرد له كما صنع أحد أدباء المعاصرين «رزق الله منقريوس الصدي» فإنه جمع كتابًا في ثلاثة مجلدات سماه «تاريخ دول الإسلام» تكلم فيه على سبع وستين دولة إسلامية، وبوّبه تبويبًا لم يسبق إليه، ولولا ما فيه من ضعف في الإنشاء وخلط في بعض المواضع لنال الحظوى عند الفضلاء.

على أن كتابي هذا إنما جئت به للكلام على كبار الرجال وأعاضهم لا لإحصاء أخبار الدول والبحث عن الممالك فرأيت أجدر بي أن أقف عند هذا الحد وأختتم باب الخلفاء والملوك بأشهرهم بعد عباسية العراق، وأموية المغرب مكتفيًا منهم بمن علا له صيت أو سار له ذكر.

والسلام.

الكتاب بخط المؤلف

لم أضع / هذا الكتاب باسمي
ولا مقدمة. وأظنني كتبت هذا
سنة ١٩٢٨ أيام وضعت « منجم
مالكي في المعجم » . لقصاصات
الصحف .

خالد

المبقي

بإيضاح -

ياتي لواء عنوان بيت النبوة " كل من انقذه نسبة بسبب النبي نرى
 عليه افضل الصلوات والسلام : من تقدم من عهد عدنان ، او من تأخر عنه إلى
 هذا الزمان . وذلك امر يطول على مثل هذا المصنف ، وأحرى به ان يكون
 في إفينغ ولد . أما ما عولت على الاستقاء به في هذا الباب فهو أنني
 سأنته بذكر خدمة ترجمة الرسول اعظم ثم ألتحقها بأخبار أشهر رجال
 شريف ثم بالعلوم على أنبه أعمه ذكرها وأرفعه قدرها وأختتم
 بسطين الأملين رضوان الله عليهم ، وفيها لائحة الرشي عشر وأشباههم
 الفضيلتين : الارتباط بالنسب النبوي الآخر . والنبوغ
 في الرجال : كالعلم ورياسة واستجاعة وإشارة : صا
 فودت كالمه قصداً أشبعت العلوم فيه على ما اردت الايمان عليه .
 يتم كتاب الوقوف على أخبارهم وآثارهم في مظانهم من خصوص الكتاب .
 ليس أنسأل سيد خطاي إلى وضع أسبيل .

محمد بن

ولد سنة ٢٥٧١ - ٥٤٠ هـ م . و
 وهاجرة سنة ٢٥٧١ - ٥٤١ هـ م . و

بينما الرب في ليلة ليده من جاهلية عياض ، ا
 يا من قوتهم ضعيفهم ، ويفضل غوتهم شريعهم
 وانصاب الفتنة منصوبة ، سيوف سحولة ، وارواح مندوبة
 ولا رايح ، كنهية ولا حكم ولا صيل ، وهم الى الغناء اقرب منهم الى
 بعيدون عن فضاء العلم والدينية ، لا هم لهم الا القليل والنزال ، على شئ
 ما فيهم من ذوي العقول الرجيعة ، والذاتة الضعيفة ، وما في اخلاقهم
 من اللذعة ، والجمدة ، والدياوة ، والفيرة ، وما في اجسامهم من
 القوة والحانة والصلابة ، وما في عشارهم من التضامن والجلالة
 لا اراهم واحدا ، تتوارث الاصفاء ، عدا الآباء ، عدا الزهاد اراهم
 في قلوبهم مكانا خاليا فتحت ، فسطحتهم عدا مارة غيرهم
 الفرس والروم في حلبة الحضارة والعراة ، والعلم والعدا
 اراد الله بهم الخير فارسل لهم من انفسهم هاديا حليما
 ضمهم فطنتهم وودعهم جميعهم وامات كاسهم اضعافهم ووجههم
 بنيانا لدينهم واورع في ارفعهم نورا لا تطفئ العصور والامم
 ذمت هو : النبي الاعظم : محمد به عبدالله به عبدالمطلب به هاشم به علي به
 مناف به قصي به صلاب به مرة به كرم به نورا

ابن خزيمة به صدقة به الياس به مفر به زرار به معديه غدانه . والى هنا ينتهي
نسب الشريف و ما وراء ذلك فالحذف فيه كثير . ولد له صديقه عليه السلام بمكة .
ومات ابو له بعد مولده بشهر . فكفله جده عبدالمطلب . وباتت امه آمنة بنت
وهب وعمره ست سنوات . ثم مات جده وله من العمر ثمانية اعوام . فأتته تربيته
عبدالمطلب . فنشأ مدفواً بالشجاعة والهمة والولادة والصدقة والادب والفطنة
والعقل وقوة الإدراك . ولقبه قوم بلدييه . ولما بلغ الخامسة والعشرين زوجوه
عنه بخديجة بنت خويلد القرشية الأسدية . وكانت قد أرسلت بتجارة الانعام فأفلح
وربح . وفي العام الرابع من مولده بعثه الله الى الناس ببشر أو تنذيراً
فجعل يدعوهم ويرشدهم خفية مدة ثلاث سنين . ثم أعلن الدعوة وكلمه قومه
بجماعة مهادمة وذوي قريظة . فذات به قريش وأذنته . فعبد . واقام بمكة
ثلاثين عاماً جدياً حتى اشتد اذى عشيرة لمعة مات في اثنا عشر عاماً وأكبر
عاصم له من اعدائه : ابوطالب به عبدالمطلب . وأسلم في اواخرها عمره مائة به عبدالمطلب
نجدة لابنه اخيه ونفذة له . وأسلم عمره به الخطاب . ولما كان عند ذنوبهم وفيهم
ابو له حتى به ابنه طلبة ، ومولاه زيد به حارثه ، وصديقه ابو بكر ، وصاحبه
عثمان به عفانه ، والزيد به العوام ، وعبد الرحمن به عوف ، وصديقه ابي وقاص ،
وطهارة به عبيد الله . فرأى النبي صديقه عليه السلام أنه يأذنه له ليس له عشيرة تحميه من
شر قريشه بالهجرة الى ارض الحبشة . فهاجر جماعة مهادمة . ثم اسلم سنة
من الاوس والخزرج من سكان المدينة وذهبوا اليها فشرعوا في الاسلام في اثنا عشر
فجاء منها اثنا عشر من الانصار فآمنوا به فبعثهم مصعب به عمير به هاشم
ابو عبد مناف ليعلمهم شرائع الاسلام والقرآن . فلم يمض غير قليل حتى
لم تبعه واليه دور الانصار الا وبها سلموه الدار بني اية به زيد . ثم ذهب
الى مكة جماعة منهم فخرجوا على النبي واصحابه الهجرة اليهم والواقعة في يثرب هي

وما هذو

المدينة المنورة . ~~فصل~~ ثم لما هذو ~~فصل~~ فاستوفوه منهم ، وأمر
اصحابه بالزحف به مكة ثم لقمهم . وبلغ قريشاً خبر رحلة فقصدوه ليقتلوه فهاه
انه منهم . ودخل المدينة ^{بها} بعد اقامته بمكة ثبوتاً عشراً عاماً . ومدة دخوله
المدينة يتبدل التاريخ الهجري . وكانت الدعوة الاسمية لتخرج عبد الله
والبرهان . وكنته ~~فصل~~ لما طأ في المدينة . وعلم انه اعداده غير تاركه
بل لا بد لهم به قصد . ومحاولة ايدائه . رأى انه السيف لا يدفعه الا السيف
فأمر المسلمين باعداء القوة ومحاربة خصومهم وبغاة الشر بهم . فحدثت موقعة
يسيرة ثم عظم أمرها فلما كانت السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان
كانت غزوة بدر الكبرى . وفي هذه السنة كانت غزوة بني قينقاع ، والكدر ،
والسويح . وفي السنة الثالثة كانت غزوة احد ، وغزوة حمراء الأسد ،
وغزوة الرجيع ، وفي الرابعة غزوة الربيع ، وغزوة ذات الرقاع ، وغزوة
بدر الثانية ، وفي السنة الخامسة كانت غزوة الخندق ، وغزوة بني قريظة ،
وفي السادسة غزوة بني ثعلبة ، وغزوة بني قرد ، وغزوة بني المصطلق ،
وفيها بعث رسول الله الرسل الاكرى وقيصير والنجاشي وغيرهم من
عظماء الملوك كالحقوقي بمصر والحارث الغساني باليمن . وفي السنة
السابعة من هجرته كانت غزوة خيبر . وفي الثامنة غزوة ذات السلاسل
وغزوة مؤتة ، وفيها فتح المسلمون مكة المكرمة ، وكانت غزوة هوز
بجنيين . وفي التاسعة غزوة تبوك ، وغزوة طي ، . . . وكل هذه
الغزوات كانت حروباً ~~فصل~~ بين المسلمين وعرب الحجاز وكذا غيرها
ثم به النصر للمسلمين حتى ارتفع شأنهم كوطأ طأت لهم العرب رؤوساً .
فدخلوا في الديار افواجا . وارسلت القبائل وفود الطاعة الى النبي صلى
الله عليه واله وسلم . ومنه ~~فصل~~ على اخبار العرب من لويته فليص
الى

و لم يتوقفه الله إلا ليعتد به

الملك القادر على ختم الصفات الكتابية على كونه الوكيل وقادر على الطيرة
والسير في البرية والحيوي وغير ذلك مما يعقد بالكتاب وبالحكمة

~~الملك القادر على ختم الصفات الكتابية على كونه الوكيل وقادر على الطيرة~~
جزيرة العرب وما ذاق ذلك من التام والعراة وجبى له منها ما سراً
ولم يجد قاتلاً وجزيرة ما لا يجبي للكون الدبقه وهاداه جماعة من ملوك
الاقليم فلم يستأثر بشيء مما وروده ولا أحد من درهماً بل صرفه

مصارفه وأغنى به غيره وقوى به السليمة .. ~~الملك القادر على ختم الصفات الكتابية على كونه الوكيل وقادر على الطيرة~~

شيئاً مقدماً ~~الملك القادر على ختم الصفات الكتابية على كونه الوكيل وقادر على الطيرة~~ خطيباً ..
قال إنس به ملك : كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشجع الناس وأسمح
الناس وأحسن الناس ؛ وقع في المدينة فزع فركب فرساً هرياً ،
قهره الناس إليه وهو يقول : ايها الناس لم تراعوا لم تراعوا ! . وقال
علي به أي طالب : كنا اذا اشتد البأس اتقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما نه اقربنا الى العدو . ~~الملك القادر على ختم الصفات الكتابية على كونه الوكيل وقادر على الطيرة~~ ..
قال صلى الله عليه وسلم : اوتيت جوامع العلم

ما اختصر لي العلم اختصاراً . وهذه بذرة من اقواله في الاجتماع والسياسة وفنون
آية المفارقة ترون : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان .

أحب الجهاد الى الله : كلمة حقه تعالى لولم جار

حبيب حبيبك هوئلاً ، لعسى انه يكون بيفضلك يوماً ، ولعله يفيضك يوماً عسى ان يكون حبيبك يوماً .

المعبود الهوانج بعزة النفس فان الدور تجري بالمقادير
أملك عليك بصفة ملك فهو خير لك .

ألا اذكركم مع اللهكم ؟ - أملككم لفق عند الغيب

- الوقت عاد نصف العيشه ، وحسن الخلقه نصف الدين —
 — الجنة تحت اقدام الاولات —
 — الجنة تمت ظلل السيوف —
 — الحزم سوء الظن . —
 النعم مدسلم المسلمون مدلسه ويده
 خير الناس أنفعهم للناس
 دعوا الحساد العاقر وتزوجوا السواد والولود قاني الكاثر نعيم يوم القيامة .
 — الرعي خير ما لهوتم به —
 زُرْ غِيَا تَزِدُ دَجِيَا
 الصبر عند الصدمة الاولى
 عرامة الصبي في صفه زياده في عقله في كبره .
 — ليس المؤمن بالذي يسبع وجاره جائع الا جنبه —
 — من استعمل رجلا معصاة وفيهم رهو أرضه لدمه فقد خاد الله ورسوله والمؤمنين . —
 — من شئ مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقه فرج من اسلام —
 المشاور مؤتمن فاذا استشير فليشر بما هو صالح لنفسه
 وما اثبت رجل الحديث وثقة الرواة من نعوته وادعائه صدق عليه السلام
 كان اذا خطب احمرت عيناه وهدم صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش .
 ركان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا .
 كان طويل الصمت قليل الضحك ، واذا تكلم تبسم .
 كانه يجلس على الارضه ويأكل على الدرعه ويحجب دعوة الملوك على خير الشيعه .
 كانه يخطب ثوبه ويخسف ثعبه ويحلب المسكينه
 كانه اذا سئى لم يلتفت ، واذا التفت التفت جميعا . يكافئ في كل ما يراه من الخير .
 كان

- كان اذا ضحك وضع يده على فيه
- كان اذا اهتم اكثر به صبر عليه .
- كان اذا اراد غزوة ورى بغيرها = وهو القائل : الرب خدعة .
- كان استجاباً له العذراء في صدرها .
- كان ضخم الرأس واليديه والقدين ، ليس بالطويل ولا القصير ، سبط الشعر .
- كان فيه وعابة قليلة ، واذا مزح غفغف بهمه .
- كان في صلوة ترتيل وترسيل .
- كان لونه اسمر . وخلقته ثامة . عيانه سوداوان . وفي خديه حمرة .
- كان متواضعاً في غير مذلة .
- كان يأخذ المسك فيمسح به رأسه ولحيته .
- كان يرسل شعره الا انصاف اذنيه .
- كان يلبس قنصوة بيضاء ،

وكتب الحديث صفحة بدرر الفاظه مشحونة بحسان اوصافه . واما معجزاته
 فحسبنا من المعجزة الخالدة التي هي القرآن الكريم المبكم بفضاعة بقاء
 المجاهدية المحت بأحكامه حكماء الناس أجمعيه وهو الذي أجمع عقلاء الوم
 كانت مع انه أفضل الكتب السماوية واجدها بالبقاء وأصلها للبشر
 وانفرد للناس . . وكان رسول الله ، صمداه عليه ، كثير الزوجات . قال ابن
 الكلبي النشابة : تزوج النبي خمس عشرة امرأة ، دخل بثلاث عشرة منهم ، وجمع
 بيها إحدى عشرة ، وقوتني وعنده تسع نسوة . وولده سبعة اولاد :
 ثمانية ذكور واربع بنات . فأما الذكور فالقاسم - وبه كاه يكنى - ، وعبد الله ،
 وابراهيم . وكلام ما تواصفاً لم يتجاوز اقدم السنينه . واما البنات : فزينب
 ورقية وام كلثوم وفاطمة . وكلهن عشن حتى كبرن وتزوجن . ولم يكن له اولاد

نزل الامه ابنته فاطمة . تزوجها ابيه عمه علي به ابي طالب . فولدت له الحسن
والحسين واليهما نسبة كل منتسب الى النبي المصطفى . صدقاته عليه . وولد له اولاد
ثلاث ستمه : محسنات صغيرا . وكان لرسول الله كتاب يستعيبهم ، لانه لم يتعلم
الكتابة ، منهم : عثمان به عفاه ، وعلي به ابي طالب ، وزيد به ثابت . ومعافيه به ابي
فياض . وكان له ستونون يضربونه الدعاء به يديه ، وقرآن اتقدهم
حتى نزل قوله تعالى . والله يعصمك من الناس . فتركهم ، ومؤذنون ، ورسل ،
شعراء ، وخطباء ، وخدم ، وخيل ، وبعال ، ولابل ، وحرار ، وبيع
لغيره سيف ودرع وقتي ورماح وحراب وخوذة ومجن . وفي آخر
سنة من حياة الشريفة حج محبة الوداع وخطب فيها فأتان للناس ماله وملكهم
وهي من أطول خطبه وانتهى استيعابا للموردين والدنيا . وفي المدينة المنورة
بدأ به ألم في آخر صفر وحم . واشتد به الصداع فتوفي يوم الاثنين ثاني عشر
ربيع الاول . وفي مثل هذا اليوم كان مولده . فدفن في مرقده الشريف في
المدينة المنورة ، بعد أن اسس للناس مدينة اشرفت شمسها اليوم
في جميع أقطار الارض وديننا يعتنق نيف وستا مليون من البشر . صلى
الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا

{ عدنان }

كان في نحو سنة ١٩٠٠ قبل الهجرة

كان النبي صدامه عليه وسلم اذا انتسب فبلغ عدنان يسك ويقول :
كذب السابون . فلو تبا ورف . واجماع المؤرخية ورجل الانساب على أن
عدنان من ابناء اسما عيل به اباهم عيلهم اسدوم . واسماعيل يبتدئ به
القسم الثالث من اقسام العرب في جاهليتهم . وذلك أن المؤرخين يسمون الجليل

« كان النبي صدامه عليه وسلم اذا انتسب فبلغ عدنان يسك ويقول : كذب السابون . فلو تبا ورف . واجماع المؤرخية ورجل الانساب على أن عدنان من ابناء اسما عيل به اباهم عيلهم اسدوم . واسماعيل يبتدئ به القسم الثالث من اقسام العرب في جاهليتهم . وذلك أن المؤرخين يسمون الجليل

الاول من احيال العرب ، العرب العاربة « وهم الذين انقطعت اخبارهم وبارت
 آثارهم وربما سبهم العرب البائدة ، ومنهم قبائل عاد وثمود وطسم وجديس
 وعمرهم اهل . والجبل الثاني يتدعى بقحطان وسوء « العرب المستعربة »
 يذهبون اليه قحطاً وابنه يعرب اخذاً العربية عنه تقدمهم وسبأ في اهل
 قحطان وبنو . والجبل الثالث العرب المستعربة « ويبدأ باسماعيل عليه
 السلام . وسبهم مستعربة لان اسماعيل لم يكن عربياً وانما هاجر معه امة هاجر
 مائة ام الى الحجاز . وكان الحجاز وتزلاته حينئذ مقراً للعاقلة ، فاصابت
 سكانه اليمه جماعة فثابت عده قحط اصحاب بدرهم فأقبلوا راجعين فوثر امة
 يطعمهم الماء والرعي . فاجتمع بهم اسمعيل وامه فأقبلوا معهم . واحتلوا اسفل
 مكة ثم حاربوا العاقلة سكان الحجاز فأهلكوا امة لهم . واثم الياسين في الحجاز
 في ربيع الحجاز وتزلاته وفيهم بقية من جدتهم البائدة (وهم من العرب المستعربة)
 فثابت اسمعيل فيهم وتقدم منهم اللغة العربية وكما يتكلم بالعدينية . وزوجوه
 من بناتهم فخرج فيهم نسب وكان من اصفاده عدنان — المتكتم واليه
 ينسب الجمل الفقير من عرب الحجاز : وذات افة ولد له سعد وولد له
 تزار ، ومن تزار ~~بنو~~ ربيعة وبكر : وهذان هما الذين
 كثرت بطونهما . فثابت من ربيعة قبائل كثيرة لها شجرة وذكر في تاريخ
 العرب اذ كانوا ينامون مضطجاً في الشرف والرفعة ومنهم كما في الخوارج
 في الاسلام ، ومنهم ~~بنو~~ بنو أسد وبنو عديس
 وعذرة وبكر وتغلب وائل والداقم والدؤل وغيرهم ما يسطر على
 الانساب — انظر انساب العرب للقلقشندي . وتسميت قبائل قحطان
 شعثية : قيس بن عديس بن مضر ويطون الياس بن مضر . فقه بنو
 قيس بن عديس : ~~بنو~~ بنو فطان ~~بنو~~ بنو عديس وبنو عديس

الكتاب في الحجة بالبرهان والبرهان في الحجة بالبرهان
 قبحه من حيث هو وكذا قوله في الحجة بالبرهان
 والله بخليقته أعلم .

{ مضر }

11

مات في نحو سنة ٩٥٠ قبل الهجرة

مضر بن نزار بن معد بن عدنان : أحد سادات قريش . وبنوه كما في العبد :
 اهل الكثرة والفقه بالحجاز من سائر بني عدنان . ولهم الرياسة بمكة والمزم .
 ومضر : أول من سرق الحياء لدول . وكان من أحسن الناس صوتاً . وهو
 صاحب المثل السائر « بصيص . إذا جدين بالاذناب » قاله وكان في
 سفر فوقع فرؤيت يده فجعل يصيح به الله : يا يداه ! يا يداه ! . فأنته
 الابل القريبة منه وكانت ترعى فلما صلي وركب حدا . فأعجبه ما رأى
 به الابل فقال : بصيص الخ . فذهبت مثلاً . ومات بمكة .

{ كعب بن لؤي }

11

مات في نحو سنة ٩٥٠ قبل الهجرة

الوجهين كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر : قرشي من كبار
 سادات العرب في الجاهلية وله أعمال مشهورة وذكر في تاريخ الجاهليين
 معروف . قال القلقشندي : كان كعب عظيم القدر عند العرب فلما مات ارتضوا
 بموته العام الفيل (وهو عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم) ثم ارتضوا بالفيل الى أن
 ظهر مرسوم فكانوا يؤرخون بالوقائع العظيمة الى ان قرأ رأي عمر بن الخطاب به على

انتخاذهجرة الرسول الاعظم تأريخاً بمسليته . . وهو اول من سن الاجتماع
في الجمعة وكانت العرب تسميه يوم العروبة . كانت قرينى تجتمع اليه في هذا اليوم
فيعلمهم ويعلمهم وقيل كان يذكر لهم أنه سيكون له ولد من نبي بيته .
وهو الذي سمي يوم العروبة بيوم الجمعة . وقال ابن الاثير المؤرخ : كان كعب
يخطب الناس ايام الحج . فهو الطقباء وادراء . وهو ذاب الناس للنبي
الاشمي المختار . وكانت اقامته بمكة وفيها مات .

قصي

مات في نحو سنة ٤٠٠ قبل الهجرة

ابن المغيرة قصي ، واسمه زيد ، بن كلاب به مرة به كعب به لؤي : كان سيد
قرينى ورئيسهم والمشار إليهم منهم . مات ابوه وهو طفل صغير . فتزوج
امّه فاطمة بنت سعد ، رجل من بني غذرة يدعى حصية ربيعة به مرام . ومار
بلا التام فاخذت قصياً معلماً . فشب في حجر ربيعة . وسمي قصياً لبعده
عنه وارقومه . فكان قصي ينتهي الاربعة الى ان كبر فكان بينه وبينه رجل من
قضاة بني فقيهة القضاة بالتسابه لغيرايه . فعاد الى امه فاعلمه
فما كانه الشهر الحرام فرج مع الحام حتى قدم مكة فتعرف الى قومه من قرينى فعرفوه
فاقام بينهم وكثر ماله وكان موصوفاً بالدهاء والعقل ومعرفة الطرقة الموصلة
لا السيادة والرياسة . فعظم شرفه . وولي الكعبة . ثم كانت له مع
القبائل حروب ووقائع رفعت ذكره . واضطرت له أن يجمع قومه الى مكة من
الشعاب والودوية وبجبهه فسموه مجتاً . وملكوه عليهم فكان اول
قرشي ماله كعب به لؤي اصحاب ملكاً اطاعه به قومه . وقسم مكة ارباعاً
ومنازل بين قومه فبنوا بها المساكن . وكان اليه الحجابة والسقاية والرفادة
والندوة

والندوة واللواء فحاز شرف قريش كله . قال في كامل التواريخ : وتيمنت
 قريسه بامرءه ورأيه فكانت لا تعقد نكاحاً الا في داره ولديتها ورون
 في امرئيل بهم الا في داره ولديته وبنوه لواء الحرب الا في داره يعقده بعله
 ولده وكان امرءه في قومه كالدين المستع في حياته وبعد مماته . ومفر
 بمكة براء ساه العجول وهي اول بنو حفرة قريش بمكة . ولما كبر وبلغ سن
 الهرم جلس في دار الندوة - وهي دار في مكة كانت قريش تجتمع بها في قضاء
 امورها - وجمع بنيته وكانوا قد شبوا وسادوا فرأى اكبرهم سناً اضعفهم
 سناً وهو ولده عبدالدار . فاستغف عليه فقال له : والله لأدخلك بهم .
 فاعطاه رياسته دار الندوة ؛ ومجاورة الكعبة ؛ واللواء - فلان يعقد
 لقريش الويثم في الحرب - والسقاية - فلان يسقي الحاج . والرفادة
 وهي سنة سنوا قصي في قريش وذمت أنهم كانوا يأتونه في كل موسم بشيء
 من اموالهم يصنع منه طعاماً للحاج يأكله الفقراء . وقال ابنه امير في صومه
 مع الرفادة : وكان قصي قد قال لقومه : انكم جيران الله واهل بيته وان الحاج
 ضيف الله وزر واربيته وهم اصدق الضيف بكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وكراماً
 ايام الحج ففعلوا فكانوا يخرجون من اموالهم فيصنع به الطعام ايام منى . قال :
 وجرى الامر في ذلك في الجاهلية والاسلام الى الآن فهو الطعام الذي يصنع
 الخلفاء كل عام بمنى . ثم مات قصي بمكة فخلفه بالسيادة ابناؤه ودفن
 بالمجون فطافوا يزورونه قبره ويعلمونه . وهو ائوب الخامس من اباؤ النبي
 صلى الله عليه وسلم . وفي جملة القبائل يقول ابن عمر :
 ابوكم قصي كان يدعى مجتاً به جميع الله القبائل من فهر

{ عبد مناف }

مات في نحو سنة ١٤٠ قبل الهجرة

عبد مناف به قُصِّي به مَكُوب به مرة : سيد سادات الجاهلية لانت له الشوكة
في قريش . ساد في ايام ابيه قصي وترأس بعده ابيه . وعبد مناف
لقب له وانما اسمه المفيدة . ويكنى ايضاً بأبجد شمس . وكان يقال له القمر
لجماله . وكانت امه حبه ولدت دفعة الامناف وهو صنم بمكة تدعى
غضب عليه عبد مناف . وكان دون ابيه السقف ذكره بالحكمة والتبدير
نعم يُحدث جديداً في قومه بعده . وانقاد له قريش لثلاثة ابيه عندهم
ولسعة تعقدون به وجهم له ولبنيه . قال الجوهري : والنسبة الى عبد
مناف مَنَافِي . قال : وكله والقياس عبيد معدلوا عند لوزالة اللبس .
وهو الادب اربع لرسول الله . وفي آله يقول الشاعر :

قل للذي طعنا السامة والذي هدد مررت بال عبد مناف
الرائثون وليس يوجع رائث والقانون هلم للذخيرة

هاشم بن عبد مناف

ولدت سنة ١٢٠ ومات سنة ١٤٠ قبل الهجرة

هاشم به عبد مناف به قُصِّي : احدثه انتهت اليه سيادة قريش في الجاهلية . اسمه
عمر وكنيته ابو نضلة ولقب هاشماً لانه اول مد هشم الزيد لقوم بمكة . وذك
انه كان احد الاخوان الذين شهد بهم المش في مكة واسماء وشعرا وفيه قصائد وديان
ما تورة . واقفوا له صاب الناس محل فخرج هاشم الى انهم فاشدوا وقيفا وكعلا وقدم
به مكة فاشم الحبز والمكعك ونحو الجزر وجعه ثريدا وأطعم الناس حتى اشبع الجوع
فسمي

فسيهاشاً . قال الشاعر

عمرو الله هاشم التريه لقمه ورجله ملة مستنون مجاف
 وكان هاشم قد بلغ السيادة وهو صغير فعرف شأنه في حياة ابيه عبد مناف
 ولما مات ابوه تولى سقاية الحاج ورفارته (وهي اطعام الفقراء من الحاج كما قلنا)
 نفسه ابيه اخيه له اسماعية به عبد شمس (وهو جد بني امية ملوك الانام) فتكلف
 ان يقتله في كرمه فعمز وظهر عليه انه يصنع قومه لميله فشمحت به ناسه من قريش فقتل
 ودعاهاشاً للثأرة فكد هاشم زدي له وقدره فالحقت عليه قريش حتى رضي
 فتنازلا الى كاهن من بني خزاعة بعصفان واتفقا على ان ينزل المفضل فحين
 ناقة بمكة يطعمها الناس ويرحمه عكة عشرين . فانصرفا الى الكاهن فقال:
 " والقرابهر والكوكب الزاهر والغمام الماط وما بالجوده طائر وما اهتدي
 بعلم سافر من نجد وغار لقد سبه هاشم امية الى المغفر ."
 فتضى بتفضيل هاشم واخذ هاشم ابل فخرها واطعمها وغاب امية عكة بلثم
 عشرينه فمكنت هذه اول عداوة وقعت بين هاشم وامية . ثم توارى بنوها .
 وبينما كان هاشم في سفر الى الانام مرض فتحوّل الى غزاة فمات بها وهو
 في عصر الشباب لم يتجاوز سنه من عشرينه . وكان موصوفاً بالجمال وكرم
 الخدول . وهو جد ابي القاسم محمد صدامه عليه السلام . ربي هاشم يقول آخر:
 عمرو الله ذوالنذي من ليل سابقه مر السحاب ولديح تجاريه
 جفانه كالجوابي للوفود اذا لبوا بمكة نارا هم مناريه
 او امحلا اخصبوا من اقد ملئت قوتاً لخاصره منهم وباريده

عبد المطلب بن هاشم

ولدت سنة ١٢٧ ومات سنة ٤٠ قبل الهجرة

ابو الحارث شيبه الحمد بن هاشم بن عبد مناف : احد عظماء قريش وسيد
من كبار سادات العرب . اسمه شيبه الحمد : قيل لانه ولد وفق
رأس شيبه فسموه بها . وغلب عليه لقبه عبد المطلب : وذلك
أن ابيه هاشم سافر في تجارة الى انهم ضربوا بالمدينة فترد مع عمرو
ابن لبيد الخزرجي من بني النجار فأرأى ابنته سلمى فأحبهت فترجلا ولما عاد
من سفره أخذها معه الى مكة ثم اراد الغلاء انهم فأخذوها الى المدينة
على انه يبيعها عند رجوعه وولدت حينئذ فلما بلغ خزانة عاتكة (وكما
تقوم في ترجمة) وولدت سلمى غلاماً شيبه (او شيبه الحمد) ثم
نشأ في المدينة . وبعده نحو سبع سنين مر بالمدينة رجل مديني الى
فاذا غلامه ينتقلون (يتبارون في صبي السلام) وشيبه بينهم كلها
اصحاب قال : انا ابيه هاشم انا ابيه سيد البطحاء . فقال له : اناري
مدينتي ؟ قال : انا ابيه هاشم به عبد مناف . فلما اتى الحارثي مكة
فمن المطلب به عبد مناف (اخيه هاشم) بما رأى وما سمع فسر المطلب
وركب وارتحل الى المدينة فأرأى غلاماً يظربون كرة فوقف ابيه اخيه
فأخذه واستأذنه منه واركبه مع عهده اناقته حتى قدم مكة فمروا
والناس في محاسنهم فسالوه : من هذا وراؤك ؟ وكانت بزرته
غير حسنة ففعل ابيه به لم فقال : عبد لي . ثم الس حلة ثعبه
به واخرجه للناس فمدتهم بخبزه فكان بعضهم اذا ذكروه قالوا عبد المطلب
فغضب عليه . ثم شيبه بينهم فكانت له السقاية والرفادة ولدت

عليه امارات السيادة والامارة وكان عاقلاً ذا اناة وفطنة وخبرة
فأجبه قومه فرفضوا مدّ يده وطلّ عمره . وحفر بئر زمزم . وهي البئر
التي احتفرها اسحق بن ابراهيم عليه السلام ودققتا جرحهم . فأعادها
وظهر ماؤها . وكان فصيح اللسان حاضراً الجنان . وقد جماعة من
فريش على ملك اليمن سيف به ذي يزن ^{الحديث} حية اورج ملك آباءه يمشونه
بالنيابة عن اهل الحجاز ، فلما دخلوا عليه ، استأذنه عبد المطلب في الكلام فقال :
انه كنت صديتكم بين يدي الملوك اذ نأ . فقال عبد المطلب :

« ان الله قد اصدق ايها الملك محمداً رفيقا . صعباً شجاعاً . باوقاشاً مخماً .
وانبتك منبتاً طابت اروعته . وعزت جراته . وثبت اصدقه . وسود فرسه .
في اكرم معدة . واطيب موطن . فانت ابيت الله ، رأس العرب . ورييس
الذي به تحصبه . ومكراً الذي لا تقار . وعمودها الذي عليه العماد .
ومعقلها الذي اليه يلجأ البعاد . فسلقت خير سلف . وانت لنا صديق خير
خلف . فمن يهدى من انت خلفه . ولم يحل من انت سلفه . فله الا
الملك اهل به حرم الله وذوته وسنة بيته أخصنا اليك به
أنه يهدى لكف الكرب الذي قد حنا . فمن وفد الهنئة . لا وفد
المرزية . لا زلت ناعم ابان . مرشداً في كل حال . »

فقال سيف الملك : من انت ايها المطلب ؟ قال : انا عبد
المطلب به هاشم . قال : ايه اختنا ؟ قال : نعم . فأقبل عليه به
بين القوم وقال : « مرحباً واحمداً ^{وساماً} وساماً . وناقته وحده . ومكاً
رحموا . يعطى عطاء جزلاً . قد سمعت مقالكم . وعرفت قرابتكم
بنتكم اهد الشرف والنباهة . ولكم الكرامة ما اقيم والجاء
اذا لمستم . » ثم امر بهم الى دار الضيافة فاقاموا شهراً لا يؤذن

في مقابله ولوفي انصراف . ثم دعا بعد الطلب فاضربه انه كتبهم مساوية
تبشر بني يظلمه ذرية . وامره انه يكتب ذلك . واجزال له العطايا
واكرم من جاء معه وادن لهم فسادوا . (وكان عبدالمطلب اذا دخل شهر رمضان
صعد مراء فتحت له (اي تعبد) والطعم الكاية جميع الشهر . وهو اول من
خضب بالسواد ^{من العرب} . مات وعمره ٤٥ سنة . كما في عيون التواريخ . وفي الكمال
انه عاش ٤٥ سنة . وفي سبائك الذهب ٤٥ . وخلف اثني عشر ولدا
وهم : عبدالله ، وابوطالب ، والزبير ، وعبدالكعبة ، والعباس ، وضار ، وحزرة ،
والمقوم ، ~~والمقوم~~ وابولباب ، وقثم ، والفيذاق ، والحارث . ~~والمقوم~~
وبعده النسابة بعدهم عشرة : يرحل عبدالكعبة وقثم . ^{ويزيد بنات} وانا ذاك فيا
في تراجم اشهر هؤلاء . وفي كتب البيرة النبوية انه سئل انه كان اذا انتهى في الحرب يقول :
انا انصبت لك دما ، انا انا عبدالمطلب ! "

عبدالله بن عبدالمطلب

ولد سنة ٨١ ومات سنة ٤٠ قبل الهجرة

ابو قثم عبدالله النجاشي بن عبدالمطلب بن هاشم : والد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد
في مكة ونشأ بها وهو أصغر ولد عبدالمطلب وأصغرهم عمرا . وكان عبد
المطلب ابوه قد نذر : لمن ولده عشرة أبناء وشبوا في حياته وكانوا
أخوانا له على أعدائه لينحره أحدهم عند الكعبة لله تعالى ! . فزال يلد له
حتى بلغ أبناءه عشرة أشقاء . فذهب بهم إلى هبل . وهو أكبر اصنام الكعبة
فغزبت القداح (يفعلون ذلك كالقرعة) فخرجت على عبدالله . وهو أحب بنيه
إليه وأصغرهم . وكان عبدالمطلب واقفا يدعو فلما خرج كقده على عبده ابنه
إليه فأخذه وذهب به إلى أساف وثلاثة دواها صلمان كانوا اذا أرادوا
ذبح شيء نمرود عندهم فقامت قريش من انديتهم فمعه من ذبحه . فأخبرته
فقالوا

فقالوا : همم فانظروا الى كاهنة الحجر فسلوا ، فان امرتكم بذلك فاضل . فذهب
معهم اليها وهي بنين . ففعل عبد المطلب خبره . فقالت : ارجعوا اليوم حتى
يا تيني تابعي فاسأل . فرجعوا عن ذلك . ولما اصبحوا غدوا اليها . فقالت : نعم قد
جاء في الخبر . فكم الدية عندكم يا قالوا : عشرة اهل . قالت : ارجعوا
الى بلادكم فمر بوا عشرة اهل من الابل واخذوا عبد المطلب وعلم عبداه بالقداح فان
خرج علم صاحبكم فزيدوا عشرة اهل حتى يرضى ربكم وان خرجت مع اهل
فاخذوها فقد رضي ربكم ولما صاحبكم . فخرجوا حتى اتوا مكة فاجتمعوا ثم قربوا
عبداه وعشرا من اهل فخرجت القداح علم عبداه فادوا عشرا فخرجت عبد
خا برحوا يزيدون عشرة وتخرج القداح عليه حتى بلغت الابل مئة ثم ضربوا
فخرجت القداح علم الابل . فقال له حضر : قد رضي ربك يا عبد المطلب .
فقال عبد المطلب : لا والله ! حتى اضرب ثدي رات . فضربوا ثديا . فخرجت
القداح علم الابل . فنوت . وتركوا ليدعوا عن انساها ولا يسمع . وانظر
عبد المطلب بابنه فرحاً به . فزوج بآمنة بنت وهب (اتم رسول الله صلى
عليه وسلم) . ثم ارسله الى المدينة يمتار لهم تمرا . فرفض بالمدينة . وثبت
بها . ووفى في دار النابتة الجعدي الشاعر . وبعضهم يقول : انه سافر الى
الاسم في تجارة فلما عاد نزل في المدينة وهو ريفي فتوفي بها . وله شعر
ثمان وعشرون سنة . وكانت وفاته قبل ولادة سيد الخلق وهاوي
الهداة محمد به عبداه عليه الصلاة والسلام . وجل هذه الترجمة
عن عبد المجيد الثاني من العامل لوليه الأمير . وفي كتاب السيرة النبوية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في الحرب يقول :
عن النبي صلى الله عليه وسلم : انما اجد عبد المطلب

ابوطالب بن عبدالمطلب

ولد سنة ٨٥ - وتوفي سنة ٤ قبل الهجرة

ابوطالب واسمه عبدمناف بن عبدالمطلب بن هاشم : والد علي بن ابي طالب . وعمره
 النبي اربعين وثمانين سنة . وكان له وريثة . وهو من ابطال بني هاشم والطاعين منهم .
 قال رسول الله ص : ما نك قريش مني شيئا اكره حتى مات ابوطالب . وذلك :
 انه لما اعلن الدعوة نارت عليه بنو قريش وارادوا قتله . فاستصر له عبدالمطلب .
 فصنعهم عذبة . فلما مات اخرجوه فاضطجوا الى البرية بهمه معه كما قدمنا في الترجمة
 الاولى . وكان ابوطالب خطيبا عاقلا حسن الروية طاهر القلب الحي
 النفس . وعرض عليه ابنه اخيه ايمان بدينه فوعده بنصرته وحمايته ولكنه
 امتنع عنه قبول الاسلام خوفا من ان يغيره العرب وتعيبه . فذلك آية انك
 لا تهدي من احببت . فتركه واكتفى منه بصدقة الغداة

عنه . واورد الفاضل السهيلي في كتابه الروض الوارف نقده عنهم به السابغ
 خطبة قالوا ابوطالب حبه حفرة الوفاة ، واجتمعت عليه وجوه قريش نكدها عنه
 قال : يا بني قريش ! انكم صفوة الله مدخله . وقب العرب . وفيم اليه المطاع .

والمقدم الشجاع . والواجع الباع . لم تتركوا العرب في الحاضر نصيبا الاخر نهم .
 ولد شرفا الادركتموه . فلكم مع الناس بذلك الفضيلة . ولهم به اليكم الوسيلة .
 والناس لكم حرب . وعلم حكيم القلب . واني اوصيكم بتعظيم هذه البنية : فان
 فيها سرقة العرب ، وقواما للعاس ، ونباتا للوطاة . صلوا ارحاكم ولا تقطعوا
 فان في صلة الرحم مناة في اوجل ، وزيادة في عدد . واتركوا النبي والعقود :
 فغيرها هككت القود قبلكم . واجيبوا الداعي واغطوا السائل : فان فيها شرف
 الحياة والمات . وعلكم بصدقه الحديث واذا الوامنة : فان فيها محبة في الناس ،
 ومكرمة

ومكرمة في العام . وانا اوصيكم بمحمد خيرا : فانه ادين في قرين ، والعديق في
 الغرب ، وهو جامع لكل ما اوصيكم به ، وقد جاء بأمر : قبله الجنان ، وانكره
 الانسان مخافة الشتان ، وأيم الله كافي النظر الى صديقات العرب واهل البر
 في المطران والمستضعفين من الناس : قد اجابوا دعوتهم وصدة قواعده وظلمو
 امره فخي من بهم فمرات ~~للمر~~ فصارت رؤسا ، قرين وصناديدها اذ نابا ،
 ودورها خرابا ، وضعفادها اربابا ، واذا اعظمهم عليه احوجهم اليه وابهم
 منه اعطاهم عنده . قد محضت العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته
 قيادها . دونكم يا معاشر قرين ابن ابيكم . كنونوا له ولادة ولحزبه حمة
 ووايه لا يسلك احدكم سبيل الارشد ، ولدا يأخذ احد بهدية الاسد ،
 ولو كان لنفسه مدة ولا يجي تأخير لكفت عنه الراهز ولدعت عنه الدواهي .
 ومه خطبه ما ذكره الامام المبرر قال : خطب ابو طالب لرسوله ص . في
 تزويجه خديجة بنت خويلد فقال : " الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ونزع
 اسمعيل وجعل لنا بدا هاما ، وبيتا محبوبا ، وجعلنا الخاتم على الناس .
 ثم ان محمد به عبد الله ابن اخي : من لا يوازن به فتي من قرين الاربعة عليه
 برأ وفضله وكرما وعقد ومجدا ونبل . وان كان في المال قل فانما
 المال طلق زائل وعارية مسترجعة . وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولا
 فيه مثل ذلك وما أحببتكم من الصداق فعلي . " قال المبرر : وهذه الخطبة
 من اقصد خطب الجاهلية . وكان ابو طالب صاحب تجارة كبا في قرين
 ومولده في مولده مكة وبنات وبنات وبنات . وأعقب اربعة
 واثنتين وهم : علي ، وجعفر ، وعقيل ، وطالب ، وموسى .
 امه هاني ، واسرها فاختة ، ومهانة . وامهم فاطمة بنت اسد بهائم به عينا .

حمزة بن عبد المطلب

ولدت له قبل الهجرة وتوفي سنة ٢٠ للهجرة

ابو عارة حمزة به عبد المطلب به هاشم : عم رسول الله ، وأحد صناديد قرين
 وسراهم وسادتهم في الجاهلية والاسلام . وللبكة وثأر . قال
 صاحب السد القابة : كان أعز قرين ~~لرسوله~~ ^{للنبي} وأشد هاشمية . واول
 اخباره في الاسلام أن ابا جهل ^{المنزوي} القرشي (عنه النبي ورثه أعداءه عليه)
 تعرض لرسول الله فشمته وإهانته ورسول الله صامت لم يجبه . وكان حمزة
 غائباً في الصيد فلما عاد أخبر بما صنع ابو جهل فقصده . فراه في الكعبة
 ففر به بقوس حانت في يده فشبح رأسه شجرة منكدة وقال : أنت شه
 وإنك على دينه أقول ما يقول يا فارود علي إن استطعت . فحرقت ضجة
 عظيمة وقامت رجال بني مخزوم على حمزة فمنعهم ابو جهل وخافوا
 الفتنة فقالوا : ما زال يا حمزة الوجد صبات . فقال حمزة : وما ينبغي ؟
 فقالت العرب : اليوم عز محمد وإن حمزة سيمنع . فلفوا
 بهما سائرهم الما عليه . وثبت حمزة على اسدسه . ولما رزق
 قبل موت ابي طالب . ثم هاجر حمزة مع النبي « من » المدينة وعمر
 وقعة بدر وغيرها وابدى له البالة ما هو معروف عنه . قال المديني :
 اول لوائه عقده رسول الله « صلى الله عليه وسلم » كان لحمزة به عبد المطلب :
 وكان حمزة يُعرف في احب بريشة نعامه يضرب في صدره ملاك
 في وقعة بدر قاتل بسيفه . فقال اية به خلف وهو اسير في يديهم :
 « الرجل الملقب بريشة » فقتله به حمزة . فقال : ذاك فضلنا ارفاهيل !
 وقتل

وقتل رضي الله عنه في وقعة أحد بعد أنه قتل أحداً وثوبته نفياً ثم عثر فوق
على ظهره فراه أحد العبيد فأدركه وضربه بحربة ذهبت بروحه . واخذ المشركون
مقتلوا به وبشهداء المسلمين . فلما رآه النبي عليه السلام صعبه وبكى . ثم قال :
« رحمك الله أي غم فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للغيرت »
واخذ المشركون فذنبوه في المدينة . قتل ابنه عزم وغيره من رجلى تنقيته
أنه انقضت عقبه . فلا يثبت انتساب بعض الأسر إليه رضي الله عنه .

العباس بن عبد المطلب

ولد سنة ١٠ قبل الهجرة - وتوفي سنة ٤٠ هجرية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا العباس به عبد المطلب : أجد قريش نفاً وأصلها ؛ هذا
بقية آبائي .. كان العباس أحد عظماء قريش : رئيساً في جمعيته عظيماء في الإسلام ؛
وصولاً لدرام قريش تحسناً إليهم ذارأي سيد وعقل قدير ؛ مولعاً
باعتقاده العبيد ، كارهاً للرق : قال صاحب أسد الغابة : اشتد العباس
سببه عبداً واعتقهم جميعاً . وكانت لسقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام (وهي أنه لا يدع أحداً يسب أحداً في المسجد ولا يقول فيه هجراً) .
ولد بمكة بعد بولده رسول بنيته واسلم قبل الهجرة ولتم أسدوم واقام بمكة
يكتب المرسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبار المشركين . وبعد الهجرة أراد أن يرسل إلى المدينة
مهاجراً فقال له النبي : مقاتل بمكة خير . ثم هاجر بدمته وشهد وقعة حنين
فثبت مع رسول الله لما أنزله الناس . وشهد فتح مكة أيضاً . وهو من طويذ
جيداً أبيه بفضلاً له فضيلتان . وعاش نيفاً وثمانين عاماً . أصيب في
أخر عمره برصه في عينيه فعميتا . وهو أبو الخلفاء العباسيين يتصل نسبهم .

« عام الجماعة » لاجتماع كلمة الاسلام فيه واتفاقهما عليه حتى الرءاء بعد ذلك
والفقت بينه علي ومعاوية . ثم قصد معاوية الكوفة ورجل الحسن الى المدينة
فاقام بها حتى توفي مسجوناً في قول بعضهم . وروى بالبيع عليه الرحمة والرضوان
ومدة خلافته ستة اشهر وخمسة ايام . وولد له احد عشر ابناً وبنت واحدة .
هذا ما يتعلق بسيرة واما فصاحته وديارته فكان معاوية يومئذ
حاشية باجتناب معاوية رجليه هما : الحسن وعبد الله بن عباس بكلفة
بدايةهما . قال البيهقي : قدم الحسن على معاوية وعنده عمر بن الخطاب وروان
ابن الحكم والغيرة به شعبة وصناديد قومه ووجوه اليمن والهم . فأجلس
معاوية على سريرته آراء له فحده مروان فقال : يا حسن لو لم يولد لولدي
ما أقعدك هذا المقعد واقتدك وانت له مستوجب بقودك الجاهل
فما احسنت بنا . علمت ان لو طاعة لك بفساد اهل الشام وصناديد
بني امية اذ عنت بالطاعة وبعتت طلب الامان . اما والله لو لم يولد
لأخيه دمك ولعلك انا نعلي السيوف حقاً عند الوغى فاحمد الله اذ ابتلك
بمعاوية ففعا عندك بجلته ثم صنع بك ما ترى . فنظر اليه الحسن . وقال :
ويحك يا مروان ! لقد تقدمت مقاليد العار في الحرب عند هزيمة الخوارج
عند محالطتهم . فنهى به بقتك الهول ، لنا الحجج البوالغ والنعم السوانج
تغري بني امية وترغم أنهم صبر في الحرب أسعد عند اللقاء ؟ فكشكك أمك !
اولئك البوالغ الهول والحملة الذادة ، وكذا ام القادة ، بنو عبد المطلب .
اما والله لقد رأيتهم وجميع من في هذا البيت ما حالتهم الهول ولم يجدوا
الابطال كالليوث الضارية الباسلة الحنقة فعندها وليت هارباً وأخذت
اسيراً فقدمت قومك العار ، أيراه دمي زعمت ؟ أفدأرت دم
مه وبك عم عثمان في الدار فذبحه كما يُذبح جمل رات تنقو ثناء تنجوة
وتنادي بالويل والشبور كالامة الكفلاء . ألا دفعت عنه جدي اونا فدفعت

عنه بهم ؟ لقد ارتفعت فرائضك وغشي بصرك فاستغثت بك كاستغث
العبد بربه فابقيتك من القتل ومنعتك منه ثم تحت معاوية علم قتلي ؟ لا
ولورام ذلك منك للزوج كما زوج ابنه عفان ! انت مع اقصر خطياً وأفسد
باعاً واجبه قبل ما به تجسراً على ذلك . ثم تزعم اني ابتليت بحلم معاوية ؟ أما
والله لو أوفيت بشارته وأشكر ما أولينا به هذا الور . فتى بدال فلا يُفنين
حقة على القذى منك ، فوالله لو عقيبت أهل انتم بمحسب رضيه عن فضائلكم
ويشأ من فرسانكم ثم لا ينفعك عند ذلك الارب والروغاه وليرد عنك
الطبيب تدري جيب الكلام . لا نعلم انه كنت صادقاً ! . فاستعمر معاوية
الحسن وشتا رواه فانصرف مغضباً مغضباً . . . وسأل ابو علي رضي الله عنه
ليتم بياضة : يا بني ما السداد ؟ قال : دفع المنكر بالمعروف . قال : فالعرف ؟
قال : اصلح العيرة واحتمل البحيرة . قال : فما السامح ؟ قال : البذل
في العسر والبسر . قال : فما اللوم ؟ قال : احوال الرءساء وبذل عرضه . قال :
فما المنفعة ؟ قال : سدة البأس ومنازعة الناس . قال : فما الجبن ؟ قال :
الجرأة على الصديق والكلوع على العدو . قال : فما الغنى ؟ قال : رضى النفس بقسم
الله لها . قال : فما ^{الذل} ~~الذل~~ ؟ قال : القمع عند الصدمة . قال : فما المجده ؟ قال :
أن تعطي في الغرم وتغفو في الجرم . اه . وتجد ترجمته باطول ما هنا في
تاريخ انتم لابه عسكر واسلاف الراغبين للصبيان وأمثالها مكتبة ^{العلم}
والسير والخبار . . . ووجه آخر كلامه رضي الله عنه « لاخيه الحسين
وصريه بن نفسه : يا اخي اوصيك أن لا تطلب الخدنة فاني رايت ما
ارى أن يجمع الله فينا النبوة والخدنة فإياك أن يستفك سفرها و
الخدنة ويخربوك فتندم من حيث لا ينفعك الندم » .
والحسن عليه الرضوان « ثاني الأئمة الاثني عشر عند الامامية : وذلك

أن الأمة الامامية . وهم فرقة من فرق المسلمين تقول بامامة علي رضي الله عنه بعد
النبي صديقه عليه السلام (انظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني) . يذهبون الى أن
إمامة المسلمين يتوارثها ابناء علي عنه . وهم مختلفون في اسمهم ~~ففي~~
اسماء بعضهم ولكنهم متفقون على عددهم وأنهم ختموا بالمهدي المنتظر
وهو الامام الثاني عشر والاشهر في تسميتهم انهم : الامام علي ، الحسن ،
والحسين ، وزين العابدين ، والباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضا ، والجواد ،
والهادي ، والعسكري ، والمهدي . رضوان الله عليهم أجمعين . ولكل
من هؤلاء اثمة شأن معروف ومكان محفوظ وأما آت على تراجمهم فيما
يلي إن شاء الله . واما الامام الاول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فسيذكر في فصل الخلفاء الراشدين .

الحسين بن علي

- ولدت سنة ٤ - وتوفي سنة ٦١ هـ -

السيد الشهيد ابو عبد الله الحسين بن الامام علي بن أبي طالب . واهله فاحمة الاطوار
بنت رسول الله : ولدت في المدينة المنورة . ونشأ به عظماء المسلمين وعقودهم
اوياء عاقلة مفكرات . قال رسول الله ، صلوات الله عليه : الحسن والحسين سيدا
شباب اهل الجنة . . . وهو صاحب الفاجعة التي ادت القلوب وقهرت
الوجوه وانست الناس اعزائهم وابقت في قلوب بني هاشم وشيعتهم
ضغينة لبيامة لا تنسى أبدا الدهر وحسبك انما عازالت قلبي في الصدر
حتى حذروا آل امية وروان تلك الضربة القاضية ضموها وولتهم وازالوا
صورتهم حتى لم يبق منهم في بلاد المشركين ديار . ~~على~~ ~~الخلافة~~ ~~في~~ ~~مكة~~
~~للمشركين~~ ~~لهم~~ ~~في~~ ~~مكة~~ . وخلاصة الحادثة أنه لما مات معاوية به ابي سفيان
وولي الخليفة ابنه يزيد تخلف الحسين عنه مبايعته ورحل الى مكة في جماعة
من اصحابه وافقوه على رأيه فقام بكلمة اشهر فبلغ اهل مكة ذلك وكان

مكة

لديه علي واخيه الحسن فيلما مضوا واعوانا كتبوا اليه كتابا يطلبون به حفرة
ليبايعوه عند خيمنة ويذكرون له انهم في جيش مترقي للوثوب فوعدهم السيد
اليوم ثم دفعهم جماعة منه عقودا فوجدوا ان لا يذهب فاصدا على ما ارادوا . وخرج
في أسرتهم ومواليه ورجالهم نحو الثمانين ، قاصدا الكوفة . وبلغ يزيد
به معاوية خبره فاسل اليه جيشا اعتدوه في كربلاء . وبعد قتل عفيف
انصب به الفقيه اصبغ الحيد بجراح شديدة فقطعه رأسه فقتلوه .
قيل قاتله سنان به انس النخعي وقيل السمر به ذي الجوشن . واسل
رأسه وناله وذراريه الي يزيد به معاوية في انهم . فظهر يزيد من
عليه ولكنه ما ينفع الحزن وقد سبوا سيف الفذل . ونفذ القضاء وقدر .
واختلفوا في الموضع الذي دفن رأس حميد فيه فقائل في نهم وقائل بن دفن
مع الجثة في كربلاء وقائل غير ذلك مما اورد الا تعدد مراقده وضياح ضريح
الحقيقي بينا . وكان مقتله سقاها شأيب رضوانه ، يوم الجمعة عاشر
محرّم . ولما زال هذا اليوم يوم حزنه وكأني عند جميع المسلمين اللهم
الاجماعة من جملة اهل السنة يتباركون به لنبوت حبيب النبي المكرم في
يوم عاشوراء . وفي طائفة الشيعة ايضا رجال يتجاوزون حد الحزن يقيمون
له المآتم ويضربون انفسهم بالسبع وبعضهم يمشون حادق قتلهم
كما تشبه الحوادث التاريخية والحديثة على ما روى النوازي . وعقود
الطائفتين غير راضين عما يفعله هؤلاء الجماعات منهم . اوصفناهم !
اما خروج الحسين يريد الكوفة بناله والطفاله فقد فسره الفيلسوف اليوناني
« ماريه » في كتاب له سماه « السياسة الكسوية » بما لا ارى ~~بالحسن~~ مناصا من
التفكير فيه . قال « ماريه » : « مات الرضون العظيم علي ومعاوية وتركا في
الصدر اضعافا وجاؤا ولداها : الحسين به علي ، يزيد به معاوية ؛ والاول طامح
للثورة

والثاني يراقبه وليد سليم البطش به . اما الحسين فدوا علم في اصحاب الديانات من
اختار سياسة المؤثرة فانه لما وجد قوته وقوة قومه ضعيفة بجانب قوى يزيد
فكر في عمل كبير صريح به لقومه وهو انه يريد الحسير الى الموت . ومع ان ذلك جمع
للساء والاطفال وخرج من المدينة فلكم به عدو من اقربائه واصدقائه . ليس
اختياره اخذ اطفاله الاكلت كانه يعلم ويسمي ايل . ايقن انه لا بد ليزيد من قتل
فما دارت نكوة العيبة عامة . فاستحب صفاره ~~بخطه~~ وهو معتقد ان يزيد سيفك
بها جميعاً . راقه ذلك لانه علم ان الثورة الهاشمية لا ~~تستمر~~ سيدها على بني
امية الدافع مؤثر يثب بالامة الإسلامية جمعاء وثبة الخزيه والشفاه ، وثبة التأم
والغضب . وهي الامنية التي كان يسعى اليها الحية باخذ اطفاله وصفاره . ولذلك
كان . فانرا لم تقع الواقعة حتى نفرت مديريه قلوب اخصائه ، وما بلغت سبابا محسبه
مدينة وشعه حتى ترهبات الثورة على يزيد . وما هي الا عوالم قدس تركت آل يزيد
طعاً للسيف وشيدت على اثرها دعائم الخنزرة الاشمية العنصرية . لم يذكر
لنا التاريخ رجلاً القى بنفسه وابنائاً واحبه الناس اليه ، في ملاوي الهلاك والقناء
احياء لدولة سلبت منه الا الحسين : ذلك الرجل الكبير الذي عرف كيف يزلزل
ملك امويين الواسع ويقتل اركان سلطانهم . « واستطرد الباصت
لا اعلام على الشيعة ما لا دخل له في بحثنا . وقد نقتل بعض مباحث كتابه
الا الفارسية والعربية . وكان لا فكر به مناصرون ومؤيدون . وهو رأي حسن
على عدلته : فان الحية انما قصد الكوفة وهو واقع بنصرة ~~الاهل~~ واخذ اطفاله ونساءه
لكنني لا والله مع تفكير محسبه بذلك ليكون له اليد ثابته على ما جاء بوصف
به من سعة العقل وجودة الروية . ولتختم ترجمته بشي من عدم العذب .
قال ان ترجمته : خطبه محسبه به علياً يرباً فقال :

يا ايها الناس ! انفسوا في الحارم وسارعوا الى المفانم ولا تحسبوا الموف
لم تعبدهوا واكتبوا الحمد بالنجح ولا تكتبوا بالطل زماً . واعلموا انه حوائج
الناس اليكم مدغم من عليكم فدوا قلوبهم . واعلموا انه المعروف بليب حمداً

ويكتب اجراً فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جيداً يسر الناظر به ويفوقه
العالم به ولو رأيتم المؤمن رأيتموه سجعاً مستوهاً تنفر منه القلوب وتنفسه دون
القبصار . ايلاً الناس : من جاد بساد . ومن مجل « ذل » . وله أجود الناس
من أعطى من لا يرجوه . وان اعفى الناس من عفا عند قدرته . وان افضل الناس
من وصل من قطع . والاصول على مفارستها فروعها تنمو . من احسن احسن
الله اليه . والله يحب المحسنين . « . ومن ملامه : الخلم زينة والوفاء
مروءة والعجبة سفه والسفه ضعف والقلوب ورطة ومجالة اهل الزادة
شر ومجالة اهل الفسوة ريبة . .

زين العابدين بن الحسين

— ولد سنة ٤٨ — وتوفي سنة ٤٠ —

ابو الحسن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب : رابع الائمة الاثني عشرية من اولاد
واحد من نقيب بهم المثل في العلم والورع . ولد بالمدينة ونشأ بها فقاده اهلها تقياً
وصدوقاً وكان من معلم وكفهم على جانب عظيم : فاما حله فله فيه حكايات عجيبة
خرج يوماً من المسجد فلقبه رجل فسيباً وبائعاً وأخرط فبادر اليه العبيد والموالي
فكفهم واقبل عليه وقال : ما ستر عندك من امرنا أكثر ! ألك حاجة نعينك
عليها ؟ فاستمر الرجل وتخيى فامر له بخمسة آلاف درهم . ولقيه آخر فقال له :
فقال : يا هذا بيني وبينهم عتبة ان أنا جزئتها فما ابالي بما قلت والله لم
أجزها فانما أكثر مما تقول ! ألك حاجة ؟ فحجب الرجل . واما ورعه وتقاه :
قال ابي الحسين : ما رأيته اورع من . وكأه كثر الصدقة منهجاً في العبادة فلقب
زيه العابدين . وقرب اليه الماء ليلة ليتوضأ فوضع يده في الماء ليبدأ ثم رفع
رأسه فظفر الى السماء والقر واللوالب فجعل يتفكر في خلقه حتى أصبح واذن الموزون يده
فقد

في موافاة لا يفكر بها . واما كرمه فقال ابيه عائشة : ~~محمد سمعت بعينه~~ المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر الا بعد موت علي بن محبة . وقال محمد بن اسحق : كان من ماله المدينة يعيشون له يدرونه به اية معاشهم وقاكلهم فلما مات علي بن محبة فقدوا ما كانوا يؤثرون به ليلوا الى منازلهم . ولما مات اقصي ماله يقرتهم فاذا هم غومته بيت . ونقل كثير من المصنفين ان القصيدة التي مطلعها :

هذا الذي تعرف البطيخ وطائفة ~~هذا الذي تعرف البطيخ~~ والبيت يعرفه كل واحد وحرم

قيمت في مدح زينة العابدين وأنه قائلها الفوز وهو ارتجلا ارتجلا في البيت الحرام . ولا قصة معروفة في كتب الأخبار والقصيدة في طبقة عالية مشعر ونسبها اليهم في اشعار الحاشية للخرية يعني قال : قيل انهم زوجه . ومه كمدوم زينة العابدين : كانه اذا بلغه احد ذكره بسوء يقول : اللهم انه كانه صادقا فاغفر لي وانه كانه كاذبا فاغفر له . وكانه يقول : فقد الاجبة غربة . ومات في المدينة المنورة فدفن في البقيع .

الباقربن زين العابدين

وله سنة ٥٧ - وتوفي سنة ١١٧ هـ

الامام ابو جعفر محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين : رضي الله عنهم . هو خامس الدفعة الاثني عشر . وكان ناسكا عابدا وله في العلم وتفسير القرآن ارادة قول : سأل العلاء بن عروة بن مبيد عنه قوله تعالى : اولم ير الذين كفروا ان السوات واورمه كانتا رتقا ففتقناهما . ما معنى هذا الرتق والفتق ؟ فقد ابو جعفر : كانت السماء رتقا لم تنزل مطرا وكانت الارض رتقا لم تخرج النبات ففتقناهما بنزل المطر وفروج النبات . وهذا رأي حسن في تفسير الآية لموافقة درجة علم العوب . في عصر نزول القرآن الكريم ~~ولما ما يفسرهم~~ ولما سبب تعقيبهم بباقر بن علي كروا

له غيوجه واحد متكمل وهو أنه مستقده من مادة بقر قالوا : لأنه بقر العلم أي
 شق فعرف أحد وضعه . ومنه خلاصه : بسبب الألف يراد بك غنياً ويقطعت
 فقيداً . وقال : ليس في الدنيا شيء أعونه من الاصلان إلا هو جنان . وقال : ما ضل
 قلب امرئ شيء من الكبر الا تقصره عقده مثل ذلك قل أو كثر . وقال : سجع
 اللام قبيح الكلام . وقال : لموت عالم احب الى السطة من موت سبعه عابداً .
 وقال : سمعنا من اطاع الله . وقال : اعرف المودة في قلب احبك بما دني قلبك
 وتوفي بالدينه ودن بقية العباس في البقيع رضي الله عنه .

جعفر الصادق

— ولد سنة ٨٠ — وتوفي سنة ١٤٨ هـ —

٩
 ابراهيم جعفر الصادق به محمد الباقر بن زين العابدين : عليهم رضوان الله : فقد كان
 الاثمة الموثق مشهوراً وكان من اجلاء التابعين وله منزلة في العلم معروفة واخذ
 عنه جماعة من ائمة السنية كابي حنيفة ومالك وابيه جريح وسجستاني واشهر
 من ختب اليه من القاريين عليه جابر بن حيان الكيمياء العنونة المشهور
 قال ابن خلدون : وألف جابر كتاباً يشتمل على الف ورقة يتضمن سائر جعفر
 الصادق وهي فسمائة رسالة . ~~وليف هذا القول من جعفر~~
 والشيعة ~~تذكر أن جعفر~~ كتاباً يدعونه « الجفر » ذكر فيه كل ما يحتاجون اليه
 علمه اليوم القيامة . وهذا الوصف بالحق . ولقب جعفر « رضي الله عنه » بالصادق
 لأنه لم يعرف له كذب قط . ومنه خلاصه : لا يتم المعروف الا بشئون : تعبد
 وتصفية وستره . اربعة اشياء القتل من كبر : النار والعداوة والفقر
 والفقر والمرح . صحة شرعية يوماً قرابة . من لم يستج عند العيب ويرعو
 عند الشيب ونحوه يظهر العيب فخذ فيه . اياك ونحوه الشراء
 فانهم يرضونه بالمدح ويجودونه بالاجاء . من اكرمك فأكرمه ومن استخف
 بك

بك فأكرم نفسك عنه . ودخل عليه بعبه شيعته فراه يومئذ ولده موسى .
 بوصية حفظنا قولك : يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانت ان
 حفظتها لنفسك سعيداً وتمت حميداً . يا بني انه قد قنع بما قسم الله لم يستغنى
 ومه مد عينيه الى ما في يده غيرة مات فقيراً . ومه لم ير به بما قسم الله لهم
 ربه في قضائه . ومه استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره . يا بني
 مه سل سيف البغي قتل به ومه كشف حجاب غيره انكشف ستره . مه
 داخل مجلس العلماء حقر ومه خلط العلماء وقر ومه دخل مدخل السوء
 أضرهم . يا بني قل لهم لك اوعيدك ؛ واياك والنية فانها تزرع
 الشئاء في قلوب الرجال . يا بني اذا زرت فزُر الاخيار ولو زرت الاسرار
 فانهم صنعة لا يتغير ماؤها وشجرة لا ينفذ ورقها وارصد لا يظهر عشبها »
 وكان جريئاً قوي البديهة ؛ يذكر أنه طام عند المنصور فوقعت ذبابة على
 وجهه المنصور فذبحها فعاودت حتى اضربت في فاه المنصور فقال له :
 يا ابا عبد الله لم فعله الله الذباب ؟ قال : لئذ لا به الجبابرة باضكت
 المنصور . توفي صاحب الترجمة في المدينة ودفن في البقيع في قبابه .

موسى الكاظم

— ولادته ١٢٨هـ وتوفي سنة ١٨٢هـ —

||

الامام ابو الحسن موسى الكاظم به جعفر الصادق به الباقر به عليهم رضوان الله :
 مساجد الأئمة . واحد ذات بني هاشم . ومن أعلام اهل البيت . ولد
 بالمدائن . وسكن المدينة المنورة . وله أجده اهل زمانه
 توفيه كبار علماءهم واسماؤهم : هذا جذو جده زين العابدين في تقعد الفقراء
 ليلاً والناس ينامون فين فيه ما قيل بجده مه انه كان يحمل النقعات الى منازل الفقراء

في المدينة فدبر ففهم منه انه انت حتى مات فانقطعت خبره . وكانت له سبابة
وربانية معروفة فوشى به بعه اعدائه لا الرشيد العباسي وقالوا : ان الاموال
تعمل لموسى من جميع الجهات والزكاة والخراجات . فها هو قد اشتد ضيعة
سماها السيرية بمائة آلف دينار . ورجع الرشيد في تلك السنة وفي
نفسه شيء منه فبدأ بالمدينة فدخلها فاستقبله موسى ^{عليه السلام} فلم يزل في جماعة من الأشراف
ثم خلا به الرشيد فقال له : انت الذي يبايعك الناس سرّاً بما قال : انا
امام القلوب وانت امام الجسوم . ثم انفضوا اجتماعها عند القبر الشريف فقال
الرشيد : سلامٌ عليك يا ابن عمي . وقال موسى : السلام عليك يا أباي .
فلم يجتمعا الرشيد فحمد الله ^{المصطفى} وأمر واليه غيبه به جعفر بن منصور أن
يجب عنده . فحبسه سنة فكتب اليه الرشيد في سفك دمه وراحته منه
فاستغفاه عيسى بن دلف ورجاه انه يكون بحمصا فقدم على غريده . فابذل
اليه السدي به ^{شاهك} في بغداد بأمره بشك وفتنه . فحبس له ساء
في طعم قد صعد اليه فاقام متوقفاً ثلثة ايام ومات . ودفن في مقابر
خريش بباب ابيه في بغداد . وفيه انشائه رسالة بعث بها الرشيد ^{عليه السلام} من
بقعه فبها « وانه لم يتقضى ^{عليه السلام} يومه من اليهود الا انقضى معهم عندك
في الرضا هي منفي جميعنا اليوم ليس له انقضاء صحت بخبر المملوك .
ولقبها الكاظم ^{عليه السلام} لملكه وكظمه لغيلة . واخباره شهيرة .

علي الرضا

— ولده سنة ١٥٤ - توفي سنة ٢٠٤ هـ —

ابو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق : تاسع الأئمة عند الشيعة
ومن اجتهاد وال ^{وقوله الذي} اهل البيت وفضلهم ^{يندر} اصحاب التواريخ والسيرات
المأمون

المؤمن العباسي عهد اليه بالخلافة بعده وزوجه ابنته وضرب الله علم الدنيا
 والد هم وغير من اجله الزية العتيق الذي هو السواد فاستعاض عنه بالفضل
 لونه كان شعرا اصل البيت فثار الرامة منه ذلك البناء وقام اهل بغداد
 فخلعوا المؤمن وبابيو له عمه ابراهيم بن المهدي فوصل اليهم المؤمن بحسبه
 فاستخفى ابراهيم ثم استلم فصفاه المؤمن ومات علي الرضى
 في حياة المؤمن فلم تتم له الخلافة وعاد الى السواد فاستألف
 القلوب ورضي الناس عنه . وكان السيد علي الرضى أسود اللون
 لدنانه مانت سودا . وولد بالمدينة . وكان موهوبا بطيب النفس
 وكرم الاخلاق والجود : حكى القرماني في تاريخه أنه دخل يوما الحمام
 فبينما هو في مكانه منه اذ دخل عليه جندي فاراه عن موضعه وقال : صَبَّ
 عم رأسي يا سودا ! فنهض علي واخذ يصب على رأس الجندي حتى وصل
 رجلي عنقه فصاح : ويحك يا جندي هكلك ! أنت تخدم ابنة بنت رسول الله ؟
 فانقلب الجندي يقبل قدميه ويقول : همد عصفتي اذا ارتدت ؟ فقال : انزل
 المشوبة وماردت أنه اعصيت فيما أنا بعلية ! . وراه ابو نواس ذات يوم
 وهو خارج من حفرة المؤمن على بقة فارقة ، فدنا منه وسلم وقال : يا ابا رسول الله
 قلت نيك اياما احب أنه تسمع مني . قال : قل . فأتى ابو نواس يقول :
 طهروه نقيات ثيابا جهم تجري الصدرة عليهم كلما ذكروا
 به لم يكنه علوا يا حية تنسب قاله في قديم الدهر مفتخر
 اولئك القوم اصل البيت عندهم علم الكتاب وما جارات يسور
 فقال : قد جئتنا بايات ما سبقك اليها أحد . فامسك يا غلام ؟ قال :
 ثموت مئة دينار . قال : ارفق اليه . وبعد انه افترقا ووصل علي الاثر .

قال: لعله يستقلا: يا غديم سعة اليه البغلة . وكان وعيل الخراجي عز
 اهل البيت وله في علي وابيه مدائح كثيرة . توفي رضي الله عنه بمدينة طوس
 ودفنه المأمون بجانب قبر ابيه الرشيد . وفي سبائك الذهب ان وفاته
 كانت سنة ٤٤٠ والصحيح ما ذكرته واعتقده ابيه خلطان واكثر المؤرخين
 لا نهم جميعا علم أنه توفي في حياة المأمون المنقوش سنة ٤١٨ هـ

محمد الجوار

- ولدت سنة ١٩٥ - وتوفي سنة ٤٠٤ هـ -

ابو جعفر محمد الجواد به علي رضي الله عنه موسى العظم . وبقية النسب مودعة : وهو تاسع
 الاثمة : كان لبيد القدر رفيع الذر كما سلفه ابراهيم اهل البيت ولذي المدينة
 ثم انتقل مع والده الرضا الى بغداد ولما توفي ابراهيم كان صغيرا فاجتاز به
 المأمون يوما فوفد واخذه معه واحسن اليه وقر به وجاهه علم صفته
 ذبي الفؤاد طلقه الناس تلوح عليه امارات النجابة فعني به المأمون وبمفع
 في الاحسان اليه ثم اراد ان يزوجه بابنته ام الفضل فمنعه العباسيون
 ذلك خوفا منه انه يورث اليه لما عرته الا ابيه فاعلم المأمون ميده اليه وجهه بفقد
 وعلم علم حدائقه فثاره بآصافه بصفته العلم واستغفوه فارتل
 الميمى به اكتم وامره انه يتحن مرأ فلما حضر أمره بغضب حسن فجلس
 عليه ثم سأله يحيى مائل فاجاب عنزلا بأحسن جواب وسر الغيبة
 فقال : احسنت يا ابا جعفر ثم التفت الى من حضر فقال : الحمد لله علم ما سمعته علي
 من الساد في المرد والشوق في الرأي . واقبل علم اي جعفر فقال له : اني مزوجك
 ابنتي ام الفضل وان رغبك لذلك انوف قوم ! فاطلب نفسك فقد
 رضيتك لنفسك وابنتي . فقال ابو جعفر : الحمد لله اقراراً بنبعته ولواله
 اخذوا بواحدانية واصلوا مع سيدنا محمد سيد برية واصفيا بعد عترته أم

بعد فقد كان من فضل الله على منام أنه اغتلم بالمدول عذرا فقال تعالى :
 « وألحوا الديار منكم والصالحين من عبادكم وأما نكم أن تكونوا فقراء فينهم »
 من فضله الله واسعى عيسى « تم إن محمد به علي بن موسى خطبة الأير المؤمنين
 عليه المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها مائة مائة مائة مائة مائة بنت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خمسمائة درهم حيا و فرل : وحسني يا أمير المؤمنين
 أياها على هذا الصداق ؟ فقال المأمون : زوجتك ابنتي أم الفضل على
 هذا الصداق المذكور . فقال أبو جعفر : قبت لك امرأ لنفسك على هذا
 الصداق المذكور . ثم امر المأمون بأنواع الطيب فتطيب أم فرون و عوى
 بالخلوة فمدت موالدها وأعطوا وفرقت عليهم الجوائز وأفرجت
 الأموال للفقراء والمساكين . وبعد ذلك تم الزواج . وأقام أبو جعفر
 محمد عند المأمون معظما مكرما حتى غزم على التوجه بزوجته أم الفضل
 إلى المدينة المنورة . ثم حتى مات المأمون وآلت الخديفة العباسية
 إلى المعتصم فكتب إليه يستقدم إلى بغداد ومعه زوجته فحضر وذلك
 سنة ٢٢٠ هـ ومرض فمات ببغداد ^{سنة} سنة ٢٢٠ هـ ودفن في مقابر
 قرين في قبر جده أبي الحسن موسى الكاظم وعادت أم الفضل إلى قصر المعتصم
 ويقال أنه مات مسجدا كما يقال في أكثر الأئمة المذكورين . ومن ملأه :
 ما أعطت نعمة الله على أحد إلا أعطت إليه حوائج الناس فمن لم يتحمل تلك المنفعة
 عن تلك النعمة للزوال . أهل المعروف إلى اصطناعه أخرج من أصل الحجة
 إليه لا يلزم أجره وعرفه وذكرها اصطلاح الرجل من معروف فأنما يتبدل
 به نفسه . من أجل أننا هاهنا ؛ ووجه جهل شيئا غايه ؛ والفرصة
 فلهذا ؛ فذكرهم سقم جسمه . عنوانه مصيصة المسلم حسن خلة . من
 أبتني به افتقر الناس إليه . الجاهل في الله والاهل في العقل . العفاف

زينة الفقر ؛ والشكر زينة البهوء ؛ والتواضع زينة الحسب ؛ والعفصاحة
 زينة الصلوة ؛ وخفض الجناح زينة العلم ؛ . العاقل بالنظم والمصيبة عليه
 والراضي به شكاو . العلاء وغداؤ كثرة الجهاد بينهم . - اخذ ابو الصدة
 فقال : اولا الفضل في اوطانهم غرباء ثم وتناى عنهم القرباء . -
 وروى صدام ابي جعفر : الصبر على المصيبة مصيبة على الناس . لو كنت الجاهل
 ما اختلف الناس . الرأي مع الزناة . مد وعظ اخاه سرا فقدرانه ومنه
 وعظه عمدية فقدتانه .

عليّ الرضائي

- ولدت سنة ٢١٤ - وتوفي سنة ٢٥٤ هـ -

ابو الحسن العسكري عليّ الرضائي بن محمد الجواد بن عليّ الرضا : عاش سنة
 الدمشي عشر : كان مروفاً بالحق والصدق . ولد في المدينة المنورة وبها نشأ
 فلما بلغ سن الشباب واصبح في منزله ينظر الى اليه توارت الوسايات بعلم المتوكل
 العباسي الخليفة في بغداد فاسل اليه فاستقدمه الى المدينة وأخبره في سره رأى
 (سائر احواله) وكانت تسمى «مدينة العسكر» لانه المعتصم لما بناها نقل اليها
 بعسكره فنبت اليها العسكر . ولذلت لقبه ابو الحسن عليّ المرتضى بالعسكري .
 فاقام بها . فسمي بعبه اعدائه المتوكل واخبروه أنه في منزل عليّ سمواها وكتباً
 وغيرها من شيعته وادعوا أنه يطلب الدعوة لنفسه فوجه اليه عدد من جنده اترك
 ليلاً فاجموا عليه وهو في منزله على الارض وعليه مدية مدهش وعمر رأسه ملقحة
 مدهش وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن لا يفصل بينه وبينه الا
 فاصب الا الرمال والحمى . فأخذه اليه المتوكل ووصفوا له حاله ولما التوكل
 جالساً يتحمل الشراب فأحلب اليه جانبه ووصفه عليه كالماء فاعتذر بان لم يذق
 فعاذاه من ذلك ثم قال : أنت في سراً أستمع فقال : اني لقبل الرواية للشم
 تمام

وغيره من روافد الجارية

قال : لا بد أنه قد مات في . فأشبهه :
يا توأ على قتل الأجداد تمررهم
واستزوا بعد غزوه مع قدام
ناداهم صاغ مدينا قبرا
أيه الوجوه التي كانت متعبة
فأفصح القبر عنهم حياء لهم :
قوله ما أخلوا دهرأ ومثروا
فهاجت الوبيات لمشفاه المتوكل فبلى وامر برفع الشراب ثم قال : يا
أبا الحسن عبيد دين يا قال : نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه
ورده الأئمة له مدرسا . . أقول : هذه الوبيات التي أزيها صاحب الترجمة نقلها
وعلى مؤلفي أربع الملوك انما مترجمة عن كتابه بالجريدة قديمة قبل
الاسود كانت منقوشة على بعض قصور ملوكهم حمير وعبارته :
قال وجه به ضربه : أصبت مع فخذان ولعوقه سيف به ذي يزن
بأرمه صغارا إليه وكان من الملوك الأجله مكتوبا بالقلم المسند
مترجما بالبرية واذا هي هذه الوبيات . وفي المتن المذكور جاءت الوبيات
أكثر مما تقدم في زيادة الوبيات الآتية في أول :
انظر لما لا تحصى يا أيها الرجل
وقدم الزاوية خير لشر به
وانظر ما معشر باتوا على ردة
بنوا فلم ينفع البنيان وأوفوا
باتوا على قتل الأجداد . . . الخ . . . قال : ووجدت على

غلب الرجال فما أقتهم القتل
فأودعوا حفرا يا بني ما نزلوا
أيه الأسيروا وتبجابه وتخل
من دونهم فتمرر بشاره من
تدع الوجوه عليها الدوا يقتل
فأصعبوا بعد طول الأمل قدأ علوا

قمر غمدانه ايما هذا البيت :

مه كانه لوطاً التراب برجله ولطي التراب بصفحة الخد
مه كانه بيند في التراب وبينه شران كانه بقاية البعد
لوعبر الناس الذي وأولهم لم يعرفوا المولى مه العبد !

وتوفي الامام علي الهادي عليه الرحمة والرضى بمدينة سامراء دفن في بيته
وخلف ثلاثة ابناء وابنة .

الحسن الخالص

//

ولد سنة ٢٤٤ - وتوفي سنة ٢٤٦ هـ

ابو محمد الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد : هادي عشر الأئمة عند طائفة الإمامية
ولد في المدينة المنورة وانتقل مع ابيه الهادي الى سامراء (او سره رأى او شيراز
مه او مدينة الفكر = كلها اسما، بلدة واحدة في العراق) وولي سامراء بعد وفاة
ابيه وكان على كنفه سبعة الصالح في التقى والنسك والعبادة يحمله الناس
ويحترمونه . قال صاحب الفصول المطرقة : لما ذاع خبر وفاة الحسن ارجعت سره رأى
وقامت صبيحة واحدة وتخللت الاسواق وتخلقت الدكاكين وركب بنوهاشم
والقواد والقباب والقضاة والمعدلون وسائر الناس الى جنازته وصلى
عليه ابو عبد الله المتوكل بالله خليفة ودفن في البيت الذي دفن فيه ابيه .
واصحاب القمصين والاضفار ينقلونه عنه وعنده تقدمه مه اصل بيت رضوان
عليهم « كرامات وحيات كثيرة اضربت عنه ذكرها لك في لاقول بلا
ولاسيا وجلها مملوء بالودهم التي لا يتصل منى للقاري ما يفيدوه واما التاريخ
فأصنعه صدره انه أن يتبع لائق الاخبار ولاقا صديق وهو انما كثرتم الرجال
الذين شرفوا باعمالهم وسماوا بانفسهم وما اجدر اولئك بالجدول وهو عظام
اذا هم جمعوا بين التمدد والطارف والنسب والمكتسب ذكهم خيرة اهل صفوة البشر .

محمد المهدي

ولد سنة ١٠٠٠ هـ - و... سنة ١٠٦٠ هـ

ابو القاسم محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي الهادي : آخر الأئمة الاثني عشر نيا قيسقده الامامية . وهو المعروف عندهم بالمهدي وصاحب الزمان والمستظر والحجة . والذي يُحققه المؤرخون الثقات انه ولد بآراء ومات ابوه وعمره خمس سنين . ولما بلغ التسعة او العاشرة فقد علم يُعرف له أثر . هذا ما عُرِفَ به خبره اما الشيعة فيرون انه دخل سر و باباً كان في دار أبيه ثم لم يخرج منه وهم ينتظرون خروج و يأتيون بال دولة اثنا بثة عندهم على انه حي يُرَونه و انه سيعود الى هذا الوجود فيدرك امره رحمة بعد لا وسلاما . وهناك اقوال وآراء لا يدخل ايرادها والمناقشة في بحث هذا الكتاب . وهي من الاشارة اليها . وأمر خروج المهدي المنتظر لا يخفى فيه عند الشيعة ولكن بعضهم يرى انه غير صاحب هذه الترجمة ويؤكد انه محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب والقول مدول هو ان النسخ عندهم . قال ابن بطوطة الرحالة في حديث رحلته ما لفظه : ثم وصلت الى مدينة الحيرة وهي مستطيلة مع القنات وأهلها طهر امامية اثنا عشرية وبها مسجد على بابها يستمر حريق يقولونه انه محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الاسم المهدي المنتظر فيهم كل يوم يلبس آلة الحرب ثم ينهم ويأتونه باب المسجد ومعهم دابة فخرجة فحلجة ومعهم الرطب والبقوات ويقولونه : اخرج يا صاحب الزمان فقد كثرت الظلم والفساد وهذا لوانه فروعك ليفرقه الله بك بين الله والباطل ؛ ويقفون الماميل ثم يعودون كذلك وأبهم ابداء . ولما اهل السنة قالوا هم على اعتقاد ظهور رجل من نسل النبي صلى الله عليه وسلم تصيح به امره بعد فادها وشر هو بعد الكادها وفيهم من يأخذ بالحدث الشريف بالبراد

الاموال لخدمة ولوالدنيا الاولاد باراً ولوالدناج الاشقياء ولا تقوم الساعة
 الا على شرار الناس ولا مهادي الا عيسى بن مريم . وفيهم من يتكلم في هذا الحديث
 وهذا بحث يطول فاطلبه انه شئت فيما ألف له خاصة من الاسفار والتصانيف
 او في المصنفات الكنبية ما له عداوة باسم المهادي وظهوره ومده هو . وتأمل
 فيه ظهر في مرسوم حتى اليوم يدعي انه ذلك الرجل المصلح الالهي وما أحسننا
 معاشر المسلمين الا ونبينا الأعظم صلوات الله عليه قد أغلغله الله به بأسبب
 التنبؤ وكفى الناس ظمروا نبي جديد في كل حين وقيل فابينا نحه الوان
 نوجه تلك الشبهة حيث خالدة لكه عرفنا الاسم وبه لنا مارة
 التنبؤ بجادة المهادي فلان القائم لا صدق البشر قبل خاتم الانبياء بعده
 الناس نبياً ورسولاً فحسنا نحه ~~الظهور~~ ندعوه مهادياً ومنظراً . اقله
 ابناء القردة ودول ووجيهاً غالية قيام كذبة وجالية تسربوا رداء النجدة
 وظهروا بظلم الرئس فأكت انه تلك النامة بأفرا أنبيائه . ومهدنا نحه
 السيل له فنادت انتم واترج ذاك النهج فأوجدنا له سرباً من سرايل الدعوة
 الى الله والهداية اليه فعادوا يعادون الكدة ويبرزون في هذه الاجيال المرة بعد
 المرة . ذلك بما جئت ايدينا واقتدفت انفسنا فدعول ورافقة الاله مرشدين
 خليقة الطريقة ، وصرهم كل قلب ما يستغل به عما سواه .

كِتَابُ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ

- بيان -

امضينا الكلام في المطب الاول من مطالب الكتاب على ما يتعلق بالنسب النبوي الطاهر والسادة من اهل البيت الكرام . وها أنا ذا أفتتح الباب الثاني منه وفيه الكلام على الملوك والامراء والخلفاء والوزراء جاهليتهم واسلاميتهم مستقدمهم وتأخرهم ورتبت على فصول اربعة : الاول في ملوك الجاهليين كهمير وسيف وتبع وجذيمة ، وامراءهم كقيس بن زهير وزهير بن جناب . والثاني في الخلفاء الراشدين الاربعة واولاهم ابو بكر . والثالث : في صدور خلفاء واعيان الملوك بعد الجاهلية وفيه أشهر ملوك بني امية ومروان وآل عباس وغيرهم ثم في الرابع : وهو فضل الامراء والوزراء في الاسلام كابرارهم وأفضلهم وانما أنا متعجل اولئك الرجال الذين بنوا مجدهم بسواعدهم وقلوبهم غير المتكلمين على آباءهم وجدودهم . وهذا الباب من اجن ابواب الكتاب لاشتغالنا علم اخبار الجاهليين في بابيتهم والاسلاميين في حاضرهم ونرى فيه حوسنة كثيرة عن المدينية العتيقة في العراق والحضارة الموصلية في الموصل ما يعرض في خلال ترجم محابله والله الموفق للخير والمرشد للصواب

ملوك الجاهلية وأمرؤها

(كلمة تهجدية)

جاهلية الدب لم تنزل أمراً غافضاً مستوراً الحقيقة في مدتها واسماء ملوكها وأخبار قبائلها
وأعمار رجالها ولا سيما ما سلف منها وإنما اندفع مؤرخوها المتقدمون بآثارهم
حباً لا ملوفاً فنبهوا ونقبوا فيما وصلت إليه يديهم من أساطير دولهم وآثارهم
وكذلك ما جعل ما أتوا به من الأرقام التاريخية تكريماً وتقديراً وربما في الغيب
ولقد تقرر علينا أنه نضع منهم فلم تكن نتيجة بحثنا غير علم بأنهم يفتقرون ما لا
يتحققونه ويدعوهم علم ما لا يدعون وأعظم ما استندوا إليه في أخبارهم وعولائهم
في أرقامهم أمرهم : الدول علم الأنساب في الجاهلية : يسلمونه الرجل متى
يبلغوا بهم أبا البشر آدم (عم) ع ما يعترضهم من العقبات وما يضلون
إلى سلوكهم من غير المسلك وفي هذا ما فيه من التصدي بلا لا يدرج حسناً
في سند في الوقوف على الأخذ بأقوالهم ما صرح به النبي القرشي ص عليه السلام وربما
حول الأنساب وهو خبر يورث والشراء ودهاة الحجاز واليه من كراهة مؤرخه
في نسبة نفسه إلى ما تجاوز عدته وقوله عند جوفه واردة اجتياز : كذب
الأنسابون ! . فبمثل هذا نقتطع عننا وطوي الوتوفه بعلم منساب في جاهلية
الدول : أي ما وراء عدنان ؛ وفي ذلك اختدفتنا . . وأما يوم الثاني الذي
حول عليه مؤرخنا بعد المنساب فهو التوراة في أنباءه ع بدء الخليقة وأزمانه
آدم ونوح وغيره (ص) وقد أظهرت المكتشفات الجبلية والوجهية وتنقيب
علماء العاديات والآثار ما خالف كثيراً ما أخبار التوراة وأرقامها .

لا انظر سفر التكوين .

والتوراة انما هو كتاب فيه يوضح قدرة الله في خلقه المكنونه وشرح شريعة موسى
التي سنّها الله لكتاب تاريخ وعلم يبحث فيه الحقائق الطبيعية^(١) والعلمية^(٢) فانه كثير
ما تدخل الشبهة في مجامع في الطبيعة والتاريخ^(٣) ولذا هو لذلك دفع علماء اليهود
عما جاء به والتمسهم له الوجوه البعيدة: فالكاتب السماوية وفي مقدمتها الفآت
الكريم: اذا تعرضت للبحث النافذ في التاريخ او العلم الطبيعي قوجز فيه ولتزيد
بياناً عما يعلمه اهل ذلك العصر المرسل اليهم ذلك الكتاب .

فاذا سقطت هاتاه الدعويان: دعوى منسأب ودعوى الوثوق بالتوراة، تنجى
ما يقبل به حكم على الزمه الذي حكم فيه المحوريون، محكمه بابل والعراق؛ والذي
كانت فيه قبائل طسم وجديس وعاد وعمود وذوات المذكورين؛ وادخلنا الشك
في عصر القوطانية حكم اليهود اليمانية وبرهانية وأضرابهم، صداقتنا
ترك ارادة التحقيق في ذلك حتى تنبت ايدي الباحثين في اطراف العراق
واليمه والحجاز بعناية قوية وفيرة على العلم كبيرة. فاذا بدت لهم آثاراً تكشف
الاستار زالت الازهام وقام البت والقلع في محكم مقام الوهم ولكن التقدير
وطامه هذا المصنف ربنا علم السنين في هذا أكثر ابوابه وفصوله اضطرت لأن
الناظر فيه الاقرب الى الحق واليقين مما ذهب اليه جماعة المؤرخين بينما يظهر
ما يثبت او يثبت له مدعوات الآثار وربك يفعل ما يشاء ويختار .



(١) و(٢) النظر بغير الكتاب المقدس المطبوع في مطبعة البرلمان ج ص ٢٢١ و ٢٢٢ .

محموري

- كان في نحو سنة ١٢٠٠ قبل الهجرة -

حازت شهرة محوري ومؤسستها موضع عناية الباحثين وتقريب المنقبين حتى قضيت بها مقولات واعتلفت الامطان آثما هما رجال الرجال . والذي انشغ لهم بعد البحث أن تقرر لمثل الدولة المحورية كان في القطار العراقي وأنه عاصم مدينة بابل : ولهم على ذلك ما وجدوه من آثارها المائدة للباحث فلما فيما به الهندية حيث ظهرت القامحة مدينة ابته صغيرة (في مدينة نيبارا) يرجع عهد بنائها الى ما يقارب ثمانية آلاف سنة قبل الهجرة . وعثرنا ~~فيها~~ على كثير من ~~الآثار~~ المذمومة المشوي . والحجار المنسوبة منقوشة على نفوس تاريخية وصورات وعقود وسائل وادعية دينية كتبت بالحروف السارية ما استدلت منه العلماء الجيولوجيون على انه عتق الدولة يرجع تأسيسها الى نحو القرن الثاني والثلاثين قبل الهجرة وهو رأي القائلين بأنه محوري لا معاصرا لابراهيم خليل وأنه هو المذکور في سفر التكوين من التوراة باسم امراخل موحد الملة البابلية . وهذا الرأي المحدث ادب انتاسا ^{قاله ابن كثير} الذي سمى الله سبحانه في لغة العرب : انه الرأي القائل بأنه محوري وامراخل اسم الله واحد قريب الاحتمال لو اختلف مبناهما . وامراخل لفظة سنسكريتية من امرايد *Amrapala* ومعناها حامى المؤمنين . ومحوري آرامية تعيد ما يقارب هذا المعنى وهو رب الارباب .

ودولة محوري وانه مجرم بعهده ففقد المؤرخين لصاحبها العرب قبل الاسلام وغيره بابا عربية اصلها من فاهة جل علماء الآثار والعاديات طبرهوا في ذلك من ذلك : فيهم من يقول : انه محوري عربي لدولته . وفيهم القائل بأنه الاسرة الممثلة لذلك ما قالوا عبا يلقونه بالبابلية العربية المتداولة في

في تلك العصور . وهي تختلف عما ساد عن اليوم وثمة لغة الآشورية كان
 ينسوي وما دجارجها ، وكانوا معا صديهم ومجاد بهم ويتفقون معهم في كثير من
 أنبيائهم وعاداتهم وطرائق بنائهم . والمؤرخون ارا اثبتت عبيتهم بملكيتهم
 المنقبوه من آثارهم يلوونه اول دولة عربية عرفت بل تاريخ البصر وصف
 حضارتها وسنيتها بما افضحت عنه الاطوال الشافعة بل . وفي العوب قبلهم
 ان بعده الباطنية ظفر في يهود السوس (فنا واد النهر) بمسلة "قمة الحجر السود
 الصلب قد فقتت عديلا شريعة صوري مؤلفة من ٢٩١ مادة تجت في
 طبقات خمسة وحقوق المداة وواجباتها والزواج والورث . وعثر آفون
 على كتابات تدل على معرفتهم بعلوم الجراحة والطب . وبالجملة فان الامم
 الموريتية وانه ظلموا التاريخ باغفل ذكرها واهمال امرها فتظهر آثارها
 الخالدة وتنفصع منها بنائياتنا وانما ضل حق تكون في عداد الدول القديمة
 المعروفة ذات الحضارة الرفيعة والمنزلة السامقة والمجد والكو عظام .

قطبان

- توفي في فرستة ٢٩٩ قبل هجرة - (هذه ذات ريح منقط)

سبقت الإشارة لاصحاب هذه الترجمة في الكلام مع عدنان وقتنا بأية الجبل
 اثني مديال العرب السكونة ولغو المسمى "العوب المتعربة" يستدعي لقطان
 وأنه وابنه يعرب اخذا العربية عنه فقد رطبه قبائل العرب العاربة . وقوم
 هو : ابنه عابر بن شالح بن ارفخشذ بن نوح . ذلك ما يذكره علماء السابور
 ويقدمونه مع ما عداه . واسم قومه في التوراة يقطان . وابوه عابر هو
 نبيهم هود (عم) . ولما كانت اقامة ابيه هود في معرفته وهو يراى قومه
 (١) المستلة في اصطلاح الأتريه اليوم : أعمدة طويلة مربعة ممددة الرأس . واصل

في تلك العصور . وهي تختلف عما ساد عن اليوم وثمة لغة الآشورية كان
 ينسوي وما دجارجها ، وكانوا معا صديهم ومجاد بهم ويتفقون معهم في كثير من
 أنبيائهم وعاداتهم وطرائق بنائهم . والمؤرخون ارا اثبتت عبيتهم بملكيتهم
 المنقبوه من آثارهم يلوونه اول دولة عربية عرفت بل تاريخ البصر وصف
 حضارتها وسنيتها بما افضحت عنه الاطوال الشافعة بل . وفي العوب قبلهم
 ان بعده الباطنية ظفر في يهود السوس (فنا واد النهر) بمسلة "قمة الحجر السود
 الصلب قد فقتت عديلا شريعة صوري مؤلفة من ٢٩١ مادة تجت في
 طبقات خمسة وحقوق المداة وواجباتها والزواج والورث . وعثر آفون
 على كتابات تدل على معرفتهم بعلوم الجراحة والطب . وبالجملة فان الامم
 الموريتية وانه ظلموا التاريخ باغفل ذكرها واهمال امرها فتظهر آثارها
 الخالدة وتنفصع منها بنائياتنا وانما ضل حق تكون في عداد الدول القديمة
 المعروفة ذات الحضارة الرفيعة والمنزلة السامقة والمجد والكو عظام .

ورجوعهم وبلا توفى فيها قبره . واما ابنه قومه : فلوله وشتاء اوله في
 حضرموت . ثم انتقل جماعة من قبيلة واهله الى مدينة صنعاء ولما كانت
 خالية فابتنى بها واقضى به من جاء معه من قومه وصبروها بمدينة تذكروهم
 آثمها بعد مائة الف من السنين . وكثرت جماعة المستقلية الى صنعاء
 لما وجدوا بها من نصيب وطيب الهواء فنادوا بقومه اميراً عليهم (بدلاً)
 ولما قدمنا من اعيان قومه والبره ذواته الرفيع ~~بهم~~ بوجاهة
 بينهم وشبوة فيهم . ولما احسن قومه السبب فاحبوه وكثر موعدهم . ورأى
 نفسه في قوة ولسان فنجح حيث وضعه الى العزلة . ولما قد بلغه انه شداد
 ابن عاد (احد امراء العرب العاربة) جاور العراقية واستولى في نحو سنة ٩٢٧ هـ
 بمدينة بابل قاعدة مملكة الكلدانية والموصلية . ولما كانت سنة ٩٩٠ هـ
 وذلك في ايام قومه . وثب الملك الاشوري بعلش على مكانه فيل من العرب
 فطردهم وجعلوا عامه لمملكة الاشورية . فزعف اليه قومه فاجتمع اليه
 من المقاتلة ونسبت اليه الفريضة من هائلة طالت اياما ومات في اثنا عشر
 قومه سنة ٩٩٦ هـ . ثم ان ابنه يعرب عمق الصبح مع بعلش وعاد اليه
 صنعاء مقره . وذلك ايامه . اما قومه فيقال انه اول من لبس التاج
 ولعله لما قدم العراق ورأى صفات بابل ونيوى في ذلك العهد قد ملوكهم
 لبس التاج فكانه اول من لبس من ملوك اليه وعزيرة العرب . وهو
 وهو ابنه يعرب اول من ظهر باللغة العربية ولما كانت لغته الكلدانية وهي
 لغة اهل العراق الاشورية . واستبعد ابنه خلدوه ما ينقل المؤرخون
 من انه قومه اول من تكلم بالعربية وأنه اتي بمرئياً من ذات نفسه فقد
 وقومه من تعلم العربية ~~منه~~ من اذكره من العرب العاربة (الباقى) . وولد
 لقومه من ثلثة عشر ولداً ولترشد حتى امتلأت به البلاد اليمنية بعد زهير
 واما

وانما سميت القبائل والبطون القومية من حفيد سبأ به يجب به يعوب به قحبه .
فلما نزل منه بطون حميد و بطون كهده وانتشرت ابناءهم في اوسم وحجاز واورامه
واليمه . ومنه نسل التابعة معلول اليه ، والقميه معلول بحيره ، وبنو
مرك السهم . وفيه يقول الشاعر
فما نزل قحبه من السماحة والندى ولا كابنه ربا انصاحه يعوب

يَعْرُبُ
ما ت في غوسته ٢٠٤٠ قبل الهجرة (هذا ما يرخ منقرا) يعجب
يعرب به قحبه به عابر : احد مرك الرب وحكامهم وخطبائهم ومنه ذوي البسطة وقدم
فيهم ذي اماره صنعا بعد موت ابيه . واشتد ساعده . ولزم رحله بعد عودته
من قتال اوسورييه في العراق وابل . فاقام في مفر امارته سنينا فبعث غده .
ويؤني غده . و اى قوم عاد ^(فناشيت) قد طفوا في اليه تخاف زحفهم عليه . فنجح جوبه
وابتداهم فخاربهم فخالف التوفيعه والظفر فاستدك البدو اليانية . وصفا للث
ب . ثم عارب الصلقة ومانوا في الجاز فقلبهم على ارجلهم . وولى اخوته الاعماله
فجعل جوهما على الجاز وعاد به قحبه على الشر وعفرت به قحبه على جبال
الشر وعام به قحبه على بدو عمان . ويعرب بهذا اول من صباه ولده بنيه
العدك : انعم صبا حادا : ابيت الصن . وهو وابيه اللذان نشر الفقه الرب
في البدو والمهدك وذلك بعد قفره اوسن وتبديلا واحدا في الناس في
السيب التمييز عند ضارهم . فواطعهم : بك يقول حسان به ثابت الزنباري :
تعلمتم من منطه الشيخ يعرب ابينا فعدتم مغربيه ذوي فقر
وكنتم قدبا ماكنم غير عجمه عدوم وكنتم كالبراكن في القفر
يزعم اصحاب الاخبار انه يعرب لما حضرت الوفاة جمع بنيه وادعاهم بقوله :

«أي بني ! تعلموا العلم واعملوا به . واتركوا الدنيا وادعوا الطبيعة بينكم .
وتجنبوا الشر واحمدوا الله : فانه شر لو لم يحب عليكم الشر . وانصفوا الناس من
انفسكم : فانهم ينصفونكم من انفسهم . واجتنبوا الكبرياء : فانها تبعد قلوب الرجال
عنكم . وعلمكم بالتواضع : فانه يقربكم من الناس ويمسك اليهم . واذا استشاركم
مستشير فاشيروا عليه باتشيره به علم انفسكم بمثل ما استشاركم فيه : فان
امانة قد القاها الله في اعناقكم . . .
وملك بعد ابيه ثورنا ونمونه سنة . ومات في صنفاء .

سبأ

مات نحو سنة ١١٩٠ قبل الهجرة

عقبه شمس به شجب به يعرب به قومه : احد كبار ملوك اليمن وملكهم بالذكروا له
في تاريخ تلك المصراع . ملك صنفاء وما جاورها من ~~الديار~~ الديار التي
أخضروا يعرب ~~سرعنة~~ كما قد بنا في ترجمته . وكانه موصوفنا بشيعة
وعلى الامة وجب الغزو : فانه لم يجز له القبال البعيدة عنه فقصدها
وحاربها وآثر السبي ميلا فلما عاد لا صنفاء أنكرت قبيلة أرمه وأعظمت
سنة وجمانت عادة السبي غير ما لوقت وبنوا عليه شمس . قال احمى النوايح :
ولذلك لقب بسبأ . ولا يحسن عندي هذا التوجيه . ولان مولعا
بالعمارة والاقامة الابنية الفخمة : فابتنى مدينة غارب : وهي بلاد
التي ما زالت آثارها شاهدة على هذا الحية وقد عثر بعنه علماء الآثار
واللاهوتية بالبحر والتقيب من فضلاء الغرب على كثر من الكتابات
منقوشة على الحجارة باللسان الحميري استدلوا منها على اسم المدينة
وسبأ ~~صنفاء~~ . وأما بعده الانقراض المأخذة بالاندثار فمؤرخا
منها

حمير

مات بحجة ثامنة ٥٠٠ قبل الهجرة

المحميريون : ملوك عظام كانت منازلهم في اليمه ودام لهم الملك زمانا طويلا . هم
يتسبوه الى صاحب هذه الترجمة : حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وولاه
ملكاً شجاعاً مطلقاً . حكم بعد موت ابيه سبأ . ولم تنل عاصمة ملكه صنعاء .
وغزا وافتتح هاذيا جندو آباءه في توسيع دوائج ملكهم حتى قيل ان غزاته بلغت
الصبي . وحمير : لقب عليه لاختياره التيا بالحر وكثرة صلح لبلد له واسمه
العرنجي . وهو مشتق منه قولهم : امر نجح في الامر : اراحته فيه . واتخذ من الذهب
الوهاب تاجا فكان اول من تتوج بالذهب . وله وقائع مشهورة منها أنه
قاتل قبائل ثمود وكانه مقارلا في اليمه ففرقلا فارتفعت الالهجاز . والدولة
المحميرية ذات ذكر وشأه في تاريخ جاهلية العرب . واصحاب الاخبار لا يفتقرون في
مذكراته على رأي ولكنهم يفتقرون اقتداء عرشه بهم في ملكه فلو غلبه فيه .
وضيفت في منتهى ادهاشه في غرهم الدول الكبيبة ، فاستعمل على انقاض
دولته حبشية : أسسها ارباط الحبشي الذي اغار بجيشه كبيره ابناء
جلده على آخر الملوك الحميريه ذي نواس ، وهو أحد الملوك اليمانيه
المعروفه بالازواء (ب) فقاتله واستلكت اليمه سنة ٨٥ هـ . فدام
لارباط الملك وتوارثه عنه بعده ابناءه . والعرب اليمانيه يتخذون
الى الوثوب بهم ولكنهم لا يستطيعون الاستئثار الحبشة بالقوة دونهم . حتى انهم
فيهم شاك كانه من دوله الافدوا الحميريه واسمه : سيف بن ذي يزنه فانه دهم
الاجناسه بجيش اتى به من القيس ، مع نحو مائتيه مصفد في ترجمه سيف
الذكوري ، فاعاد الملك الى اهلهم واستقل به سنة ٤١ هـ . والمحميريون
(٥) جميع ذو . وهم ملوك اليمه الميريه المبدوده اسما وهم بذو : منهم : لغة
دوينه و ذو غمداه و ذو جده و ذو سلميه وغيرهم .

عربية حتى أنه لم يجدوا جملها معاً . واول من بين لادونيا وجود الكتابة
 الحميرية في المقاطعات الجنوبية من بلاد العرب هو العالم نيبور . وذلك سنة
 ١٨٩٠م (١٨٧٤م) ثم كشفت عدة كتابات وآثار في ظفار
 وصفا ، والخرية ، وأرب ، وحرم بقیس ، وحفوت . وفي الخف
 الانكليزي بلوندره . سوزج من منقوشة الراج خاصة باللغة الحميرية ووجدت
 في حفوت ، ووجدت ان عليها كتابة حميرية هيى بها ما بابل . واكتشف
 الباحثان بليغير وكوغدون عدة الراج برثرية عثر عليها في القرب
 من صفا ، واحد ياها الى المرمه . قال البستاني : ووجدت كتابا
 كثيرة حتى صارت تعد بالمئات . والعرف الحميرية اكتشف مسبو
 كلدور في ابيه (حجة في سنة الرثية رعد) منقوشة على قطعة من صلب
 والكتابة الحميرية تختلف عن غيرها من لغات القبائل البرية اختلافاً عظيماً
 وخطها يفرق بالمشند وهو قريب في صورته من الخط السرياني . ونقل
 صاحب المطالع النصرية عنه اية من قوله : والحميرية ~~خط~~ خط اهل ابيه قوم
 هود وهم عاد اولى وكانت كتابتهم تسمى المسند الحميري وكانت عروا
 صلا منفصلة وكانوا يسمون العامة من قديم ~~فدوس~~ بنقاطها احد
 الياذتهم حتى جددت ~~الخط~~ الخط والاسم جميع ابيه ~~مكتوب~~ ام .
 وعاش حمير في سنة في ملكه بعد ابيه وولد له خمسة اولاد : ملك ،
 وعامر ، وعمر ، وسعد وائل . وكان في المعارف لابه قتيبة . وولد له
 حمير على ما ذكره الفلقندي في كتاب الاسباب : الكاسد ، والشقيون ،
 وبنو الرثان ، وقضاة ، وطلوع قضاة ، وبنو عبة شمس ، ومنه ملوك
 حمير : ابتداء ، والادواء ، والوقيل . وعلم ما في تاريخهم واجبا لهم من
 الغرض تجد في كتب التاريخ الكبيرة كتاب تاريخ ابيه خلدوه واسماهم كلوا كثيراً
 عنهم وفي ما تؤيده الآثار المتشعبة في عصرنا هذا .

تَبَع

مات في نحو سنة ١٠٥٤ هـ

الملك الكبير من ملوك الدولة الثانية في بلاد البصرة كان يلقب بتبع . كما كان
 الفرس يدعوه كل ملك منهم كسرى (عرب حُشرو) الفارسية . والعم
 قيصر (عرب : *Qayser*) . والترك خاقان . والحبة النجاشي
 عرب النجاشي في الحبشة ، وهي بالكاف المشمة بالميم ، كما في العصب . وامتاز
 تبع بهذا أنه ورد ذكره وذكره كثيراً في مواضع كثيرة وهو من ذوي الفتوح
 ومنه . واسمه حسان بتبع وابوه تبع اسمه ابو كرب الحيري
 (قال ابو الفداء) . كان من اعظم ملوك حمير ولعله انزلهم غارات واعظمهم
 كتاباً . قال الامام ابو جابر في تاريخه : سار تبع بجيش عظيم
 حتى انتهى الى سمرقند فغزو ويفتح . وكلما دخل مدينة او قرية كبيرة
 اختار من حكمائها وذوي العقول الراجحة ما ينال عدواً لا يقل عن العشرة
 فاستحبهم معه . ثم انصرف فأخذ طريقها ثم فاضلهم ومعه
 واعتقل من اصحابه من اليهود جميعهم فبقيهم في سيرة معه في الحكماء وماكره
 راجعاً نحو البصرة الدورية يديه من الاخبار والكرامة والحكام ما ينالهم
 اربعة آلاف رجل . وبينما هو طليح سائر الى البصرة من الاخبار يروي
 عنه مدراة وكتبها السادة حتى استمالوه اليهم . ولما قرب من مكة سار
 في الناس انه يريد هدم الكعبة فخرج اليه اصحاب محمد بن عبد الله بن كعبه وأزله
 بيت (منه وما زالوا به) انه كانت لا في نفسه هبة فخرجت اليه فوجدوا مصفى
 وبه ابراهيم فمئل ودخلها فقفى نكه وكساها سبعه الثوب ، فهو اول من
 كسى البيت . ثم مر بيقعة يثرب (المدينة) وعاد الى اليهم فاستمرت بينه وبينه

وبه فوه مناظرات في امر دينه الجديد وكانوا وشيخيه يعبدونه بيتاً شيدوه
 يزعمونه أن به آتوا ليحكمهم ويخرج اليهم . وثبت تبع . وتبعه جماعات منهم
 واهلهم كثير أمه الذية قاصوه في نشر دينه . واعتزله جماعة بقواعم ديانهم
 . فهدم تبع واصحابه بيت عبادتهم . واتخذ في اليمع مد ينيقي « مأرب »
 و « ظفار » فبناها سكناً له يقيم في ايام الشتاء ومنه بمنزل في مأرب
 مبني بالصفايح الذهبية . ويقضي فصل الصيف في « ظفار » بمنزل النبي
 مد الرجام . وجعل في مأرب مكاناً يبيت ابناء الملوك مد حيدر يعلونه
 به اللغة وادخلوه فزودهم للعلم والتربية . ثم ثار عليه جمع مد
 قومه فقتلوه . وقيل بن مات في « عناه » مد بلاد الهند .

هذه اخبار تبع حسان اليماني لمصنعا كما ترى عنه بعد الكتب
 العربية الموثوقة بل عند اصحاب هذه اللغة وأما آثار التباينة فحق
 يوضا الذي نعه فيه لم ينكشف للباحثيه مد ارضها غامضة ولو وضحت
 حقيقة وعما تنبئ المولد الدارسة بأقدار نباتها واهلها
 ادوليه ولو بعد صلب . اما زنة صاحب الترجمة فلم أر مائته
 به مد الاقوال الصريحة في كتب التواريخ غير كلمة يستأنس بها المتن
 أوردناها لفظاً به عاكر قال : وبه تبع وموله رسول الله صلي الله عليه وسلم
 الف سنة . فأضفت ما بيده موله النبي وصحبه الم اؤلف فكان مجموعها
 الف سنة وثلاثاً وخمسة سنة . وانما هو تقدير وتقريب : وقد يحسن
 ايرادها وجمعت بها عند فقده الحقيقة واستناع التأكيده .

وينسبوه لتبع هذا شعراً يزعمونه انه ناظمه وابنت شيا منه ايه
 عاكر في تاريخه . اما عندني لم يثبت مد ذلك شيء ونعه نرى الخوف في
 اسماء ملوكهم قائماً فكيف با يفيدي اليهم مد الشعر مع كثرة ناظميه والمستفيدة
 فيه . ولو يلهو غير مناجاة مع مولاة ما لم يمد تواعد الملوك الجديدة فليس به شيء .

عمر بن لحي

— مائة وخمسة ٢٩٩ هـ —

كانت العرب حتى سنة ١٢٠ قبل الهجرة آخذة بدين ابراهيم خليل (وعم) الانبياء من ان
استمعوا ديانا من مجاورهم من الفرس والروم والوثنية وغيرهم حتى ان في الجواز من
منهم يدعى «عمر بن لحي» به حارثة به عمرو من يقبض المزدري به ولد كهولته به ساء.
وكان مطاعاً في الذكر واهية خضعت له الجاز. وهو اول من ارضى الاصنام
على تلك البقعة وخلص وجعل في الكعبة. وذلك انه اُصيب ببلية شديدة فحياه
سقاؤها فقيل له: لو قصص البقاء من اعمالك فانه بلا علة له اُستبرأ برأت.
فأتاها. فاستقم. فبرأه من. واحتل بيعة اهلها وآلهم بعبادته مناً
فألم عزلاً ففعلوا هذه ارباب اتخذها عم شكل الاله كل العلوية وموثن
البشرية لتتصبرا فتشعر وتشتقي برا فتشقى. فأعجبه ذلك. فطلب
منهم مناً وبذل لهم ما يعولونه النذور فدفعوا اليه «هَبْل» واسمه في مبرانية
«هَبْل» وهو اسم اكبر اصنام الفينيقيين او مكثانيه ومجاورهم لم يسم.
قال النويري: وهَبْل: صنم من فرز العقيد على صورة انسان. فاحسنه عمر بن
لحي وسار به الامكة فوضعه على الكعبة واشترى صنميه احدهما اساف والثاني
«ناكثة» فعكف على عبادتها وامر قومه وعشيرته بعبادة اوتنانه وتطعيمهم وعا
العرب كافة الا منع شائراً واحتراماً والتقرب مناً فاجابه السواد وعظم منهم
رغبة ادرهية. وشدة جماعة من عقولهم ومفكرهم. ففعلوا الديانات
المعروفة في ذلك العصر كالديانة النصرية والنمرانية. ومنهم من اختار مذهب
المجوس او الزنادقة او الثنوية او عبادة المكواك. وثبت فريده على ديانة اوتن
واستمر يكرسه على عبادة اصنام وتقريب اقاربه لا حتى جاء اسلام فطرد
وصول الناس عنه ابتغائاً بعد انه كثر عدوها وفشا امرها واتخذ كل
قبيلة من قبائل العرب صنماً ابتدعته. ومنهم من بنى له بيتاً ليكونه كالكعبة ليحاف

اضنى جذيمة في المنار مذله قد حاز ما جمعت في عصرها عاد
 مستعمل خير لا تغنى زيادته في كل يوم واصل الخير تر دار
 و ضاع له اباه اخت يدعى غمراً وهو صنفه فرضى عليه زمرة ثم لقبه رجلاً
 اسم احمد هاشم والثاني عقيل . فأتياه به فقال لها جذيمة : تمنياً علي
 ما شئنا . فطلبنا منه ما بقي وبقياً . فأتاه اربع مئة سنة ورأى منها عقلاً
 وأولاً فجمعها حتى مات و فرقت بينها الايام . ففقدت العرب بها الاثنى في
 تأكيد الألفه وطول الصبة : قد ابوخراش الرندي يري اخاه عروة :

تقول اراه بعد عروة لاهياً وذلك رزقك لو علمت جيل
 فتدعي ان قد تناسيت عهدك وكنت مبري يا أيهم جيل
 ألم تدعي أن قد فتره قبلنا خيل صفا : ذلك وعقيل

وكان يقال لجذيمة « البرسه » و « البرص » لبرص كان فيه وكنت
 العرب هاجمته انه تنقبت به فلقت بالوصاح . وقتل في تدمر كما ذكرنا و ختموا
 في مدة ملكه بيه ٥٠ سنة و ٩٩ .

الضيزن السلمي

- مات سنة ٤٠٤ هـ -

ما برحت الآثار التي خضت والاطول الهية تذكر رايل ببايز و تدلث هدا
 علم شئها . فان علماء البداهة والهاب الرحلات المولعية بالسفر وبحث
 عه الآثار كلها مرة واحد منهم بتلك الأخرية المعبرة . في ذلك المطامير
 المائل به الكوفة والقادسية استوقفهم بها فنقبوا وحققوا استوقفه
 منظرها طويلاً فنقب وبحث ثم كتب ملاحم . فاما يا قمت فثبت عنده ان
 مجاورى ذلك الموضع كانوا يسكنونه في عصره « طين ناباذ » . وسبقه المياض ذلك الموضع
 ابو زيد

البورني . واتفقا على أن اسمه دوله ضيزنا باز ، ولكنه مجاورية الفرس عرفوا
 البندطاء لأنه لغتهم حاليته من الفار . وقال : ضيزنا باز : مؤلفه من كلمتيه "
 ضيزن " وهو اسم بانيز . و " أباز " ومعناها بالفارسية العمارة فتكون ترجمتها
 " عمارة ضيزن " . وعرفت الفارسية في العهد الأخير فقلت " طعيريات " وهو
 اسم الحاتن في اليوم على ما جاء في مجلة لغة العرب البغدادية من ١٩٠٤ . وربما تدعى الدريبات
 كما جاء بها أيضاً في مواضع مختلفة . وهي كما في معجم البلدان تبعد عن القادسية في جادة
 الحاج صفاة ميل . وكانت في صدر الإسلام من أنزه المواضع مخوفة بالكروم والشجر
 والحانات والمعاصر مقصودة للزهد والبطالة . وفي القرية التي كانت غراباً ولم
 يسجد إلا الأثر قباب كانوا يسمونها " قباب أبي نواس " لبيت تكلل أبو نواس فيها
 أو ردها يا قوت (ج ٦ من ٧٩) . وهي اليوم آثار اجنبة في تلول وهضاب .
 أماسية وعامل والمسنوبة اليه فهو صاحب هذه الترجمة : الضيزن
 ابن معاوية بن الحارث (أو الجرام) به سعة به سلع به علوان به علمانه به الحان بن
 قضاعة (كذا النسبة في كتابي المعجم والفتوح رواية عن الكلب) . وكان ملكاً
 مذكوراً ببباس والمنفة تحشاه أقبال العرب وعلوها . فكانوا يربوا دونه
 ويسلمونه خوفاً من الحش . وكان قد ملك الجزيرة الحارثية . والعرب في
 ذلك العهد ، كانت له كتب الثقة من مؤرخيهم ، كانوا يربوا جازية سيماهم
 قويمه : أحدهما دولة الفرس وهي لادنا لوجره أ في تقريب من داناها من أمراء
 القبائل ومولك العثرت فتنم عليهم وتحسن إليهم ثم تطلقهم في بلاد الروم
 يمشون بلا فساداً ويقفونهم كالنمل . والثاني : الروم . يصنفونه صنيع
 الفرس ، هذا هو النمل بالنمل ، وكان الضيزن من بني الروم تقيماً
 اليوم في بلادهم مع العرب والمواد . وذلك في أيام كسرى سبوردي كزاد
 وهو من نفاة موكاسرة وأشدهم عداوة للعرب . فجمع جيش كبيراً وزحف
 به إلى بلاد الجزيرة حتى بلغ ، الحضر . وهو بناء بنياء الضيزن ، أو مدينة كزاد من

فما الضيق الماحق واقام سا بور عدة لدراسة لا فتحة . وزعوا ان كان
لعنينة بنت تدعى ، النقية ، رأت سا بور فأحبته وراسلته ثم مرّت لسيل
ودخلت معه فدخله ، وقتل العنينة ، واستهبه وامر بهدمه . ولعله اخو الحضرة
الذي اراده صاحب القصة المشهورة وهو عدي به زيد بقوله :

اي كسرى كسرى الملوك النشوان ام أين قبله سا بور
وبنو وصغر كرام ملوك الروم لم يبعه منهم مذكور
واخو الحضرة اذ بناء فاذ دجلة تحي اليه والى بور
شده مرراً وجده طساً فلتطير في ذراه وكور
لم يره ريب المنون فباد الملوك عنه فبا به مرابور

النعمان الساع

- مات في نحو سنة ٤٤٠ هـ -

النعمان بن ابراهيم القيس بن عمرو بن ابي عمرو الساع : احد ملوك حميرة من قبل
ملوك الفرس : وكان شجاعاً كثير الفارات رفيع الذكر . غزا ام سارا
بقرية الفرس ، ثم سبغت في الترجمة السبعة اوت رة اليه ، ففتم ورجع وظفر
واتخذ كتيبة مازها عه جنده : احداها كانت مؤلفة من رجلى الفرس ،
وساها الشراء ، والثانية مله تنوخ وساها دوسر ، وهذه يفر بالقتل
في (بطلان) فيقتل : ^{بقتل} دوسر . واجتمعت له في حربه اموال كثيرة وكان
موصوفاً بالعقل والدهاء منقوفاً بالزعم وبعبه النظر . وكان له معاوية
يذودهم ، المعروف بالاسم ، ملك الفرس . فدفع اليه ابنه بهرام (الله به
نصي بهرام جبر) ليديه ويرثه . فانشأ على غاية ما يكونه منه حمة ^{بقتل}
الشجاعة والفروسة . وطالت ايام النعمان . وهو باي القصرية المتليين
الغويين

المودنه والسدير . ولشراؤنها كلهم كثير . ولا يمنع من الكثرة فكر في اراطية الدنيا
فلم يرها الا غدراً . فهدى سبك النكاح والطمع . واستعاضه بغيره
المكسب ، ببقاء النكاح . وانصرف سائماً في البدو . فانقطع خبره ، وخفي أثره .
وذلك بعد انه حكم ثبوتيه سنة وفيه يقول عدي بن زيد مدعية تقدم بعفلاً :

وتدبر ربّ المودنه اذا شرف لها وللهدي تغليز
سره حاله وكثره ما يملك والبرق من السدير
فارعى قبه وقال : فما غبطه حجة الى الممات يصير

ومطم هذه القصيدة :

ايالات المعير بالده اأنت المبدأ الموقر
وفي ختار بعد ذكر الملوك وآثارهم :

ثم بعد الفدح والمكسب والنعمة وارتسم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورثه جف فألوت بالعباد اللجور

ولما غاب النعمان وتحدثت الناس بأمر عتروا على بيهه آثاره عرفوا من
ما صار اليه حاله فتولى مكانه المنذر الاول . وتعاقت الدبناء والوقوع
من بني لخم حتى آل الامر الى المنذر به ماء اسماء الذي خبده .

المنذر بن ماء السماء

كان نحو سنة ٥٥ هـ هـ -

المنذر بن ماء السماء القيس العنزي : احد ملوك الحيرة وما يبدل من جهات الرواح . وهو
من اعظم رجال هذه الطائفة الخثعمية ومن كبار مشايخها ومفاخرها . ينتسب
الى امه ماء اسماء وهي أخت حبيب الملال مائة دارها : وكان ينتهي بها اذا
هي القتال فيقول : انا بمر ماء اسماء ! ثم ويقال له المنذر الثالث

كليب وأئيل

- ولدت سنة ١٨٧٠ وتوفيت سنة ١٩٤٧ -

من أمراء العرب الذين تشبهوا بالملوك في سطرتهم وسعة ديارهم وان لهم وخلفهم
 حكمهم صاحب هذه الترجمة: كليب بن أئيل ربيعة بن الحارث بن مرة التغلبي الوائلي
 من أحفاد عدنان. سيد الحيين بكر وقطب ابن أئيل. ومن السبعين المذكورة
 في الأهمية. كانت منازلهم في نجد وأطرافها. واجتمع عليهم قبائل عدنان وبنو
 الحارث بن تميم في بني ربيعة بن تميم كانت لكذب فالكذب منه ولده وكلها ولي المارة
 حجة منهم اتخذ له سارية يعرف بها ~~هم~~ فكان لواء المارة بعد جدتهم ربيعة في
 بني هذيل به أسد به ربيعة فجمعوا سنتهم التي يمتازون بها أنهم يوزونهم بالحجم ويوزونهم
 شواربهم ولديهم بغيرهم من قبائل ربيعة ان يفعل ذلك الامم اراد
 حربهم وقتلهم فيضلم خرقاً لمتهم ونبدأ لطاعتهم. ثم تحول اللواء إلى
 بني عبد القيس به افعى به وعمر به جدية به أسد: فكانت سنتهم التي انما استتم
 احدهم لهم من شتمه واذا لم يظلم قتل من لطفه يرونه ذلك حقاً لهم لا يسمون فيه
 وانتقل اللواء إلى بكر به وأئيل: فكانوا يوثقون فرج طائر ويضعونه في قارعة
 الطريقه فاذا تحلّم بكانه لم يسلك احد ذلك الطريقه وانما يتنهي عنه بعيداً
 ومنه دنا منه او حاراه فقد خذله ~~حصة~~ حصة الأسد سره المحكة وجاز قتلهم. ومنهم
 تحول اللواء إلى تغلب فولد كليب بن ربيعة: فانتخب جريراً كان اذا جلس في روضة
 او مكان يضرب ويثيقه فيصوي فخماً بلع صوته كما به في حمايته فلو يرى كذا
 منه ولواضاده ولداً يروي احداً به. وقتلوا ان اسمه وأئيل ولكنه لما اتخذ
 الحرب فكان اذا حوى هابتعد الناس يحد بعضهم بعضاً ويقولونه: هذا كليب
 وأئيل فقلب ذلك عليه. وزاد في منزلة كليب انقام قبائل معدله وقيامه
 لمجوعهم يوم خزاز: وهو من ايام العرب المشهورة كان بينه معد واليمن فاللواء
 كليب شجاعة وبلاة ففرض جمع اليمن وهزمهم والطاعة بعد فوثقه برأ
 ودخله

ودخله زهرا شديد وبني عم قومه حتى بلغ مده فيه انه كان يحس موافق السحاب
فيقول: ما اظلمت هذه السحابة في حماي، فلما برئ ما تظلم، وكانه يقول: وحش
ارعه كذا في جوارى، فلما تصاد، ولا يورد واحد مع ابيه، ولا توجد نار
مع ناره، ولا يمر أحد به بيوت، ولا يجتبي أحد في مجلس، وهو راضاً
به العلية في اول الربيع فكان لا يفر إلا أحد، وبه يغرب المثل: يقال، هو في
حس كليب، لم كانه آمن، ومه اجد تارت حرب البسوس التي هي اطول حرب
نسبت في اهل حمية: قيل: دامت اربع مئة سنة، وسبيل انه رأى ناقة تترعى في ارضه
العلية التي هي في حماه فرماها بهم فقتلها، وكانت الناقة لرجل يقال له سفيان
الجرمي تر لا ضيفاً عند البسوس بنت منقذ التميمية خالته جاس به مرة وهو اخو
زوجة كليب، فوقع مثاقبه به جاس وكليب على ما هو مظهر في كتب الامثال
وانظر كتاب العصب المثل: لصاحب هذا الكتاب) وجعل جاس يترب كليباً
حتى انفا ديه يوا فقتله، ونسب ارب به التغلبية رهط كليب والبركتين
رهط جاس، وكانه بطن تلك المواقف مزلزل به ربيعة اخو كليب، وسأته
ذكره في ديوان الشعراء، وفي كامل التواريخ كلام طويل عن يوم البسوس كما في
التركيب التاريخي والموخبار، وجاء في معجم البلدان (ج ١ ص ١٨٨): قوله: وروى
الذنايب قرية دونه زبيد مده ارمه اليه وبه قبر كليب وائل، قال مزلزل برية:

أليقتا بذى حُصم أنير عيب	أذا انت القنيت فدمور
فانه يرك بالذنايب طار يليب	فقد ابي ره ميل القنير
ولو نبش المقابر عنه كليب	لجرب بالذنايب اي زير
فلولا الريح أسمع اهل حجر	صليل البصه تقصع بالكور

والزير لقب قومه يدعى به كليب، لونه مزلزل كان في صباه يكثر منه معارفه
فيحمله اخوه، وزير النساء، فلما قتل هو مزلزل ذاك النعيم، وكلف على السج
وكف فاج، البيت لا خير يقال انه اول لذب ورد في شعراوب لونه به الذنايب

وجرى سبيل . وله في حبيب مرات كثيرة يأتي بعضها في ترجمته المصنوعة .

ذو نواس الحميري

— ولد سنة ١٧٥ ومات سنة ١٩٠ هـ —

اشرف في بطنه ما تقدم اليه مولد الحميريين وما نزلهم في القطر الباني . وصاحب
هذه الكلمة هو : ذرعة به كعب الحميري . احدى ملوكهم ومعرفة فيهم . ولقبه
ذو نواس لانه كان له صغيرتان تنوسان (اي قطربان) على عاتقه .
وهو صاحب الخلافة المذكورة في وقته الكريمة . وكان من حديثه انه بلغ
ان رجلاً من الرعاة الى النصارية والمشرية بلا بعثة آل جفنة ملوك خسان
الى اهل غران فتشكروا وكان دين اليهودية ففاظه ذلك وسار اليهم بنصبه
قار باخاريد حفرت وملأها حملاً وجمع منه في المدينة فحين يعرضهم على النار
منه تبعه نجا : ومنه أبي هو . حتى قتل منهم جماعة كثيراً . وانفتحت
منهم اربعة دوس ذو ثعلبان . فركب اسير وترى الى النجاشي بعد البشارة
وكان مع النصارية فحدثه بما حدث . فكتب النجاشي الى قيس بن عبد الله ويستأذنه
في تنوجه الى اليمن فاته اجواب بالديجاب فبرز جيشاً عدته سبعون الف مقاتل
وزحفهم يريد صنعاء فاستقبله ذو نواس بميثقه على حال البحر الأحمر
عند عدن فتقاتل اليأس وشكر ذو نواس بالغبية وأتى ابنه الموت قد كمن
له به شغار أسيف العبيد فركض جواره برجله ركضته ابتغتها
البحر ودبح ذو نواس الحياة وهو يدطم الموج ويبارك الحيتان مختاراً
بلون السمك وهو عزيز كريم . علم الوقوع في اسر السوران واسلمهم
واذلهم له : فمات شريفاً !

زهير بن جناب الكلبي

- مات سنة ٦٤ هـ -

زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله (أو عبد الله) بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي
 من أهل اليمن: أحد أشراف العرب المشهورة وشراهم وزوي الرأي فيهم: وكان
 يدعى الكاهن لصحة رأيه. وكان شجاعاً مظهرًا يمينه النقية. عاصره
 طويلاً: ومؤرخونا يذكرون عدداً ما يقولونه عن سائر المجتهدين. وهو
 أحد الذين سربوا الخبر مرافقاً حتى ماتوا (انظر ترجمة مديح كنانة). ومن
 أخباره أنه لما بلغه أن بني بغيض به رث به غطفانه بنوا حرماً كرم مكة ليقتل
 صيده ولا يراج عائدته قال: والله لا يكون ذلك وأنا حي. فنادى في قومه
 ففزعوا بني بغيض فظفر بهم واخذ فارساً منهم في حرهم فقتله وعظم ذلك الحزم.
 ثم سار مع غطفانه ورد الساء واخذ مطوأل وقال في ذلك من أبيات:
 فم تعبر لنا غطفان طامتم قلوبنا وأحزنت النساء
 فلولوا الفضل منا ما رجعت إلى عذراء شيماء الحياء
 نفينا نخوة وعداؤنا بارعاً استشرطاً ظلوا
 واشتهرت واقعة مع بكر وتغلبت على وائل: وسبيل: أن أبرهة أشرم حيلة طلع
 إلى نجد أتاه زهير فأكرمه وفننه على ما أتاه من ألعاب ثم أقره على بكر وتغلب
 فوليهم حتى أصابهم قحط فلم يوردوا الخراج فقاتلهم زهير فذبحه به زبابة وكان
 فأتاه حتى نام فاعتمد بالسيف على بطنه زهير حتى ظن أنه قتله ولما أصاب زهير
 فلم يترك للديوداليه. فلما انصرف النبي الرقة أخبرهم أنه قتل زهيراً ولم يكن
 مع زهير إلا نفر من قومه فأرهم أنه يُظنوا أنه ميت ورجلوا به مجدياً الزنوم
 فشغوا وجمع جمعاً من أهل اليمن فزاحم بكراً وتغلب فأتى فيهم وأسر كثيراً من الأهل
 ابنه ربيعة وجماعة من فرسانهم وقال في ذلك من قصيدته:

اية الكبار من حذر الموت اذا يتقون بالأسلوب
 اذا سرنا همدوا وأخاه وابه عمرو في القيد وابنه لابس
 وسبينا من تغلب كل بيضاء رقوط الفمي برؤو الرضاب
 واستدارت رحى المنايا عليهم بعيث من عامر وجناب
 فم بين هارب ليس بالو وقيل معقب في الزاب
 وقيل الفز عرنا هيه نسو مثل فضل السماء فوقه سحاب
 وكابه زهير خليب قضاة بكوسيدها، وتغها، وادها الملوكة، وبلدا،
 واجتمعت فيه فضل محمود لم تجتمع في غيره واحصى بعضهم ما عوف له القولات
 والحروب فبلغ مئتي واقعة واستمر وطال عمره حتى خضعه صنف عقده فمات
 مترا برب الحر صفا عموما سيأتي بيانه .

المؤذنين ماء السماء

— مائة خمسة ٦٤ هـ —

المؤذنين امرئ القيس التميمي : احد ملوك الحيرة وما يبدل من جلات العراق وهو من اعظم
 رجلى هذه الطائفة المانكة ومن كبار مشاهيرها ومفاويزها . اسم ماء السماء
 اخت كليب واسم اب به ذكره ؛ وكان المؤذر ينتهي بلا في حوجه بعله حوب فيقول
 : انا به ماء السماء فنبلا . وقيل لذل كانت حميدة . وصاحب
 هذه الترجمة هو المؤذر الثالث : ولي تلك الحيرة بعد ابيه سنة ١٨٠ هـ
 وذلك من قبل ملوك الاعراب ومنكم الماصلة كسرى قباذ : وفي ايام
 ظهر مذوك الفارسي ينشر منه هب الزندقة فاختره قباذ عم المجوسية وجا
 اليه المؤذنين ماء السماء وهو نائب علم العرب فابى المؤذر متابعه . فاضمر له
 قباذ حقا . ولما قد اشتد في زنه ملك من ملوك العرب يدعى الحارث بن
 ابيه محمد بن عبد : منازله في نجد وهو من بسل الدراء وذوي النجد منهم
 وسابق

وسياً في ذكره في اليوم علم ابنه امرئ القيس الزعر . فدخل الحارث هذا ف
 مذهب من ذلك وهجر ادواته . وبغ ذلك سب العجم قباز فسر ولقد
 المنذر من ذلك العزامة وولي مكانه الحارث . فقام للحارث الملك حتى مات
 قباز وتولى مملكة فارس كسرى النوشروانه المعروف بالملك العادل وذلك
 سنة ٩٤ هـ . وكان كاهن كاهن للزندقة واشيا عراً فقتل من ذلك
 الزنديق واصحابه وطرد الحارث الكندي واعاد المنذر به ماء السماء . فقام
 سب العزامة في بني لحم حتى جاء الحسن . والمنذر هذا هو بابي الغريين
 وصاحب يومئذ البؤس والنعيم باورث في رواية الاغاني ، وامالي القالي ، ومعم
 ياقوت ، وكامل ابنه الرشيد . وقال الجاحظ في المحاسن والمضار ، وابنه قتيبة في
 الشعراء والشعراء ، والمعارف ، والمجوهي في الصحاح ، والزيدي في التاج : بل هو
 النعمان به المنذر . آتي ذكره . هذا خدع المؤرخيه فاختر احد القولين .
 والغريان : بنا أن في ظاهر الكوفة دفن فيها رجلاً كانا بنا دماة المنذر وهما
 خالد به المضل ومرو به سمود الاسديان . غضب عليها يوماً وهم يشربون فامر
 بها فقتل . فلما اصبح وصحا سأل عنها فأخبر بما كان فندم وامر أن يُبنى
 عليها طرّاً بالون ليُعرف فابرها . وجعل نفسه في كل سنة يوميه اهدا لبؤس
 والثاني للنعيم : فكان يضع سريريه بينهما فاول من يظهر له في يوم بؤس يذبح ويحلي
 الغريين بدمه . واول من يراه في يوم النعيم يمنحه مئة درهمين ويُفند عليه
 احسانه . وظهر له في احدى ايام بؤسه تحييده به مورم الاسدي المعروف
 عليه رجاء خيره ولم يمه دارياً بذلك اليوم فترد فيه المنذر ثم قتله وانظر
 ترجمه تحييد في ديوان الشعراء . وما زال على تلك الحال حتى اناه في يوم بؤس
 حنظلته به الي عفاً فمعه على القتل وكانت له عند الملك المنذر يد فآله
 انه يره سنة يرجع بها الى اهل فينظر في امرهم ويعود في مثل هذا اليوم فاجاب
 وكفله شريك به عمرو السباني فلما كان اليوم الموعود اتقبل منطلقة وقد كففت وكففت

وجاء بناديه فعبأ المنذر مد و قائم وسأله عما جابه به بعد أنه أُنقِذَ من القتل . فقال :
 إنه لي ديناً يعني من الغدر قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . ووصفها له فآها
 المنذر احبته اليه ما كان عليه فنصر ودعا اهل الحيرة الى النصرانية وبني لاكنائس
 وعفا عنه الطائي والبطل تلك العادة . وعاشه الى ان حدثت بينه وبين
 الحارث به اي شمر الفاني شؤون وتدفقاً بجيشيهما في موضع يُعرف بعينه أباغ :
 وهو واد وراة الوبار على طريقه الفات هـ التـم . فقتل المنذر وانهزم جمعُه
 وهذه الواقعة مذكورة في ايام العرب مشهورة باسم الموضع الذي كانت فيه .

الحارث الفاني

— ولد نحو سنة ١٢٤٤ ومات نحو سنة ٦٤٠ هـ —

الفانيون هم عرب انتم قبل اسلام ترجع انسابهم الى اصول يمانية تفرد
 اصلاً عن النجيم عنه الفجار سه مأرب . والمؤرخون يصفونه في اصحابهم على
 ما سنوره وانما يتفوق لنا انه الفانيه كانت لهم الولاية على جميع اطراف
 انتم من الجنوب والشرق وشمال الشرق : تمتد جنوباً الى الحجاز وشرقاً
 الى حدود ملوك العراق من الفخيرية . ولم يصح ملكهم لدشمة وانما كانت لهم
 الزعامة والامارة مع عرب انتم كافة . ولانت عاصمتهم بصرى (الكينم)
 في حوران . اما دشمه فلانه اكثر كاناً من الروم يحكموا اراءه من قبل القبائل
 اصحاب القلطينية : كانوا يقرّون اراءه غسانه منهم ويكرهونهم لكونه
 لم تـم مجناً يدفعونه به غارة الحارثيه لا جراً من عرب الحجاز والعراق :
 وشبوا غسانه لنزولهم على ما يدعى غسان بلقوب من انتم وهم قادمون
 من اليمن . وكانت الديانة التي لغة فيهم هي النصرانية وفيهم وثنيون
 كثيرون . وطالت مدتهم نحواً من مائة سنة . اولهم حقة به حمد
 ابيه ثعلبة به حمد به من يقيا وآخهم جيلة به درهم الذي سلم وارثه .

والعبد مديار الم فانا على كثرة ما تضمه الآثار التواضع لا تزال
موضع بحث الباحثين من المستشرقين وعلماء العاديات والآثار والتاريخ . ونحن
ما برح قائما في ما يتعلق بالفانية من وجود أربعة :
اولا : هل ملك الفانية يهود الم كلها ام بعضا ؟

ثانيا : هل حكموا دمشق ؟

ثالثا : لماذا سموا فانية ؟

رابعا : هل كانوا جميعهم زهاد ؟

فاما متداولهم الديارات مية فند دليل عليه فيما جاء في كتاب « اشهدكم بسلام »
قال مؤلفه الفاضل (ج ١ ص ٤٤٤) : «...والذي يترجم عنه تأت الفرس لما
دفعوا الروم الى الرومانية سنة ٦٦١ م اقرروا ملك فانية على ما كان لهم
واقاموهم ملوكا على الم ولما استعادهم قتلهم الفرس اليهود لم يثأر لهم
مديون غسان البورية لضعفه في حرب الفرس وخوفه من شغب القوم فاستمرت
بيدهم ولاية دمشق الماحية الفتح الإسلامي . بل هناك دليل آخر على انه سلطة
بني غسان يؤمّن تجار وزر ولاية دمشق وربما سميت سورية كلها فقد ذكر
المؤرخون انه جبلة به ابيهم آفر موك غسانه ابني به اللوذية وطابع مدينة
سماها باسمه وهي جبلة التي لم تزل عامرة الى هذا العهد ... لاجرم ان
سلطة العرب كانت يؤمّن مملكة على الم وكانت عاصمة موكهم دمشق ولولا
ذلك لما تسمى جبلة انه يتني تلك المدينة ويسمى باسمه . وهذا القول
لم يترك فيه غيره من اهل البحث والنقد فيما نعلم فيثبت او يقط .

واما الخدوف في حكمهم دمشق فقوي جدا ولغريقي المختلفة دولة وجمع
منه القائمه بسبب المستشره الكبير لذلك صاحب تاريخ امراء غسان (ص ٤٧)

Möldke: Die Ghassan-Fürsten,
T. 47 .

به .. ويقال : غان ماء بالمثل قريب من الجففة - وهي قرية بين المدينة مكة -
 .. وقال نصر : غان ماء وباليمة فيه رصع وزبيد واليه تنبأ القبائل المشهورة ..
 الى آخره ..

واما نصرانيتم فالأكثر علم انه اليه الذي قاله غابا علم تلك القبائل هو
 النمراني لا أن جميعهم كانوا نصارى . ودواب المستأمنين الكرمية تحت موهبة
 سفيد يؤخذ منه هذا القول (راجع مجلة لغة العرب ج ٤ ص ١٩٩) .
 وهذه صيغة يديدة لدفعي بالراء وكذا ترشد الباحث المظان البحث ،
 ومواضع الخذف ولعل الآثار توضح لنا ما جهلناه وكشف ما ودنا ..

اما صاحب هذه الترجمة فان « الحارث الفاني » لقبه يتناول كل من بيت
 او أثر في بني غسان ، ولفظ الحارث فيهم لفظ قبيص في الروم وكري في الفرس .
 والذي اردناه هو ترجمة أشهر ملوك غسان ذكراً وابهم صيتاً : الحارث
 الخامس المعروف بالاعرج ، بن ابي شمس جيلة ، به الحارث الرابع ، به محمد ،
 صاحب الوقائع المشهورة في حرب الحجاز والعراق وممدوح حسان بنينة
 الانصاري الكعبي . قال ابنه عتيبة في كتاب المعارف : واه (اي الحارث)
 مارية ذات القرطية . وكاه غزا خبيد فسي مراهلاً ثم أعقروهم بيا
 قدم انهم وكان سار اليه المنذر بن ماء السماء في مئة الف فوجه اليهم
 مئة رجل فيهم لمبيد الحمر وهو غصوم . وأظن أنه انما بعث بهم لصاحبه
 فأحاطوا به واقه فقتلوه وقتلوا معه في الرواقه وركبوا خيلهم فنبأ
 بعضهم وقتل بعض . وحدثت خيل الفانيه عن عكر المنذر فزموهم .
 كما قدمنا في ترجمة المنذر . وكان للحارث بنت جميلة ~~بنت~~ حليمة كانت
 طليبة اولئك الفتيان الذين دخلوا على المنذر واوقعوا به وهي التي البستم
 الكفان وفوترا الدروع التي كانت تحمي السباب في الظاهر . وهذه الواقعة

ذكرها ابنه أيضاً وسماها يوم مرج حليمة (أنظر الكامل ج ١ ص ١٩٥)
وفي هذه الحادثة خدوف عند أصحاب الأخبار فبعضهم يقول: إنه الذي قتل
بلا هو المنذر به ما والساء ولبغى يقول: بل مات المنذر في وقعة عليه اباغ
- المذكورة في ترجمة المنذر - وفي الكامل تفصيل الخدوف فراجع في الكلام
على يوم عيه اباغ ويوم مرج حليمة . وفي عيه اباغ يقول ابنه الرعد الفصيح:

كم تركنا بالعمية عيه اباغ مه ملوك وسوقه أكفأ
أطعتم سحائب الموت تترى ان في الموت راحة الأشقياء
ليس مه مات فاستراح ميت انما الميت ميت الأحياء

سيف بن ذي يزن

— مائة ٤٩ هـ —

اسم معد كرب ولقبه سيف به ذي يزنه المكنى بابي مرة الحميري: أحد ملوك
العرب الباطنية ودهاتم المذكورية . ولد ونشأ في صنعاء . وكانت الحبشة
قد تغلبت على اليهود اليمنية (سنة ١٠٧ هـ) ومكثوا بعد ان قهرت ملكاً له
آل حمير (السابع ذكرهم) . ثم استندت الحبشة السود على الدولة التي ضفت
وحاولوا بلا اموراً لم تطعه الصعير . فتوكلت سواكنه الباطنية وهاجت أضفام
واخذوا ينتظرون وثبة تار يخونونه اليه . حتى نهض منهم اعداء ملوكهم
سيف به ذي يزنه الحميري: وكانه شاباً عاقراً شجاعاً . فقصده قيسر ملك
الروم وهو حينئذ في اقلية . فلكا اليه ارمع وما صنعت الحبشة من اغتصاب
ملك آباءه وسود تحكمهم أهل اليهود وأطعمه بأنه يملكه اليه اذا خرج الحبشة
منه فلم يلبث قيسر . فقصده النعمان به المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما
يلا من أرض العراق . فلكا اليه فاحرق بهم . فقال له النعمان:
اربع

أن لي في كل عام رحلة إلى كسرى فانتظر . فلبث سيفاً حتى كانه الموضع ثم خرج
 معه فأوقفه مع كسرى . النوشروان ، ملك الفرس . فأله عهداً أنه . فقال له :
 أريد الملك فبستانع بدوداً الأخرية . فقال له كسرى : أي الأخرية الحبشة أم الهند ؟
 قال : بل الحبشة ، وقد جئت لتعرفني ويكون صدك بدوي لك . قال : بعدت
 بدوك مع قلعة غيرها فلم أكنه لدور حيث مد فارس بارضاً العرب . ثم أمر له
 بعشرة آلاف درهم وصرفه . فلما قبض سيف الدارهم رأى خير الأمور أن يخرج
 فخرج وجعل يترنمك الدارهم للناس . فبلغ ذلك الملك . فقال : لو أن هذا ثأناً
 وأمر بأعدائه ففاد فقال له : عهدتني الإحباء الملك تنزه للناس . قال : وما
 أصنع بهذا وكل جبالنا مملوءة بالذهب والفضة ! فجمع كسرى رازيته فاستأجرهم
 فقال لهم : أريد الملك أن في سمونك رجالاً قد جبتهم لقتل نفوسهم مع
 فان يهلكوا كان عاتيد وان ظفروا ملكاً بدوداً بدوشتة . فبعث كسرى مع
 معه في سمونه وهم نحو ثمان مئة رجل وأمر عليهم رجلاً من أشراف العجم اسمه
 وقهر زين الكاجار وهو شيخ حسن . فأرهم حتى بلغوا الألبكة فركبوا
 البحر في ثمان سفائن وفر جواب كل عدو فأقبل عليهم رجال اليمه يناصرونهم
 فقتلوا ملك الحبشة وهو مسرود به ابرهة المكرم ودخلوا صنعاء فمكروا
 اليهود وكتبوا إلى كسرى بالفتح . فألقت اليمه بدود الفرس : علم أن
 يكونه ملكاً والمتعرف في ارضهم سيف به ذي يزنه الحميري . واتخذ سيفاً
 غمدان قصراً له . وعاد الفارسيون إلى بدوهم بأمر كسرى . واستبقى
 سيفاً جماعة من السودان استغفوا عليهم وجعلهم خديماً له . ووفدت عليه
 وفود العرب ترسله . وجعل وكنت في الملك نيفاً وثماناً وعشرين سنة . فأنه
 عيسى الذي كانوا به بقايا الدولة الحبشية على قتله . فشدوا عليه يرباً وهم
 بيده في موكبه بصنعاء ففهر بوه بمرأهم حتى قتلوه (سنة ١٩ هـ)

وبن كرى خبر قتله فارس الى اليه حيث آفر افنى مدياً من السوراث
وطلت اليه تابعة لمملوك فارس خلق جاء المعلوم واقتتل المملوك
سنة ٤٠٠ هـ . وتجد اخبار الملك سيف في كتاب مروج الذهب للمعري
والعادل ، وتاريخ الطبري ، والبرية لأبي حشام ، واخبار الطوال للمعري ، وتاريخ
الجبلة للفتاني ورائع المعارف للبتاني واكثر كتب التاريخ واخبار .

عمر بن هند

- قتل سنة ٤٠٠ هـ -

اوردنا فيما تقدم ترجمته المنذرية ماء السماء من ملوك الحيرة الذي قتله الحارث
الف في . وقد استولى على ملك العرب من قبل الفرس بعد المنذر
ابنه صاحب هذه الترجمة عمرو بن المنذرية ماء السماء : واسم ام عمرو
هند الكندية بنت عمه امرئ القيس النخعي . واليها ينسب عمرو ، كما
ان نسب ابوه الامام ماء السماء . ولما تملك عمرو واستظم امره اكثر
الغزو والظفر قوة وبأساً . فتأخى خبره . وهابة العرب . والطاعة
القبائل . وكان شجاعاً قاتلاً . واخباره كثيرة . وهو صاحب صحيفة
الملك (انظر قصته في ترجمته) . وقاتل طرفه به العبد (الظفر حجة) . ويلقب
بالحمرة : لشدة وبطشه . وهو اولاده اخره ستة رجل من بني تميم وقسمهم
للبأس بالاشارة اليها : وذلك انه ملك ملوك العرب كانوا كثيراً ما يسلون
اطفالهم الى قبائل الطبيعة لهم ليتربوا بترية بعيدة عنه وهو الملوك
وكبرياء ومراء قريبة من الداجية ويتعلموا الفروسية والرماية ومهاجمة
الارباع . وكان لعمرو اخ اسمه أسعد : وقيل ان بني تميم يتربى بينهم
فما ترعرع واخذ يتعلم الرماية مرت به ناقة سمينة فحبت بها فرماها بسهم
اصابها فقتلها . فغضب صاحباً سويد الدارمي التميمي فغضب أسعد فقتله .
هذا قوله ياقوت في معجم البلدان في ملوكه على احواله (ج ١ ص ٢٤٤) واما ابن خلدون
فقال في الكامل انه أسعد ابن عمرو بن هند (ج ١ ص ٢٤٤) .

ثم علم المسلم عروبه ههنا باصاب ابنه خلف ليرقن مديني ~~عروبه~~ كسبه رجل وقسم
يحيى حتى بلغ اواره (موضع لبني تميم بناعية هجرية) فظف منهم جماعة فاعزهم
وباعه فالحقهم بهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلاً فمر رجل من البراهمة (وهو من
رجل مديني تميم) فشم رائحة محرمه فظن وليته ولم يبلغه الخبر فمال اليه فلما
راه عروبه ههنا قال امه انت ؟ فقال : رجل من البراهمة . فقال عرو : وان
الشيء وافد البراهمة فأرسله مسلماً وارسه فالتقي في النار وبرئت يمينه .
وصارت تميم تميم بالبشره وحب الاكل . قال شاعر الجاهلية :
اذا مات ميت من تميم فسر لك انه يمينه فخي بزاد

وعاد عمرو وقد خافت القبائل . فبينما هو يثب في مجلس له قال لجلسائه : هل
تقلوه أنه أحد أمه العرب من أصل ممكتي يا نفع أمه تخدم أمه أمي يا . قالوا
حافظه ، إلا أنه يكون عمرو به كمنوم التغلبي فأمه أمه ليلى بنت النضر
ربيعة وعمرها ثلثين سنة وزوجها كمنوم وابنهما عمرو . فكتب الملك عمرو
لعمرو به كمنوم يستزيه ويدعو والدته المازيرة أمه . فقدم عمرو به كمنوم في
فرسه معه بني تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطئ الفرات . وعلم الملك عمرو
بقدمه فصار فخرت له الخيام بين الحيرة والفرات . وضرب سرادقا
لأكثرها : هند وليلى . وقال لأمه هند : إذا فرغ الناس من الطعام فجي
خدمك عندك وري ليبي فلتناولك الشيء بعد الشيء يريد أنه تستخدمها .
ثم أرسل عمرو به كمنوم ومعه فخره وأمره في الخيام وجلس القوم للطعام
في سرادقه الملك . فلما انتهى وقت الطعام قامت هند وليلى بنات ليلى فلبت
هند من ليلى أنه تناولها حاجة . فقالت : لتقم صاحبة الحاجة الإحاجة .
فألت عليها . فصاحت ليلى : وأزله يا آل تغلب ! . فسمعوا ولدها
عمرو به كمنوم وكان السراقات متقاربة . فثار الدم في وجهه وقم
يشربون ففقره بينهم الأسيف أمه هند وهو معلق في السراقة وليس هناك سيف

غيره فاخذ ففرب به رأس الملك عمرو به هندن فقتله وفرج قتيبه اصحابه فانتهبوا
ما في الخيام وانزله رجل عمرو به هندن . قال اخنوخ القبطي :

لعروك ما عمرو به هندن وقد دعا لتخدم لي ائمة بموقعه
فقم ابه كلثوم الى الف حصنا وامسك به ندما بالمتنوعة
وجله عمرو على الرأس ضربة بني شطب صا في الحيرة رولته

والعمرو به كلثوم قصيدة هي من افضل المعانيات بناها مع قتله لعمرو به هندن
وسيا في ذكرها في ترجمة (انظر ديوان الشعراء) . وبعد قتل الله عمرو
تولى مكانه اخوه قابوس به المنذر الذي تولى المنذر الرابع الذي ولي بعده ولده
النعمان به المنذر يأتي ذكره .

النعمان بن المنذر

- مات سنة ١٨ هـ -

اشهر ملوك الحيرة عم الرشيد ابو قابوس النعمان بن المنذر الغني : واهية
ابن شجاع مسعود كثر الاخبار . تلك الحيرة ارضا عذابه . وكان قد
ضعف شأن دولته بعد قتل ابيه كلثوم لابه هندن . فلما ولي النعمان اعاها
سيدتها مدولى والنفوس من الترف فنتراه ومنه الغزاة لاحت اقتضاها . وهو
صاحب ايجاد العرب على كسرى . والقصة مشهورة . نذكر خلاصتها : وذلك
أنه قدم النعمان على كسرى فاذا عنده وفود من الروم والهند والحبشة فذكر
ملوكهم وبلدانهم وشركاهم النعمان في حديث فافتح بالعرب وفقتهم على جميع الملوك
لديستني فارس ولا غيرها فتألم كسرى فذم العرب واجابه النعمان بما كذب
ظنه في حديث طويل ثم عاد النعمان الى الحيرة فبعث الى عشرة رجال هم من خيار
العرب في ذلك العهد فخذوا وهم : اكثم به صيفي ، به بن تميم ، وحاجبه
به زرارة ، تميمي ، والحارث به ظالم ، بكري ، وقيس به مسعود
، بكري ، وخالد به جعفر ، عامري ، وعلقمة به عدوثة ، عامري .

وعامر

او عاصره الطيفيل «عاصري» . وعروبه الشريد «سلي» . وعروبه عقيب
 يبيدي . والحارث به ظالم «مديانة» . . . فلما وفدوا عليه جميعهم في ثوبه
 وقال لهم : « قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار الرب منزل . وقد سمعت من
 كسرى مقالات تخوفت انه يكونه لا غور . او يكونه انما اظهرها لمرأه
 انه يتخذ به العرب خولا كبعضه طماطته في ثاوتهم الخراج اليه كما يفعل
 مملوك الامم الذيه حوله . » ثم حدثهم بما كانه بينه وبينه كسرى . ودعاهم الى
 الخروج مع كسرى وانهم يطلبوا به يديه ليعلم انه في العرب رجلا ذي عقول كبيرة
 والسنة فصية . فاجابوه الى ما انتدبهم اليه . فرتبهم في الكلام بين يدي كسرى
 وقدم عليهم اكثرهم صيفي . وخلق عليهم الخلع وكتب معهم الكتاب بالاكسرى
 يذكرهم فيه . فارتحلوا حتى بلغوا المدائن . فدخلوا الربلة الاحد الحجاب فاصلا
 الاكسرى . فمقد لهم مجلس لسماع اقوالهم ودعاهم . فجلسوا به يديه
 وألقى كل واحد منهم ما تهرباً له من الكلام . ولولا خوف المطانة لذكرت
 اقوالهم الى غير ما الحكمة والابداع . وكان الترجمان يؤدي اليه معنى
 ما يقولونه . فلما انتهوا قال كسرى : « قد فرمت ما تكلم به فطلبواكم ولولا علمي
 بان الادب لم يتقف اودكم وانه ليس لكم بديك جميعكم فننطقوه به يديه
 منطه الرعية التي صنعت لم اجزكم كثيراً ما تكلمتم به واني لا اكره ان اجبه
 وفودي ~~فوق~~ وقد قبلت ما كان في منطكم من صواب وصفت مما كان
 فيه من فضل فانصرفوا الى منكم فاحسنوا حظوا بوارثه والتزموا طاعته وارجوا
 سفادكم واقبوا اودهم واحسنوا اديهم فان في ذلك صدى العامة . »
 ثم اكرمهم واحسن اليهم فصاروا اديهم . وانه شئت المطانة في قصة الوفود
 فقد وردت في المجلد الاول من العقد الفريد لابن عبدبره خارج اليه . ولما انتقل
 من كسرى الى كسرى ابرويز به هرن الرابع اراد مصحح العرب فاسأل
 النعمان يطلب منه بعه بنات عمه لودوده . فامتنع النعمان وقال للرسول :

ولما في عيه السواد وفارس ما تبلفونه به حاجتكم ؟ « وكتب الإكرى يقتضيه بأنه
 ليس في بنات عمه ما يرخصه . وانصرف الرسول فاعاد ما قاله النعمان وترجم له
 لفظة « العيه » بالبقر : وهي من الدوصاف المحنة في العربية لتسمية عيونهم
 بعينه البقر في السعة والمروحة . فلان كلوم : « ما في بقر السواد وفارس
 ما تبلفونه به حاجتكم » فأغضب هذا القول كرى . وكتب أسراً . ثم نبه
 النعمان يستقدم إليه . وعلم النعمان بما قال . فاخذ سلاحه وأمواله ورجل
 لا بعده القبائل فلم يحمله حتى نزل عم بني شيبان سراً فاودعهم أهل
 وماله وقومه مستل الإكرى . فقبض عليه وأرسله ~~ههنا~~ تبعداً
 إلى خانقاه . فاقام بها حتى أصابها وباء فمات بالطاعون . وبسببه
 كانت واقعة ذي قارب بين الفرس والعرب : فان كرى لا علم اعتقل النعمان أرسل
 إلى بني شيبان يطلب ما أودع عندهم . فامتنعوا منه تسليمه . فجزلهم كيوث
 واجتمعوا في مكان يعرف بذي قار فثبتت العرب وابلت بلادهم
 وظننهم من العجم وذلك بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة . وكان كرى قدولى
 عم الحيرة إياهم به قبيلة الطائي فلما ضعف أمرهم عده قتال العرب عاديتو
 لهم الأممكم فتولى الأسود به المنذر أخو النعمان ثم المنذر الخامس به
 النعمان وهو آخر ملوك العراق ~~ههنا~~ وفي زمنه استولى خالد بن الوليد
 على الحيرة فصالح أهلها كما هو ملحور في كتب الفتوح .
 وصاحب هذه الترجمة النعمان به المنذر ذهب جماعة من نقاة المؤرخين
 إلى أنه صاحب الفزيين ويويج البؤس والمنعم وقاتل عبيد بن الأبرص
 وقد أوردنا الكلام على كل ذلك في ترجمة المنذر به ماء وإسماء السلف
 فارجع إليه . وانت تعلم أن مثل هذه الحوادث من وقائع الأجيال الخالية
 لا يجد المؤرخ في اليوم ما يعول عليه فيما لا ينقل وتحتوي أصح الأقوال وقد
 تعارضت في هذا الأمر آراء وصحب الترجيح فانظر وتأمل واختار ما يقوى لديك

قيس بن زهير

— مائة سنة ١٠ ٥ —

الديلمي قيس بن زهير به جذية به رواحة العسبي : امير عسبي وراهبة واحد
 السادة القادة في عرب العرامه . كان يلقب بقيس الرأي لجودة رأيه
 وهو معدود في الامراء ، والداة ، والشجعان ، والحكام ، والاطباء ،
 والشراء : فاما امارته فقد ورثها عن ابيه زهير به جذية امير عسبي
 من قبله . واما دهاؤه ففيه المثل السائر وادعى به قيس « واما ثباته
 فخروبه مع بني قزارة وذيبيان من هدهده على ما يقال . واما حكمته
 فله في اقواله غرر تحفظ منه الشرو والنثر ؛ وهو خطيب مذكور ؛
 ومن غرر مفلور ؛ عرفت بقيس تلك المذول بعد يوم المرحوم ~~ولم~~
~~فليس الرب~~ وهو اليوم الذي قتل فيه زهير به جذية ~~بعض الكهول اباه زهير~~ ~~فله~~
~~قيس لم يكن لينضم مع القديس~~ ولما كنت منازل عسبي في نجد . فصار الى المدينة
 بعد مقتل ابيه وذلك انه اباه زهير ا كان سيداً شافعاً فتزوج من بنت حميرة
 النعمانية به امرئ القيس ابنة (وهو جد النعمانية به المنذر) واصل النعمانية
 المازهرية بزيه بعلمه او بوجه فسير اليه ابنة شافعاً . فاكرمه وحباها
 ورده الى ابيه . فلما لاه شافعاً في طريقه بماء بني غني اعترضه رباح
 ابيه ووشل الغنوي فقتله واخذ ماله . ثم علم زهير بلمر فاغار على
 بني غني وكانوا حلفاء بني عامر فقتل منهم عدداً كثيراً ووقع الشربة
 بني عامر وبني عسبي . فتزقب خالد به بعض العاصري فرصة بزهير حتى
 قتله وانطلقه الى بيت الحميرة النعمانية به امرئ القيس فاستجار به فاجاب
 فلوقة الحارثية ظالم المرتي الفاتك المشهور فقتله في حميرة . واخذ قيس

بهزهد العبيس يتجوز لقتله بني عامر اخذاً بثأريه . فوقع خدوف بينه وبين
 احدشوخ بني عبيس الربيع به زياد . فانضم الي الربيع كثر القبيلة . فانتم
 قيس بأهد . ومنه انما قاله حتى نزل بجوار هذيفة وحمل ابني بدر
 الفزاريتي . وكانه لبني عبيس قرابة في بني فزارق فأكرموا فاقام فيهم .
 وكان مع قيس افراس له ولوفوته رآها هذيفة فحده ميلاً . وجرى
 حديث الخيل بينهما فقال هذيفة لقيس : فرسي الفراء اسبهه من فرسه
 واحد . فخاله قيس . فتراها . وضمر الفرسية واختار كل منها
 فارساً لفرسه وارسلوها وربى القبيلة وقوف يتظنون ولانت
 مسافة الباه بعينه فاقام هذيفة رجلاً في الطريقه وأمر اذا رأى
 واحداً سابقاً فليقتله حتى تجوزه الفراء . وسبقه واحد
 فخطه الرمح فحوله على السير وهو مع شفير وادبه فرمى الفرس بفارسه
 فلما دأب لاله . ومات الفراء فسبقت . ثم اقبل ركب واحد
 يسير الهويثا فقص عليهم خبره فكذب هذيفة فتشاح هذيفة
 وقيس واخترقا فارس هذيفة انه ندبة يطالب قيساً بالرهان فروه
 قيس فاغظ ندبة الكلام لقيس فطمع فقتله . ونادى قيس بأهد
 فركبوا وابتعدوا . وبلغ هذيفة ماله بانه فطلب قيساً فلم يدركه .
 ولما مات به زهير افوق قيس منزله في فزارق وهو قسيم بينهم . فآ .
 هذيفة بعد ذلك فقتله . وشاع مقتل ماله فزنت عليه عبيس ومجشوا
 المقيس انه يا تيرهم به مع فحاهم قيس فلقية الربيع به زياد فتعانقا
 وكبيا لمصاهيرهم بماله . فقال قيس للربيع : «وانه لم يره به منك له الجأ اليك
 ولم يستغن عنك من استعاه بك وقد كان له شركي قومي فيك لم يخذ
 يوشكه وانما انا بقومي وقومي بك وقد اصاب القوم ماله ولست اهتم بسوء
 لوف

لاني انا حاربت بني بدر نصرتهم بنو ذبيان وانه حاربتني خذني بنو عبس
 ولانه تجمعهم علي وانا والقوم في الدماء سواء قتلت انهم وقتلوا بني
 فان نصرتي طمعت فيهم وانه خذتني طمعا في . فقال الربيع : « فيه
 انه لا ينفعني انه اري لك ما الفضل ما اراه لي ولا ينفعك انه يرايك
 ما اراه لك . وقد سأل علي قتل ماله . وانت ظالم وظلموم .
 ظلموك في جوارك وظلمتهم في دماءهم وقتلوا اخاك بابنهم . فان
 يبوء الدم بالدم فحسب انه تلقى الرب اقيم معه واحبب الدير
 اليك حلتهم وتخلو بطلب نار ابيك . » وبعث حذيفة باقرا فاشعه
 ذك عليه واستعد للقتل . ثم حدثت الوقائع المروية بحروب داعي
 والغباء وعظم الشر والبلوى . وانفت ذبيان الى قزارة فكانت وقعة جفر
 الهباءة وبها قتل حذيفة وحل ابنه بدر وعد كبيره فران وعيسى ومجند
 حذيفة واخيه انعم الشر ودخل بعده اراء القبائل في موصلهم بينهم . فاذن
 قيس لقومه بدمع . وولم يترك وسار عنهم ليريد اماره ولويسادة
 فنزل ببني النمر به قاسط فقام عليهم ~~فقال~~ ثم دعاهم ليوا فخطبهم فقال :

« يا معاشر النمر انا قيس بن زهير غريب حبيب طريد يوتور
 فانظروا لي اراءة قد اذله الفتي واذا لا الفقر . » فر وجوه بامارة منهم .
 فقال لهم : « اني لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخذتي : انا فخور غيور أنف .
 ولست افخر حتى ابنتي ولا اغار حتى اري ولد آف فحتى اظلم . » فزفوا
 اخلاقه . فاقام فيهم حتى ولد له . ثم اراد ان يتول عنهم . فقال : « يا معاشر
 النمر ان لكم حقا عني في رعي في فيكم ومقامي بيه اظركم واني صيكم
 بخصه آمركم بلا وانزلكم عه ضحك : عليكم بلوالة : فان بلا تدرك
 الحاجة وتتناال الفرصة . وتسويد من لا تقابون بشويده . والوفاء
 بالعهود : فان به يعيش الناس . واعطاء ما تريد من اعطاه قبل المسألة .
 (١) ارجع اليهم في الاعمال على ما يريدون من غير عيب .
 (٢) هذه القصة اوردتها ابنه قتيبة في تاريخ المنهج .

وضع خاتريدونه منه قبل الانعام . وإجاعة الجار علم الدهر . وتنقيس
 البيت عن منازل الأيام . وخطب الضيف بالبيان . وأزكم عه القدر
 فانه عار الدهر . وادعه الرهان : فانه به ثقلت مالا فني . وعه البني : فانه
 به صرع زهير أبي . وعه السرف في الدماء : فان قتلى اهل البهارة او شتي
 العار . ولقد تطلوا في الفضول : فتعجزوا عه الحقوه . وأكفوا ارياني
 الانقاء : فان لم تصبوا بهرة الكفاء : فخير بيوتهم القبور . واعلموا اني
 اصبت ظما ظلم : ظلمي بنو بدر يقتل ابني مالك . وظلمتم بقتلهم
 لدؤنب له . ثم رعل الإحمان فتشعر بلا ^{تفتش} وعف عه الحاكمل حتى اكمل
 المختل وما زال بلا الإه مات .
 وقد روي له شعر جيد . منه قوله بعد وقعة جفر البهارة يرفي ^{محمدا} :

تعلم انه خير الناس ميت	علم جفر البهارة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت اكبي	عليه الدهر ما طلع النجوم
كفاه الفتى حمل به بدر	بني والبنفي مرتقه وضيم
اطل اسم دل عبي قومي	وقد يستجزل الرجل الخيم
ومارت الرجل وما سوني	فمروج علي ومستقيم
فلو تفتش الظالم . له تراه	يشتج بالنفي الرجل الظلوم

وقوله :

ثفت النفس عه حمل به بدر . وسيفي له حذيفة قد شفافية
 ثفت بقتلهم لنفيل صدي . ولكني قطعت بهم بنا ف !
 وقوله :

اذا انت اقرت الظلوم لاري . رماك بافوى سبيلا متفاقم
 فلوشيد للعداء الاخشونة . فمات منهم انه ممتة راحم
 اخباره لثرة تجدها في كامل التواريخ (ج ١ ص ٤٠٠) وفي رسم النسخ لابن ابي عمير (ج ١ ص ٥٠)
 ونسخه واكثر مصنفات ابو خمار

الخلفاء الراشدون

{ عِدْوَةٌ }

الخليفة لقب كل من شرعي من ملوك الاسلام وهو لقب يصدر عند الروم والنجاشي
عند الحبشة . واعتاز من خلفاء المسلمين اربعة هم سادة من ملوك بعدهم زعموا من اجل
انه صلوات الله عليهم واهل بيته اولهم ابو بكر ، والثاني عمر ، والثالث عثمان ، والرابع علي رضي الله
عنهم والذين قاموا بجمع شتات المسلمين بعد وفاة النبي صلوات الله عليهم ونوا القوانين الاسلامية
بأعمالهم واقوالهم جميعوا القرآن الكريم وكانوا قدوة من بعدهم . وينفرد به بنعت خاص بهم
دونه سائر خلفاء الاسلام وهو لقب الراشدين . كما انه ثمانية عشر من خلفاء علي رضي الله عنه في
الاسلام لقب به كل من منهم بائير المؤمنين وجرت سنة في الملوك مقدرته بقية الخلفاء فكل
من مسلم جمعت فيه شرائط التمييز على المسلمين يحمله أنه يدعى « أمير المؤمنين الخليفة » .
وهذا الفصل انما افردته لترجمة هؤلاء الاربعة الكرام وسيعقبه الله سبحانه والحمد لله على
غيرهم كخلفاء الامويين في المشرق والمغرب وخلفاء بني مروان وبني العباس وانشاءهم
من حكموا البلاد وسوا العباد وكان لهم القول والحول والطول والسيادة والقيادة
والوفادة نقبتم المتقدم في عصره ولؤخر عنه من بعده جدياً مع العصور
والازمنة بحيث تتألف من هذه الفصل الابدو فصل الامراء والوزراء
سلسلة محكمة منتظم بلا ذكر اشهر الخلفاء الاسويين من وسألتهم
في ذلك جانب الاختصار والابحار ما استطعت وما تضمنت اجزاء الفوائد
التاريخية فديفوتني من اخبار المترجم الالما هو دون ما ذكرت واورث
والله نعم العول

ابوبكر الصديق

- ولد سنة ٥١ هـ وتوفي سنة ١٢ هـ -

توفي رسول الله عليه وسلم واضطرب امر المسلمين بعده في من يتولى امرهم فآاز الو
 حتى اتفقت عليهم عبد الحميد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر
 التيمي القرشي أقرب الناس مودة من النبي وأول من آمن به من الرجال وأحد غطاء
 أصحابه الذين جاهدوا في الله صمد جوده وبذلوا النفس والنفس في سبيل أعزاز
 دينه : بولج بالخنوفة يوم وفاة النبي في ١٢ ربيع الأول سنة ١٢ هـ فخطب في المنبر
 خطبة طويلة يحفظ منها : « ايها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم وإني
 اقوامكم عندي الضعيف حتى أخذ له حقهم وإنه أضعفكم عندي القوي حق
 حتى أخذ الحق منه ليدع أحد منكم الجهاد فإنه ليدع قوم المضربهم الله بذلك
 ايها الناس انما انا مشيع لا مبتدع الميعوني ما اطعتم الله ورسوله فاذعيت
 الله ورسوله فطاعة لي عليكم . إن أصبت الحق فاعينوني عليه وإن زغت فقوموني
 وحله في الجاهلية حال سيادة ورئاسة وكانت العرب تدعوه « عالم قريشه » وله
 ثروة طائلة وربما عالج تجارة البز وهو من علماء النساب المذكورة كان
 عازماً بأخبار القبائل وبطون العرب وجاهلهم كارهاً للنبي مدعادات الجاهلية
 وحرّم على نفسه الخمر فلم يشرب . ولما نال الخنوفة في الاسلام قام ببؤسوبة الامة مع
 القيام فخارب الذين ارتدوا عنه الذين اسدي وقاتل الذين استنموا له اخطاء
 الزكاة ثم اتجه الى الاستعمار والفتح فافتتحت في ايامه الشام وقسم كبيره
 العراق واقفله قواداً أمراء كثر به الوليد وعمر بن العاص و ابو عبيدة بن الجراح
 والعدوه بن الحارثي ويزيد بن ابي سفيان والمثنى بن حارثة وازدهرت ايام العالم
 الاسلامي في زمنه وورد الناس لولاه ونكده المنية عاجلة فاصابته حمى
 شديدة فعهد به لمرمه من بعده لعمر بن الخطاب حيناً من الدهن الامة
 بعده كما اختلفت بعد رسول الله . ومات بعد حكم سنته وثمثة أشهر ونصفه
 وعمر

ومخرج ثبوت وتوثيقه سنة : وكان موصوفاً بالحلم والصبر والرافة بالعامّة عاد لؤي في
 في احكامه اثبت في الوقائع الاسديّة في حياة الرسول وبعده حباً عجيباً ودروعاً
 غريباً بخير الامة ونفعوا واظهر شجاعة وبلا يدرك غيرها ما افرجه البراز في
 مسنده عظيم انه قال : اخبروني من أشجع الناس . فقوا انا انت . قال : أما اني ما
 بارزت احداً الا انتصفت منه وكنته اخبروني بأشجع الناس . قالوا : لانهم من ؟
 قال : ابو بكر . انما لما كان يوم بدر فبعثنا رسول الله عيسى فقلنا من يكون مع رسول الله
 لنديريه اليه احد من المشركين . فداه عاداتنا احد الا ابا بكر شهراً سيفه
 عم رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريه اليه احد الا هو اليه فهو أشجع الناس .
 الى آخر الحديث . وقد شو مع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الغزوات وهو صاحب
 في الفار ساعة لانتم لها الاله . وكانه خطيباً لنا وله مقولات محفوظة
 وكلمات مأثورة . ومنه خيار ما يتقن عنه وصيته ليزيد به اليه سفيان لما ولده قيادة
 جمهوره المسمية وسيره لفتح الشام فانه شيعه مائياً وهو يقول له :
 « اني قد وليت لك لأهلك واجربك . فان احسنت ردوك الى عديك .
 وزودتك . وانه اسأت عنك . فحسبك بتقوى الله فانه يرى به بالهيك
 من الذي يرى به تظاهره . واذا قدمت علم جنك فاحس محبتهم وابهم
 بالخير وعدهم اياه . واذا وعظمتهم فأوجز فانه كثير الكلام يني بعضه
 بعضاً . وأصلي نفسك يصلي بك الناس . واذا قديم عبيك رسول الله
 فأكرمهم وأقل لبثهم حتى يزجوا معك وهم جاهلون به . وأتزلهم
 في ثروة عكرك . وامنع من قبلك من محادثتهم . وكنت انت المتولي
 لكلامهم . واذا استشرت فاصد الحديث فصد من المشورة ولا تكثر
 عن المشير خبرك فتوقى من قبل نفسك . واسهر بالليل في اصحابك
 تأت بك الاخبار . وتكشف عندك الاستار . واكثر حرصك وبتهم
 في عكرك . واكثر مفاجاتهم في محاربتهم بغية علم منهم : فمنه وجبة

فقل عه حرسه فأحسن اوبه وعاقبه في غير افراط . وأعقب بينهم بسلب
 واجعل النوبة الاولى الطول مه موحدة : فانها ايرها : تقربا مه الزا .
 لا تجالس العباثيه وجالس اهل الصده والوفاء . واصدقه اللقاء ولا تجبه
 فيعين الناس . ولا تفعل عداصل عكرك فتفده . ولا تجس
 عليهم فتفهمهم . ولا تتركف الناس عدا سارهم والتف بعد نيتهم . وتجد
 اقواما حبوا انفسهم في الصوامع فدعهم وما حبوا انفسهم له .
 ومه كدوم : « ثلث مه كنه فيه كنه عليه : البني والثنت والعد :
 قال له تعالى : يا ايها الناس انما بفنكم عم انفسكم . وقاه : ومه ثلث فانما
 ينكت عم نفسه . وقاه : ولا يبعه الكدسي الاباهد . »
 وهو القائل في كدبه الوليد : « فرقه من الشرف يتبعك الشرف . واخر من
 عم الموت توصل لك الحياة . » يريد به شرف الرياسة والريادة .
 ولما عهد بايخونه لاعمريه الخطاب كاه كتاب عنده ماري :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عهد به ابو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عند آخر عهده به دنيا واول عهده به الآخرة في الحلي التي يؤمن
 فيها الكافر ويتقي الفاجر : اني استعملت عليكم عمره نهج : فانه بر
 وعدك فذلك علي به ورأيي فيه . واه جار و بدل فدونك لي بالفيء والكرم
 اروت . ولكل امرئي ما كتب . ويسمى الذي ظلموا اي من منقلب .
 ينقلبون . » فانظر الى الالاء العذب الذي يملئك البهجة
 با وضع معانيه كما انت تراه في رضاء عيف كدوم وخطبه ووصايا
 رضوانه عليه . وكاه اذا خطب يقول في مقام كدوم : « اللهم اجعل
 خير زمانني آخره وخير عملي خواتمه وخير ايامي يوم ألقاك » فيعرف
 انه انتهى . والجميع مع هذه النبرة ما نقده من المؤرخوه . قال لهم :
 كاه ابو بكر اذا سقط خطم من ناقته ينجز ويأخذه . فقل له :
 هـ

هذه امرتنا يا فقي : انه رسول الله صلي الله عليه وسلم : امرني أنه لا أسأل الناس شيئاً
ومتحصار خطبه ما اورد له ابيه عبدربه في العقد قوله :

« يا ايها الناس اتقوا الله في سريركم وعلانياتكم وأمروا بالمعروف ونهوا
عنه المنكر ولتكونوا مثل قوم كانوا في سفينة فاقبل احدكم على موضع يخرقه .
فتظا اليه اصحابه فمسموه . فقل : هو موضعي ولي أنه أحكم فيه . فانه أخذوا
على يده سلم وكموا . وانه تركوه صلاتك وصلىوا معه وهذا مثل ضدته لكم
رحمنا الله واياكم . » وقد جمع الفاضل صاحب كتاب اشهر مشاهير الاسلام
طائفة كبيرة من اخباره وآثاره بلغت ثلثة وخمسة صنفه : فارجع الى الجزء
الاول منه انه شئت الاطوع على أكثر ما قدمت لك . واما كتبه التاريخ
كتاريخ ابي جعفر الطبري وتاريخ ابيه الوثير وتاريخ ابيه خلده واسباهله
فهناك الكثير من انبائه رضي الله عنه . ودون مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة عكسة .

عمر بن الخطاب

- ولدت سنة ٤٠ هـ وتوفي سنة ٤٤ هـ -

مضى الخليفة الراشد الاول لسبيله بعد انه اخذ بسبيله اماماً كان له من الذكر
عالم يكيه لاحد من قبله ومن بعده : اخي تالي الخلفاء الراشدين ابا حفص عمر
ابن الخطاب به نفي القرشي . ذلك الرجل الكبير . وما احبني الا عمر
من المرأة وقد همت بالشارة الى بعضه بناء في صفحت يسيرة من هذا الكتاب
الذي يرضيه عبد الوطاة والكثر من الاخبار . وكنت قد لا استطاع كله لوليتك
قله هذا لي انه اقول :

كانه عمر « رضي الله عنه » من رداء العرب وجوهرهم في الجاهلية واولادهم . اما في
الجاهلية فكانت له الفارقة : ولدت انهم اذا وقعت بينهم وبينه فمهم رب بعثوه
شفيراً . وانه تافهمهم حتى لفافرة جمعه منافراً ورأوا به .
واما في الاسلام فمبكك انه رسول الله كانه يدعوه ربه أن يغير به دينه .

وكان يرزعه من التجارة بيه انتم والمجاز حتى ولي الخلافة . اسلم قبل الهجرة بمسنة
 سنه ونهر الاسلام نهرًا بيتًا . وكان شجاعًا شجاعًا طويلاً القامة . اذ اشق فكان
 راكب والناس يمشون . وبويج بالهجرة سنة ١١ هـ يوم وفاة ابي بكر . فخذ اخذ
 وسلك سبيله : فسير البعوث وجيش الجيوش : فأتم فتح انهم والعلاء وتم القدس
 والمدائن ومصر والجزيرة . ودون الدواوين على الطريقة الفارسية لاصحاب ارباب
 الاعطيات وتوزيع المرتبات المالية عليهم . ووضع للمسلمية التاريخ الهجري وكانوا يقرضون
 بالمقاييس الشهيرة كعام الفيل وعام الفجار . وكانوا يتعاملون بالدرهم والدنانير
 الفارسية والرومية ففرب عمر الدرهم على نقوش كسروية وزاد في بعض الامم بغير
 محمد رسول الله . واتخذ بيت مالي للمسلمية . وأمر ببناء مدينتي المدينة ومكة
 فشيدها . وهو اول من دعي بامير المؤمنين : وكانوا ينادونه يا خليفة خليفة
 رسول الله . فاستقوت . وضرب بعدله الخيل : قال عيسى بن طهم : والله انه
 جعل ابا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة الى يوم القيامة فسبقا ومنه
 سبقا بعيدا . واتبعاه ومنه بعدهما اتبعاء شديدا . فذكره هذه الولاة
 وطلع على الولاة وكان يطوف في الاسواق متفردا ويقضي بين الناس
 حيث اذركه فيهم . وقصة « اضرب ابنه الاكرمي » من غريب اخباره : روى
 انه به حدث فقال : بينا كان عمر جالسا انا رجل من اهل مصر فقال :
 يا امير المؤمنين هذا قمم العائذ بك . فقال عمر : لقد عذت بمجير فاشأتك ؟
 فقال : ساقفت بغيري ابنا لعروبة العامي (وهو يونس امير مصر) فجعل يعطوني
 بسوطه ويقول : انا ابن الاكرمي . فبلغ ذلك ابا عمر فحنى أنه آتيتك
 فجنني في السجن فانقذت مني حتى آتيتك . فكتب عمر به يذهب لا عمرو
 ابنه العامي : اذا اتاك كتابي هذا فاشهد الموسم انت ولدك فله . وقال
 للمري : اقم حتى يايتك . فاقام حتى قدم عمرو وشهد موسم الحج وقدم
 مع الناس وعروبة العامي وابنه الاجاني . فقام المري . فرمى اليه عمر بالدرية
 (وهي سوط) . واشتار اليه ابنه بغيره ابنه عمر . قال انه : فلقد ضربه
 ومن

وغه تشبهه انه يعرف فلم ينزع حتى اشتربنا انه ينزع مكررة ما ضرب وعريقول:
اضربا به الاكرمية! فقال ^{للعبي}: يا امير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت . قال:
ضربا على ضلعي عرو . قال: يا امير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني . قال: اما ومنه لو
فعلت ما صنعت احد حتى تكونه انت الذي تنزع . ثم اقبل على عرو به لعنه وقال:
يا عرو! متى تعبدتم الناس وقد ولدتهن امهاتكم امرارا به . ففعل عرو
يعتذر اليه ويقول: اني لم اشعر بهذا .. قال: اني في احياء علوم الدين ^و وكذا
عند عمرت هـ فقال: انتني بمه يعرفك . فأتاه برجل: فأتى عليه خيرا . فقال له
عمر: انت جاره الا وفي الذي يعرف مدخله ومخرجه به قال له . فقال: كنت
رفيقه في السفر الذي يُستدل به على كرام موصوفه به قال له . قال: فعلمته
بالدينار والدرهم الذي يستبهم ورع الرجل به قال له . قال: اظنك رأيت
عائما في المسجد يهرم بالقرآن ينخفض رأسه طورا ويرفعه اخرى به قال:
نعم! فقال: اذهب فلتعرفه . وقال لرجل: اذهب فأتني بمه
يعرفك .. وذكر عنه رجل فقيل: يا امير المؤمنين: فاضل لا يعرف
مه الشريفا . فقال: ذاك اوقع له فيه ..

وكتب الى ابي موسى الاشعري كتابا يومئذ فيه: فقد ابه قتيبة في عيونه الاخبار . وفيه:
« اما بعد فانه لما س نقرة عم سلطانهم فاعوز به انه تدركني واياك عياد وبروت
وضغائنه مسمولة . اقم الحدود ولوساعة من لار . واذا عر هـ لك امرانه: اهدما
له واوخر للدينيا: فآثر نصيبك مه انه: فانه الدنيا تنفذ ولا فرق تبقى . اوقف
الفساد واجعلهم يدأ يدأ ورجلا رجلا . وعُد مريضة المحمية . واشهد
جنائزهم . واقتح لهم بابك . وابشر امورهم بنفك: فانما انت رجل منهم
غير انه الله جعلك انقلهم حذا . وقد بقتي انه قتالك ولاصل بيتك هيئة
في لباسك وطعمك ومركبك ليس لك فيه شها: فاياك يا عهده انه تكونه
بتمتزة البهيمية: مرت بواد غصيب فلم يته لها هم الا السمن: وانما حفرها
في السمن . واعلم انه العاقل اذا زاعج زاعجت رعيتة . واشقى الناس
مه شقي الناس به والسلام . »

وهذه خطبة اوردها له ابو جعفر الطبري قال : قال عمر :

« ان الله عز وجل قد ولدني اركم وقد علمت انفع ما يحفظكم لكم وانني
اسأل الله ان يعطيني عليه وانه يحرسني عنه كما يحرسني عنده وانه يحميني اليه
في قسمكم كالذي امر به . وله فيمن الذي وليت من خلقكم من خلق شيئا
فقد يقول احد منكم : وانهم قد تغير منذ ولي : أعقل احمد من نفسي واتقم
وابتكم لكم امري فأما رجل كانت له حاجة او ظلم مظلمه او عتبه علينا في
خلقهم فليؤذني فأنا انا رجل منكم . فمعي بقوى الله في سرهم وعدوئهم
ومصائبهم واعراضهم . وأعطوا احمد من انفسكم . ولا يحمل بفضلكم بعضا
على أن تتألموا اليّ فانه ليس بيني وبينه احد من الناس فهو اعدو . وأنا
حبب اليّ صدركم . عزيز عليّ عشيتكم . وانتم أناس عانتكم حفر
في بلاد الله واهل بلدي لا زرع فيه ولا ضرع الا ما جاءه به اليه
وبان الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة وانا مسؤول عما ناتي
وما اتا فيه . ومطلع على ما يحفر في نفسي انه شاء له لا أكمل الا احد
ولا أستطيع ما بعد من الابد مناء واهل النصح منكم للامة
ولست اجعل امانتي الا احد سواهم انه شاء له . »

ومنه كلامه رضي الله عنه : لا تؤذ من يهلك الاخذك . لست
بجنب ورجب لا يحد عني . اتقوا من تبغضه قلوبكم . انما مثل العرب :
مثل جد ائني اتبع قائده فليقل قائده حيث يقوده . ولا ينبغي له يبي
هذا الامر الارض فيه ابرم خذل : اليه في غير ضعف والشدة في غير عطف وذاك
في غير غل والساحة في غير سرف فانه سقطت واحدة من هذه فسدت السموات .
مكتم سره كانه الخيار في يده . ثم ذوي القربايات انه يتزاوروا ولا يجاوزوا .
تعلوا الهمة : فانه يوشك احدكم انه يحتاج الى الهمة . اياكم والمعاذير :
فانه كثير من الكذب .

ولما كان فجر يوم الأربعاء لربيع ليالي بقيه من ذي الحجة سنة ٤٤٠ هـ ووقف عمر لصدقة
 بالناس فاجأه فيروز ابولؤلؤة الفارسي فقدم الحفيدة به شعبة فطمع في خاصرته
 بنخبر ذي رأسيه مسوم فقطعه فارتد الناس عن الفارسي فطمع منهم
 ثلثة عشر رجلاً هلك سبعة منهم ثم طعمه نفسه فمات منتحراً . وخلف
 اصحابه موبخر في الدافخ الحقيقي لابي لؤلؤة على عمله فقبل انه شك لعمر ارتفاع الخراج
 الذي ضربه عليه مولاه الحفيدة فلم يره كثيراً فحقد عليه فضربه وقيل فرددت
 وكلمه ولهم وامور اتخذها الفدوم الفارسي ليستر بلا مؤامرة سياسية كانت
 بينه وبينه جفينة النصراني من اهل الحيرة والهرزان الفارسي ولا يعلم انه كان
 ثمة غيرها فان عمر ابقى في قلوب الفرس والروم جروحاً لا تأسوها
 اليوم اوليس الذي قوض اركان دولة ملاكاسرة وزلازل هروسة القياصرة
 بحزمه وبأس رجاله بما كان فيروز الفارسي رجلاً غيوراً على امته اخذته
 الآلام ما صنع امير المؤمنين بقوم فاراد الانتقام ففضل ما فعل . واخذ
 عمر الى داره فدعا بصبي وعثمانه والزيد وسعد وارضهم ^{وعبد الرحمن بن عوف} ابيته وروا في امر
 الحنفية وانه ينظر واطمحة فانه ابطأ فليقتضوا بأحد عمر وانه يشهد لهم عبد
 ابيه عمر (ابن) وليس له ابي يولي . وانما صنع ذلك ليتعلم من تبعته خلفه
 وليكون امر السلبه شوري . وقيل له في ذلك فقال : انه ترككم فقدركم
 من هو خير مني (يريد رسول الله) وانه استخلفت فقد استخلف عليكم وهو
 خير مني (يعني ابا بكر) . وكأنه بهذا القول يشير الى حجة عمرته في الامر
 فاختر سنة النبي اوميه ولم يعرفه الا احد . وعاشه ثوب ليل ثم تقرب به .
 هذا ما اتسم الحال لوراده من اخبار اعدائهم واسباب موارد رضوانه
 له ورحمة عليه وانه شئت الزيادة فعميت ككتاب اثره في الاسلام فذاك هو ثوب
 من صفته جمعت من اخباره ما لا تراه في غيرها .

عثمان بن عفان

- ولد سنة ٤٧ هـ وتوفي سنة ٤٥ هـ -

توفي انه عمر به خطاب وترك الامر سوري في سنة مكيار المسليه وبعدت حديث
 طويل تحبه في تاريخ الطبري قرأ رأيهم مع انه يكونه انك خلفاء الراشدين ذو
 النورية عثمان به خلفه به ابي الفاضل به امية : نووي به خليفة في المسليه بعد وفاة
 عمر بن الخطاب . وهو احد الرجال الذين اعزاه بهم لم يسلم من السابقيه الى اليه
 وله في سبيل الدعوة المسليه اياما وبيضاء . وهو صاحب جسيمة العسرة : وذلك
 انه رسول الله صلى الله عليه وسلم جسيمة العسرة في غزوة تبوك وقف في القوم فقال : انه
 سيفقه اليوم نفقة متقبلة ؟ فلم يجبه به عثمان الا انه جرحه نصف الجيش معه
 فبذل ثلث منه بغير باقتا بل واحد سلا وتبرج بألف دينار . فقال رسول الله
 ما ضرت عثمان ما عمل بعد اليوم . ولما ولي فحفوفه كتب الى امراء مصر يقول :
 « اما بعد فانه امر المؤمنين ان يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم ان يكونوا
 جباة وانه صدر هذه الامور خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة ولو كنتم
 انتم ان يصيدوا جباة ولا يصيدوا رعاة ؛ فاذا عا دوا كذلك انقطع
 الجباة والامانة والوفاء . الا وانه اعدا البيرة انه تنظروا في امور المسليه
 وفيما عليهم فتعطلوهم ما لهم وتأخذوهم بما عليهم ثم تعسوا بالذمة فتسلوهم
 الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ثم العدة تنقلبون فاستفوا عليهم
 بالوفاء . » . وكتب الى امراء الجند في السطور :

« اما بعد فانكم حاة مسلمين وذا انهم وقد وضع لكم عمر فاطم **عليها**
 بل كانه عهد مني ولا يلفني عدا احد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله
 بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف تكونون فانه انظر فيما ارادني
 انه انظر فيه والقيام عليه . » . وكتب الى علي بن ابي طالب :
 « اما بعد فان الله خلق الخلق بالحق فليقبل الحق . خذوا
 الحق »

الحق وأعطوا العهد ؛ والامانة امانة : قوموا عديداً ولا تكونوا اول
سبيل فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم ؛ والوفاء الوفاء ولا
تظلموا اليتم ولا الطعاهد : فانه من خصم لمن ظلمهم .. « . وكتب
الى العامة من المسلمين بالوصار :

« اما بعد فانما بلغتم ما بلغتم بالقداء والاتباع فلو تفقتم الدينار
امركم فانه امر هذه الامه صار الى الابتداع بعد اجتماع ثلوث فيكم :
تلكم النعم ونبوغ اولادكم من البنايا وقرارة الاغراب والاعاجم القرآن
فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اكفر في العجبة : فاذا استعجم عليهم
امر تظلموا او ابتدعوا . » .

وسار عثمان في باوي الدرسية من تقية من ثم ما لبث انه جعل يتسبع
لوقايه من بني امية فيفضل عنه اليهود والكفار ويوليهم من يوليهم لا منهم وقد
كان عريثون ذلك منه . قال الصدوق انه ابي الحديد في شرح النهج من فضل عقده
لذكر ما تقدم على عثمان في خدمته :

« لما ولي عثمان صحته فيه فزاسه عمر فانه اوطأ بني امية رقاب الناس وولهم
الولديات وأقطعهم القصور وافتتحت ارضية في أيامه فاخذ الحسن مد فوهب له
ابن الحكم . وطلب منه عبدالله بن خالد بن اسيد صدة فاعطاه اربع مئة الف درهم . ولما
الحكم به ابي العاص بعد انه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرده البربر ولا عطاء
مئة الف درهم . وقصده رسول الله بموضع سوق المدينة يُعرف بتهود زعم المسلمين
فأقطع عثمان الحارث بن الحكم اخا مروان . وصلى الراعي حول المدينة كلها مدوش
المسلمية كلهم الاعمى بني امية . وأعطى عبدالله بن ابي سرح جميع ما افاء الله عليه من
فتح افرقية بالمغرب - وهي من طابسين الغرب الى طنجة - مد فیر لشركه فيه احد
من المسلمين . وأعطى ابن اسفياه بن حرب مئتي الف من بيت المال في يوم الذي
امر فيه لمروان بن الحكم بمئة الف من بيت المال وقد كان زوجته ابنته أم أمان
فجاء نريد به ارحم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعا بيده عثمان وكفى فقال

للفناء شرأ كئيباً استأري مبلغه من الصحة جاء فيه هذا البيت له لثمان :
 غنى النفس بُغني النفس حتى يكفر^ك ولله عضها حتى يُفتر بها الفقر^ك
 وما عسر^ك فاحصرها اليقير^ك بكائنة الا يستعير^ك يسر^ك
 وترجم في كثير من كتب التاريخ الاسدي ولعلك تجد ما يفتيك في اثره في هذا الاسم

علي بن ابي طالب

- ولد سنة ٤٠ هـ وتوفي سنة ٤٠ هـ -

امير المؤمنين وراي الخلفاء الراشدين ابو الحسن علي بن ابي طالب به عبد المطلب القرشي
 واسم صغيراً وناصر ابن عمه كبير فكان من اعظم اعوان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 والذود عن جياض شريعة القرآن : وكان ممتازاً بثبوت خدول الجماعة
 في المروب : وهو ابن جندراً وصاحب الصوت والبيت في المعارك والدموم .
 والفقه في الدين : وكان اعلم اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاحكام وبه يُفتر بالمثل في
 حسن القضاء . والقضاة في المنطقه : وله الخطب الرنانة والاقوال
 المتناقلة والكلم السوار . تولى الخديفة بعد مقتل عثمان (عام ٣٥ هـ)
 فحدثت في ايامه وقائع عظيمة استشهد بها بينه وبينه معاوية من اجدد الكبر
 على الخديفة واللاهية الاموي المشهور .

يكاد الباحث المؤرخ في يوجل مبادء رأيه في صاحب هذه الترجمة عليه
 الرضى والسوم لا يراه من اختلف الناس فيه واذا خال بعضه العاة ودهط
 من الحاجة الحكم عليه في امور الدين : علم أنه انما كان المنصف اذا وجد مجالا للقول
 لم يله الا انه يجر بحقيقة ما يجب أنه يُذكر به هذا الخليفة الراشد مما يكون
 له اوعيه . لنترك اقوال الفالاه في حبه والذين يبلغونه به تمام الربوبية او
 ما دونها . ولندع النعمة للفاضلة بينه وبينه من تقدمه من خلفاء : فالاولوه
 جبهة الغيباء لا يقاومونه بغير التهذيب والتعليم فمدتبت انه تنقش عن قلوبهم
 تبت

تلك الثمانية الرائدة والقوية الفاضلة . واما الخلفاء والصحاب فكانوا صامعين
 أئلف للدين : لكل منهم مقام ومثلة لا ينوب بغيره آخر . ولا يجاوز السجدة
 في مثل هذا لا تجدي منه احدى بغير الاذن فقط . أما ما شغل جماعات المؤمنين
 من ان حكمه الاصح بهجاء خذوفه من ابي بكر وعمر وعثمان : مما يؤدى بغيره من الناس الى
 الخطأ كرايتهم بنسبتهم لا الظلم ثم بانه يُقال فيهم ما يقال في الظالم المختصب . فلما
 ايضا امر فروغ منه : والذي نعتقه انه ابي بكر كما بدأ حتى به والناس معه سواء
 لا طوعا ولا كراهية في ربيعة الاولى والثانية : حبه حكمه امير المؤمنين على بعده
 في القضية : يقوده الى الدين حبه رسول الله وشغفه بأخلاقه واتقائه طاعته
 وابوبكر من شيوخ المسلمين واصل الحكمة والديانة والعلم والرأي فيهم : فهو أولى
 بـ . واجتهد ابوبكر في المسئلة فبعد الى عمر فلم يكنه وانه ضبطا للمور وقبائلا
 بمصلحة الامة . وانتهى الامر الى ما كانه في عصره ما كانه . وجاءت
 النوبة الاعلى والناس له مُريدونه وعليه مجموعونه فلما رضي عنه شيئا
 في الدين اذا رأى الرأي لم يردوه عنه راداً . ويصدق فيما يأمرونه قبله النقي
 وما يوصي اليه ضميره الظاهر غير ما وان ولا محاب . وانت ترى ان سيرة
 الحكم بما قضت على القائم بـ انه يعظمه بصره على بطله القذى وأنه يستقيم
 الفرصة ويتربع للسواخ : فهذا مما يأخذه على عيني من آخذه : ومنه دافع عنه
 عند تلك المداول سياسة خداع ودهان . ورأى عينا على الضرر اجدربانه لا
 يتصف بـ . وأخرى بانه يتعدى منـ . ونك ما يظهر لنا في امره يتجلى
 فيما سنذكره من الصلح مع اخباره :

قتل عثمان وولي عني بمبايعة الناس له . فلم يكنه لطيف له الصبر
 وهو يرى البدو قد طوّقت بني امية وفيهم الصالح والطالح فغير الولاة
 الى الجرات وعنه بطله من ولدهم سلفه . وكانت بينه وبينه معاونة به
 اي سفياه عند اوائل السراير العدمية اليه اليه في شغل النج
 حكاية عن معاودة الي جعفر نقيب البصرة قال (ج. ص ٥٧٩) : وكيف يتوهم

مدبرها سير أنه معاوية كانه يبايع علياً لو أقره على اسم وبينه وبينه ما لا يدرك
 الدليل عليه من الترات القديمة والحقاقد وهو - أي علياً - الذي قتل أخاه
 حنظلة وخلفه الوليد وجده عتبة في مقام واحد ثم ما جرى بينهما في أيام عثمان
 حتى أخذ كل واحد منهما صاحبه وحتى تهده معاوية وقال له : يا علي
 لا اسم وتارك عندك هذا الشيخ - يعني عثمان - والد لك أنحضت منه
 شجرة واحدة لأخضرتك بمئة ألف سيف . . . الآية . فلما بعث علي الرجل إلى
 الدصار ستر سراً به حنيف والياً على اسم : فزار حتى بلغ تبوك فإذا
 خيل من اسم فقهوا : ما أنت ؟ قال : أمير . فقلوا : على أي شيء ؟ قال : على اسم .
 قلوا : أنه كان بعثك عثمان فخي هذا بك وأنه كان بعثك غيره فاجع فجع
 إلى علي . وبلغ معاوية فحبب فقام في الناس فأخبرهم بأنه عدياً قتل عثمان وعرضهم
 على القيام لقتل ما شترك في دمه فاتجهت إليه القلوب . وكان علي (ع) لما
 أراد توجيه الأمر بالفضل إلى معاوية وأضربه مدح عثمان نراه أصحابه وأطالوا
 عليه ولوسيا المفيرة به شعبة وعبد الله بن عباس وهما من خيرة عقلاء المسلمين
 ودعاتهم فأبوا وأمر ^(راجع لأخيه أبي بكر بن محمد بن علي) وهو يقول قال له المفيرة : « أقرر معاوية وأبى عامر
 - والي البصرة - وعلى عثمان على أعمالهم حتى تأتيت بيعتهم وبكسر الناس
 ثم أعزل مدسئت . » فلامه يقول : « لا اداهه في ديني ولا أعطى الدنيا
 في أمري . » قال : « فانه أبيت فانزع مدسئت وأترك معاوية فانه فيه جراءة
 وهو في أهل ان لم يستمع منه ولك جهة في اثباته : لانه عربيته تحب قد ورواه اسم
 فقال : « لا والله لو أستعمل معاوية يوميه ! » ورض عليه ابن عباس فمدته على
 بقول المفيرة فقال : نعمت . قال : ولم نصحني ؟ قال : « لانه معاوية وأصحابه
 أهل دنيا فمتي تبترهم لا يبالوه من ولي هذا الأمر ومتي عزلتهم يقولونه أخذ هذا
 الأمر بغير شوري وهو قتل صاحبنا ويؤثرون عليك فتستحق عذبة اسم وأهل
 العامة معي أني لو آتاه طاعة والزبير أنه يكرا عديك وأنا أشير عليك أنه ثبت
 معاوية فانه يبايع لك فعلياً أنه أقبله من منزله . » قال علي : « والله لا أعطيه إلا
 السيف

السيف « فقال له عباسي : يا امير المؤمنين انت رجل شجاع لست صاحب رأي
في الحرب اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحرب خدعة ؟ » قال : بلى ا
قال : « والله لئن اطلقني لاحصد منهم بعد ورد ولأتركهم ينظرون في دبرهم
لا يعرفونه ما كان وجها في غير نقصه عنيك ولا اثم لك ... » فأرسل
علي بن ابي طالب وبعث الرجل فكان لسهل به حنيف ما كان فلما عاد وأخبره
أخذ يترجس المزحف على ان لم تقتل معاوية به اخذ اخذه . واذا هم بنبا جديد :
جاءهم الحسين تاروا عليه في البصرة يرأسهم طلحة والزبير الصديقين
وعائشة ام المؤمنين وكلهم ينهونه بقتل عثمان . فمد علي قوته اليهم
وتوجه نحوهم فكانت الواقعة المعروفة باسم « وقعة الجمل » حاربهم فيها علي
بنضراء له به اصل مكثرة وبهاز فظفر بهم وفرقه جمعهم . فلم يطمئنه حتى
بلغه وهو في الكوفة انه معاوية يترأس الموتوب . فكتب اليه كتابا يدعو فيه الى
البيعة له ويؤكد له انه بريء من دم عثمان . فاجابه معاوية بأنه : « لم يكن
هو قاتل عثمان فانه اغتدى به وخذل عنه انصاره . وانه لا يبايع الا بعد امره :
أنه يدفع اليه ثمنه عثمان ينتقم منهم . وأنه يترك الامر شورى بين المسلمين كما تركه
عمر . فانه اتفقوا عليه بايعة . فاعطى له علي في الجواب . ورافقت الرسل
بينها . ولم يشعر علي الا واهل انهم راضفة ببيئتها عليه . فبرز اهل
العراق ومنهم من معه من رجل بهاز وفرح يريد القتل . فتدفق الجحش في
موضع يقال له صفين (كسجين : موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من جانب
الغربي بين الرقة وبالس) قال ياقوت في معجم البلدان (ج ٥ ص ٤٧) : « كانت وقعة صفية
في سنة ٤٧ في غرة صفر .. وكان علي في مئة وعشرين الفا ومعاوية في ثمانية الفا ..
وقتل في الحرب بينهما سبعون الفا منهم من اصحاب علي خمسة وعشرون الفا ومنه اصحاب
معاوية خمسة والربعون الفا .. وكانه مئة المقام بصفية مئة يوم وعشرة ايام .
وكانت الوقائع تسعة وقعة .. واختتمت تلك الحرب الاكلة في ذلك السبب القاف

حتى اتقوا الفريقة على تحكيم رجليه منها والرضى بما يتفق عليه فاختر معاوية واحداً
عمرو بن العاص القائد الداهية واختار اصحاب عتي ابا موسى الكوفي احمد بن كزاف
وكان في سن النبوة : فخدمه عمرو في حديث طويل (تراه في تاريخ الطبري وابنه
الاشير) قنع البرقي صاحب عتياً وأثبت عمر صاحب معاوية ^{فأبى له} فابى له
وعتي في مكوفة ومعاوية في اشم فانصرف الناس كل فرقة الى صاحبه وسلم
اهل انم مع معاوية بالمكوفة. وأسف عتي على ما كان ثم خرجت عليه الخوارج
فازال في حروب وخطوب حتى اختاره عبد الرحمن به بلعم المادي في شهر رمضان
سبع عشرة خلت منه وهو واقف بباب مسجد مكوفة يصيح بالناس : «الصدقة»
«الصدقة» فصر به سيفه فاصاب قرنه وفرقه عليه مناس فاصكوه .
وأخذ عتي الى منزله فجمع بينه واوليائه بما يصلح به بينهم ودينهم وامرهم أنه
اذا مات فليقتلوا به بلعم ولا يثلوا به . ففعلوا ذلك . ودفن امير المؤمنين
بالمكوفة عند مسجد الجماعة في قصر دومة . وقال مفضل بن دلف :
ولم يسمع اجل علي كرم مع وجهه تكون له اوليات كبيرة وانما عرفه له
منزلة اوله وضع بيت القصص وهو غرفة تليق بها الناس رقامهم
وشكا واحم : وتبعه بمثل بعبه خلفاء بني العباس . (ذكره ابنه ابي حميد)
واما خطبه واقواله فقد جمعت في كتاب سمي «نراج البدعة» وروى عنه
بعده الناس في نسبة جميع الى علي . وهو في اعم طبقة من طبقات البشر
يحسن بكل شغل في اللغة والادب والوشاء انه يكثر منه تدوته . وقد
شرح احد كبار علماء المعتزلة ابنه ابي الحديد شرحاً وافياً (انظر ترجمة
ابن ابي حميد) وفي هذا الشرح الكبير تجد جميع اخبار امير المؤمنين وجانباً
عظيماً من اخبار صدر مرسوم والمباحث الجدلية والفلسفة النافعة .
ومنه كونه : المرء مخبوء تحت لسانه . الناس اعداء ما جعلوا . لارافة
لصور . لا مردودة ككذب . الراحة مع اليأس . نه كثر مزاحه
لم يحن منه حق عليه او استغاف به . كفى ارباً لنفسك ما كرهته من
فترك

فخيرك . منه أكثر منه شيء عُرف به . الناس من خوف الذل في الذل .
 خيرا موائك ما كفائك . وخير اخوانك من واصلك . من عذب لسانه
 كثرة اخوانه . بالبر يستعبد المرء . اذا تم العقل نقص السلام . النصح
 به الهدى تقيع . من انكر فكره في المواقب لم يشجع . من أعجب برأيه
 ضل . ومن استغنى بمقلد زل . . وجاء في احدى خطبه بصفيته يومى
 الجيش : « ~~لست~~ لا تقا تلوم حتى يقاتلوكم : فاذا هزمتوهم فداقتوا
 مُدبراً ولا تجرؤوا على مريح ولا تكتفوا عورة ولا تمشوا ولا
 تأخذوا مائد ولا تهيجوا امرأة ولا تهتمكم : فانها ضعاف من نفس
 والقوى . » ومن كلامه : قسم ظهري رحمة عالم تهتك وجلت لك
 هذا ينقر الناس تهتكك وهذا يفضل الناس بتكك . ما ذب عنه لأعراسه
 كالصنم وهو عاصه . وقال لونه الحسن : يا بني ابدل لصديقك من المودة
 ولا تطعن اليه من الطائفة وأعطه من المواساة ولا تقس له كل الاسرار .
 وقال : من كثر دينه لم تفر عينه . من فعل ما شاء لقي ما ساء . من
 استعاض بالرائى منك ومنه كابد الامور صلت . من حنت سيكته
 دامت رياسته . من ركب العجلة لم يأمنه الكبرة . وعنه رضي الله عنه :
 الوحدة راحة والفلة عبادة والقناعة غنى والاقتصاد بلفة العزيز
 بغيره زيل والغنى الشرة فقير ولا تعرف الناس الا بجهلته فاختبر
 أهلك وولدك في غيبتك وصديقك في مصيبتك وذا القرابة عند
 فاقتك والتودد والمعة عند عطفتك لتعلم بذلك منزلتك .

وجاء في خلية ابي طالب في البياض والنبية :

يا معاوية فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة في الله تعالى الذلة
 وشتم البهلاء والزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف الاواني تد

دعوتكم الاقتل هؤلاء القوم - يريدني غامد - ليمنن وزلا رأياً سراً واحداً
 وقتلتم انما اذوهم قبل ان يذولتم فوانه ما غني قتم قط في عقد درهم الـ
 ذلوا فتواكلتم وتماذلتهم وتقتل عليكم قولي واتخذتموه وراكم ظهراً هـ
 شنت عليكم الفارات هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتل
 ابيه حسانه البكري وازال ضيكم عداً لى وقتل منكم رجلاً صالحاً
 وقد بنيت امة الرجل منهم كانه يدخل عمارة المسلة والاخرى المعاهقة
 فينتزع ارجلهم وقيلهم ورعنا ثم انصرفوا واقره ما حكم رجل
 منهم علماً فلو انه امرأ مسلم مات به فيها اسفاً ما كانه عندي بلواً
 بل كانه عندي جديراً لى فيا عجبا منه جد هؤلاء القوم في باطلهم فسيحكم
 عندهم حكم فقبحاً لكم وترحاً حية صدم غداً يرمى وفيئاً يترهب يغار
 عليكم ولا تغيدوه وتغذوه ولا تغزول وتبعوا له وترضون
 فاذا امرتم باليرايهم في الحر قلم حرارة القبط ازلنا حتى ينسج عنا الحر
 واذا امرتم باليراي في البر قلم ازلنا حتى ينسج عنا القر كل هذا فزاراً
 من الحر والقر بما كنتم من الحر والقر تفروه فانتم ومنه من السيفاً قر
 يا اشرار الرجال ولا رجال ! ويا اعدوم الاطفال وعقول ربات الرجال
 وددت انه اخبرني به به ظهراينكم وقبضني لارحمته مدينتكم ومنه
 لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفتكم والله حدثت ندماً وورثتم صدي
 غيظاً وجرحتموني الموت انفاً وافسدتم علي رأيي بالعريان وتخذلوه
 حتى قالت قريبه انه ابيه ابي طيب شجاع ولكنه لا علم له بابن الله ابوهم
 وهن منهم احد اشداً مرأساً وأطول لا تجربة بني ؟ لقد عارست
 وما بلغت العشرين فيلداً وقد نيفت على السنين ولكنه لا رأي له لا
 يطاع . " قال الجاحظ : وهذه الخطبة خطب علي بن ابي طالب وهو
 جالس على باب السدة . اقول : وذلك في الكوفة فانه كما اتته هادراً
 اماره

امارة له . وروى له اصحاب المجاميع والاقاصيص شعراً جديداً في كتب
سموه ، ديوان علي به ابي طيب « وجده اوكمد ما ينطقه براءته مدني لبعد
عه بدوغة معاني ابيد المؤمنين وضمانه الفاظ ذلك الجليل العربي المحض وما
يذكروه ويعزونه اليه اشبه بشعر الفقهاء والمؤدبين فايه هو مدنا شروا
البدوغة عليه رضوان الله وسدوم . وقرأت في تاريخ النخلة للسيوطي كلمة
نقلها عنه المرتزباني قال : ما صم عندنا ولا بلغنا أنه علي به ابي طيب قال شعراً
الاهذية البيتية :

تكم قربه تمنني لتقتلني فداوربك ما برؤوا ولا ظفروا
فانه هلكك زهضة ذمتي ام بذات روقيه لا ينفولها أثر

بنو أمية في الشام

| نوصية |

مضى لهم في العصف لغة على القسم الاول من كتاب الملوك وادراؤ وكان هذا العلم على خلفاء الراشدين
ضوايا عليهم جميعين . وهذا هو القسم الثاني نور وفيه تراجم ملوك بني امية في الشام وهم الذين ورثوا اخذت الرواية
عن الحسن بن علي بن ابي طالب كما جاء في الكلام عليه . وانما خص بالذم من كان في الشام منهم اعدوا بان يكون له
الذين هم من اصل اموي سيجري بحث عن جوارهم في فصل تحت الملوك الذي سيجري بحث عن جوارهم في فصل تحت الملوك
مقتصد منهم في انهم عليهم . والدولة الاموية اسسها في الشام اول امرائها معاوية بن ابي سفيان وكان
كما ستر في ترجمته اميرا على الشام من قبل عمر بن الخطاب ثم اقره على وريته عثمان بن عفان وادب علي بن ابي
طالب عزله عنها فوثب عليه وابسل بيته ثوبا دينيا فاوعى انه لا يارب غير الله من اجل ذلك وريته وانا
هو يعتقد ان عينا قتل عثمان او اشترك بدمه فهو يريد تقتله ويطلب دمه عله نوحا او ردنا في ترجمته
علي . وانتهى امرهم بان كان في المسلمين خندقان في زمن واحد : راشدية في عمالي ومصابر
علي بن ابي طالب و أموية في الشام ومصابر معاوية بن ابي سفيان . فلما مات قتل علي بن ابي
اصحابه ابن الحسن فصالح الحسن معاوية ووراه اخذت فصفت لابن ابي سفيان بتواذلا
بنوه من بعده . وبنو هشام في معزل عنها يتطاولون اليها ولا يطولونها حتى آلت
الى بني مروان وهم فرع من بني امية وسند كرم في البيت القادم بعد الكلام على معاوية
وبنيه ابن سواد ولاقوة الراية .

.....

معاوية بن أبي سفيان

- ولد سنة ٤٠ هـ وتوفي سنة ٦٠ هـ -

بنو أمية بطن من قرية كني هاشم وهم من ذوي السيادة والرياسة في هذه القبيلة وإنما
 قدّم عليهم إلا شيوخه برسول الله صديقه عليه السلام فلما لقي ربه طمحووا نحو الإمرة من بعده فتولوا
 أبو بكر فصبوا وعمر فأنكسوا وصارت لأمته فاصبح وانفسه آمالهم وفرقهم
 ولادة وحكام في البلاد. أما معاوية وهو صاحب هذه الزمة ~~فكان عمره حينئذ~~
 ولقد مدّ يده لولده يزيد فاختاره فابوه أبو سفيان صنف به حرب به أمية به
 عيسى بن عبد مناف : ولد بجلّة وأسلم يوم فتح (سنة ٨ هـ) وكان من ذوي
 الرأي والهاء عارفاً بكتابة وهي فضل كبير في ذلك الحية فحمد رسول الله في كتابه .
 ولما ولي أبو بكر ولده قيادة جيشه تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان فكان له علم فقهه
 في فتح مدينة صيدا ، وعرة ، وجبيل ، وبيروت . وآل الامراء عمر بن الخطاب فلوله
 ولاية الاردن . فرأى في معرفة وعزماً : فلما مات اخوه يزيد وكان والي دمشق
 ولده عمر بن لؤم . وجاء عمته وصلة النسب تربطها فجمع له الدارات امية
 صلاً وجعل ولاية امصارها تابعيه له . فشرع معاوية يتجسس الى اهل الشام ويدين
 رؤسائهم من حفرة حتى استألفهم واستألفهم اليه . ومات عمته فقام علي بن
 وهو الامر الذي تكرهه امية لعلها بأه الخوفاً حتى توارثت قرية حُرمت هي من
 فأعد معاوية العدة واتخذ معه قتل عمته ذريعة له يستحق به الجوع علم قتله
 علي واصحابه وكان بينها ما أسلفنا ذكره في ترجمة علي من الحروب والوقائع
 بصفيته وانتهى الامر بامانه علم الامم وامامة علي في امره . ثم قتل علي
 وبويج بعده ابن الحسن فسم الخوفاً للمعاوية (انظر ترجمة الحسن بن علي)
 وذلك في عام ٤٠ هـ وهو المعروف بعام الجماعة لاجتماع المسلمين فيه بدأ
 واحدة مع امام واحد . ودامت له الخوفاً حتى بلغ سنة الشوكة فشهد
 بل الى ابنه يزيد . ومات بدسسه فدفن في مقبرة باب الصفي .

ذلك اجمال في سيرة معاوية مؤسس دولة بني امية ومنه عظماء ملوك العرب
وخلفائهم وهو أحد كبار الفاتحين بلغت فتوحاته المحيط الاطلسي والهند والحبشة
عن مصر وعروبه المعاصرين (الذي ذكره) فافتتح السودان سنة ٤٤ هـ . وفي هذه السنة
غزا عبده به سوار العبدي الفقيه من بلاد الهند فاصاب مناهم كثيرة عادوا
للمعاوية ورجعوا الى الفز فقتل في بعله بلاد الهند . وكان عددهم في ايام معاوية
٤٥٠٠٠ سبينة كاملة العدد . وهو اول مسلم ركب بحر الروم لغزو وذل
حينما كانه عاملا على الشام في صدقة عثمان به عفاه . وفي ايام فتح كثير من الجزائر
اليونانية والدرزيلي وحاصر القسطنطينية مجرا وبأ سنة ٤٨ هـ فلم يتمكن من فتحها
وأصبحت سفن تجار فادحة فساد ما بقي منها . وهو اول من جعل رطله من فضة
واول من اتخذ المقامير (وهي الدور الواقعة المحيطة) والحرس والحجاب ولم يمه
ذلك بل خلفاء الراشدين لان دورائهم تلك المظفر والزخارف وبعدهم من
أثرة الملك وقناعتهم بما كانوا عليه قبل اخذوا من السجادة والتشريف
واما معاوية فلم يتسرع له ذلك وهو خير من ملوك الروم في بلاد الفت
انظارها ما كان عليه ملوكها ان يكون من الروم ورجعوا سخرت به لانه
دونهم وعدته وخيلوا على الرياسة حينئذ حديث عهد بالامارة . وهو
اول من خطب قاعداً لانه كان بطيماً باوفاً . واول من قدّم الخطبة على الصلوة
في يوم الجمعة ولانت الخطبة بعد الصلوة فخاف معاوية انه يتقدمه الناس عنه
قبل ان يتم ما يريد ان يقول فقدموا : وتأيم الحكومة حتى اليوم .
وفي اسباب العرب للفتنة ان كان طويلاً ابيعه جليلاً قريباً قال : وكان
من ينظر اليه فيقول : هذا كسرى العرب !
وفي سنة ٥٠ هـ سار الى المدينة بموكب عظيم فالتقى بالعدة فخطب وقاله
قوي الخطبة جيد البديرة سريو الخاطي ومنه حسن ما تامل به سياسة قوله في
بعض خطبه : « يا اهل المدينة اني لست احب ان تلونوا خدقكم كملوك الروم
يعيون

يعيبونه الشيء وهم فيه : هل امرئ منهم سيفه نفسه . فاقبلونا بما فينا : فانت
ما راونا شراً لكم . وإن معروف زماننا هذا منذ زمانه قدمي وتذكر
زماننا معروف زمانه لم يأت ولو قد أتى فالرتوه خير من الفتوه وفيه من يقال
بدخ ولد مقام مع الرزية . « ودخل دار عثمان به عفاه - في المدينة -
فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت اباها فقال معاوية : « يا ابنة اخي
إني الناس اعطونا طاعته واعطيناهم اماناً وأظهرنا لهم حماة تحت غضب
وأظهروا لنا ذلك تحت حقد ومع كل انسا سيفه ويرى موضع اصحابه فانه
نكسناهم نكسوا بنا ولداندي أعيننا نكسوا ام لنا ولأله نكسوا ابنته علم ايد
المؤمنيه خير من ان تكوني امرأة من عرصة الناس . « وخطب في المدينة ارضاً
فقال : « ايها الناس انه ابا بذر رضي الله عنه لم ير الدنيا ولم يردده واما عمر
فارادته الدنيا ولم يرددها واما عثمان فنادى مني وملت منه واما انافلت
بي وملت بلا فانه لم تجديني خيكم فانا خيركم . « وكان يُفربا على
بجلم معاوية ومن اخباره فيه انه كان لعبد الله بن الزبير امره بمجاردة
لأمره في العبيد لمعاوية من الانوج يعمر ولا فدخلوا في امره عبد الله فكتب الي
معاوية : « أما بعد فانه يا معاوية انه لم تمنع عبيدك من الدخول في ارضي
كان لي ولك ستون ! « فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه الابن
يزيد فلما قرأه قال له : ما ترى ؟ قال : ارى انه تنفذ اليه حيث اوله عند
وأرفع عندك يا قولك برأسه . فقال يا بني عندي خير من ذلك علي بدواة
وقطاس وكتب : « وقفت على كتابك يا ابيه هواري رسول الله صوامعهم
وساوي والله ما ساءك والدنيا هيته عندي في جنب رضاك وقد
كتبت على نفسي برقاً بلورهم والعبيد وأشهدت علي فيه ولتفضل الامه
إلا رضك والعبيد العبيد لك والدم . « فلما وقف عليه على
كتاب معاوية كتبت آليه : « وقفت على كتاب امير المؤمنين أطال الله
بقائه فلا عدم الرأي الذي أحله من قريسه هذا المحل والدم . « فلما رُف

معاوية على كتاب عبد الله رساه الى ابنه يزيد فلما قرأه اشربه وجره . فقال :
يا بني اذا ربيت بهذا الداء دأوه بهذا الدواء .
ويذكر في الاتفاقات الغربية انه اول ملوك بني امية اسمه معاوية
وآفرهم معاوية . واول ملوك الدولة اليبوسية صلاح الدين يوسف وآفرهم
صلاح الدين يوسف . واول ملوك بني العاص مروان وآفرهم مروان
واول ملوك الفاطميين عبيد الله وآفرهم عبيد الله .

يزيد بن معاوية

- دراسة ٥ ، وتوفيت ٦٦ هـ -

ما ينسب المسلمون لا تتركهم ناسين فاجعهم الكبرى بابن بنت نبيهم وفاحشهم
العظمى باحب الناس اليهم تلك الجريمة المؤلمة التي اقترفتها صاحب هذه
الترجمة يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ثاني ملوك بني امية : عهد معاوية
الى يزيد بالحنيفة فلما مات تولدها وانضم اليه من اخذوا في حبائيه
وفاء لله وتنفيذ العهد : وكان يزيد فتى امو وتصف ولكنه عارف بمروءة
رؤي له من الشعر رقيقة . ولم تصف له الحنيفة بل نثرت في عهد التورات
واقتنع كثير من الناس عنه مبايعته والرضى بحنوفته فقامت الفتنة في العراق
ودعا اهل الحيرة ليايعوه ~~وتار اهل مكة والمدينة فبايعوا عبيد الله~~
~~الحسين~~ فلما ارسل اليهم اعترضه بكرم و محمد بن سعد به الي وقاص قادراً
مه قبل عبيد الله بن زياد وكان يزيد قد كتب اليه يأمر بتوجيهه ليقا تلحين
قبل انه يبلغ كنفه ففاز به ما وقتله شمر به ذي الجوشن ، وأتي برأسه الرثمة
على ما قدمت في ترجمته (انظر ترجمته حميد) . فلما ذاع خبره كان عليه به
الزبير بجملة فخص اهل مكة والجاز عن الثورة فبايعوه . واتقوا اهل المدينة
على خلق نائب يزيد وهو عثمان بن محمد بن ابي سفيان فظروا له المدينة .
وعلم

وعلم يزيد بما حدث فوجه مسلم به عقبة في عشق آلاف تقاسل فاروا الى المدينة
فاقتحموها وجعلها مسلمة مباحة لللب والنهب ثلثة ايام ثم رحل عنها
مكة فقاتله اهل الزبير فلم يزل يقاتلهم حتى يربد مكة فمات في طريقه بموضع يُعرف
بالمسلل واقام نائباً عنه الحصية به فخير فقدم مكة فقاتله اهل الزبير فلم
يزل يقاتلهم حتى جاءه خبر موت يزيد ففاد بجيشه الاثم .
هكذا انجذبت المسلمين بعد استغاللهم بفتح البلدان وتوسيع سلطة الدولة
الاسلامية وتوطيد اركانها عادوا فقتلوا بأنفسهم يقتل بعضهم بعضاً
ويحارب الرجل قريبه ونسيبه وحبيبه : ثورات في اهل يهود على كل مستخلف
فيهم وفروج وعصيان وخوف مستمر :

كلما انما القوم عادت جاهليتهم لهم فما اختلفت الآيات والنذر
وفي ايام يزيد فتح المغرب الاقصى على يد الامير عقبة به نافع ولاة قد
وجّههم يزيد الى افريقية فلما بلغ القيروان جمعته ببلد الجند ورض مدينة
باغاية فخار به اهلها وكانوا من الروم ثم اغلقوا ابوابها فاراد حصارهم
ولكنه اختار تحصنه غديرها فاراد الأتراك فاشتد مدتهم اعظم ارب
وسار الى طنجة ومنها عاد بفنائم وافرق .
فانظر هذا الى المسلمين في ذلك حين لو وجّهوا سيوفهم التي يفرزون
بلا وجوههم الى يهود الاعداء واصهار الروم وغيرهم من هؤلاء كانوا
يبنوا اقامي الارض والاطاعهم الناس اجتمعوا . وانت ترى ان الله
حيث قيل العدو قيل العدو يتوغل يحارب البرابرة والروم ويرجع
ولو اؤده يخفقه بالظفر والغنم والرجل .

وكانت وفاة يزيد بجوارحه مائة سنة وثلثمائة سنة . وخلق في صحيفة نج
شهر ربيع الاول . وعمره خمس وثلثمائة سنة . وقد سمع القول بانه ليزيد
شعراً مروياً فذكرني بأبي لهب ذكرني منه وانه كنت لائلته بعينه كل
ما يفتل عنه من هذا النوع : فانه ذلك قصيدة عظمى اليه في كتب الادب قال :

خذوا بدي ذات الموت فاني رأيت بعيني في اناسها دمج
ولا تقفوها انه ظفرتم بقلها على خبروها بعد موتي بأعجب
لها حكم لغاه وصورة يوسف ونعمة داود وعفة مريم
ولي عنه يعقوب ووحشة يونس وآلام ايوب وحسرة آدم
الى ان يقول :

ولما تدقينا وجدنا بناغرا مخضبة تحكي عصاة عندهم
فقلت : خضبت الكف بعدي ؟ هكذا يكون جزاء المستقام المقيم
فقلت وابرت في الحفرة الجوى مقالة منه في القول لم يتبرم :
وعيشك ما هذا خضبا عرفت فذوتك بالبرهان والروية ترمي
ولكنني لما رأيتك نائبا وقد كنت لي كفي وزندي معصم
كبت وما يوم النوى فسحة بطني وهذا الاثر من ذلك الدم
ولوقبل بكها كبت صباة بسعدى شفيقت النفس قبل التدم
ولكنه كنت قبدي فريتم لي البكا بكها فلكاه الفضل للمقدم

وتنبه له القسيمة المشهورة التي طلعوا

نلت على يدها ما لم تند يدي نقما على معصم اهتت جبدي
ويروى له هذا البيت :
وعنت بماء في اناء فجاءني غدرم به غمرا فافسعت زجرا
فقال : هو الاء القراح وانما تبدي به خدي فاوهلك الغمرا
وصحاصب المرات النامية قلها حيه جاره انبا بموت ابيه وانه غائبا عنه :
جاء البريد بقرطاس نجية به فافسعت القسيمة قرطاسه فرجا
~~فما حدث الا وهو ان كاد ان يمسك بيدي~~ فانه الخبر من اركانه
قلنا لك الويل ما زالا في صيفكم قالوا اخليفة امسى شبتا وجعا
فادرت

فما دت امره او كادت تميد بنا كأنه اغبرمه اركاناً انقلعا
ثم انبعثنا لا خصوص من صفة نرجي العجاج برامنا تبي سرعا
ضائبا لي اذ ابلغن ارحلنا مامات منهرة بالموامة او طلعنا
او دى ابيه كهنه واودى المجد يتبع كذا كنا جميعاً قاطنيه معا
اغما ابلج يُنسقى الغم به لو قارع الناس عد اخذتم قرعا
لا يرقع الناس ما اوحى ولو جهدا أنه يرقعه ولا يوهونه ما رقعا
قال الن فني : وابيئنا له الاخيرانه سرقها منه اوشى ~~فقد ابلج~~

معاوية بن يزيد

- ولبنته ٤١ ومات سنة ٦٤ هـ -

لما مات يزيد بايع اهل الشام ائمة معاوية بن يزيد به معاوية ثلثت ملوك بني امية
واضعفهم : فتولى الملك ثلثة اشهر بعد ابيه واصيب بامراض جلست
بينه شؤون الخوفا والنظر في مصالح الناس فأمر فنودي « الصلاة جامعة »
فاجتمع الناس فقم فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « اما بعد فان
جدي معاوية نازع امره كما به اولى به ثم تقلده الي : ولقد كانه غير
خفيه به . وقد ضعفتم عداكم . ولا اصبه انه القى الله عز وجل بتبعاتكم .
فابتغيتكم ثم مثل عر به الى الخطاب ^{صلى الله عليه وسلم} تخلفه ابو بكر فلم اجده فابتغيت ستة مثل
سته الشورى فلم اجدهم . فاتم اولى بأمركم فاخترت اياه اجبتهم .
فقد خلعت بيعتي له اعناكم . » ثم دخل منزله واغلقه بابيه واقام
يعبد الله صلوات ولم يصبه في الرواية كونه المشهورة اكثر من ابيه يوماً .

ملوك بني مروان

{ صِلَّة }

رأيت في ترجمة معاوية بن يزيد « آخر أبناء معاوية بن أبي سفيان : كيف ترك خلفه الناس دون
 أن يهرده أو يوصي وأخذت من نفسه بأنه لم يجد الرجل الذي يثق له أن يركن إليه ويعتمد في أمور المسلمين عليه
 وانت ترى أن المسلمين كانوا على عهد والده في نفور واضطراب ونحو ذلك فلما بلغهم موته
 وتولية ابنه معاوية المعروف بالضعف وقصر اليد قويت شكوة الثأرين فبوجع ابن الزبير
 بأخوته في أنجاز وامتدت سبعة إلى المدينة ومصر فسير إلى المدينة أخاه عليه
 ابن الزبير والمصر عبد الرحمن بن محمد الغفري : واليدين عليها وابعده بنيناية لمحبة مروان
 ابن الحكم إلى الشام وأثبت الدعاء إلى ابن الزبير بمحب وقسرين فلسطين والعراق ولا سيما
 حين استقل معاوية من مكة وتركه لمن لا يرضون من يديهم واختلف أهل دمشق
 وفيهم مريدون لابن الزبير وبايعون مروان بن الحكم ثم انتهى الأمر باجتماع آل ميين
 على مروان وهو ابن الحكم بن العاص بن أمية : أمويون ولكنه غير معادية فكان
 أول من ملك من هذا البيت : ثم أدت بناؤه من بعده وبوجع ابن الزبير
 في الجبال فاجتمع للمسلمين خليفتان حتى كان زمن عبد الملك بن مروان فوجه
 الحجاج إلى ابن الزبير فقتله وصلبه ثم نعت الثورة العباسية على ما سيذكر إن شاء الله

مروان بن الحكم

- ولد سنة ٤٠ و توفي سنة ٨٥ هـ -

علمت ما كان في أيام معاوية بن يزيد من تركه للملك عم ما تقدم بيانه وقتلنا أهل
الأمم اتفقوا مع مروان بن الحكم بن العاصي به أمية به عبثتس به عبد مناف : وهو
أموي قرشي وكان شيخا كبيرا سنة . ولد بمكة وطائفة يهود وانتقل إلى المدينة
حتى كانت أيام عثمان به عفان جامع سقات بني أمية به عبثتس فقربه عثمان
إليه وجعلنا أحد خاصته الذين يرجع إلى أرائهم ويعتمد عليهم في المعصيات ولما
قتل عثمان انصرف إلى مكة وأقام يتردد بينه الجاهل والملك حتى طرده إليه الزبير
به مكة فانصرف إلى الأم وهي بوخليفة بعد انفصال معاوية به يزيد بعد الخديفة
فبوج مروان به السنة وقربه به عثمان وأمويته فهدأ الأم وفرج إلى
مصر فصار له أهل ولما تدهشت فيها البيعة لأبيه الزبير فوثقه منهم مروان ودلى
عليهم ابنه عبد العزيز وعاد إلى الأم . ورجأ أنه تصفو الخديفة لبنيه الواثق
خاف ملكية خالد به يزيد به معاوية بل متى لم يملكه آتئذ صغيرا فرأى
أن يستميله فتزوج أمه . وبقي مروان في الملك تسعة أشهر وثمانية عشر يوما .
حتى دخل عليه بوا حاكم به يزيد في شأنه له فشته مروان وسبته أمه فانصرف
إليها ونقل إلى الكهولم فانتظرت حتى أقبل فوضعت على وجهه وسادة
ضخمة بعد أن أحضر اصطحب وأمرت الجواري فقعدنه عليها فصاح واستجد
فلم يفتنه فمات محنوقا (قال ابن الأثير) وقال القلقشندي : توفي بطاعته مذبذبة .

عبد الملك بن مروان

- ولد سنة ٤٦ و توفي سنة ٨٦ هـ -

ما انفلت خديفة الأمويين في اضطراب وترزاع منه غادر حياة معاوية الأول حتى
انقلبت العوبة في أيدي الرجال : فقادف لها زاهدا ولا وسلف لها رغب ولا

ومشرَّبُ الإِطامِ بِالنَّعْلِ اليه حيث لم تستقرَّ على حال واحدة الا في زمن
 صاحب هذه الحكمة وهو : ابو الوليد عبد الملك بن مروان به الحكم الأموي القوي :
 انتقلت اليه الخوف بموت ابيه مروان سنة ٦٥ هـ فبويج في دمشق واعظم ما يهدد
 ملكه استفحال امر عبد الله بن الزبير في الحجاز والعراق : فلما بويج قُم في الناس خطيباً
 فقال : « اي الناس ابي والله ما انا بالخليفة المستضعف - يعني عماله - ولا
 بالخليفة المدهون - يريد معاوية بالدول - ولا بالخليفة المأفون - يريد يزيد
 بن معاوية - فيه قال برأسه كذا - أي استع - قلنا له بسيفنا كذا - اي
 ضدناه - ثم تزل . » وعلم عبد الملك أنه ابن الزبير وقبه المختار الشقي
 المكنوفة امير اعلى فجزه عبد الملك حيث فيه عبيد الله بن زياد ورجل من
 كبار القادة عنده فاحس المختار حيث لقى عبيد الله بقيادة ابيه
 ابنه الزبير فالتقى الجيشان بالحجاز اترية من نواحي نهر اليمامة فقتل عبيد الله
 زياداً وأصحابه وأخذت رؤوسهم الى ابن الزبير . فلما بلغ عبد الملك ذلك عظم عليه
 فنادى اهل الشام فلم يجبهوه . وكان في رجل شرلته الحجاج بن يوسف وهذا
 اول ما اشتهر به : فتقدم الى عبد الملك فساله أنه يسقط عليهم . فقال قد سقطت .
 فانصرف منه مجلس لا يرمي على رجل من اهل الشام قد خلفه عن القيام الا امرته عليه واره .
 فخرج الناس واتهموا اليه فجزهم عبد الملك . وكان يريد العراق وخرج اليه
 مصعب بن الزبير بأهل البصرة وكنوفة فالتقوا بين الشام والعراق : وكان عبد الملك
 كتب كتباً الى رجل من وجهه اهل العراق يدعونهم الى نفسه ويجعل لهم الاموال :
 فلما تدمق الفريقان انضم رجل مصعب الى عبد الملك وبقي مصعب في
 قيس بن ابي لهب فأتاه غلام لعبيد الله بن طيبانه فاعاه عليه مولاه عبيد الله طيبانه
 فقتله (او ساقه ترجمه مصعب في القواد) ودخل عبد الملك كنوفة فبايعه
 الناس فجاءه الحجاج فقال : رأيت في المنام كأنني اسلم الى ابن الزبير من رأسه الا قد صير
 وكان عبد الملك قد رأى من الحجاج حزناً وسدة بأس فقل له انت له . فخرج
 الحجاج بمشيت كسيف يريد عبيد الله بن الزبير . وفي سنة ٧٤ هـ كان في منى ثم
 حضر ابن الزبير في مكة ونصب المجانية على جبل الوديان ويرمي أهلها بالحجارة
 والله اعلم

القتال يقتل عبده به الزبير أمير المؤمنين في العمامة والمجاز : فارس المجاز رأس العبد
المك به سواده في دمه . ونصب للناس راية ايمان فجمعوا يقدونه عليه . فلم
ينصرف عنه المجاز الا وهي مبايعة لعبد الملك وبهذا سكنت الفتنة واجتمع
المسلمون مع عبد الملك واستتب له الامر فيهم . ودانت له الحدود العامة
بعد مقتل ابيه الزبير ثوب عشرة سنة وثلاثة اشهر . وكان يقال : معاوية
للمعلم وعبد الملك للزم : وكان مدحا جبارا على مدعائه قوي الية شديد
السياسة حسن التدبير : جمع بين العلم والعقل : قال الشعبي : ما ذكرت
احدا الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فاني ما ذكرت حديثا ولا
شعرا الا زادني فيه . وقال نافع وهو من شهود القراء : لقد رأيت اهل
المدينة وما بلا شائبة أشد تشيدا ولا فقه ولا اندك ولا اقر لكتاب
الله من عبد الملك به مروان . وفي أيامه كانت تكتب الدواوين باللغتين
الفارسية والرومية فأمر بترجمتها ونقلت الى العربية : وهي ما تذكروا .
وكانت الرعية كما علمت مدح ترجمته مدح مدحها وغيره تتكلم بحفرة خلفاء
وترجع اليهم في جميع امورها : فنزلهم عبد الملك عن ذلك وجعل الكلام خاصة
ومنه اراد مدحهم والامراء . وهو اول من سلك الدناير في المرسوم :
وكانه عمر قد سلك الدرهم كما أسلفنا : وكان به عبد الملك اتخذا أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب اماما له يقتدي به في سياسته وأعماله فانه أتم مشروعيه عليه
بأبرها عمر : وهما الدواوين : وضعا عمر على لغة الفرس بفتحهم ونقلها
عبد الملك الى العربية . والدرهم : نقشا عمر فتابعه عبد الملك بنقله الدناير .
ولعل هذا كان من صفاء اموره وخلوه من الملذات وفي مراسله
وكتبه تجد عقدا كبيرا وخبا للخير جدا : كتب له اليه الحجج به يرافقه في شأنه
عودة به الزبير على اليه وكان قد لجأ الى عبد الملك :
« بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فانه لو كان المعتمد ضيقك وهول

كذا (١٠) فقل جيفاً كذا (اضرب عنقه) . . . والمجدة الأخيرة انتهت ترجموه
له مرتبة: حبه ولي: حبه ولي: طارأت . . . وما في سبعة من الأربعة خارج باب الحانية .
لخصت هذه الترجمة من الأصل لآية الذير (المجد الثالث) . . . وشذرات الذهب
في أخباره ذهب لولي الفدوح . . . والعقد القريد لآية حبه (ج) . . . ونوات الرضات
(ج) . . . والمعارف لآية قسبة . . . وغيره .

الوليدين عبد الملك

- ولد سنة ٤٨٠ و توفي سنة ٥٩٦ -

اتصفوا بالملوك مدني مروان بصفات جمعت لهم فضله ليرا على العالم الذي
فقيم الزاهد الناسك في غير ضعف والمؤطر الب في غير غف والمغربي
الصالح الفاتح والرجل الصالح: مالا ينكره المنكر ولا يحجده الجاحد . وكان
عمرائهم الأكبر وصاحب آثارهم مترجماً هذا وهو: أبو العباس الوليد بن
عبد الملك بن مروان بن الحكم: الأموي القرشي: ولي الخليفة بعد أبيه
عبد الملك (٥٨٦) وأبوه مطمئنة والمسلمون كانوا . فوجه القواد لفتح البلاد
فلان من جده موسى بن نصير ومولاه به زياد: فسيه الوليد الأبد والمغرب (٥٨٦)
وموسى: يترطاً: فاجتاز هذه جبال البيرة (Pyrenées) وهي
وهي سلسلة جبال تفصل بين مملكة إسبانيا (أندلس) وفرنسا . وانتقم
الجانب الجنوبي من فرنسا وأوشك يتوغل في أوروبا . والداه موسى حمدة
ولحمه به وإهانة وأوقفه على السر وقيل أنه سجنه فبلغ الوليد ذلك فطلب موسى
لأنهم وضربه وطرده لأملة حيث كانت وفاته ~~وكانت وفاته~~ وأصبحت
جبال البيرة (أوالبريات) حداً بين العرب والعجم . وامتدت في زمن
المملكة العربية شرقاً إلى بلاد الهند فتركستانه فحدود الصين بحيث بلغت مسافتها
سنة أشهر بين الشرق والغرب والشمال والجنوب . قال أحد المؤرخين: فتح
المسلمون في ثمانية أعوام عالم تقسم الرومان في ثمان مئة . . . أما ولع الوليد بالبناء .

والعمارة فكان غريباً جداً : تنبأ بالوثير في حوادث سنة ٨٨ هـ : وفي هذه السنة كتب الوليد
 للأمير عبد العزيز - والي المدينة - يأمره بتسريع الثنايا وحفر الآبار وأن
 يعمل الفؤارة بالمدينة فعملها وأجرى ماءها فيها حتى الوليد وراها أعجبة
 فأمرها بقوام يقومون بها وأمر أهل المسجد أن يستقوا منها وكتب
 لأهل البلدان جميعاً بأصوح الطرق وعمل الآبار . وبنى المجذوبين من
 الخروج على الناس وأجرى لهم الآبار ١٠ هـ . والوليد ازل ما أحدث
 من تشييدات في الإسلام أمرينها مؤانسة للمرضى والمصابين بمقولاتهم .
 وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ولا عمل له الا قيادته ونظر
 في شأنه . واقام لكل فقير داراً . ونظم القراء المشغليه بحفظ
 القرآن الكريم فخصص لهم اموالاً تكفيهم وتمنعهم من ان يكونوا عالة على
 الناس او يتخذوا القرآن حرفه يعيشون به كما هو حال اليوم في بلاد
 المسلمين من كتب القراء بالقرارة : حتى دخلت عينا بدعة من سوء البع
 في الإسلام وهي بيع الختم بقية محتومة وهم يتكلمون على انه فيجمعون
 الدراهم هبة ويهبونها الختم لروح الميت ولو امتنعت من بذل المقابل
 من الدابة او الجمل كما ائتمنوا على دينك بكلمة يتنولها وحرف
 يحترقونه . وهذا بحث يبرأ سواء فليتركه الا الباحثين ومما لديه .
 واقام الوليد بيوتاً ومنازل تأوي اليها الفقراء وتهوي عليها الضيفات
 كما هو حالهم في قبائل العرب والآخذين لآخذهم . وهدم مسجد المدينة
 والبيوت التي حولها الميعة ثم بناه بناء جديداً فعمل ما حته شئ ذراع
 في مستين (ذراعاً هاشمياً وهو نحو نصف الذراع الشامي) ورفع اتمام البيوت
 من بيت على السليم . وصلى الكعبة والميزاب وهو ساطع في مكة .
 وبنا المسجد الأقصى في القدس : ارسل اليه الصناع وهدمته من شمس . والمأثرة
 الخالدة

الخالد للوليد بن مؤه مسجد وشبه المعروف بالجامع الأموي وهو من أشهر مساجد
البلاد وسومته وفيه قبر ماريوحنا (يعني بيثوليا عليه السلام) وكان كنيته
نصارى اسم فلما فتح خالد بن الوليد دمشق ودخلها غنوة من جانبها الشرقي
دخل الكنيته وقد علم أنه باب عيسى به المراح ودخل صلى من الجانب الغربي
فانقضت المسورة مع الروم على أنه يجعلوا النصف الشرقي مسجداً ويتركوا النصف
الغربي كنيته . فلما استخلف الوليد الأموي دعا النصارى لما يرضونهم عن
ذلك الجانب الغربي الذي بأيديهم مكاناً غيره في دمشق فأبوا فانتزع قهراً منه
لأن النصف الأول وكتب الملك الروم بالقسطنطينية أنه يوجه إليه اثني
عشر الف عامه صناع يهوده فإلى فهدده فاذعن وبعت بهم وانفوسهم بنائه
لما نقل إليه جدير في حلة ^{في المثلث} (١١,٠٠٠,٠٠٠) أي فوسه الفوسية
ليرة التركية مد نقود زماننا . وعلقه فيه ست مئة سلمة ذهبية
للمصاييح . ومد جدرانها كلها بفصوص الفسيفساء مزودة بألوانها
الاصبغة الغربية تمثل اشجاراً وأغصاناً بديعة الصنع . وقد وصف إليه
جدير هذا المسجد وصفاً شاملاً فارجع إليه أنه شئت ولد بأسي بنقل النبتة
التاريخية الآتية عنه قال : « وله - أي الجامع الأموي - أربعة ابواب : باب
قبلي : ويُعرف باب الزيارة وله دهليز كبير متسع له أعمدة عظام وفيه
خوانيت للخرزيين وسواهم . وعنده باب الخارج منه ساطع الصغارين - معاً
المعروفة بالصاغية اليوم - وهي كانت دار معاوية رضي الله عنه وتُعرف
بالخفراء . وباب شرقي : وهو أعظم الابواب ويُعرف باب جبرون .
وباب غربي : ويُعرف باب البريد . وباب شمالي : ويُعرف باب النافعين .
ولشرقي والغربي والشمالي أيضاً هذه الابواب ودهاليز متعة يفضي
كل دهليز منها إلى باب عظيم كانت كلها مداخل لكنية فبقيت مع
حالي وأعظمها منظر الدهليز المتصل باب جبرون يخرج من هذه الباب

في منصب الخزانة وكرّمه الناس المشايخ بعد ما قاسوا وما عانوا في أيام مروان
 ومه تقدمه وكان المجامع به يوسف قد توفي سنة ٩٥ أي قبل تولية سليمان
 بسنة والناس له طارحون ومه شدته مشكونه فترهم موته ثم استخلف
 سليمان فأتوا به خيرا: فانه الملقب الأكرى وامرأا خلوة اسجونه والمغوية
 المجرية واحسن الناس بما علقهم بجه وعمره اولد بالخدمة لانا ابنه ايوب
 فمات في حياته ففهد المازن وشيرة ابنه عمه عمره عبد العزيز الملك الصالح
 وكان الناس يعرفونه صدوره وحسن دينه وفضله فسلم السور وموا
 سليمان: مفتاح الخير: وهو ابو ايوب سليمان به عبد الملك به مروان بهكم
 الاموي القرشي. وكان موصوفا بالفصاحة وجودة الفهم والفطنة وجب
 الخير والعدل والميل الى فتح البلدان والغزو. وفي سنة ٩٨ هـ اراد ان
 يقره اسمه باسماء كبار الفاتحيه فخرزاجيوسه والسن وسيرة هابقيادة
 اخيه سلمة به عبد الملك لحصار القبطينية فلما بلغوا خدعة الروم
 واصاب الجيوش جوع شديد ومحنة وبدوا ولم يزلوا حتى جفد موتا فيه سليمان
 وتولية عمره عبد العزيز فكتب اليه عمر أنه يعود فقاد ولم يصب نجاحا. وفي أيام
 سليمان فتحت جرجانه ولجده سانه مبدوا الترك ولم تكن اصرار ابن هي جيل
 ومخارم والباب يقوم الرجل على باب منزلا فدايقدم عليه احد. ولانت عاصمة
 وشعه عاصمة آباءه واما اقامة مدة خدمته فانه هالاه في دابحه به
 ارعه قسريه ولامات ووفن وكانوا يصفونه ~~الشريفة~~ ولم يكن غير
 سنتيه وثمانية اشهر الاياما. وطاه متعبا بنفسه: لبس يوا حلة
 خضراء وعمامة خضراء ونظر في المرأة فقال: انا الملك الفتى! فمات
 قبل تحفي عليه جمعة. ونظرت اليه جارية فقال: ما تنظريه؟ فقامت:
 انت نعم المتاع لو كنت تبقي غير أنه لابقاء لدولان
 ليس فيها علمت فيك عيب كانه في الناس غير أنك فان

فان تقوى الله خفف من كل عيب وليس به تقوى الله خفف واعملوا لا فرتم فان
 من من لا فرته كفاه الله امر ونياه وآفرته وأصلوا سرائركم يصوم الله عند نيتكم
 والله اني لا اعطي احدا باطلا ولا اضع احدا حقاً من اطاع الله وحبته طاعة
 ومن عصى الله فطاعة له اطيعوني ما اطع الله فانه عصيته فطاعة لي عليكم
 ولا تزل اتي بركاب الخدوة ولكن دابة سائس . فقال : ما هذا ؟ فقيل : مركب
 الخدوة . قال : دابتي اوضع لي . مركب دابته وصرفت تلك الدابة . فقيل له :
 امثل الخدوة نبني ؟ قال : لا : فان فيه عيب الى العيب - يعني سبحانه به العيب -
 وفيه خطأ لمجي لغاية حتى يتموا . ولما استقر به مجله دعا بكتاب واحد فجعل
 يمين عليه الراس الى العلى فطاه فيما كتبه كتاب لا عبد الرحمن به نعيم :
 "أما بعد فاعلم من من يعلم انه لا يصلي على المفسدين"
 والى سبحانه به اي السرى :

"... واعمل خانات محمد ربك المسليه فاقروه يوماً وليلة وتعودوا
 دوابهم ومن كانت به علة فاقروه يوميه وليلتيه وان كانه منقطعاً به فأبلغ
 بده . " وكتب الى عمه كوتة عبد الحميد به عبد الرحمن به زيد به خطاب :

"... اما بعد فانه احد الكوفة قد اصابهم سوء رقة وجور في احكام الله
 وسنة خبيثة سزا عليهم على سوء وازة قولم اليه العدل والحرارة فمذ
 يكون شيئا اهم اليك من نفسك فدا عتلكا فغيره الاثم ولا تحمل فراها
 مع عامر - يريد في امرجانية - وخذ منه ما اطاعه وأصله حتى يهر ولا يؤخذ
 من العامر الا وظيفته الخراج في رفعة وتكويه لصل الارصة ولا تأخذ به اجور
 الفرائيه ولا هدية النوروز والمهرجانه ولا نعمة الصف ولا اجور الفتوح ولا
 اجور البيوت ولا درهم الكراج ولا فراج على ما سلم من اصل الارصة فاتب في ذلك
 امري فانني قد ابدت من ذلك ما دلاني " ولا تفعل دوني بقطع ولا صل حتى تراحمي
 فيه وانظر من اراد من الذرية انه يحج فعجل له منة ليحج بلا وسوم " .
 وقال في احدى خطبه وقيل في خطبة الاولى :

"اي الناس من صعبنا فليسبنا بنفسه والا فدا يقرنا : يرفع الينا عابته

من لا يستطيع رفعه فيعيننا على الخير بجهت فويل لنا من الخير مع ما نرثه اليه
 ولا يعقبا به احداً ولا يعترض فينا لا يعنيه . . . ودعت عبيد امراته فالحمة
 فرأته يبكى وهو في مصلاه فقالت : أحدث شيئا ؟ فقال : اني تقلدت امرأة
 محمد فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والغاري والمظلم المقهور
 والغريب الميسر والشيخ الكبير وذوي الصلوات الكثيرة والى القليل والاشبه
 في افقرهم ففعلت ان ربي حيا لي منهم يوم القيامة فحسيت
 انه لا تثبت جنني فرحت نفسي فكتبت . . . واول حسنة فعلها عمر انه
 منع سب عبيده اي طبعه وكانه خلفاء مدينية يسبون ويعزونه اليه امورا
 مستكرهه فكتب عمر بن عبد العزيز الى علي بن ابي طالب عليه السلام يسأله ان
 يأمر بهدول والاحسان وابتداء الخيرة . . . وكان رحمه الله من خلفاء الانبياء
 سكن اليه الناس واطمانوا وأمنت الرعية في زمنه لانه كان لا يباي
 ولا يراعي واما الناس في حقوقه سواء عنده كبيرهم وصغيرهم غنيهم
 وفقيرهم سبهم وحقيرهم . . . فكتب اليه عامل عنده يقول :
 ان هذه المدينة تحتاج الى حصة . فوقع له في الكتاب : حققنا بالعدل .
 ومنه خلاصه : اليك والزنا ريعه فيك فاعمل فيها . . . وقوله : لولا انه ذكر
 انه فرسه علي لما ذكرته اجدلا له . . . وكان قد شرع بأمر لا يصدر عنه غيره
 ولوطالت مدة الامم وكلمه المنية التي لم تمكنه من المكوث في منصبه فمذوقه غير
 مستفيه وخمسة اشهر ونصف شهر حال بينه وبينه ما اراد : وذلك انهم
 بنزع ~~السلطة والسياسة~~ من يد علي الاموال والازخارف التي
 كانه يملكها رجل مدينية امينة وهو يعلم انما اخذت سداً وانزاعاً بما به
 بيت من الامة فزأى انه يبيدها اصددها ولكنه خاف الفتنة وقيام ثورة
 فقبل يرمي السبل رجاء انه يبعثه فيظهر ما عتزل عليه . وشعر بذلك بعلمه
 اهلهم فدسوا له السم في الدسم فزعمه اياماً وتوفي رحمه الله وهو يدبر سبحانه
 من امره المعق فدفن بـ . . . وقبره بزار اليوم . قال الشاعر :

قد بايعوه وعاهدوه على قتلى جيوسهاتم وما يرد عليهم من ملوك بني امية
فأرسلهم سالم قتل ابيه خلدون في العبر : ظهر زيد به غير مكتونة خارجاً على
هشم : داعياً للكتاب والسنه ، والى جلاء الظالمية ، والدفع عه المستضعفه ،
واعطاء الموديه ، والعدل في قسمة الفري ، وورد المظالم ، وأفضل الخيرة ،
ونصر اصل البيت . اه . وكما هو العاقل على الرواية يوسف به عمر القتيبي وهو
حينذاك في الحيرة فكتب اليه هشم ، بعد ان اعلم يوسف به امره ، يا ممان
يقال زيداً ، فكتب يوسف الى الحكم به الصلت وهو في مكتونة ، فطلب محكم
زيداً ، ثم اجتمع الثائرون من اصحاب زيد ، والفكر من جنود الحكم ،
فكتب قتلى أظلم فيه زيد به علي شجاعة خارقة وحيداً على الحرب عجيبة
واصابه سهم في جبهته فلما عاد الى منزله في المساء نزع رجليه وقدم رجليه
فترفد منه فمات من ساعته ودفنه اصحابه وفي اليوم الثاني تفرقه حشمه
وحجبت عنه حكم فمتر عليه فقطع رأسه وارسله الى يوسف في الحيرة ويوسف
بعث به الى هشم في شتم فكتبه على باب دمشق وانقطعت الفتنة .
وكما في ايام هشم حروب كثيرة مع خاقان الترك استمرت بقتله فقاموا بملكوا
بعده بودة وفازوا بفنائهم وافرقة . وتمرك فريه من فوارج بيدة
الظهور فلم يهم هشم فوجئ اليهم جنداً فلان قتلى ختم بقوى ثائرتهم
وتخضيد شوكتهم واستناب الامر له . وكان هشم محباً لجميع هؤلاء
منفوتاً بالبنين : قبل لم يجتمع في خزائنه احد من ملوك بني امية من الملوك ما اجتمع
في خزائنه . قال الساجي في الامجاد والوجاز : قيل لسهل هشم - قبل أنه
علي محمد الملت - : أقطع في اخوته وانت جبايه بنيل ؟ فقال : كيف لا
أطيع ؟ وأنا عفيف عليهم . . قال : وكتبه الى اخيه سلمة به عليه الملت :
" طرر عكرت من اصل الفاد فان الله لا يصلي على المفدين ."
وقتل ابيه الاثير في الكا من عه مجمع به يعقوب الانصارين بخدة تدل على علم
هشم

هشم وحسن اخذوه قال: شتم هشم رخصته الشراف فوجّه الرجل
وقال: اما تسمي أنه تشتمني وانت خليفة الله في امره ؟ فاستحي هشم منه .
وقال: اقتصر مني ! قال: اذا انا فيه ملث ! قال: فخذ مني عوضا
المال ! قال: ما كنت لأفعل ! قال: فزهدا له ! قال: هي لم تم لك ! فغضب
هشم رأسه واستحي وقال: والله لو اعود الى مثلها ابدا !

ولما طالت سنة ٨٤٥ هـ مرص هشم به عبد الملك وهو في الرصافة
(قال يا فتى: رصافة هشم به عبد الملك في غربي الرقة بينها اربعة فراسخ
على طرف البرية بناها هشم لما وقع الطاعون به ثم وكاه يسكر في الصيف ؛
فهي غير رصافة بغداد والبعرة) ففكر في امره يدي خذوته بعده ولما به
اخوه يزيد قد علمه بل الى ابنه الوليد به يزيد : فرأى هشم انه الوليد لا يفلح
لا ولا هو له رجلا فحول خلعهم وتولية له يكونه اولى منه بل فلم يستطع
ومات في الرصافة ومدة خذوته سبع عشرة سنة وتسعة اشهر وايام .

الوليد بن يزيد

— ولد سنة ٨٤٦ هـ وقُتل سنة ٩٠٦ هـ —

قلت في آخر سيرة هشم اب لغو زكره : ان هشم ما رأى الوليد ليصلح له خذوته .
وزندك الى كانوا يصنفونه به من حب المجنون والميل الى اللهو وابتدأ الله ائذ
على التفكير بشؤون الملك . واولئك أن اضرب صفحا عن الخلق بعظماء
الرجال الذين عقدت اليه على ائبانهم في هذه المصنف . ثم رأيت بعض المؤرخين
يذهبون الى التناء على الوليد ويعدّون ما قيل فيه افتراء عليه وهم يرون
له شرا حسنا يصلح لنا ان ندعوه به شرا الملوك الامويين . وعلماء
الادب يذكرون ان كثيرا من الشعراء الكبار كانوا يواسون وطبقته يسرقون ما في
الوليد ويدمجون في اشعارهم . فقلت : اذا لم يكن الوليد ملكا هاما
فوق غير مجيد ولم ار اخذوا الكتاب من وصفه . وهو : الوليد بن

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : ~~ففي ليلة يوم غدٍ~~ ~~ففي ليلة يوم غدٍ~~ ولي
الخوف بعد عظم بعد من أبيه يزيد . قال أبا الوثر المؤرخ بعده ذكر أخاه
ونسبه : وكان له من فتياه بني أمية وظهر فائهم وشجعانهم وأجوادهم وأشدائهم
منه كما في اللهو والشرب وسماع الفناء . ومن جده شعوب قوله لما بلغه أن
هنا ما يريد خلعه وكتب إليه بهويات :

رَأَيْتُكَ تَبْنِي دَائِبًا فِي طَبِيعِي وَلَوْ كُنْتُ زَاغِزِمَ لَدِمْتُ مَا تَنْبِي
تَبْرِعِي الْبَاقِيَةَ تَجْنِي ضَغِينَةَ فَوَيْلَ لِمَ أَدِمْتُ مَدَّ شَرِّ مَا تَجْنِي
كَأَنِّي بِهِمْ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِي الدَّيْسَةُ وَاللَّيْتُ أَذْكَاءُ لَلْغَيْفِ
كَفَرْتُ بِدَأْمِ نَعْمٍ لَوْ شِئْتُ جَزَائِكَ جَزَاءَ الرَّحْمَةِ وَالْفَضْلِ وَالْهَيْفِ
يُشِيرُ إِلَيْهِ بَأْسٌ لَوْ صَرَفَ الْخُوفُ عَنْهُ وَمَاتَ لَحْدَتِ حُوبٍ وَتَقَالُحُ وَفَتَنٌ . وَلَا
مَاتَ هَتَمٌ أَقَى خُبْرَهُ الْوَلِيدَ وَهُوَ فِي مَجْلَسِ طَرْبٍ فَأَصْنَعِي قَبِيضًا وَارْتَفِئِي
أَبْهَ بَغِينِي :

طَابَ لِيَوْمِي وَلَذَّ شُرْبُ السُّوْفِ وَأَتَانَا نَعْيُ مَهْ بِالرَّصَافَةِ
وَأَتَانَا الْبَرِيدُ بِنَعْيِ هَتَمٍ وَأَتَانَا بِنَخَاتِمِ الْخُلُوفَةِ
فَاصْطَبَحْنَا مِنْ فَمْرِ عَانَةٍ صَرَفًا وَلَهُنَا بَقِيَّةٌ عَمْرًا
فَفَضَاهُ بَرًّا وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي مَهْ تَوَلِيَتْهُ أَجْرِي عَلَى الْإِزْنِي مَهْ أَهْلُ
اسْتَعْمَ الْجَرَائِدِ وَكَسَّ الْمَعُوزِينَ وَأَمَرَ بِأَحْصَاءِ الْعَمِيَاءِ وَأَنَّ
يُدْفَعَ إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ خَادِمٌ يَجِدُهُمْ وَفَرَّغَهُ عَلَى النَّاسِ الْعَطَايَا وَالْمَنَحَ
وَلَمْ يَأَلْ شَيْئًا إِلَّا سَمَحَ بِهِ . وَقَالَ :

ضَمَنْتُكُمْ أَنَّهُ لَمْ يَعْثُرْنِي عَائِدُهُ بِأَهْ سَاءَ الْفَرِّ عَنْكُمْ سَتَقْلَعُ
سَوْسَدُ الْخَالِ مَعًا وَزِيَادَةُ وَأَعْطَيْتَنِي عَيْبَكُمْ تَبْرَعُ
فِي جِسْمِكُمْ وَبِوَانِكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ بِهِ تَكْتَبُ الْكُتُبَ بِشَرِّهَا وَتَطْبَعُ

هو الذي قتل خالد به عبدة القسري وقال في ذلك قصيدة العلقم يوبخ اهل بيته
 وكانوا قد حاولوا نفرة خالد ثم تخلوا عنه وقيل انه القصيدة لاحد مشركي اسمه
 جهم على اسم الوليد واداره حقيقة . قال الوليد :

الم تُرْتَجى فتذكر الوصالا وحيدا كان متعبا غزا
 بل فالد مع منك الانسجام كما والمزن ينجل اسما
 فدع عنك اذ لك ارك آل سعدك فغن الاثرون حصي ومانا
 ونحن الما يكون الناس قسدا نسوم المذلة والنكالا
 وطينا الاسرى بياض قيس فيالك وطاة لستقا لا
 وهذا خالد فينا اسير ارا منقوه ان كانوا رجالا
 عظيمهم وسيدهم قديما جمعنا المخزيات له ظلالا
 فلو كانت قبائل ذات غر لما ذهبت منائع ضلالا
 ولا نركوه سوبا اسيرا يعالج من سكون الثقالا
 ولكن الوقائع ضعفتم وجهتهم وردتهم شلالا

وانثرت هذه القصيدة في البيانية فاخذوا يسمون في قتله وقال حنيفة به
 بيته التي عر يدع الوليد في ابائته السابقة :

وصلت سماء الفر بالفر بعدا زعمت سماء الفر عنا ستقلع
 فليت هت ما كان حيا يسونا وكنا كما كنا نرجي ونطمع

ثم اتوا يزيد به الوليد به عبد الملك فارادوه مع البيعة فأطاعهم فبايعوه
 وانفقدت له البيعة سرا وفشت الدعوة اليه في الناس واستفحل
 امره وشعر بهم الوليد فاراد قهرين حبيبه فرأى الناس عنه راغبية
 فندف بجانله يقاتل يزيد واشتبا مع فشب القتال ثم انزعم الوليد
 فدخل قصر النخاعة به بشير في الجراء بظلمه ومعه واغتمه باب ثم اخرج

ولما كثر زهرا ولا أكثر من ذلك ولا أعطيه زوجة وولداً ولا نقل من ذلك بعد
حتى أسد نفوسهم وخصاصته أهله بما يقينهم ففاضل عنهم فقلته لا البلد الذي
فيه ولا جبركم في نفوسكم فافتنكم ولا اعلمه بآية ورويتكم ولا اصل على
اصل جزيتكم ولكم اعطيتكم كل سنة وارزاقكم في كل شهر حتى يكونه اقساكم
كما دناكم : فانه وضيئت لكم بما فعلت فعبكم السبع والاربعة وحسن الوزارع
وانه لم آف فلكم انه تخلصوا له لانه اتوب وانه علمتم احداهم يعرف
بمصرح يعطيتكم منه نفسه مثل ما اعطيتكم واردمتم انه يتابعوه فاناول
من يتابعه اي الناس لا يات عنه لمخلووه في معصية الله . وكان الوليد
قد زاد في اعطيات الناس (اي روايتهم) عشرة عشرة من الدراهم فلما
ولي يزيد فقصر فمقبوه . يزيد الناقص . وكان مولده سنة ٨٦ هـ
وقول الخدفة سنة ١٠٤ هـ فقام ضيفة فمته اسر وثمانية ايام ومات
في هذه السنة وليس في تاريخ حياته ما يجمعه في العطاء اما اخبار ايام
كثيرة كما قلنا وهذه ليست من خصائص هذا الكتاب فارجع اليه في
تواريخ المذنبين والعصور .

// ولما مات يزيد به الوليد به عبد الملك قام بعده بهراخوه ابراهيم به
به الوليد به عبد الملك : وكانه ضعيفاً مغلوباً على امره مغلوباً اليه
به فازدراه اتباعه فلما توارثه تلموه عليه بالخدفة وتارة بهرام
وتارة لا يستلم عليه بواحدة منها فمكت سبعة (وذلك سنة ١٠٤ هـ
- ١٠٥ هـ) فثار عليه مروان به محمد به مروان وكانه والي اذربيجان ودعا
لانفسه بالخدفة وسار اليهم فانفسه امورا استمال بها الخدفة اليه
وعرف ابراهيم محزه به دفع هذه الفائلة وكانه علم ما عرفه من الضعيف
ففر واختفى فاستولى مروان على اسم ثم اسن مرسله ابراهيم فظهر في سنة
الخدفة لمروان . وكان مولده ابراهيم سنة ١٠٤ هـ

مروان بن محمد

— ولد سنة ٧٤٠ وقيل سنة ٧٤٤ —

قدّمنا أن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وثب على إبراهيم بن الوليد فاغتصب الملك منه وزى له مروان هذا ذكراً كثيراً كثر الحورود في التاريخ فندى بنى إسماعيل وانه لم يكن قد أبقى له الآثار ما يذكر به فإياه ليست به أيام ابقاء آثاره وتخليد الذكر : وثقه هشام بن عبد الملك عبد الرحمن (سنة ٧١٤) فصار إليه واقتحى بدواً وقدموا واستولى على دريات كثيرة من مرمينية إلى طبرستان وفي سنة ٧٤٧ م كانه عاملاً على أذربيجان فبلغ ما أصاب الدولة العويية وهي على ما رأيت من ضعف الملكة وتقرب منده وأخطار أبيه فدعا الناس إلى البيعة له فبايعوه وقدم بجيش كبير إلى أنهم فتحوا إبراهيم وسحقوا على عرسه بني مروان . فكثر في أيامه فتحه التائبية والغاليلية لما اثبت بهم من روح الشقاق والخروج عنه طاعة هذه الطائفة المملوكة فكانه كفى رآب صدعاً انصدع رآب وكما داوى جرحاً سلى جرح وسترى في كلهم على خلفاء بني العباس ما صنعوه من بدائع الحق اليهم وتوجيه الناس عن بيعته بني أمية وأما في عبيد القوق فلما رأوا أنه لا مصلح إلا في وهو قائد الأعظم الذي أقام العباسية في فراسه أوتوا ثم جردوا وخلفاءه من فراس والعراق يدعوا إلى بني العباس بن عبد المطلب الراشدي النعماني وخطفوا عليه ووثقت في حفرة مروان ومنه وإلا به فجمع ما استطاع فجمع من الجيوش وذلك سنة ٧٤٤ م وقصد قتال قحطبة بن شبيب الطائي ولما أبصر الخراساني قد سبّه إلى طوس فلما عظم شأنه سار إليه مروان بعسكر فقتل بالزباب وهناك حبسه من فكر قحطبة عليه عبيد من به فبع فاشتدت بينه وبينه الأوب فأنزله جنود مروان ثم وفرّ مروان إلى الموصل ثم إلى حران ومنها إلى حقة فقتل عليه وانتهى إلى البوصيد من أعمال ملر . ولما بلغ (أول

الخلفاء

الخلفاء العباسية) قد كتب لا عبيده به على يامع بأنه يتعقب مروان فحقه
 حتى ادركه ببوصيد فقتله وبعث برأسه الى السفاح وهو في الكوفة سنة ١٤٠
 وهو آخر ملوك بني مروان وبه انقضت دولتنا بني امية : المعوية والمروانية
 في اسم . وصفا المحدث لبني العباس على ما سندرجه امة الله .
 ورواه مروه : كثرنا الكنوز فما وجدنا كتراً انفع من كثر معروفه
 في قبة صر : ايام القدره وانه طالت وانه طالت قصيرة والمتعة
 بل وانه كثر قبيلة .
 وانه مروه حازماً مدبراً فلم ينفع عزمه وتدبيره عند ارباب الملك
 وانخلول السوء .

الدولة العباسية

أتمهده

قتل الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي والأبصار حائمة على شخصه المحبوب فانقلبت القلوب
تلكم والاسن تنفاه وترثيه واتخذ بنوه اسم مقتله ونام من كثر من عليه ذريعة لبث الضعيفين بالمدين
على بني امية وأحد فرهم ومحضاً يثرون به نار الحقد والبغضاء وكانوا على أنسوا من أنفسهم قوة
هيموا فرقة من بنيهم فثار محمد بن علي من عمره من خلف بني امية فلم يظفروا ببدء ذي بدو لما
كان أولئك قد اتخذوه لأنفسهم من الوقاية وما أعدوه من العدة حتى كان العلم الأخير من القول
الأول بالجرة فكثرت انفسهم وبلغت نابقتهم وعقدت شالبا الدولة لما كنه وأحصيت
هقوقاتها وزلاتها وكان مرجع الهاشميين في ذلك الحين إلى جليليها محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس ، وأبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . ثم مات أبو هاشم مسروراً قبل سنة ثمان
ابن عبد الله وأوصى أصحابه والرعاة اليه بتابعة محمد بن علي : وكان محمد ينزل أرض الشراة
من أعمال البلقاء بانهم فاقبلوا عليه فبايعوه سرا كما كانوا ~~ي~~ بايعون من قبله
فاختار منهم رجالاً وثق بهم فسيرهم إلى الأفاق لبث الدعوة اليه ولتبهم كما تباكون
لهم مثلاً وكسرة يسرون لا وهو أشبه بنظام جمعية سرية ثورية . فانهم
وهم كل شئ فيهم شئ من ولادة بني امية اظهروا انهم يشتغلون في التجارة
وفي سنة ١٠٧ هـ وثني جماعة منهم في فارس واشت إلى أميرها سعد بن عبد الله فقطع
أدى من طرف به منهم صلهم فكتب بعضهم بذلك إلى محمد بن علي فاجابه الحمد الذي صدق
وقوتكم وحقق نقائكم وقد بقيت منكم قتلى ستعد . ومن غير يارهم أن سعد بن
عبد الله علم بدعاة منهم سنة ١٠٩ هـ فقبض على أحد عشر رجلاً يرأسهم أزياد أبو
محمد مولى همدان فقتله سعد ورضى البراءة منه على أصحابه فمن تبرأ خلق بسبيله فبتر ألسان
نتركا

فتركوا وابى البرادة ثمانية فقتلوا فلما كان الفد أقبل احد الاثنين الى اسد فقال: اسألك
أن تتحققني يا صحابي! فقتله . سنة ١٤١ هـ و اخذ العصفان زيد بن علي بن
في الكوفة فكان من امره ما ذكرناه في ترجمة هثم وقتل سنة ١٤٤ هـ وفي سنة
١٤٥ هـ توفي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وادعى الابن ابراهيم بهتم بالقيام
بأمر الدعوة . وفي سنة ١٤٦ هـ وجه ابراهيم بن محمد الادمي ابا هاشم بكرب
ما هان وهو من امته الى فرسان فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة فنفى
محمد بن علي ودعا الى ابراهيم فقبلوه ودفعوا اليه ما اجتمع عندهم من الاموال
وكانت الشيعة تدفع الى النقباء في كل سنة خمس اموالا يستعينون به على بث
الدعاة في البلاد فعاد بكبر الى ابراهيم بامرو . وفي سنة ١٤٨ هـ كان قد نقل
بابراهيم بن محمد ابو مسلم الى واسم عبد الرحمن بن سلم (انظر ترجمته) ورأى منه
ما جعله يثق به فوجه الى فرسان وكتب الى من به من الشيعة أن يأتروا به
ويطعموه فأبوا ذلك واستصغروا سنة وكان في التاسعة عشرة ثم فرهم
به ابراهيم فأطاعوه . وفي شهر شعبان سنة ١٤٩ هـ نزل ابو مسلم قرية من قرى
مرو يقال لها فنين فجمع حوله النقباء ورؤساء الشيعة وفرقهم في البلاد
وأمرهم أن يظهروا الدعوة في الليلة الخامسة والعشرين من شهر رمضان في جميع آفاق
يوم واحد ومن خالفهم قتلوه . وذلك بعد أن اعتقد ضعف خلفاء بني أمية
ونفرت الناس منهم وكثرة عدد الشيعة في الاقطار . فتفرق اصحابه في طخارستان
ومرو الروذ والطارقان وخوارزم ثم انصرف هو الى منزل قرية سفيدنج من
قرى مرو في الليلة الثانية من رمضان فبث الدعوة في الناس واظهر امره فأتاه
اهل سنين قرية من قرى فرسان : داي فرسان نصر بن سيار مستن في قتال جماعة
فرجوا عليه . ولما كانت ليلة الخميس في ٢٥ رمضان سنة ١٤٩ هـ وهو اليوم
الموعود المتفق عليه عقد ابو مسلم لواء كان ابراهيم الادمي قد بعث به
اليه يدعى الظل على رمح طوله أربع عشرة ذراعاً ونشر راية تدعى السحاب

وسب هو وصاحبه السواد واوقد النيران في الليل وكانت عدوتهم فاجتمعت اليه شيعته فذبت
 عليه الرجال وكتب كتاباً الى نصر بن سيار فوجه اليه نصر جيشاً عليه موده يزيد
 وعلم به ابو مسلم فسير اليه جيشاً عليه مالك بن الربيع ثم خرجوا نحو قنبريا
 بقوة تعرف بالدين فاستريزوا وانزموه معه ووجهي به الى ابي مسلم فاجلس
 ابو مسلم اليه وعالجه حتى اندملت جراحه وخير به بقاء معهم او الرجوع الى نصر
 على أن يعاهد لهم انه لا يجر بهم ولا يكذب عليهم بل يقول فيهم ما رأى فعاذه عاده
 فليم ابو مسلم على تركه فقال: ان هذا سيد عظم اهل الورع والصلاح فاختارهم
 على دين الاسلام وكان الامر كذلك فانهم كانوا يصفون بانهم يعبدون اوثان
 ويحملون الدماء والموال فلا انصرف اليهم يزيد نفى عنهم ما يقال فيهم من اوجه
 ثم اجتمع الناس على قتال ابي مسلم فقاتلهم في سنة ١٤٠ هـ ودخل مرو وهرب نصر بن
 سيار الى سمرقند ولحسن ونيسابور وانتهى الى سادة مرقى ابي نصر
 فمات بها . وبعث ابو مسلم الرجال الى الجبلات حتى امتلئت كل دابة فراساً
 وسير الجيوش الى الشام والعراق . وكان مروان بن محمد بن مروان قد فرغ من كتابته براهم
 الامم الى ابي مسلم عرف فيه ما بينها فكتب اليه عليه بالبقاء اليه بوثة براهم
 ويرسل اليه فاتي به فحب مروان في حران . وارسل ابراهيم الى اهل بيته يأمرهم
 بالبيعة اخيه ابي العباس عبدالله بن محمد وأن يجلوا المكونة في رحل بهم بوليس
 ولما علم مروان بما صنع ابو مسلم في فراخه الى ابراهيم فقتله سنة ١٤٢ هـ
 وفي هذه السنة عظم امر ابي مسلم ووصل الى المكونة بوليس اخذ براهم
 فبوج بالخلافة جهراً . وامر ابو العباس محمد بن عبدالله به علياً بن عبيد مروان
 فقصده وقاتله بالزاب فانزمو مروان الى بو صير كما قدنا في الكلام عليه
 وشبه عبدالله فقتله في بو صير . وصفت الخلافة المديونية لابي العباس عبد
 الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب به ثم قتل عابداً العباس بن ماسي .

ابو العباس السفاح

— ولد سنة ١٠٤هـ وتوفي سنة ١١٤هـ —

أصبح الملك بعد بني أمية ثابت مؤسس لبني العباس وأولهم: أبو العباس عبد الله محمد بن علي بن عبد الله العباس عم النبي «ص». وذلك مع ما بيناه في التمهيد السابق: قولي بكونه سنة ١٠٤هـ بعد أنه قتل رواه به مرة آخره مذكور في رواة وكما أبو العباس هذا شهيد العقوبة حازماً مفكراً. لم يأل جهداً في انتقام بني أمية بل أخذ يقتل ويصلب ويحرق كل من ظفر به منهم حتى ثقت شديداً واختفت آثارهم ولم يبق منهم غير الأطفال ومنهم زهير الأندلسي ونسبه قبورهم فرأى معاوية بن أبي سفيان قد فني وأبنة يزيد لم يبقه إلا هجسته ووجدتهم به عبد الملك لا يزال عليه لحمه فأخرجه وصلبه وخر به باليل حتى تناثر لحمه ثم أمر به فأحرقه وذره رماده في الفضاء. ولم يفر أبو العباس بعد بن كاه جميع أمرائه ودولته الكذبة وهو وجبرهم على أن يسموه بغيره لأنهم كانوا يسمونه في قلوبهم من الاعتقاد الكافرة فانه عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية نسيه رجلاً لا الطعم فلما كانوا عنده أشد من عرس بن عبد الله بن أبي هاشم أيا تأخره برى عن قديمهم وذكر بما صنعوا فشارك فضيعة وأمر بهم ففرضوا بالعدو ولبطت عليهم الموضع فلبس هو وأصحابه عليهم يأكلونه وهم يسمونه انهم مدخنتهم حتى ماتوا جميعاً. وسماه به عبد الله بن عباس قتل منهم ببيعة جماً وأفراداً والقاهم بالحب فأكلمتهم. وأمدت اليهم الأيدي من كل ناحية وصوب حتى فني أكثرهم ونجا من فرار الأندلس حيث أسست الدولة الأموية الثانية هناك وسنكلم في الفصل الآتي عن رجاله. ولقب أبو العباس «السفاح» كثرة ما سقى مداه بني أمية. وبني في مدينته ساهداً الإسمية «وجعلها مقرونة

واتخذ لوزراء وهو اول من احدث هذا المنصب في الوزارة في مدينته فانه يومئذ لم يكن لهم من يطبقونه عليه هذا الاسم وانما كانوا يقرّبونه منهم رجلاً يستشيرونه في بعض شؤونهم ويقولون عليه آرائهم . ولما كان السفاح قد استولى على المدينة لا بعد دعداً ويؤخر عنه وقتاً وهو اول خليفة في الاسلام وصل مبلغ مليوني درهم ، ولما مضى خاتمه بالبيعة : وذلك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتقنم في بيته وكذلك الخلفاء بعده ولما ولي معاوية جعل في بيته وقتاً به بتواضع فلما استولى السفاح اعاده الى بيته وتابعه الكثيرون : وبقي يتنقل في البيعة حتى كانت ايام الرشيد فنقله الى ابيار وتبعته الناس حتى انزل . وكانه خصيئاً متادّباً . وفي كلامه :

«لأؤمّن الله حتى لا ينفع الاشارة ولا كرم من الخاصة ما امنتهم على العامة ولا أؤمّن حتى يسهل الله ولا عليه حتى لا ارى للوطية موضعاً .»

«ما اقبلت بنا ان تكون الدنيا لنا واولياؤنا خالونهم من حسن آثارنا»

«اذا عظمت القدرة قلت الشهوة» .

مرعه بالحدري وهو شب في الثانية واشتهر به مدعى ومات بموئيد فدفن

في قبة من القبة بالحدري الا انه الى جعفر المنصور . ولما تفرغ في ايام توفاته فتمت القوة وشدة اجتهاده ونش طمعة المنك .

ابو جعفر المنصور

- ولد سنة ٩٥ هـ وتوفي سنة ١٥٨ هـ -

قد صاعد من لدن في طبقات الامم : «اول من عُني بالعلوم من سوك العرب بغيره الثاني ابو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، وكان مع براعة في الفقه ، وتقدم في علم الفقه ، وخاصة في علم صناعة النجوم كلفاً بلواً هلاً .» وكان مولده بالبرقة (كان في المارق) وولي الخلافة بعد اخيه السفاح : بوليع يوم وفاته بموئيد سنة ١٥٨ هـ تقدم عليه

في بناء مسجد فوقه : « وانه شرط الامة انه تكثر المساجد فزد في
خطاك ميزه في اجرلك » .

وادعى ابن المهردي قبل وفاته فقال :

« لقد جمعت لك هذه الاموال ما واه كسر عبيد الخراج عشرينه
لثقات لا رزاقه كجند والنفقات والذرية وصلة البعوت فاياك
وهرة والتبذير باموال الرعيه واسحق الثقور واضبط الاطراف
واستن السبل العاتية وأدخل المرافقه عليهم وادفع المكافه منهم وأعد
الاموال واخذ نرا فاة النوايب غير مأمونه وهي مرسوم الامانات
وأعد الكراع والرجل واجند ما استطعت واياك وتأخير عن العمل
لا الفد فتستارك عبيد الامور وتضيع وأعد رجلا في الميل لمعرفه
ما يكونه في النهار ورجلا في النهار لمعرفه ليكونه في الميل وبئر الامور
بنفسك ولا تفجر ولا تكسر واستعمل ضيه الظلة وأسبي
الظه بمقتك ولتأبى وخذ نفسك بسبقا .

وفي سنة ١٥٨ هـ اراد المنصور الحج فارسا لانه في الكوفة ورض
فات ببئر ميمون لا مزارعه كتبه تدرج ولانت مذكوفه اثنيه وحشيه
عاماً .
قال حقيقتي . ودفن بالبجور

هارون الرشيد

— ولد سنة ١٤٦ وتوفي سنة ١٨٤ هـ —

فات ابو جعفر المنصور وتولى له بعده بعهده ابنه ابو جعفر محمد المهردي فكانت خدمته عشر
سنيه لم يأت فيهرة بعين يدل على ما جمعنا نفرة في قرن مع عطاء الرجال .
وكان مولده سنة ١٤٦ وخدمته سنة ١٥٨ وموته سنة ١٦٨ هـ بمسجد
وبعد المهردي تولى ابنه الهادي موسى به ممر المهردي ولله ضميمات استبدت
الحيزان بلامور فلم يشمر لاد والقواد والرؤساء بخدمه ويرضونه لابل فزها
عه الدخول في شؤونهم وقال لها نما هذه الخواكب التي تقعد وتزوج الربابك أما سطر
مفضل

هذا هو
الشيخ
الشيخ
الشيخ

منزل يفسد اوصاف يذكر لك اوصيت يصونك اياك انه تقني بابك سلم
او ذمى نايض ضارب عنقه وقا بعه ماله . فانفدت وهي مفضة وامر جواريا
انه يقتله : فجلس على وجهه وهو نائم فمات . وكان مولده سنة ١٤٤ وخوفته سنة
١٦٩ وموته سنة ١٧٠ هـ وليس بذي بال .

اما الرجل الذي امتدت باحاديه صحائف الاخبار وشكنت آثاره
الآثار فهو صاحب هذه الترجمة : ابو جعفر هارون الرشيد به المهدي محمد بن منصور
خاصه خلفاء العباسيه واشهرهم علم الاطوبه : خدم العلم وقرب العلماء
مدحهم رافعا مدشاتهم وموسعا عليهم في العلم . وكان عالما بالادب واخبار
العرب والحدith والفقه وله محاضرات مع علماء عصره : شجاعا مقداما كثير
الغزوات : حازما كريما متواضعا لدولي العلم والفضل : وكان عجم سنة ويفرد
سنة حتى قال فيه بعضهم :

منه يطلب لقاءك او يردوه ففي المرمية او أقصى النور

ولي قبل مندفته أعماله لدبيه واخيه وغزا الروم في القسطنطينية فضالته الملكة
ايريني (Irene : ٨٥٥-٨٨٠) على أنه تقفدي منه الملكة الروانية
بسببه الفدينار تدفرا اليه في كل عام . ولما بولس بالحنونة وله العراب
نور وده سنة قام باعباء الملك احسن قيام وتب في افعاله بالمنصور الى في بذل
الحال : فانه لم ير خليفة اجود منه الرشيد . وكان له ليعض عنده احاسه حسن
ولد يؤخر . وكان يحب الثراء والشراء ويحب ان لهم الله . وكانت دولته
به احسن الدول واكثرها وقارا ورونقا وخيرا : ولم يجمع مع باب خليفة
من علماء ومثوا ، وكتب كتاب والنداء ما اجتمع علم باب . جاءته البيعة ليلة
وفاة اخيه الهادي وفي تلك الليلة ولد ابنه المأمون : فكانت ليلة : ولد فيه خليفة
وولي خليفة ومات خليفة . وكانت بينه وبينه ملك فرانكا كارلوس الكبير
الملك بشار له (Charlemagne : ٨٠٤-٨١٤) صلة وثيقة
العري وكثيرا ما كان الرشيد يحفه بالهدايا ومه جملة ما اهداه : ساعة شمسية

وقافة و شطرنج نعيمه وارسل اليه مفتاح كنيسة القمامة في القدس
 مع امر لنوابه بأنه يعاملوا زائري الاراضي المقدسة احسن معاملة . ولما
 الرشيد يطوف في اكنة الديار مستنداً بالبلية العامة في اسوانه بغداد وشواغل
 فضعف من امر رعيته فاضفي عنه مد ظالم يزجج اورطولهم ينهض او عالم يقر به .
 ولما دعوا الى خليفة عربي لعبه بكدة والصولجابه . وهو صاحب وقعة البركة
 وكانوا طائفة فارسية اوصل استولت على الهند ادارته وسياسة وملك
 ورجله فخاف الرشيد باورة تبدر منهم نحو فقتل بهم تلك الفتنة
 الالمة فقتل بعضهم وشرد بعضاً وسجى آفريه في ليلة واحدة لم يتركوا
 بها ولا اهل عرلة يقومون به لا علم قوتهم وتعرضهم في الدولة وبعمال ورجال
 وذلك سنة ١٨٧ هـ وسبأ في السلام عليهم ايضاً في اخباهم . ولما خرج
 يحمل اليه من القطنينية منذ غداها في ايام ابيه فلما كانت سنة ١٨٧ هـ خضع
 الرومانيون مملكتهم ايريني ولولا عليهم ملكا يدعى نيقفور ()
 فكتب نيقفور الى الرشيد كتاباً ترجمته : « مه نيقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب
 أما بعد فانه الملكة ايريني حلفت اليك من اموالها ما كنت حقيقاً بأن تحمل اصنافاً الى
 لكه ذلك ضعف الثمن وحققت فاذا قرأت كتابي هذا فارود ما اخذت والله
 فالسيف بيننا وبينك » . فقرأ الرشيد الكتاب فغضبه واجابه عليه بكتاب :
 « مه هارون امير المؤمنين الى نيقفور ملك الروم : قد قرأت كتابك والجواب
 هاتراه دونه ما تسعه » . ووجد جيشاً جباراً وسار يكره الله ويدتر
 المعامل حتى قرب من القطنينية فارتاع ملك الروم والقى السيف ففر به الرشيد
 الحزينة وعاد فلم يبلغ بغداد حتى بلغ انه نيقفور نكت عرته فخرج اليه ولم يبال
 ببردته البعد ونحوها فذكر واقرّب حتى بلغ البوسفور فقتل نيقفور ثم اضعف
 عنه ثم اضعف وغدر ثالثة ففر به الرشيد ضربة كادت تكونه قاضية فقتل بالجمية
 الروم اربعون الفاً في وقعة واحدة وخرج نيقفور فانتهب الرشيد منه وسلبه
 ثم جعل عليهم مد يبعثوه به في كل سنة فاطاعوا و اقبل الرشيد على بغداد فظفراً
 فخر

وكان قد أرسل رافع بن ربيعة عامدًا على فراسه فلما اطمأن به تركه فخرج اطمأن
واظهر العصيان وتبعه كثير من فاغار على مدينة سرقند فمكها وقتل على
فبلغ الرشيد ذلك فأغضب فركب في عسكر ضخم فرصد في الطريق ولما وصل
إلى مدينة طوس مدّ على فراسه مات برأفة من هناك . وادعى
بالخوذة من بعده لابنائه الذين هم الأمويون ثم المؤتمرون . ووردت
ثبوت في سنة . وكانت عاصمة مملكة بغداد .

تراجم الاوائل

عم به عيه به ما صاه . وسارعه هرب به حيه حتى بلغ بغداد فصار صاهم اقتصر
وفرا لويه فقبه عليه بعهه جنود هه فقتلوه واخذوا اليه رأسه فنبث به الى
المولت وابتدأت خدمته المأمونه مع ما سيأتي . ولله مولد الامير
سنة ١٧٠ وتولى خدمته سنة ١٩٢ وقُتل سنة ١٩٨ هـ .

المأمون

- ولدت سنة ١٧٠ وتوفي سنة ١٩٨ هـ -

سعدت الدولة المملوكية في زمانه رجال كانوا خير من اخبرتهم بطونه الامرات ظفرت بهم
الامة بافقيت انزلوا مشيدي ذكرها ومؤسسي مجدها وكان من الطراز الاول فيهم صاحب
هذه الصحيفة الذي كانه قصارى الملوك من بعده انه يشبهوا به ويتخذوه قدوة
في احياء دارس المعارف وشركاء العلوم واکرام النابغين بما ينشط المتفكرين
بالدرس المنطعية لا البحث والتقصيب والتأليف والتصنيف على متابعة السير في ذلك
السبل الحميد والمنهج الرشيد .

قال صاعده المولدي في طبقات الامم : لما افضت الخدمة الى الخليفة السابع - من الخلفاء
العباسية - عبد الله المأمون به هارونه الرشيد به محمد المهدي به الجعفر المنصور ثم
ما به أبه جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفن
همة الشريفة وقوة نفعه الفاضلة فدخل ملوك الروم وأتقوا بالهداية الفطرية بأنهم
صلته بالديار من كتب الفلاسفة فبعثوا اليه بما عرفهم من كتب افلاطون وارسطو
وابن بطا وجاهل بنون واقليدس وبطليموس ، وغيرهم من الفلاسفة ، فاستخاروا
مترجم الترجمة ، وكنوعهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما امكنه ، ثم حفظ الناس
على قرائتها ، ورغبهم في تعلمها ، فنشفت سوق العلم في زمانه ، وقامت دولة محكمة في
علمه ، وتنافس اولو النباهة في العلم ، ما كانوا يرونه من احفاده لم يتعلموا ،
واختصاصه لم يتعلموا ، فكانه يملوهم ، ويأمرهم بما يظن انهم ، ويلتزم بمذاكرتهم ،
فينالونه هذه المنازل الرفيعة ، والراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر
العلماء والفكر والمحدثين والمتعلمين واهل اللغة والادب والمعرفة
بالشعر

الشعر والنسب ، فأثقفه جماعة من ذوي الفنون والتعلم في أيامه كثيراً من اجزاء
الفلسفة ، ودرسوا له بعدهم مناجح الطب ، ودرسه وأصول الأدب ، حتى كادت
الدولة العباسية تضاهي الدولة الرومانية أيام أنطاليا ، وزمانه اجتماع شمل
تولى أبو العباس المأمون أخو له سنة ٨٠٨ هـ وصفت له بعد مقتله
مؤمن عشرين سنة خدم في الامة الإسلامية والعالم العربي خدمة لا تنسى على
وجه الدهر . وطاه أفضى بني العباس على العلوم ، وأثر لهم حراً وفطنة واستقام
بشعر العلوم واشتغل في الفنون . وأطلع في أيامه حراية العلوم للباحثين
واصله بدل والفلسفة ونشر إمامه لكل باحث برأيه معلمه لمذهبه وإيه خائف
الجهور أو كغيره أو زنده فكانت بغداد في أيامه أشبه بمدينة راقية من بلاد الغرب
اليوم تقام فيها الاجتماعات لحوضه الباحت المختلفة ووجه سيطر أورتية . وعلى
ذلك آخذ عام حرمية الجويني : قال في كتابه : « غياث الأمم » :

« وقد اتفقه المأمون وكاهن من أئمة الخلفاء وداً قصدهم خطبة ظهرت هفوة فيها
وعسر مع مبعده تدبيره فانه رأى تقرير كل ذي مذهبه مع رأيه فنبغ النابغة
من أئمة الإثنية وتقام أمور ونظومة خطبة هائلة وانتهى ذلك وظلمه (٩) .
الا أنه سوغ للمصلحة أنه يظهر آرائهم ورتب مذهبهم ليرد الكتب الأولى
لأئمة العرب وحكم جراً إلى احوال يعقر الوصف عدلناها ولوقعت انه
طبع بمفاتيح البدع والاضداد في الموقف الموهول في العريضة
لم اكنه مجازفاً » .

وقد صممت اخبار المأمون في مجلد كامل (صفحة ٢٨٤) من تاريخ بغداد
لأبي الفضل طيفور (انظر ترجمته في المجلد على تاريخه) . قال طيفور وكان
المأمون قد همم بجمع معاوية وابنه يكتب بذلك كتاباً فشقاه له ذلك حتى به استمر قائلاً :
يا امير المؤمنين انه العامة لا تحب هذه الدنيا فإسائه ولدتاً منه انه موهبه لهم ففرقه وانه
كانت لم تدبر ما عاقتلوا والرأي أنه شرع الناس على حكم عليه ولدتاً لهم انك تميل
الفرقة من ألفه فانه ذلك أصح في السياسة وأحرى في التدين . فوجه المأمون
عنه رأيه . وكانه شعار العباسية السوداء فاراد المأمون انه يستبدل بشعار العلوية

وهو الأخضر فارقوا به وخاصة انه يملأوا الدنيا بالسود ويسبوا ثيابا خفرا ففعلوا
فما لبث بنو العباس وقوا فراسه في الامر فخاف الفتنة فعاد الى شاربائه . وكان
مولعا بالصنم فجاء للفقو حبا عجيبا حتى انه ربما ضرب به للثنية وانه كعلوم : لو علم المذنبون
ما اجه في المغفرة لئذ لتقر بوا اليه بالذنب وانه رحمة . وفي شرح النهج اثن
احد كتاب الفاسية اثن ذنب فنتقم ليجتنب لنفسه ويعتذر فقال له المأثورة : يا هذا
قف مكانك ، فانما هو عند ابيهم ، وقد حصرتها لك ، وقد بكر منك ذلك ، فلو
تزال تسيء وتكسر ، وتذنب وتغفر ، حتى يئسوا الغفور من ذنبك . وقد نقضت
بعده خبره في الغفور في كتابه في الصب المسالك في شرح ارجوزة المسمى : خارج
اليه اثن . وانه كل رابعة يؤثر عنده قول : لم در القلم كيف يحرك وشي
المسكة . . انما تطلب الدنيا لتتدك فاذا ملكت فتفترقه . . الدنيا باكرته
الاستقامة منه والتقصير عنه ~~لما~~ الاستقامة هي اوحده . . انما
شرط طهر . ومنه شيرة ما يهتد قلته استغناء عنده . . الناس اربعة : ذو
سيادة او صناعة او تجارة او زراعة فهم لم يكم منهم كانه عيال عليهم .
المنمية لا تقرب مودة الا فاستدرك ولا عداوة الا جدد ترك ولا جماعة الا
بدونكم ثم لابد له عرف بلا دنس بل انه يجتنب ويخاف معرفته ولا يورثه
بخطاه . . وله توافق تدل على مقدرة وابداع منها ما وقع به الى الرستي احد
عنه وقد نظم منه غريم له : « ليس من المودة ان تكونه وانك به الذهب والفضة
وجارك طاهر وفريقك عاصي » . وتوقيد الحميد به قطبة من ماله ايضا
في قصة متظلم منه : « يا ابا حامد لا تشك على حسن رأيي فيك فانك واحد
رعيي عندي في همه سواء » . وفي قصة متظلم من علي بن حاتم : « يا ابا الحسين
الشريف من يتظلم من فوقه ويظلمه من دونه فانظر اي الرجلية انت ؟ » . وفي
اليه اصل السوار قصة في اتيه الجراد علم غداهم فوقع في : « من اولي بضافته
الجراد من اهل السوار فتميط منهم نصف الحرام » . وجاءت قصة يتظلم منها
من عمرو بن سعد احد كتاب المأثورة وخاصة فوقع في : « يا عمرو غير نعمتك بالمدك
فان

فان الجوري يهدى . . . وتظلم حين مره الي عيس وهو اخو المأمونه فوقع في قضيته . . . فاذ انقح
في الصور فدا انساب بينهم يومئذ وليت ولوه . . . واجاره مع اصل الادب
والظرف والعلم والشكر كثيرة لاجال هذا اللطام بل . . . ولشعر رقيقه منه قوله :

سأبني كنوم لاسراركم ودعني كنوم لسري خذلي
فقلوا دموعي كتمت ازهي ولولا الهوى لم تكن لي دموع

وفي سنة ٢٩٨ هـ مرصه ففتح اخاه المؤتمه مودية العهد واخذ البيعة لادبه
الي اسكنه المعتصم ومات رحمه الله بطرسوس فدفن بلا في دار خاقانه خادما رشيد

المعتصم بالله

- ولد سنة ١٧٩ وتوفي سنة ٥٤٧ هـ -

لم يكن ابو اسكنه محمد المعتصم به صار وده الرشيد به المهدي من قحلة العلم اوتاري
لواء الوفاق ولكنه كان من المشركين في العباسي بما حازه من قوة البأس والسمعة
والاقدام فقد كانه خارقة زمنه في قوة الساعد ومثانة الاضداد : يكره
زند الرجل به اصبعيه ، ويميل عشرة قناطير ، ولا تعمل في جسمه انسان . وكان
في صغره يكره التعلم وضعه والده الرشيد مع ملوك له صنفه عند احد الملوك فمات
ملوكه فلما رأى اباؤه تأذوه فجمع اباؤه يسليه عن الملوك وهو يحب ان يذنيه عليه
فقال : لا يا ابي الما اتأذوه لموته ولكني سررت له لانه استراح من تعليم ! فعلم اباؤه
انه انه يكون له رجال العلم فأعفاه منه من صنفه القراءة يكاد يكونه ابياً . وهو
خارج عمورية (Chormos) من بلاد الروم في غوطية . وذلك انه كانه
في احدى ايام سنة ٥٤٢ هـ جمعاً يتناول كأساً من الخراب واذا برجل دخل
عليه فحدثه انه امرأة من بلاد الروم . ووصفها في عمورية
فقطر يوماً فصاحت : وامعتصماه ! فزني بها الردي وقال : دعيه يا عفرين
ابعه . فرفض المعتصم فتمت الحاس وقال : والله لا شربة الا بعد الطهارة والنجس
على وناوى رجاله انه يركبوا الخيول ابليه فار في سبعة الف فارس حتى بلغ عمورية

فما صرنا ثم هدرنا ودخل على المدينة وهو يقول : ابيك بيك . ثم ضرب عنقه الروي بيده
ودعا بالفاست ففك خنجره وشربه . وهو باي مدينة سارما حيث كانت
بعدها بجندة ففقطوا وامرهم بكنا هافه عيت شرمه رأي . ثم عرفته فقالوا
سارما او . وسارما ، وشرمه را ، وشرمه را . - راجع معجم البلدان -

ولقبه بعد المؤرخية بالمتن : لانه وليه من قبله وكنى . ^{عنه ثمانية مائة سنة} ^{عنه ثمانية مائة سنة} ^{عنه ثمانية مائة سنة}
سارما او . وتوفي ثمانية مائة سنة . وهو ثمانية مائة سنة . وتوفي ثمانية
فتوح ، واستخلف ثمانية سنه وثمانية اشهر وثمانية ايام ، وخلف ثمانية سنه
وثمانية بنات ، وخلف من الذهب ثمانية مليونه دينار . ومنه الدراهم ثمانية مائة
مليوناً ، ومنه ثمن ثمانية الف فرس ، ومنه المالك ثمانية آلاف ، ومنه الجوازي ثمانية
آلاف جارية ، وبني ثمانية قصور . وقد ذكر هذا المتفاح في كثير من مصنفات
التاريخ وهو له مع من غريب المواقفات . وهو اول من اصاب في الاسم
اسمه انه تعالى فليل المعتم بهم . وكانت وفاة ابا سارما ودفنه بلا . ومنه
كلامه : اذا نهر الهوى بطل الرأي . وذكر انه عنده نقال : حفظ صاحبته
المقت ومن الناس القصة . ولما اختلفت قال : ذهبت احملة : وذكر صاحبته .
وكانه موصوفاً ببلية العينة وطيب الخلوة . عنه ثمانية مائة سنة .

ولامات ولي ابنه ابو جعفر الوائمه به واسمه هارونه به كنه المعتم به هارونه
الرشد وكانه كريماً اريباً اُصيب بعلته ^{المتوفى} المتوفى فمات بلا ، بولده
سنة ٤٠٠ وخلفته سنة ٤٠٤ ، وفاته سنة ٤٠٤ هـ وكانت في زمنه امور
غير ذات بال فهو غير جدير بالترجمة الواسعة . ^{بكرته في}

ومنه اخوه المتوكل مع الله جعفر به المعتم ولد سنة ٤٠٩ . وبولده وفاة
اخيه الوائمه سنة ٤٠٤ ، وقُتل سنة ٤١٧ هـ طاعت مدته فلم يُحدث بلا ما يجد
في طبقة عظماء الملوك ولكنه كانه يجب العماره فبنى المتوكلية والنفقة على الاموال
ثيرة . واراد نقل المعامة من بغداد الى دمشق فاقام بلا شهره واياماً
فلم يطبل له منا فدا الماسار او . وكانه يلعب في زمنه لورد اثني عشر بامر وبار
بالفرش الحر ولا يرى اللورد الا في مجلس . وكانه يقول : انا ملك السوطية ولورد
ملك

الرياحيه وكل منادى رصاعه . وكثرت الزلازل في ايام فخرت اماكنه كثيره فمرو
بعضها . وقتله غنوم تركي اسمه بافر بايعازمه ابنه المستقر . فدفن في سراء .

وولي بعده ابنه المستقر بنه ابو جعفر محمد بن المتوكل بن ابي جعفر بن المعتصم : موله
سنة ٤٤٧ هـ وخلفته بعد ابيه المتوكل سنة ٤٧٧ هـ ومات سنة ٤٩٨ هـ : لم تطل مدة
غير ستة اشهر وكانه حليماً عاقداً خذير المعروف راعياً في الخير لانه قويت في
ايامه سلطة الفلماة ~~في~~ فوضوه علم خلع اخويه المعتز والمؤيد وطلاني
عمره فخلعوا واحداها فاعاسه اشهر اوصفت وقيل مات مسموماً بمبضع احد طبائنه
توفي ب سراء ومولده ب . قال ابن الاثير : وهو اول خليفة من بني العباس
عرف قبره : وحلف وذلك انه ام طيب اظفار قبره ، وكانوا لا يخفونه بقبور
موتاهم .

وكانه قو اذ اترك قد حكموا بالدولة والموال فلم يرثه لام ابيه بمجمل الخدمه
في ابناء المتوكل وهم قاتوه فلما مات المستقر اتفقوا على مبايعه اعمد بن محمد بن
المعتصم ولقبوه المستعصم بنهم فولوه الخدمه فلم يكن له من الايام غير سمر وكثرت
فته ~~الفلماة~~ الفلماة المستعليه في زمانه ثم تقوا عليه فخلعوه ولما
مولده ب سراء سنة ٤٤١ هـ وولي الخدمه الموهومه سنة ٤٦٨ هـ ونظم عليه
قواده اذ اترك فخلعوه ~~في~~ سنة ٤٥٤ هـ ثم قتلوه في هذه السنه براط

وبايعوا بعده المعتز بنهم بن المتوكل ولما في سبه المستعصم فافرجوه ودلوه
سنة ٤٥٤ هـ ومولده سنة ٤٤١ هـ فلم يكن له الملك الا الزحف
الباطل ولبت وليس في يده عقد ولا حل الا سنة ٤٥٥ هـ فجاؤوه فطلبوا
مالاً لا يحكمه المعتز فارتلوا مقداره الخميمه الف دينار وطالت ام المعتز قد
قبضت على امواله فالا انه تعطيه ما يريد منهم فاستغنت فدخلوا عليه ففروقه ففزع
نفسه فمعه لما مره يعذبه فمات بعد ايام وذلك سنة ٤٥٥ هـ . وكانه نصيحاً
وله خطبة ~~لور~~ ذكرها ابن الاثير في حوادث هذه السنه .

وفي اليوم الثاني من خلع المعتز اسندوا منصب الخدمه الى محمد بن الواثق
ولقبوه المرتضى بالله وكانه يكنى ابا عبد الله ، فلم يقبل بيعة احد فأتى بالمعتز

المستعصم
=

في
الحوادث

=

فخلع نفسه امام الناس واقربهم عما أسند اليه وبإرفقة في تسميته الابن الوائت
 ضايعه الخاصة والعامة : مولده ^{الذي القاطول} ٤٤٤ هـ وخلفته سنة ٤٥٥ هـ
 فكانه كأحد اقرب خلفاء عهدائه ولكنه اخذته في آفرايام حجة القوي
 المستضعف فخرج لقتال جمع من التراك كان قد اعلمه العصابة فقتل فمات قبل
 الفرياقه خانه من فاكما مع من التراك وانضموا الى اصحابهم فبقي المهدي وحده
 وروى عنه انصاره فوئى من هذا وبيد السيف وهو ينادي يا امير المؤمنين انا امير
 المؤمنين فأتوا عذ خليفتم فلم يجبه احد من العامة وأصيب بطعنة فمات على اثرها
 سنة ٤٥٦ هـ في بغداد ومدة خلفته احدى عشر شهرا وثلثه وثلثه
 محمود الميرة يأخذ اخذ عمره عبد العزيز في المصالح واطاعه المهدي وريم
 الفناء واثرا يعظمه ومنع اصحابه وخاصته عن الظلم ومنعهم من عاونه
 على غير ذلك ولا تؤخره تندم .

وحدث وقيل قتل المهدي بيوميه بولي بالخوفه ابو العباس احمد بن المصطفى وكان
 مجوسا بالجوهر في سامراء فألقت التراك سراجه وبأيوه وبقوة المعتمد
 على الله فاستولى على مراسم الخوفه ورخاف الإمامة وهو يعتقد
 انه سيضلها ويخرج منها : لا عليه ولاله : آله تديرها قوة فتدار او مثلي يعظم
 ويثمن ولا ينيل او ينال . مولده سنة ٤٤٩ هـ وخلفته سنة ٤٥٦ هـ
 أيام حكمه وظهر فيه الضعف والعجز عن ادارة الشؤون والتفكير في امورها فأتته
 اخوه امراء الحمد المؤتمنه بهم واعانوا على بوعنه العصاة وكففت يد الخوفه عن كل
 قول وعمل حتى انه احتاج في بوعنه الودقات المثلثة مرة وباركتم بغيره .

في ذلك :
 أليس من العجائب أنه شيء يرى ما قل متنفذا عليه
 وتؤخذ باسم الدنيا جميعا وما سه ذلك شيء في يديه
 اليه من الروايات طأ ويضع بوعنه ما يبي اليه

وكانه خلفاء من قبله يقيمونه في سامراء فاستقل المهدي من سامراء بغداد ولم يبق له
 احد

احد مه بعه . وكانت في ايام ~~محمد~~ شؤره ونحوه تجد الكلام عير في تصانيف
الاضبار . ومات المعتد سنة ٤٧٩ هـ مدة خلافته ثلث عشرة سنة
وسنة اشهر . ومات اخوه الموفق في سنة التي قبلها ~~موت~~ وكانت ولاية امره
للمعتد اوتي خبره .

المعتد بالله

- ولد سنة ٤٤٣ هـ وتوفي سنة ٤٨٩ هـ -

مضى الكلام فيما سلفنا على عدد كثير من خلفاء بني العباس لم يكونوا مه بناهنه الذكر
وجودة القدر وارتفاع الشأن بحيث يُقَرَّبون مع اسلافهم اوديه كالنصور وشية
والأجيال . وجاء في عزمه كلامنا اشارات واضحة الى انه اولئك خلفاء لانوا
~~مستقيمة~~ ^{مستقيمة} على عمل غير مُطْلَقه ، ومسيره غير مُتَّيَّه . لعبت بهم طوائف الغلام
والمحميك ~~حتى استولت على عقولهم~~ ثم على اموالهم وانتهت الى انتمك
بهم واحتياز تدبير المملكة دونهم فاذا الى في خزانهم والرجاء طوع ابيهم
والبرود منقادته لهم فاستراح ضعف وخلفاء بحيث يتعب العظام . واستمر
الامر جاريًا في مزاجه حتى قضى على هذه الدولة العباسية بمجر سلكها وفور
عنائهم وهو الذي ~~كسره~~ قوتى بعد ذلك اركانها وهتتم بنينها
وزلزل سلطانا وفتره اعوانا . وكانه حسب الرجل العظيم منهم انه يستعمل
بعضه اولئك الخلفاء اليه ويجعل الكلمة بعينه النفوذ ~~والقوة~~ والقوة بعينه
التأثير كما كانه . صاحب هذه الترجمة وابيه مه قبله وابيه طرفا
هيدنها :

ما تولى المعتد (٤٦٥ هـ) وهو المديفة المتقدم ذكره اراد انه ينرضى باعباء الملك
فأثقلت فبئى الى اخيه الى احد طلبة به المتوصل فعهد اليه بالخديفة ولقبه الموفق
واستعان به على اعدائه فكانه الموفق مه كبار الرجال حصة عداية المعتد فارتان
الطامعية بمكة ولكنها اختصت بمأمور المملكة نفسه وجهر على المعتد
حتى كانه ~~تفجعه~~ يتنى الشئى ليسير فلا يثانه وكانه الموفق سجعاً كثير الحروب ووقها

[illegible]

هنيئاً بذي العباس انّ إمامكم
 كما بأبي العباس أنشيء منكم
 إمام الهدى والوجود والناس أحمده
 كذا بأبي العباس أيضاً يُحمد
 وكانه المعتضد عارفاً بالادب والشعر : قال ابنه خلطان في وفیات عميه
 (ج ١ ص ٢٠٢ م طبعه باريس) : « كانه ابو بكر المعروف بابنه العوف الزهري
 استخر يثاوم امام المعتضد بالله قال : بت ليلة في دار المعتضد مع جماعة
 من مدائمه فانما خلدوا لم يدر فقال : اميد المؤمنين يقول : أرقت ليلة بعد
 انه انتم

انفرتكم فقلت :

ولما استبرأنا للخيال الذي سرى اذا الدار قفرنا والمزار بعيد
وقد اُرتج علي تمامه ضمه اجازته بما يوافقه غرضي اسدت له بجائزته . قال :
فأرتج على الجماعة وكلهم ما عرفوا فاضل فاستدريت وقلت :

فقلت لعيني عاودي النوم واهمي لعل خيالاً طارقاً سيعود
فرجع الخادم اليه ثم عار فقال : امير المؤمنين يقول : قد أحسنت وامررت
بجائزته . . . والمعتضد ممن اتصف بالحلم العجيب : نقل صاحب تاريخ دول
الاسلام (ج ١ ص ١٤٨) عنه احد وزراء المعتضد عبد الله بن سليمان قال : كنت
عنده المعتضد يوماً ، وخادم بيده المذبة (المروحة) ، اذ ضربت قنصوة
المعتضد ، فسقطت ، فكدت اُختلط باعظاما للحمار ، ولم يتغير المعتضد ،
وقال : هذا الغلام قد نفسى ، ولم ينكر عليه ؛ فقبلت الارصة وقلت :
والله يا امير المؤمنين ما سمعت بمثل هذا ولا فحشت أنه علمه ليعم ، فقام :
وهل يجوز غير هذا ؟ أنا أعلم أنه هذا الصبي البائس لودار في
خلفه ما جرى لذهاب عقله وتلف والوانظار لايكونه الا على المعتضد
دونه السفي الخاطيء . . . ولم يكنه علمه فيما يحسن به الحكم دونه شدة
فيما تجب به الشدة فانه كانه صارم العقوبة اتخذ للمومنين والمذمومين
المفاسد ملجأ تحت الارصة : وهي صفائر كانت تخبأ فيها الجيوب .
فجعل يزجرهم بها صفائر ولما مات دودي ابنه المكتفي امر بهدمها . وروى
المعتضد في بغداد فجدد البيعة لانه المكتفي بالله ومات بلا ودية
خلافته تسع سنين وتسعة اشهر ونصف شهر الايوبيه .

مات المعتضد وابنه ابو محمد علي الملقب بالملتقي بالله في الرقة فلما جاهد الخبر
أخذ البيعة عنه من عنده من الوجود وقدم بغداد فاستلم زمام الملك فقام به
قياما حسنا وظفر في أكثر ما كابه بينه وبينه العصاة والتأثير به من الوقائع . بولادة

٢٩٤ وخلفه سنة ٤٨٩ ووفاته سنة ٥٩٥ هـ ، عامته بغداد سنة ٢٩٤ وهو
المتقي به المعتضد به الموفق به المتوكل : مرصه وهو شاب في الثانية وثلاثين سنة
وطال مرضه فمهد بالخوفه الاخيه جعفر المقدر . ومات سنة حكمته سنة سبعمائة
اشهر وتسعة عشر يوماً . ولم يكن كاتبه .

وبويح البوالفضل جعفر به المعتضد بالخوفه ولقبه المقدر به . بعد وفاته
اخيه المتقي . وكان صغير السن لا يتجاوز الثالثة عشرة فاستصغر وتكلم
الاناس في امره فخلعوه ودولوا حبه ابا العباس عبيد به المعتضد به ولقب
بالمترضى به ثم خذله اصحابه وهجم عليه بعه غلامه المقدر فازهرم واختفى
ثم عثر عليه فقتل وسأله ترجمته في ديوانه السراي وصفه المثلث للمقدر
وطالت ايامه على ما ضمت به الفقه والحسن والحج وكان يستقيم في اكثر شؤنه
بخادم له يدعى مؤنساً ثم فبلغ هذا الخادم انه الخليفة يريد به الشر فاعده
عصيانه فارس الى المقدر يحلف له ان ما بلغه كذب فعاد الى الخليفة ثم نكث
رجعي انصاره ودخل بهم دار المقدر فاخرجوا المقدر وامه واوردوه وخلفوه
جواربه به دار الخوفه الى دار مؤنس فاعتقلوا به وبابوا اخاه المقدر
وهو القاهر به محمد به المعتضد فاستخلف يوبيه ثم ثارت فرقة به اليه
تدعى بالرجالة فقتل به رؤساءه وادعت بالخوفه للمقدر فأعياه
الى المنكث ثانياً وفرج مؤنس به بغداد وقد علم انه قلب الخليفة له يصغر عليه فاجتمعت
عليه العساكر والنفاه وقصد الموصل فاحتلها ثم سار به معه يريد بغداد فخرج
له المقدر بعسكره فازهرم اصحاب المقدر وبقي منفرداً فرآه جماعة به
المغاربة فقتلوه وسلبوه ثيابه وزينته ~~فقتلوه~~ ثم دفن في موضع . واما
مولده سنة ٤٨٤ وخلفه سنة ٤٩٥ وخلفه به المعتضد سنة ٤٩٦
وأعياه ثم ضلغ ثانياً بالقاهر سنة ٤٩٧ وأعيد فقتل به اصحابه
مؤنس المتقي بالظفر سنة ٤٩٠ هو وكان المقدر ضعيفاً في الارادة
وقوة

تقوته وسياسة فاستولى على الملك خرمه وولاه وخاصته وكانه مبدراً
لنيرد نفاذه على البذخ والمواري والنداء مضياً عالمه وهيبته سجع
همه بينه وبينه المقتضه : ذاك اعاد للدولة العباسية شانها وهذا
يخدم مركزها . وقد اطلعنا في هذه الكلمة عليه وكانه يجدر بنا ان نخفاه لانه لا يميل
في رجل هذا الكتاب ضعفاء الرجال وصفاهم .

قرأ اراي بعد المقتدر على اعادة محمد بن المعتضد القبط بالقاهر فلما ولي ساء
السياسة فأحضر ام المقتدر وطب منها اموال ابنها فأقسمت له ان لا تمتد يدها
في منزلها من متاع الزينة والنياب ومناات فخرها وعذبها وصادور جميع اصحاب
المقتدر وباع امولهم واوقافهم وبلغه أنه بعصه ووزرائه ساء هم ما صنع لهم بتأمره
عليه فقتل مؤسداً بهم علي بن بليغ واباه وطب ابيه مقلد وكلامه خاصته فاختفى
وهجم عليه الجند فزحفوا الى داره فقتلوه بفقدار فاستيقظ القاهر وفر الى قبة صرا عليه
وحبسه الى انه مات ومولده سنة ٤٨٧ وخلفه الثانية سنة ٤٩٠ وخلفه
سنة ٤٩٤ ومدة حكمه سنة وسبعة اشهر ووفاته سنة ٤٩٨ هـ .

الراضي بالله

- ولد سنة ٤٨٧ وتوفي سنة ٤٩٩ هـ -

علمته مما اسلفناه ما صارت اليه حال الدولة العباسية من الضعف ونعمت الى ملين ماري
بلا الى عصيان امراء البلاد واستقلال كثير من العمال بما كانوا يلون . وانتهى امرها الى
صاحب هذه الكلمة وهو ابو العباس احمد بن المقتدر بالله وكان محبوباً مع والدته
في ايام القاهر فلما تولى اخرج وبويع بالخلافة سنة ٤٩٤ هـ ولقب بالراضي بالله
وكان فاضلاً اريباً سمياً يحب محادثة الارباء والفضلاء والبلوس معهم وضم
النفاذ في امور عدة منها : أنه آخر خليفة له شعر يدون وآخر خليفة كان
يحمي الخطبة على المنبر ويطلبها وآخر خليفة جالس ابله ووصل اليه النداء
وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزها وعطاياها وجرأياته وفرائده ومطامحه وبها

وخدمه وحجابه وموه على ترتيب الخلفاء المتقدمين . وشعره رقبه جيد مده قوله :

يصفر وجهي اذا تأملته طرقي ويمرّ وجهي فخبو
حتى لانه الذي بوجنته مده دم حسبي ليه قد نقلا

وقوله في رثاء ابيه المنقذ

ولو أنه حيّاً كانه قبر الميت لصيرت احثاً في لعنظ قبراً

ولو أنه عمري كانه طوع مشيئتي وساعدني التقدير قاسمته العرا

بنفسه ترى ضناجعت في ربة يدي قد فترت اغيت اثبت

وولي الحدود فحاول رتبه ما فتعه سلاطه فلم يستطع ومنه البهادر الا اضطر
واتسع خرقه فكتب الحمد به رائه عمه واسط والبصرة والاهواز يستقره
الى بغداد وقدمه اماره اخيه وجعله امير الامراء وولاه الخراج والدواوين ووزنه
سنة ٤٤٩ هـ فاستولى ابيه رائه عمه جميع ما ذكر واصبح الحكم المظلمه فتصرف بالموار
والاموال والخليفة الراضي راض بما وقع لا يدرك لنفسه قوة يدفع بها عاصيه
وتفانم امره فلم يبعه اسم الخليفة في غير بغداد واعمالها فكانت بلاد فارس
في ايدي بني بويه والموصل وديار بكر وسمرقند وربيعة في يد بني حمدان والشم في يد
محمد بن طنج والمغرب وخرقبة في يد امير المؤمنين القائم بامرهم العلوي والاندلس في
يد الناصر من ملوك بني امية وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن عبد الملك
وخراسان وخراسان في يد الديلم . وهكذا تفرقت هذه المملكة وانفتحت لبلطها
وانفرط عقدتها . ولبت الخليفة الراضي يتلقى بمجه كاتوا ب مرونة وعلينا دونه من
رجال الادب واعيان البيان حتى كانت سنة ٤٤٩ هـ فتوفي في بغداد ورثه ابنه

وخلفه ست سنين وعشرة ايام

ونوري مده بعده باسم اخيه ابي محمد برهم بن المقدر ولقبه المستقيم : مولده
سنة ٤٥٧ هـ وخلفه سنة ٤٤٩ هـ ودامت خلافته اربع سنين الا شهرين واثباتاً
فلم يصنع شيئاً الا انه تغيرت في ايامه بعض اساء قواده او بطلت اجمع اساء
المسيطر به على الملك الذي كان هو واسباها آله صماء في ايديهم . وكان
موصفاً

موصياً بالصواع والعتقي وفي ايامه قُتل محمد بن رائيه قُتل ناصر الدولة بن محمد (سنة ٤٤٠ هـ) وفي سنة ٤٤١ تولى اماره سوار تورون (او طوزون) التركي ثم خاضه المستفي عن نفسه فخرج في اهله من عاصمته بغداد الى الموصل ونزل الى اربقة وتورون يامر وينهى . وفي سنة ٤٤٢ هـ بعث الى تورون يستأمنه فأقسم له بهوامة فركب الفرات حتى اذا وصل السندية قُبض عليه وتورونه وخلصه وسمل عينيه فعمي واتى به الى بغداد فملكه ملكاً فاقام وهو اعشى حتى مات سنة ٤٥٧ هـ

وباب تورون واصحابه يوم خلع المستفي لدي القاسم عبده المستفي بالله المستفي بالله به المستفي بالله به المعتضد وكان مستتراً فلم تطل مدة غرضه واربعه اشهر مات في خلدلا تورونه (سنة ٤٤٦ هـ) وقدم عليه من الدولة به بوية فخلع عليه المستفي ولقبه منذ ذلك اليوم من الدولة ولقبه اخاه علياً بخادمه دولة واخاه الحسن كسبه الدولة وأمر أنه يُغرب القبايل وكانهم على انذارهم : فعل ذلك كله اتقاء لشركهم وخوفهم بطشهم به . ثم تغير عليه من الدولة فبينما كان المستفي حياً وهوله من الدولة وبعده الاميان اقبل رجودن من الديلم فقتلوا ولده المستفي فظفوا انما يريدانه تقبيلاً فحبسوا به اسير وجعلوا عمامته في رقبة ^{من بعض من الدولة فقتلوا} وقادوا له المنزل من الدولة ثم سُميل فعمي وسجبه الى ارامات . وكان مولده سنة ٢٩٦ هـ وموته سنة ٤٤٢ هـ وخلصه سنة ٤٤٤ هـ ومات سنة ٤٤٨ هـ .

وكان للمقتدر ابن آفراسيه الفضل ولنيه ابو القاسم فلما خلع اخوه المستفي ^{فخلصه} عمل له بالخلافة وولي المستفي خاف الفضل واستد وطبه المستفي فلم يظفر به فلما قدم من الدولة بشار انتقل اليه واغراه بالمستفي حتى فعل به ما فعل وقدّمه من الدولة للمقتدر فباليه الناس ولقبه المطيع به وزادوا من خوفه العباسية اوباراً في توليته ولم يبعه خلفاء من الاميريين البتة وقد كانوا يراجموه ويلوخذ امرهم فيما يُفصل من امره قائمه ببعده سبي فلما كانت ايام من الدولة زال ذلك جميعه بحيث انه الخليفة لم يبعه وزير انما كان له كاتب يدبر اقطاعه واخراجاته لاغير وصارت الوزارة من الدولة يستوزر لقبه مديريه . قال ابن الاثير (في حوادث سنة ٤٤٦ هـ) : وكان من عظم سباب ^{له} في ذلك انه الديلم كانوا يتشيعون ويقولونه في التسبيح ويعتقدونه انه العباسي فغضبوا

الموت واحد حاشية تحقيقاً فلم عليه سنة ٤٠٨ بمات دينا محمد بن علي الطائفة ٠٠ الخ . وكانه
 مولد الطيخ سنة ٤٠٨ وعودته سنة ٤٤٤ . وفي سنة ٤٥٦ مات عن الدولة
 محمد بن أبيه بختيار الملقب بعز الدولة فاستأجرة وزيراً من الدولة تقيتراً وضيقاً
 ثم مره الطيخ به وخلق وثقل سانه وتعدت الحركة عليه فدعاه سبكتكين وهو
 حاجب بختيار إليه فجمع نفسه به فمخوفة ويسلم المولده ففضل ذلك واشهره
 على نفسه بالعموم سنة ٤٦٤ بعد انه اقام يدعى بقبه الخليفة تسماً وعشرين سنة وخمسة أشهر
 ومات بعد شربه من سنة ٤٦٤ واستقالته سنة ٤٦٤ .
 وعنه اثر ضلع الطيخ بوليح ولده ابو الفضل عبد الكريم ولقبه الطايخ بليح . وفي
 ايامه تار مورتاك بختيار لشهيد به الاموال وتأييده مراتبهم فلقبوا بالامام
 عضد الدولة به ركة الدولة به بويه يستنصره فدخل عضد الدولة بغداد ثم اخرج
 بختيار وابنه المرزبان من بلادهم سنة ٤٦٧ طمع عضد الدولة بختيار واقتل مع بغداد
 فانهم بختيار من بلادهم فادركه عضد الدولة واسره ثم قتلهم وبغداد في سنة ٤٦٨
 فمصر من بلادهم فمصر من بلادهم فمصر من بلادهم فمصر من بلادهم فمصر من بلادهم
 مات عضد الدولة سنة ٤٧٤ فمصر من بلادهم فمصر من بلادهم فمصر من بلادهم
 ببلاد الدولة على الطايخ وحبه في داره واشهره عليه بالعلم والارباب والارباب
 ومولد الطايخ سنة ٤١٥ وولي سنة ٤٦٤ وخلق سنة ٤٨١ ومات سنة ٤٩٢

القادر بالله

ولدت سنة ٤٥٦ وتوفي سنة ٤٤٤

لقد تفرقت دولته بني العباس حتى استأمرها الديلم والترك وضعت
 قوى ملوكها حتى طمع بها المستغلبون وامتدوا إلى الأيدي وانصرفت نحوها وجوه
 الطامعين واصبح بلاد الدولة بن عضد الدولة الديلمي بعد أن خلع الخليفة
 الطايخ حاكماً ملحقاً لا يد تفكر فيه غير أنه خاف ثورة الجند اذا علموه
 قد استقل بالملك فلم ير إلا أن ينصب في مقام الخدوة وحمل يكون له طغيان
 ولازمه

ولأمه سيمناً في ور خاصته في الأمر فاتفقوا على : أبي العباس أحمد بن إسحق
 ابن المعتز بن المعتضد وكان بالبطنية [وهي أرض واسعة به واسط والبصرة]
 فأسلم اليه بها الدولة فوافقها ففقدوا عليه وأخبروه فكره وأتى بغداد فبأيام
 الناس وخطب له في اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٤٨١ ^{بلقب القادر به} فقام بصفة
 أشهر ينظر في أمور الدولة ويبحث عن أسباب وحسنها ثم لحبه الخليفة المنصور الطاهر
 له فسلم اليه بلاد الدولة وكان قد سجنه في منزل منفرد فأكرمه القادر به وانزل
 في حجره به أفضل حجرة وكل به ما يقوم بحسنه وحسن ضيافته بحيث لم يختلف
 أمره به خدمته وخلعه الا بالخطبة له . ولحلت أيام القادر وكان حازماً
 مطاعاً فألقى له هيبته في القلوب فاطاعه الذية كانت لهم السيطرة وتعبته على
 الكفا احسن الطاعة وكان موصوفاً بالحلم والكرم وجباً خيراً والعبادتين
 الا فيما يتعلق بالامور السياسية فأحببه الناس وصفوا له الملك واصح من كونه
 الدولة ما استطاع الى اصداره سيده وحسبه انه كف عنها آمال المسترسلين
 باعتبارهم الى التسلط واتممت عهده . وكان محباً للعلم فاضطلع في نفسه
 وقد ألف كتاباً في اعتقاد اهل السنة . فقد مع ما فقد من قديم الكتب
 وحديثها . وكان الخليفة القادر كبيراً ما يلبس لباس العامة فيه خرج
 يتجول في دار السوم يزور قبر الصالحين ويتفقد امور الامة . ودامت
 له الخليفة احدى واربعين سنة وتوفي ببغداد عند سبع وثمانين سنة الاكبر .
 ومات في ايامه بلاد الدولة (سنة ٤٠١) وانتهى امر رئاسة الامر الى ابنه
 أبي طاهر محمد بن الدولة . وتوفي الخليفة في ايامه بعد ان عهده بالملك
 من بعده الى ولده الذي لُقِبَ القائم بأمره الاتي خبره

القاسم بأمره

- ولد سنة ٤٩١ وتوفي سنة ٥٦٧ هـ -

كان الخليفة القادر بالله قد عهد بالخلافة الى ابنه ابي جعفر عبدالله ولقبه القاسم بأمره سنة ٤٩١ ولما كانت سنة ٤٩٤ توفي القادر على ما تقدم ذكره فصل عبد الله القاسم واتباع سنة في ادارة شؤون ما بقي له من ملك بجب العيس . وكان ورعاً متيناً له فضل وعناية بالأدب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصح فيه استبداد وكان مؤثراً للعدل والانصاف يريد قضاء حاجات الناس لا يرى منهم من شيء فهو لهم ولا يضجر من ايامهم وتكاثروا على يده : قال ابن الاثير : قال محمد بن عيسى بن عامر الوكيل : دخلت يوماً الى المنزن فلم يبق احد الا عطائي قصة (عرض حال) فامتدأت الكامي مني فقلت في نفسي : لو كان الخليفة اخي لارض من هذه كلها فاقبضها في بركة والقاسم ينظر ولا أسمع فلما دخلت اليه امر الخدم باخراج الرقاق من البركة فأخرجت ودققت عليها فتدققت في باغراضها ما بالها حاتم قال لي : يا عاتي ! ما حدث على هذا ؟ فقلت : خوف الفجر مني فقال : لا تعد الى مثلها فانا ما أعطيناهم من اموات شيئاً انما نحن وكلنا . . هذه ترجمة القاسم بالله في نفسه واما ملكه فلم يزد على ما كان لديه ومن تقدمه . وقد طال عمره وحدثت في ايامه امور ليست من امور هذا الكتاب فارجع اليها في تواريخ الممالك والوفاء ان اوترا . وكانت مدة خلافته اربعاً واربعين سنة وثمانية اشهر . وعنه بالخلافة ابن ابنه ابي القاسم عبدالله بن محمد بن القاسم بأمره . وكلما لم يكن للقاسم من اعقابيه ذكر سواء لان ابنه ابا العباس محمداً توفي في ايامه ولد عقب له الا ان احدي جواربه واسمها ارجوان كانت حاملاً فوضعت بعد

١ ستة أشهر من موت محمد بن القائم ولد أسمى عبد الله وكُنِيَ أبا القاسم رتبة
الخدم عليه .

المقتدي بأمر الله

- ولد سنة ٤٤٩ وتوفي سنة ٥٤٨ هـ -

مات القائم بأمر الله بعد أن عمره إلى أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم . ولقبه المقتدي
بأمر الله . وذلك سنة ٤٤٩ هـ . وعمره ثمانين سنة . فأنظر إلى
عمران بغداد وخدمة الامة فكانت أيامه أيام خير وسعة وعظمت في عهده
الخدمة أكثر مما كانت قبله وبني في بغداد عدة محلات منها ملاييزال
عامراً حتى اليوم كـ

وأمر بنفي المغيثات والمغذات من بغداد وبيع دورهم فنفق . وكان
المفتنون يخلعون رجا دخل بعضهم الحمام غير مؤثر فأمر بالاعتزال
والاستبراء . وأمر بفتح أبراج البيور ومنع الناس من اللعب بها حفاظاً لهم
المصونات في الدور من اطلعوا أو ترك عيهم . ومنع من اجراء ماء الحمامات
إلى وجلة والزم اربابها بحفر آبار المياه . ومنع الملاحين أن يحملوا في زوارقهم
الرجال والنساء مجتمعين . وكان قوي النفس عظيم الهمة ~~صاحب الجلال~~
أحب الناس وودوا لوطال عمره فإنه حكم تسعة عشر سنة وثمانية أشهر
ومات فجأة وهو في لم يبلغ الأربعين . ولادته ووفاته ببغداد .

المستظهر بالله

- ولد سنة ٤٧٠ وتوفي سنة ٥١٤ هـ -

لما توفي المقتدي بأمر الله حضر ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله وهو ولي عهد
فأعلم بموته وبأبيه من حضر ولده من العمر ست عشرة سنة وشهران . وأثنى
له الأمر على ما كان لأبيه وجده . أما اخذته فكان ممدوحاً قال صاحب

الحاصل : كان المستظهر حين اتيه كرمه اذ هو في حب اصطناع الناس ويفعل
الكثير ويباع الى ايمان ابرر والمثوبات مشكورة في لا يرد كرامة تطلبه .
وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قول
واثن . ولم يعرف عنه التلون او التمدن العزم باقوال اصحابه او غرض : وهذه
من احسن خصال العزم فان المدك او الامر اذا ضعفت ثقته برجاله تطلب
فيه الناس وسلكوا به كل مسلك ولم تنق له ارادة يعزم بها على المهمات وكيف
يخلص الوزير والمستشار في خدمة مولاه وهو يعتقد أن كلمة من عدو
او وثاية من هلكه تزلزل منزلته وتذهب باخدمه وخدعه . على
أن هذه الحسنة ربما انقلبت سيئة اذا لم تتخذ الحيلة في شأنها فان صاحب
الامر لا ينبغي له اذا وثق أن يفترغ ثقته ويستسلم الى صاحبه بحيث لا ينظر
في شيء يرو عنه . بل لابد لمن ولي من امور الناس جانباً أن يكون شديد
الثقة في غير طمئنان كثير الحذر في غير استراية . والاولا نلتيم له امر .
وكان المستظهر عارفاً بالادب والادب والشعر وله توقيعات لا يقاها
فيما احده تدل مع فضل غير معلم واسع . وباسم ألف العشرة الغزالي
كتابه في التاريخ الذي سماه " المستظهر في " . والاولا نلتيم له امر .
بأنه نزلنا هنا لتعرف منزلة المترجم في هادب قاله .

اولا نلتيم له امر في القيد عابداً . للاحمد صحت الى رسم الوداع .
وكيف اسند نهج الاصطلاح وقد ادى طرائق في ماهوى الهوى قدوا
وكانت خدمته اربعاً وعشرين سنة وثمانية اشهر وعشرين يوماً ومات ببغداد
ولم يزل العمر واحد واربعين عاماً وستة اشهر ودفن في حجرة له كان بالفرز
وقد عهد بالخدمته من بعده الى ولده الفضل الملقب بالمشترش بالله .
وكان المشترش بالله شجاعاً شجاعاً كثيره بعيد الامة فصيحاً جليلاً
جيد التوقيعات وهو واسمه الفضل وكنيته ابو منصور والاداء ارتكبت
خطاً

فلهذا خطا ذهب بجيادته وأخر دولته بعد تقدرا وذلك انه بلغ من رعايته
 يعولهم خطباء ومقرنا بساكنهم اسما على يد خطباء الخليفة منهم ويقروا
 مع اسمهم كبر قواهم الذي هو امير الامراء ويقيم بمكة وكان
 الخليفة في عمر المسترشد هو الخليفة العنانية انه اصبح الحكم فيلرجليه
 احدها الوازع السياسي وهو صاحب اكل والعقد والامر والنهي في شؤون
 الدولة داخلها وخارجها وكانه يسمى امير الامراء ثم صار منه أسندت اليه
 هذه الامارة فيجب بمكة اوسه . والثاني وهو صاحب الحكم
 الديني يبايع وتقرصه عليه الامور قبل عرضا على الاول فيرى فيها رأيه
 وهو الخليفة . فكانه الدولة في ذلك العهد به سلطتيه: نظرية وتنفيذية .
 فالنظرية يتولاها الخليفة والتنفيذية يتولاها الملك اوسه . او امير
 الامراء . وكانه المعاصر للخليفة المسترشد به هو اسه . مسعود
 ابيه مسه . به البارسله السجوتي ومقره في همدان . زار بغداد
 فأكرمه المسترشد ثم ان الخليفة شعر بجيادته جماعة من الامراء فاراد عقابهم
 فقبوا الى السلطان مسعود فطلبهم الخليفة من فاجي ردهم اليه فحدثت بينهما
 الفتنة والوحشة وسافر السلطان مسعود الى همدان فلما استقر به . علم
 الخليفة ان مسعود يستعد لقتاله فتجهز هو ايضا وجاءته رسائل من الامراء
 الذين انضموا الى مسعود يعرضون عليه طاعتهم ويستأمنونه فأشتم الخليفة وحفوا
 فاكرمهم وخرج من بغداد يكره ان يريدهم ابتداء السلطان مسعود بالقتال
 وجعل اولئك الامراء في المعينة وزحف عليه السلطان مسعود فتلقا
 بوضع يقال له دايبرج فلما حامي القتال انما زوا الى السلطان مسعود واكثر
 حول حاكم الخليفة المسترشد وهو ثابت في مقره وانزعم عكره فأخذ
 هو اسير فأُتزل في حمية وتردوت بينه وبينه مسه . الرسل
 في الصلح فاتفقا على ماله يؤديه الخليفة وأنه لا يعود يجمع العسكر

وأنه لا يخرج من داره ورضي الخليفة وعزم على الرجوع إلى بغداد فدخل عليه جماعة
 من فرقة تسمى بالالحنية فقتلوه وشوهوه وذبح على باب مراغة لأبيه سعد
 مسوداً كما قد اخذه معه حتى انتهى إليها فذبحه أهل مراغة عندهم . وكان
 مولد المترشد سنة ٤٨٥ وخلافة سنة ٥١٤ وقلته سنة ٥٢٩ هـ وخطب
 الذي اودى به هو اعتماده على جماعة خانوه أولاً فخاؤه ثانياً ثم فروجه به بغداد
 يقود جيشاً وكان له المجد به أنه يوجه قائداً يعتمد عليه في مثل هذا الشأن
 ولما قتل المترشد كتب السلطان مسعود إلى رئيس السجدة ببغداد أبي صالح
 ابن المترشد وكان له ولي عهده واسمه المنصور وكنيته أبو جعفر ولقبه
 الراشد بهم . فبويج في بغداد على شروط كتبها للسلطان مسعود
 بخط يده وحلف عليها وهي أنه متى جئته جنداً أو مخرجاً للقادح
 من أصحاب السجدة بالسيف فقد وجب خلع . فلم تطل أيامه حتى وقع
 نفور بينها فتربأ الراشد لقلته ~~فظهر~~ فسلم مسعود فزحف
 مع بغداد فخا مرضها حتى دخلها وفر الخليفة الراشد إلى الموصل ومنها إلى
 اصفهان فاقام بها حتى قتل . مولد سنة ٥٠٤ وخلافة سنة ٥٢٩
 وخلفه سنة ٥٤٠ وقلته سنة ٥٤٤ هـ قتل باصفهان بعنه خدمه لثقتهم
 منه لأنه لم يكن يستقر في مكانه ودفن بظاهرها في سردستان .

المقتني لأمرائه

- ولدت ٤٨٩ وتوفي سنة ٥٥٥ هـ -

لما خلع الراشد بابه استأثر السلطان مسعود جماعة من أعيان بغداد ضمن بيع
 أن يبي الخدوة فاتفقوا على أبي عبد الله بن المستظهر فدعاه فخر وأكرمهم
 واستقر عليه ما كان يشترطه على غيره فبايعه الناس ولقبه المقتني لأمرائه
 وهو أبو عبد الله محمد بن المستظهر بابه أحمد بن المقتدي . تولى الخلافة جميع
 على ما علمت من الرهن والضعف وذبح سنة ٥٤٠ فنجس لا يترك
 سبياً

سبباً من أسباب تقوية ملكه المتقدمة به ووجهه الذي هو السعد مسعوداً
 أو غيره بعد اذ فنجح ما لا كثيراً وقوة وسدحاً حتى كانت سنة ٥٩٧
 وبها توفي السعد مسعود برامدان فلم يتصل خبره بالخليفة المقتني حتى
 تارثورة هو فاستولى على دار السعد مسعود ببغداد وقبض على اصحابه
 واعوانه من السجوقيين وغيرهم وضبط اموالهم وامر بانه يرافقه في الطرق
 ما في بيوتهم وبيت السعد مسعود من الخمر فأرسله مقدار غير يسير وبه نفر الناس
 ان الخليفة منكرين على السعد مسعود ~~الملك~~ ~~الملك~~ ما رأوه . وشتم الخليفة
 عن ساعد ابيه فاستقل بالملك وقهر كل من احم له عليه . وكان من الرجال
 ذوي الرأي والعقل والدهاء وهو اول من استبد من ملوك العراق منفرأ
 عهد السعد مسعود يكون معه من اول ايام اليم الامام . واول خليفة تمكنه من
 الخدفة وحكم على عكره واصحابه من حيه تحكم المليك على الخلفاء من
 عهد المستنصر الى ايامه . والا انه يكونه المعتقد - قال ابيه الاثير - . ولما
 المقتني شجاعاً مقداماً مباشراً بحروب بنفسه ولما يذل الاموال الطمعة
 لاصحاب الاخبار في جميع البلاد حتى كانه لا يفتق منها شيئ . وهو معروف
 بالعلم والكرم والعدل وحسن السيرة . وكانت مدة خلافته اربعاً
 وعشرين سنة وثلاثة اشهر صفت له الخدفة منها ثمانين سنه بمدة وفاة
 السعد مسعود السجوقي . وعهد الى ابنه يوسف الملقب المستنجد بالله .

المستنجد بالله

- ولد سنة ٥٩٠ وتوفي سنة ٥٩٦ هـ -

ابوالمظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتني لارائه بن المستنجد بالله . ولي الخدفة على
 اثر وفاة ابيه (سنة ٥٩٥) فسار سيرته وضبط الدولة وضبط الخاتم
 الفاتل واول ما بدأ أنه ازال المكوس ورفع عن الناس الضرائب
 حتى لم يترك في العراق شيئاً منها . وكاهه من احسن خلفاء سيرة على

الرعية عادوا فيهم كثيرا الرقيق بهم شديداً على اهل العيث والفا والسماعة
بالناس: يُذكر أنه سجن ان ثانياً كان يسمى بالناس فاطل حبه فشفع فيه
بعض اصحابه المحتجين بخدمته وبذل عنه عشرة آلاف دينار فقال: انا اعطيت
عشرة آلاف دينار وتحضري ان ثانياً آخر مثله لا كفأ شره عن الناس ولم
يطلقه. وقبض على قاض يعرف بابن المرقم كان شيخ المسك وقبضت
له انه اخذ اموالا كثيرة من بعض الرعية فصادر امواله ورد للناس ما اخذ
منهم ولكنه اساء الى العلم اسوة لا تغفر لونه لم يكتف بان صادر
ذلك القاضي وحبه وسلبه نعمته حتى اعدت يده الى كتبه فاحرق منها
في الرحبة ما كان من علوم الفلاسفة وفيه كتاب الشفاء لابن سينا وكتاب
اخوان الصفا وما يشاكلها. وفي وصية في تاريخ حياة سوزاء. حكم احدى
عشرة سنة ثم مرضه وكان قد خاف بصره خاضعة فارغم طبيب علمه بعضا
له الحمم فاحد فوصفه له فاشنع المستنجد لضعفه فزال الواب عنه ارضوه واغلقوا
عليه الابواب فصاح واستغاث فلم يلبوه حتى مات فاعلموا وفاته.

وفي البلية التي مات بها المستنجد بابه بوبع ابنه ابو محمد الحسن ولقب
المستغني بأمر الله ففروا اموالا كثيرة وهذا في حكم حذوا به وكان
حلياً جداً قليل المعاقبة مع الذنوب محباً للمعفو والصغ من المذنبين كريم
اليه صفت له اخذت تسع سنين وسبعة اشهر ولا يُذكر له فيها اثر
ولد سنة ٥٤٦ وبيع سنة ٥٦٦ وتوفي سنة ٥٧٥ هـ.

الناصر لدين الله

- ولد سنة ٥٥٤ هـ وتوفي سنة ٦٢٤ هـ.

وبوبع بالندوة بعد موت المستغني بأمر الله ولده ابو العباس احمد بن المستغني بن
المستنجد بن المتقي بن المقدي بن محمد بن القائم بن القادر بن المقدّر بن
المعتز بن الموفق بن المستنجد المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي
ابن المنصور بن محمد بن عبد الله بن عباس. ولقب احمد الناصر لدين الله
وذكر

هذه سنة ٥٧٥ فلما تمت طاعت ايامه حتى انه لم يزل المعونة من بني العباس
اطول من مدة . وكان شديد السبوت واهية خبيثة بشؤون الهند
الا انه رجا تشد في بعض الامور فنسب الى الظلم والمؤرخ يجازي ما
يكتب عنه لانه لم يكن مستقيم الاطوار فبينما تراه مولماً بالمصلحة العامة
يفتتح دور الضيافة للناس ولتجماج و يطلق المكوس ويرفع عن الناس
الغرائب والمظالم ويتفقد شؤونهم محتفياً في الناس الداجية بموجب
المازل ويجول في الشوارع العامة وواذقة مرتدياً جباً بسوقياً وشيخ
او غريب اذا به تراه قد أغلق تلك الدور واعاد تلك الغرائب
وانعزفت همته الى اللهو واللعب برمي البندقة والاستفال بالطيور
والعناية بسراويل الفتوة [~~المعروفة~~ المعروفة اليوم بهم الثباتات يتخذها
المصارعون واحدها ثباتان وليس بغيري] ويقال انه هو الذي كاتب التتر
وأطعمهم في الهند بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه السلطان محمد من
العداوة ليستفي خوارزم شاه عنهم عن قصد العراق . ولئن صح ذلك يكون
لظلمة عار شهوت بلا صحيفة وقد شد فيه المؤرخون ورأوا أن العجم ينبغي
اليه . وكانت خدمته ستاً واربعين سنة واحدها عشر شهراً اربعين وفي
آخر عمره ذهبت احدى عينيه وضعف بصره الثانية وفلج فبطلت حركته نحو
سنتين ثم احصاه في دستارها فمات رحمه الله وله من العمر نحو سبعين سنة .

ودلي بعده ابنه ابو نصر محمد الملقب الظاهر بأمر الله وكانت ايامه في عصر المؤرخ
ابن الاثير فذكره واثني عليه كثيراً حتى داخلني استدعيته في ان له بها كان محسناً
اليه فقابلته على الاحسان احبنا لان المؤرخ مهما تمكن من الحرية والظفر
الظفر في الحق لا بد له من أن يأخذه على معاصره ودلي امره عا طفة فيثني
ويطري ويعدد المحامد ويستألم المصاب دفعا للشرا وجهاً للغير والذي
يذكره بنا ان ننقله عن مؤرخنا ~~هذا~~ مما يتعلق بهذه الخليفة انه كان

مع عكس أبيه مستقيماً ممياً لميز الطموح المكوس التي كان قد وضعها والده
وخفف الاموال عن بعض رعيته واخرج المسجونين ومنع جكوسية المحتراس
وكانوا يكتبون للنفاء كل ما يدور بين الناس من حديث فأعفاهم من هذا . ولم تطل
مدته . ولد سنة ٥٧١ وحكم سنة ٦٤٤ ومات سنة ٦٤٤ سنة حكمه تسعة ايام

المستنصر بالله

- ولد سنة ٥٨٨ وتوفي سنة ٦٤٩ هـ -

البنيان افضل ما خلفه به الذكر وراسيا اذا كان امراً نافعا لمدينة اورمستة فحمة
اوبناء عظيم يأدي اليه المخرج او مستغنى يطيّب فيه اصحاب العاهات والارض
او ما ضارعه من الابنية النافعة وحسب من ارتنا أن صاحب هذه الترجمة وهو
ابو جعفر المنصور بن الظاهر بن الناصر الملقب بالمستنصر بالله عاش كغيره من
الخلفاء النجاشيين منهم لانه كان عاقدا عادلا مجابا للفق ولكنهم اذا كثرت
الاجيال وأنكرت الاطوال الرجال ذهب ذكر اولئك الخلفاء وبقيت
آثار مدرسة عظيمة أقيمت في بغداد ورُعت المستنصرية فهي ترشد موم
اتتار سامان المستنصر وكان ارشدت الطول بنو والي حوراني
التالية الى بايزا كما ترشد الطول حوراني بنو عيسى بن محمد بن المستنصر بالله
والمستنصرية هذه مدرسة كبيرة من اشهر مدارس الاسلام في بغداد بناها
في بغداد مترجم المستنصر بالله على شط جعة من جانب الترية ما يوجد داره
وأقام بها الأطباء والعياذلة وهو شيخه حتى ظهرت في ابهر حنة
من الاتاع والإخرفة وما فيها من رجال العلوم الدينية والفنون الدنيوية
وهي اليوم مهلة تكثر تعفير آثارها وقد أصبح قسم من دار الملكس
وآخر مطبعا وآخر قهوة تعرف ببيت السلطنة . كانت سيرة المستنصر حميدة
كبيرة أبيه . وكان جده الناصر يحبه ويسميه القاضي لوفرة عقله .
ونكه ما ينفع العقل والفضل والوعمال مستقضة والدولة ذاهبة الى الخراب
وفي

وفي أيام قويت شوكة قبيلة المغول التتارية (وعدوا شائلا بظهور جنكيز خا ن سنة ٥٩٩ هـ واصلاها مع جنوبي سيبيريا) فاستولوا على طائفة كثيرة من المملكة المملوكية حتى ارتكوا بيدهم يفتاد في عهده الانهم ~~مستعصم~~ مستعصم جنود دغواغزا . وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة ~~٥٩٩~~ ٦٠٠ هـ واقامته بغداد وغيرها توفي ودفن .

المستعصم بالله

- ولدت سنة ٥٨٨ هـ وتوفي سنة ٦٥٦ هـ -

اتى على الدولة العباسية حين من الدهر كان فيه الخليفة يقنع باتسوك والدم عاصمة ^{مكة} فقلد يرى الى تلك الزمنية من سبيل . ذلك بعد أن ملكوا البصرة وسادوا البلاد واشتدت سلطتهم وعظمت سلطتهم . وكنت الدول في رأي بعض الباشا حين من علماء الاجتماع كالاناسي اذا ارادوا الهم لم تنجح في دارها وادوا : قال ابن خلدون : « . . . واذا كان الهم لطبيعي في الدولة كان له حد وانه بمثابة حدود الامور الطبيعية كما يحدث الهم في الزايف في الهم من الامور الطبيعية التي يوليكها دواؤها ولوارتفاعها لانه طبيعي والامور الطبيعية لا تبدل . . . وربما يحدث عند آخر الدولة قوق توهم انه الهم قد ارتفع عنها ويومعه ذبالا ايماضة الخمود كما يقع في الذيل المستعمل فانه عند مقاربة الخطأ يبعثه ايماضة توهم انما استعفى وهي انطفاء . . » انتهى امر الخلفاء العباسيين الى الراجح والتموتين منهم وهو آخرهم فب القدر العراقي : ابو احمد عبدالله ولقبه المستعصم بالله به المستعصم بالله . بويج بعد وفاة ابيه باتفاقه آراء رجال الدولة ووزرائها عليه (سنة ٦٥٠ هـ) فلما ولي اخذت كانه من الضعف والوهن والارتقاء الى اللهو

والكوف عن الدود فألقى زمام الملك الى الامراء والفقود واعتمد على في اكر التكون
 على وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي وكان يتشجع للعقوبين . وقد علمت منه ترجمة
 المستنصر اب بقة أن المغول عظم امرهم وخيف شرهم فأتى ربهما النعمان
 على المستنصر أن يتخذ الميلة لدره هجراتهم وأنه يُعَدُّ جيشاً يقوى به عليهم
 فغلبت عليه غفلته فقال «انه هؤلاء لا يطعمون بافراحي منه دار ملكي
 وهم يكتفون مني بأن اترك لهم البدود ويدعوا لي بغداد وهي كفيني! »
 وانفجرت له فتنة حدثت في بغداد بين رجل السنة والسبعة العلويين وهذا
 مرصه قديم في الاسلام ولما منذ توفي الله نبيه محمد عليه وسلم وانما خرفيق
 من اهل الاسلام يرون ان علياً اجدر بالخلافة بعد ابن عمه ثم اتسع ذلك الخرق
 بعد زمن فكان في المسلمين الداء الذي لا يحسم والعفة التي لا تشفى
 وهو حتى اليوم سبب ~~تفريق~~ المسلمين الاعظم وعدة تفرقهم ومن ثم تراهم
 وكلماء الفرقين رايبون على اصداح ذات البين ولولا اراهم يوثقون
 اليه إلا بعد أن لا يبقى غير الندم والامل الاكبر بزوال تلك الفتنة
 معقود بناصية دور العلم الحديث والفنون فاذا اشتغل فيها المسلمون
 وعرفوا حقائق الاديان وسبر أغوار السياسة والاجتماع كان لهم من انفسهم
 زاجر ولكنني اقول

فيا دارها بالخيف ان مزاجها قريب ولكن دون ذلك احوال
 دجارت السنة في هذه الفتنة على اخوانا من الشيعة فانتزعت بيوتهم
 وسكنت دماءها وذلك بتجريف ابي بكر ابن الخليفة وبغض الامراء
 الكارهيه لابه العلقمي الوزير وظهر من الخليفة ضعفه واغضاه اثار
 في قلب وزيره مؤيد الدين ابه العلقمي راجل حقد كانت كائنه وعزله
 لما اصاب اخوانه الشيعة من الكوارث فكتب الى قائد المغول
 وهو

هو لادكو خفيداً جنكيز خان به يُعلمه بضعف الخليفة ويهتدون عليه امر استمدول
 بغداد ~~وصلى~~ ويَعِدُه بالاعانة على خليفته . فرح هو لادكو بجيد وجيد
 يقود جيشاً عرماً من التتر وذلك سنة ٦٥٥ هـ . وعرضت اليه عسكر
 الخليفة ثم انهرمت ونزل هو لادكو مع بغداد من الجانب الشرقي وانتشر عسكره
 في جميع جهات ~~البلاد~~ . فقدم عليه الوزير ابيه العلقمي فتوثق منه لنفسه وعاد الى
 الخليفة المستعصم وقال انه هو لادكو يتقيك في الغدونة كما فعل بسطامه لدم
 ويريد انه يزوج ابنته به ابنتك ابي بكر وحسن له المخرج اما هو لادكو فخرج
 اليه المستعصم في جمع من الكابر اصحابه فاتزل في خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء
 والامامات فاجتمع هناك جميع السادات سادات بغداد والمدرسين ومعلمي المدارس
 امر بهم هو لادكو ~~فاحاط~~ فاحاطت فيه العسكر وقتلوا عنه آفرهم وأبقي الخليفة
 حياً حتى دلهم مع مواضع الاموال والدخائن ثم قتلوه ودخلوا بغداد فاعلموا
 السيف فطر فدام القتل بالقتل والتهب نحو اربعين يوماً وأمرته ^{الغلبة} ما فتر له
 كتب العلم والتاريخ وكتب كثير من الابنية التي منته والقصور المرفق ثم نودي
 بالامامات . وبعثت الخليفة المستعصم اليه القرصت الدولة العباسية
 في العراق وعدة معلمين فاضلاً ٢٧ خليفة ومدة ملكهم سنة ١٤٤ لا
~~سنة~~ موت المستعصم سنة ٦٥٦ هـ ودام له الملك يصعد ويكدر ٥٤٤
 سنة والموت له يومئذيه ~~موت~~ .

— خاتمة —

القرصت دولة بني العباس في العراق وانمحت آثارها فلم يطل امره اعتبارها
 غير نيف وثموت سنين وظهرت في مصر بوحد ابي القاسم ^{فمنه} احمد بن الظاهر
 ابن الناصر بن المستفيئ العباسيين على الملك الظاهر سيرس السند قداري

أحمد بن محمد دولة المأمون في مصر . وكان أبو القاسم هذا غائباً عندهم
واقعة بغداد فقامه شرها وأثبت نسب العبسي لدى الممك الظاهر بمرام
جمع من العلماء وأركان الدولة ففرج به الظاهر لانه وجده قوة جديدة للملكة
ولا يخفى أن المسلمين لا يتطلعون أن الملوك بعينه الرضى والخضوع إلا إذا
قرنوا إلى القاييم السنية لقباً دينياً كالحليفة أو أمير المؤمنين وهذا اللقب
لا يحرزه إلا أصحاب النسب الثابت كالعلوية والعبسية وأشبههم فلما
ظفر الممك الظاهر بالحليفة العبسي جمع الناس وأعلن فيهم أن دولته
أصبحت دولة ثابتة مؤسس بانتهى إلى دولة العباسيين وبالع
أبا القاسم العباسي ولقب المستنصر وكذلك بايعه أركان دولة
الممك الظاهر وخطبه باسمه على المنابر ونُقش على النقود ~~وخطم~~
وأقيمت له المظاهر وأنزل في دار قنطرة وذلك سنة ٩٥٩ فها هو
أخلفاء العباسيين في الديار المصرية ولم يكن له ولا له بعده أثر يذكر
لأنهم إنما كان لهم من خلافة الاسم والابرة والخطبة ولا يبعد لهم أنه
ينظر في شيء من شؤون الدولة فزعم خلافة كاذبة وممك وهي ورام
لهم ذلك بمرور ٥٠ سنة تعاقب منهم خمسة عشر رجلاً على الممارسة
وهذه خلاصة أخبارهم اعتمدت في تاريخ الدولة :

- ١ المستنصر = أبو القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر العبسي . بولع سنة ٩٥٩
وجوز له الممك الظاهر البندقداري جيشاً زحف به إلى العراق لاسترداد بغداد
فخرب التتر فانهزم جيشه وفقد هو ولم يعلم خبره وذلك سنة ٩٦٠ هـ
٢ الحاكم بأمر الله = أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن المستنصر . ظهر
في الديار المصرية بعد انه شاع خبر فقده للمستنصر فأنبت له الممك
الظاهر ببغداد سنة ٩٦٠ فبايعه الظاهر ~~معه~~ له ما كان للمستنصر ونوفي
بمر

الآف
الممك

بصر سنة ٧٠١ هـ قُذِفَ بِهَا هـ .

٣ المستكفي بأمرائه = أبو الربيع سليمان به أحمد الحاكم . بويج بعد وفاة
أبيه سنة ٧٠١ هـ وتوفي بقوص سنة ٧٢٠ هـ ومولده سنة ٦٩٠ هـ . وكان له
~~مؤلفات كثيرة~~ ~~بأمرائه~~ قد أخرجها الصنعيني سنة ٧٤٨ هـ . وعلم أنه
يقول أبا الوردي في تاريخه : « مثني بعينه بالموت . ويبغ الخي بالفتوت . إلى
كم لهم الميتة الرطبة » . ولي مجرّد الخطبة . فلهذا المذكّر الصريح . وسليمان
البرج ! » .

٤ الوائمه بالله = أبو اسحاق إبراهيم أبا أبي المستكفي . بويج بعد موت
المستكفي سنة ٧٢٠ هـ قُتِلَتْ وعاش السعة فخلع بعده سنة
وايماً .

٥ الحاكم بأمره (ثاني) = أبو العباس أحمد به المستكفي به الحاكم (مولد) .
بويج في المحرم سنة ٧٢٤ هـ وتوفي سنة ٧٥٢ هـ .

٦ المعتضد بالله = أبو بكر به المستكفي . بويج بعده أخيه الحاكم ثنائياً
سنة ٧٥٢ هـ وتوفي سنة ٧٦٤ هـ .

٧ المتوكل على الله = أبو عبد الله محمد به المعتضد . بويج سنة ٧٦٤ هـ وتوفي
سنة ٨٠٨ هـ وخلف أولاداً كثيرين قيل أنهم نحو المئة .

٨ المستنيد به = أبو الفضل به المتوكل . بويج بعده أخيه سنة ٨٠٨ هـ وتوفي
سنة ٨٤٤ هـ .

٩ المعتضد به (ثاني) = أبو الفتح داود به المتوكل به المعتضد (مولد) . بويج
بعده أخيه المستنيد سنة ٨٤٤ هـ وتوفي سنة ٨٦٥ هـ .

نواميس في الاندلس

{ دخول }

علمت ما بين من اخبار دولة العباسية أن مؤسسها الخراساني أباسم ضرب الامويين في المشرق ضربة
 نابغة بأشد من نار الحليفة العباسي الاول استقاماً من تلك الأسرة الحاكمة لما كان بني عاصد عند
 معاوية وبنيه من النصارى القديم وسعياً وراء توليد كنفه المجد العباسية بحيث لا تطلع الشمس على اعم
 هم غير من آل امية او مروان بعد ذلك . وقد فرق الناجون من القتل والكس من بني الامويين
 والمروانيين في انحاء الارض فكان منهم عبد الرحمن الاول المعروف بالداخل وهو الذي كتب لخطار
 وقصد بل والاندلس فأسس فيها عاصمته دولة حلفت عهدها ٧٦٠ عاماً وانتشرت
 مدنتها وعلومها وصناعاتها حتى كان ابن القارة الوردية يسمى ابراهيم بالرس كما يسمى لوري ولا ندي
 والمصري الى بابرز ولندره ولوزان وموئيد اليوم . يستند في تاريخ هذه الدولة في الطب بمسكنه
 ٧٦٨ هـ وهي سنة اماره عبد الرحمن الاول على قرطبة ويستمر سنة ٤٤٠ هـ وهي السنة التي خلع
 فيها آخر خلفائهم صمصام بن محمد وتفرقت البدو من بعده فاستقل كل وال بما ولي على
 شتى ما اصاب دولة آل عباس في آخر امرها . وقد خرجت الامارة من ايدي الامويين
 في اثنا عشر حكماً مدة سبع سنين وثمانية اشهر حكم فيها رجال من الفاطميين نذكرهم
 ائمتهم واهل البيت بعد ترجمة سليمان بن الحكم الاموي . ثم عادت الى بني امية فلم تطل ايامهم
 وانه يؤولني أن أترجم جانب الایجاز في البحث عن تراجم ملوك هذه الدولة ذات الحضارة
 العجيبة والذكر المجيد غير أن المجال يضيّق عن الاسهاب والاطالة فاكتملني بالكتاب
 مؤرخنا واهل البيت والنظر انما يقب من على ثنا العظم الى وضع كتاب كبير يضم
 اجزاء مما رزقنا من الخدمة وجميع ما تفرده في الكتب العربية وهو فرجة من اخبارها
 قربي الخدمة البهيلة والعمل النافع اتماب الله به يقوم به خيراً

عبد الرحمن الداخل

- ولد سنة ١١٢ وتوفي سنة ١٧٢ هـ -

فتح المسلمون بلاد الهندس و أخذت تتعاقب على ديوتهم و امرؤهم
من قبل دولة الامويين في الشام وروى حتى ضعف شأنهم و زال
سلطانهم فاستبد الهنديون بأمر أنفسهم بيزلون و يولون من
بث ورون و ظهرت بينهم في اوائل القرن الثاني للاربع قورات
و اضطرابات كان امرؤهم يعالجون فلما ما يمكنهم عفوهم الى أن
أصيب بنو أمية بتلك الرائحة التي شئت سلام و تزقت
سلام فتفرق من ثباتهم في بلادهم و تملك بنو العباس
(على ما تقدم بيانه) و كان من فرقة من ايدي المسودة
(د آل عباس) أمير من سدة ملوك بني أمية يدعى ^{أبو بكر بن عبد الله} ~~أبو بكر بن عبد الله~~ ^{أبو بكر بن عبد الله} ~~أبو بكر بن عبد الله~~
عبد الرحمن بن معاوية بن هاشم بن عبد الملك بن مروان بن ولد
بموضع يعرف بدير حسينة (١) من دمشق و مات أبوه
وهو صغير السن فتبع في قوات الشام و لا هلك بقاءه فاحل
انزله و أقام في قرية على الفرات فتبعته الخيل فادى الى بصرى
الدرع حتى أمين فقصه المغرب فبلغ افرقية فبلغ قنطرة
بلد حيد علم به وهو حينئذ عبد الرحيم بن حبيب الغزي و انفرق

(١) كذا في البياض المغرب لوجه بخاري ج ٢ ص ٤٩ وفي تاريخ علماء
الهندس لوجه الغزي « ويرحينا » ولم يذكرهما قوت في معجمه.

المرجع الى مكانته وقد لقه مولاه بدر بنفقة وجواهر ماله قد
لم يزل له اختاره تعصف بأفام الوجع . ولم تطب له الوقاية
في مكانته . فارتحل من ارضه و نزل بالى نغزادة وهم ميل من البربر
منهم ثم فاكروه حيه عرفوا صلته بهم ولبت مدة يكتب
الاموييه من اهل الاندلس عليهم بقدره ويدعوهم اليهم وهم
بدر مولاه اليهم فاجابوه . ساروا اليه مركبا في جماعة من كبرائهم
فالمفوه طاعتهم واخذوه وعادوا الى الاندلس فافسح بهم المركب
في المكتب (وذلك في شهر ربيع الاول سنة ١٢٨٨ هـ) ثم انتقلوا
الى اسبيلية وبنى القلعة فسلم بهم والى الاندلس يوسف بن عبد
الرحمن الغزي وكان غائبا عن قرطبة بنواحي طليطلة فاقبل في شب
قتل بينه عكره ومنه التفت حول عبد الرحمن معادية انتهى
بظفر عبد الرحمن فدخل قرطبة واستقر بها وبني في القصر
والى حجة الجمع وبها جد لبحات ووافاه عدد كبير من اموييه
ولاه يدعو المنصور العنبي ويظهر أنه لم يزل يخرج منه
لما عت ملوك العنبييه في العراق فله ات بعث اليه بقرعة الاندلس
والطوائف الناس اليه واحبوه لعدله ورأفته ولما نه اهل
العلم والمعرفة بالادب ولم يشر . وصفه صاحب البيا الى الغرب
فقال : « اطلت صفته : طويل القد ، أصم ، عمور ، خفيف
العارضيه ، بوجه عالى ، له صغيرتان . » ولما المنصور يلقه
بصقر قرشي . وثقبت الداخل لانه اول من دخل الاندلس من ملوك

بإمينة . وقال ابن الأثير في فقهه : « ... وكان له شأن عظيم
 عالماً هادماً . سبغ النهضة في طب الخارعية عليه لا يخلد إلى راحة
 ولا يركن إلى دعة ولا يكل الأمور المغمرة ولا يتقرب في
 الأمور برأيه . شجاعاً مقداماً بعيد النور شديد الحذر ،
 خيماً حاداً ، يكثر لبس السياح ، تقاسى بالمصير في
 حربه وشدة وضبط المملكة . » وبنى الرصافة بقرطبة
 سنة ثماناً بمجده . ثم سبغ بنى الرصافة بالاسم . « وعند
 أول تولده بالرصافة رأى فيها خلعة مفردة فلما جئت محبته وتذكر طرفة

تبعته لنا وخط الرصافة خلعة . تنادت بأرض الغرب عن بلد الظلم
 بقعت سبي في الغرب والنوى وطول التناهي عن بني وعن أهل
 من أت بأرض أنت فيها غريبة . فملك في الرصافة والمنايا شوي
 اعتقد غوازي المزن من ضرر الذي يستج ويسري السامكن بالبول
 توفي الداحل بقرطبة ودفن بقرطبة . وكانه دخله عم الوندلسي
 ابن عيسى سنة ثمان مائة وبيع بقرطبة يوم الاثنين سنة ١٢٨٨ م
 ومدة خلافته ٢٢ سنة وأربعة أشهر ونصف . وعقد
 العهد لابنيه هـ ثم
 إلا الركب الميسم أركب
 أن مني لما عوت بأرض
 قدر البية بيننا فافترقا
 قد قضى أمم بالغراق علينا
 آخ من بعضي السدم البعيب
 وفؤادي وما لكيم بأرض
 وطوى البية عذو في عظيم
 فمسي باجنا عنا سوف يقضي

هشام بن عبد الرحمن

ولد سنة ١٢٩ وتوفي سنة ١٨٠ هـ

لم يكن هشام أكبر ولد عبد الرحمن الداخل كان سليمان أكبر منه ومن أمهات
يتوسم فيه الزمان والوسطوع في أمر الله في غيره إليه قبل أخيه
ولما توفي عبد الرحمن كان هشام بمادة متوليا لا وأخوه سليمان
المطلوع وكان يرؤم أمر نفسه ويحيي أمه هشام لما تقدم والد
له ولها أخ ثالث اسمه عبد الله ويعرف بالبلي كان نقطة عند
موت والده فجدد البيعة له ولم ولت إليه خبره فمهر هشام
بنته أيم . فتزوج سنة ١٧٢ هـ وحاشا أخوه سليمان
أجاده وقصد قرطبة متفقا لرضيه فانضم إليه أخوه عبد الله فخرج
هشام إليها بحبته فالتقى بحبته بلغ داره ثم سار به
ليدرب شديدة ففعل هشام القرطبة ظرا . وكان يلقى أبي
الوليد . وصفه ابن الأثير وابن خلدون فقالوا : « كان أبيض
أشقر مشرباً بحمرة ، بعينه حول » ومما حس سرته أنه
كان يبعث إلى البورقوا عدداً من الناس عنه سير العمال
وكان ذا حزم ورأي وجماعة وعدل محباً لأهل الخير ومصدراً
شديداً مع المودة والعفا في الجهاد ومهذباً ما يذكره أيام
من عزمهم أنه رحل من وادى أنه يفتد اليوم من
الحمية من تركته فطلب ورثته ولم فلم يوجد في دار القدر

وأثنى في القل والسي والنهب ودار القربة فخرًا، وأرسنه ...
 فقرة من حبش لصدقات المعديه علم بدوره فامس بدورهم
 وتفرغ لسياسة الحدود وتدبيره فنظم شؤون واستقر له الأمر
 قومي فدفن في قرطبة، وله اخل بني اية بالوندي واسمهم
 إقداًما ونجدة - قاله المقرئ - وترك أولاداً كثيرين منهم مشهور
 ذكرنا وحده اثنى، وله أسرار لمؤلف اسم خيفاً لم يخضب
 ونظم الشعر الرقيق بتفكك به، وأورد بعضه صاحب الياء المغرب
 (ج، ص ٧١) وفي نفع الحبيب قوله وأثنته بعد واقعة:

أبت صدوق الأرمه بالسيف راقعاً وقدما لأمت الشعب مذلت يافعا
 خال تفوريه من الأرمه نفرة أباه مستغني السيف دارعا
 تنبتك أن لم أكنه في تراعم بوابه وقدما كنت بالسيف فارعا
 ومن زوت اذ وفتهم مع قرفهم فوافوا ما يا قدرت وصارعا
 فهدى بدوي اثنى قد تركها مراداً لم اترك على منازعا

وعند له صاحب الكامل صفات ~~ج~~ فلا انه تشبه بالجبار،
 وانه اول به استكده من المالك بالوندي، واول مع جند
 الوجداد المرتزقيه، ~~وثنى عليه كثير من أخبار~~
 النعم وللحاصل واليلى - وقال المراكشي صاحب المعجب
 في تلخيص أخبار المغرب في الكونم عليه: الحكم به هتم الملقب
 بالرفيع كانه طاعناً وله آثار سوء وهو الذي اوقع بأهل

الرضى فقتلهم وهم ديارهم دم جصم والرضى محمد بن
 بقرة اشتم اهلًا بكيدية برز لا يتوقع به ففعل بهم وقد
 فسمي الحكم الرضى . قال : وفي ايام احدث الفقهاء ان
 اسعار الزهد والكفى علم قدام الليل في صوامع المساجد
 وأمروا ان يخلطوا مع ذلك شيئاً من التعريف به مثل أنه
 يقولوا : يا ايها السرف المتجاري في طغيانه الصرعى
 كبره المتراو به بامر ربه اخذ منه كرتك وتنبه من
 نفقتك . . . وما في هذا الشجر . فلما به هذه امثلة ماهاجه
 وادغر صدره عليهم ، ولما به اشبه الناس عليه في امر فتمت
 الرضى الفقهاء هم الذين كانوا يحضونه العامة ويشجعونهم
 انه اوقع بهم . . . وجملة ما يحصل به اقوال المؤرخين انه
 له شديدة اجباراً ضابطاً لمرسلته نقطة اذا هم
 القى به عينيه عزه . لا يردده عن سبيل راد قوي
 الوراثة واكثر خلوه تدل على رجل كبير وانه شئت
 اتوسع في اخباره فاجع لا نفع الطيب وكامل التواريخ
 والبيان المرب والمحب وأشبهه

عبد الرحمن بن الحكم

ولد سنة ١٧٦ وتوفى سنة ٢٢١ هـ —

عبد بنون الحكم بن هشام . نظام ولد له عبد الرحمن بن يعقوب الملك حق القيام
 ولقبته ابو المطرف ولد بطليطلة ايام كان ابو الحكم يتلوها لولديه
 اهتمام . وبيع بفتح وفاة والده يوم واحد . كان حسيبا لطيفا
 حسن الوجه . اثنى اعيان الكل عظيم الحمية يحضب بالحياء والسمع .
 قال صاحب البيان المغرب في وصفه : « هو اول مدحرجى على من الخلفاء
 في الزينة والاكل وترتيب الخدمة وكس الخوفة اثرة الدولة
 في سيد القصور . وأحب الماء العذب الى قرطبة وبنى له وصفا
 كبيراً يرويه ان س . وبنى الرصيف وعمل عليه السقايف
 وبنى المجد بالاندلس وعمل السقاية مع الرصيف واتخذ
 الكلمة بقرطبة ونظم سده » و زاد عليه غيره من المؤرخين فقالوا
 انه علو عن التبذل للقامة وكانت ايام ~~صاحب~~ ~~السلطنة~~
 تكون وعافية وكثرت عنه الاموال وكان عالي الامة له غزوات
 كثيرة . وكان اديبا ينظم الشعر للهوى في بعض اوقات خلوه
 بالما بعدوم الشريعة وغيرها من علوم الفتوة . وهو معذور في
 جملة من عاشق جواريه كان يافس بهن ديداعهن كما فرغ
 من غناء غزوة ادا انتهى من نصب حرب وكان يميل الى هاربة
 له اسما لمردب ونظم بلا سراً فشهد بلا واعقد على الاموال

وله اخبار مذكورة . ولم يكن في بطنه كأيبيه بل خالفه في كثير من اخلاقه
فاستعاض بالدين عن الشدة وبتهدة الفتى عن اقتحام حروب
وشعره جيد منه قوله يصف حالة المزدول :

ارى المرء بعد الغزال يرجع عتده وقد كان في سلطان ليس يعقل
قتله جرم الوجع ما كان والياً ويزيل منه ذاك ساعة يُغزل
ومر كدونه ما وقع به الاربعة عمال وقد كتب اليه يسأل عن لم يبع
اهذا له فذيله بقوله : " من لم يصب وجهه لم يلبه كانه الحمار اولى به " .
وله له نحو ستة وله اكثرهم ذلور وخلفه في سنة واربعة
وله اذكورا . وكان مجدوع اليرة . مدة دولته ١١ سنة
وثلاثة اشهر . وتوفي بقرلمبة . وكان يشبه بالوليد بن عبد
المطلب في سياسته وثأفته .

ولامعات عبط من بن الحكم مذكور ابنه ابو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن الحكم به قلم . فخرى على يده عدة واحساناً للرعية
ورأى المذنب ثابت الاساس هادئاً مطمئناً فصفت له ايامه
مولده في سنة ٢٠٧ هـ . ووفاته في سنة ٢٧٢ هـ . وعلمه
وثلاثيه سنة الاثراً . كانه ابيه مشرباً بحمرة وبعث
اوقص وافر الحية يخضب بالحناء . خلف ٢٢ ولداً ذكراً و
١١ بنتاً . وكان شتياً في سؤده وقياً لمواليه انفسهم وتقاهم
لا يكبح عنه كادح في شيء عداهم فيسحقه او يسحقه .
احب اهل البلدان المستقلة في عصره حتى كان بنو مدرار يسجلون
ومحمد

محمد بن أنفع صاحب تاهرت لويقة موزن ولويوة غردون في امورهم
ومعصيتهم الابعة رأيه وامره . وما يحفظ عنه انه قال
لا اثم به عبد العزيز احد وزرائه وقد أنك عليه شيئاً معه
التفت : يا هاشم مه آثر السرعة اذفت به الى الرفوة ،
ولو انا اصغينا نحو زلوتك واصغنا الهفواتك
كلنا - كما لك في الزلة وقسم لك في العجلة فمهدوا
عليك رويد أبدي فانك ان تعجل يعجل بك . . . ودفن
بقرطبة وكان ذكياً فطناً

ولي بعد موته بثلاثة ايام ابنه ابو الحكم المنذر بن محمد بن عبد
الرحمن . مولده سنة ٤٤٩ هـ . افضل به خبر موت ابيه وهو
يأرب الفرغ محاصراً لفرق منهم في حصن يعرف بجهن الحامة
فقفل راجعاً الى قرطبة فجددت له البيعة وخرقه العهد في الجند
وتحسب الى اهل قرطبة والرعايا بان اقطع عنهم عشر ذك
السم وما يلزمهم من جميع الفرم . وكان اسير طويلاً بعد
كث الحية بوجه اشرجدي يخضب بالحناء والكنم . ~~خليفة~~
~~بمنشور~~ وكان جواداً يصل الثراء ويحب الله
ولم تطل مدته فتوفي وهو في غزوة له على بريشته
٤٧٠ هـ فانتهى ~~لحمته~~ منك سنته الاشرية يوماً

عبد الله بن محمد

دلالة ٢٩٩ وتوفي سنة ٥٢٠ هـ -

خلف عبده ~~جده~~ اباؤه ^{واخاه} سيرها اذ ظهر بالملك ^{في} حديد
واعاد للدولة ما كانا يذهبان به . ونزلوا وفقرقا . وهو يومه
عبده بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام . يوم يوم وفاة اخيه
المستتر . و اراد ان يهوى بالملقة فاضطرب ارضا حتى كانت
اياته كلالا ايم ثورات تفرقت برا القلوب بعد اشتدادها
وثرعدوا الى حين من سلطة حتى صار في كل جهة متقلب
او متقل . وليس وقت به مع فان الجسم اذا طال فيه
امر العلة حتى اوشكت تخرمن وجبته بالوصدع والصدع
ثارت فيه ثائرة باخفيف مزاج على سائر الاضدوع
فندى مثل عبده بن محمد في ملكه اذ نجأ اهل الدولة
وهم به وسيط وسلوب وزر ب فترع عن نفسه
فحب الدولة والعظمة وارسيناء سباط بين قصره
والجمع في قرطبة فكان يقعد فيه قبل صدة الجمعة ويقعد
فيرى الناس ويزلف على اخباهم وعركاتهم ويزر جمعهم
ويسمع قول المتكلم ولا يفتي عليه شيء من امورهم واخذ
يقعد ايضا على بعض ابواب قصره (سراية) اياما معلومة
فترفع اليه الرظلمات وترسل اليه الكتب على باب حديد
صم

مع ذلك فلو يتقدم على ضعيف اتصال بطاقة بيده ولا زهاء
 الخلة على لسانه . قال صاحب البيان المذهب : وكان اهل
 الكافات والمقرَّبون منه يتخفون من كل امر يوجب الشكوى منهم
 . وكانت اللذات مهربة في ايامه والارواح غير معترفة من
 الكرامة . وسمي احد ابواب القصر «باب العدل» يكثر
 فيه احوال الناس بنقده ولا يحل بينه وبينه المعلوم سراً .
 وربما عيب عليه كرهه للسرف وميله الى الاقتصاد في
 النفقة والعطايا الا ^{تلك} كان منزلاً في سبل الصدقات
 والمبرات فانه لم يزل يرى بأساً بدو اتفاق التزير فيلما
 مما يدل على أن اقتصاده الاول لا يستعمله بخملاً كما حرقه
 به بعض المؤرخين فالتجمل الشحيح يتعلق بالهم والدينار
 يحجبها عن كل سبل لا يفرق بين الصدقة والجائز
 لدين الاكرام والاحسان . وكان موصوفاً بالوع
 صدق القلب ، متفتناً بفروب العلوم ، بصيراً ببلغات قبائل
 العرب ، فصيح اللسان ، حسن البيان ؛ اما صورته فأيضاً
 شرب بالحمرة اصهرت أنفوسه ، اقنى الالف ، بقية الى الطول
 نصب به سواد ، عظيم الكراديس ؛ . وكان ادبياً حاذقاً
 في شمار العرب واما هم وسير الخلفاء رادة تدل

بحسن نظره ، وكانوا يبدونه من اصلي خلقاء بني امية في
 الدنيس واسلمهم طريقة ، وأتمهم معرفة لولا ما كان ينفعه
 من دوام الفتن التي أجبروا على ~~ال~~ اظهار القوة والاهب
 بالبطش حتى وصفه ابن حزم بأنه كان قتالا رهون عليه الداء
 مع كثرة اقباله على الخيرات وإعراضه عن المكدرات ، ويذكر
 انه احتال على اخيه المنذر فقتله بأن سم له المضع الذي
 قصد به بمواظبة حمايه وهو نازل بموكبه على ابن
 حفص بن النضر ~~قتل~~ ^{قتل} لمريم ولدان واخوان ^{أخوات} ~~مختلطة~~
 جميعاً فولداه محمد والدان صرلديه الله وطرق اختصا
 في دولته عهده فقتل مطرف محمداً ثم قتل الأمير عبد الله
 ومطرفاً وأخواه احمداً يدعى هاشماً قتله بالسيف ومثاني
 القاسم قتله بالسهم ، ولم أجده فيما بيده شيء كتب التاريخ
 ما وضع ان يكون سبباً حقيقياً لفعله هذه الا ان يكونا
 قد زاحماه على الإمرة او جادوا ^{ابقا} ~~في~~ ^{حديثة} فقتله عليه فوضع
 ما صنع ، وتوفي في حرق طبة قدس في مدائن آباءه
 ودولته اثنتان وعشرون سنة الأثر ، وخلفه احمد
 عشر ولداً ذكرنا اُحدهم محمد المقتول والد عبد الرحمن
 الطاهر الذي ذكره .

امير المؤمنين عبد الرحمن الناصر

— ولدت سنة ٤٧٧ ووفيت سنة ٥٢٥ —

بدأ الأمير عبد الله (صاحب الترجمة السابقة) بامتداد يدود الوندس
بعد ما كادت تقول اليه ما استبدوا الوزراء والوزراء بالحكم دون اهل
الملك والامانة فكان عمله واجتهاده لتقوية المتكلمين وغضبه فاشتقت
فان الفتنة في ايامه على ما تقدم ذكره ومات ولم يوفوه الى اخاه
وقوى حفيده هذا والملك حجة تلتزم فكان لا كالمهم
الحاسم طلي به الجرم النافل ولم يصف له الملك الابن
نحوه سنة من تملكه امضاها في قتله المخالفين
واسم ترضاء النافرية حتى اذعنوا له واستقام امر
الدولة فغضب له موردها وابتمت ايامه فكانت اهل
واثر ما عرفت الاندلسيون من الزمان الامري والخلقاء

والملك
اورث في الترجمة الى بقية أن الأمير عبد الله كان قد شهد
بولاية الامر بعده الدولة محمد وأن ملحقاً اخا محمد
هذه فقتله ثم قتله ابو عبد الله به . وكان لمحمد
مفضل ولد قبل قتله بأحد وعشرين يوماً سماه عبد الرحمن
في بي بي بي جده عبد الله فرباه التربية الصالحة وتفرس فيه

النجابة فلما شبَّ قرَّبه واعتمد عليه في اموره حتى كان كثيراً ما يقصده
في بيته الديام والوجيد مقعداً ففـ ويأمر الجند بالمسلم
عليه بالامارة فتعلقت آمالي اهل الدولة به ولم يسكوا
في صير الامواله . ولما مات جده عبدالله اجلسوه مكانه
دون ولده لصلبه . وكان يكنى القصر مع جده دونهم
قريباً اجلسوه دونهم مكانه . ولي الموندلس وهو ابوه
ثلاث وخمسة سنة وحوله اعمامه فلما فوا اول منه بايعه
ولم يعترضه احد .

كنيته ابو المطرف وهو عبد الرحمن بن محمد بن الير عبد الله
ابن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربيعي بن هشام بن عبد الرحمن الداخل .
ولي ~~الصفحة~~ سنة ٢٠٠ هـ وانصرف الى تهذيب الثورات
وا- كان القيد قل حتى صبغ له المذبح . ولما كانت سنة
٢١٦ هـ رأي منصف الخليفة العباسي "المقتدر" في العراق
وعرف باهتلافه الاخذول فجمع الناس وخطب فيهم
ذاكرهم حق بني ابيهم بالخلافة وانهم اسبقوا اليها من
بني العباس فأمر أنه ينادوه أمير المؤمنين وأن يخطب
باسمهم وتلقب بلقب سلطان وهو الناصر له به انه فخرى
ذات سنة له بعده وكان اسودت يسمون بني
الخدوئف ويخطب لهم بالامارة فقط .

قال ابن خلدون في المنتخب : عبد الرحمن الناصر العظيم
 امرأ بنى امية في الهندس ، كان كبير القدر ، كثير المحسن ،
 محباً للعلم ، مولعاً بالفتح وتخليد الآثار ، افتت مدينة
 الزهراء وهي عديعة النظر في الحسن وبنيها قصر الزهراء
 المتناهي في الجملة . وقال المؤرخ المقرئ في وصفه :
 أُلحِق الناس على انه لم يُبن منه في موسم البتة بل
 لم يُسَمَّ منه بل لم يُتَوَهَّم كونه منه ! والمؤرخون
 يبالغون في مقداره وانفق على الزهراء قال ياقوت : مدينة
 صغيرة قرب قرطبة بالاندلس اختطها الناصر . . . وعملها
 متزهاً له وانفق في عمارتها من الاموال ما تجاوز فيه حد
 الاسراف وجذب اليها الرخام من اقطار البلاد وأهدى
 اليه ملوك بلادها ما لا يحصى قدره وكان الناصر
 هذا قد قسم جهات بلاد الاندلس اثنتي عشرة لجنه وقتل بيت
 ماله وثبت النفقة الزهراء وعمارته . . . بدأ في سنة
 ٢٥٠ ومات سنة ٢٥٠ وهو لا يزال يتقوه على تحصيله وتزيينها .
 كان الناصر ابيض اشهر من الوجه ربة عظيم
 الجسم قصير القامة ، ركاك سرجه يقارب الشبر ، طويل
 النظر جبينه برصاً يخضب بالسواد . طالت ايامه فحكم
 فيه ستة وستة اشهر ، وكان مريضاً عم الموت

يقطاً ومنه عجيب امره في هذا الشأن ما رأيت في كتاب الطبقات
 للسبكي (ج ١ ص ١٠٠) قد في ترجمة عبده ابنه : عبده ...
 هو ابنه الخليفة الناصر صاحب الموندس كان فقيراً شافياً
 اديباً منذ كان صبياً است نفسه الى الطب فحذفته في حياة ابيه
 وتابعه قهره واضغوا امرهم ويبتوا على اعدائهم والده واخيه
 الى شدة ولي عرشه عليه ، فبلغ اياه ، فالتفت اليه بكين
 من المبلغ على امره من متابعيه ، ثم اخبره واخبرهم يوم عيد
 الاضحى سنة ١٢٢٩ هـ من الحبس واخبره وأخبرهم به يوم
 وقال لخواصه : هذا ضيقتي في هذا العيد ثم اطلق له ولده
 وزوجه بيده وقال لاتباعه : ليندج كل في ارضيته فاقسموا
 اصحاب ولده عبده فذبحهم عند آخرهم ...
 ومنه غريب ما يؤثر عند الناصر ما قرأته في شذرات
 الذهب أنه كان يكتب في دفتر خاص من ايام السرد
 التي كانت تصفوله من غير تقدير فيذكر تاريخه وما كان
 بلا وقد اطلع كثيرون عليه بعد وفاته فاذا هي اربعة
 عشر يوماً !! فياه ما احجب مازى ! صدك كالناظر
 صفاله المص غميه عاماً وضرب به المثل في ارتقاء
 ملكه في ايامه وختم السعد لا يرى من ايام السرد غير
 ذلك العدد اليسير ؟ !
 ومنه لطيف ما يذكر في اخباره انه استدعى الطبيب
 يوماً

بها ليفضده فأخذ الدولة وحسن يد المليك وأذا بزور
اشرف على المجلس وأرتقى إناء ذهب وجعل يكرهه
البيتي :

أبدا القاصد رفقا / بأبدا المؤمنين
أبدا تقصد عرقا / فيه محبي العالمينا
فسر الناصر به وسأل عمه علم ، فقيل له عمه ولد
الحكم فذهب لأقربين الف دينار
تربي الناصر وهو في طبة وحلف أحد عشر ولدا
ذكر أنهم ولي عهده الحكم به عبد الرحمن اللقب المستنصر

المستنصر بن الناصر

ولده ٢٠٢ وقوي سنة ٢٢٦

ولي بعد الناصر له ابن ولد الحكم به عبد الرحمن الناصر به
محمد به عبد الله ، ولقب المستنصر بالله ، وكانت البلاد
سكنة مطمئة إلا أن ملك الألبان في عهده اردون بن
الغوري لمج به بعد موت أبيه فربما حبس وأراد المغارة على ما
تملك المسلمون من البلاد ولا سيما في عهد الناصر ، فعلم
المستنصر بيزم اردون فكتب كتابه وغزا الألبانين بنف
فبادروا له بمقعد مسلم منه وانقبضوا عما كانوا فيه وقوي الحكم
وكرت فتوحاته وأصلحت الصداقة بينه وبين اردون

اشهر فتوى اموره وتبدير مملكة الحجاب ابو عامر محمد بن عامر
 الملقب بالنصور [انظر ترجمة في باب الوزراء والوزراء] فنجبه
 عنه الناس فلم يكن له احد يراه ولورصل اليه فاء من ابو عامر
 المنصور سنة المئتين الاربعة وثمانين ٢٨٤ هـ فخلعه ولده
 عبد الملك بن محمد الملقب بالمظفر و سار سيرة ابيه وتوفي
 سنة ٢٩٩ هـ فولي بعده اخوه عبد الرحيم بن محمد ولقب بالناصر
 فملك غير طريقتها واخذ في المحرم وكان المؤيد قد رمن
 الى المنصور ثم الى ابنه المظفر ~~فأمرهم~~ فأتى به المملوك والتمزم
 بينه مسترياً منه عنائلاً ولا رأى حال الناصر كره
 قد سما له الناصر جماعة خوفاً منه انه لم يجعل ولياً عنه
 فقتل المؤيد ذلك مرغماً و شاع في الناس فحققوا عليه
 ولا سيما بني امية وأبغضوه، وغزاه ~~الملك~~ فاولى في
 بلاد المملوكية وبينما هو راجع بلغه انه محمد بن همام بن عبد
 الجبار بن الناصر لديه انه قد ظهر بقرطبة واستولى عليها واخذ
 المؤيد اسيراً ~~فأمرهم~~ فخرج في عسكر الناصر ففرقوا
 عنه ولم يبق معه الا خاصته فسار الى قرطبة ليتدفق في طلب
 فخرج اليه عسكر محمد بن همام فقتلوه وحملوا رأسه الى قرطبة
 فوضعوا به وذلك سنة ٢٩٩ هـ ثم ملبوه . ~~وكان~~
 وكان محمد بن همام هذا قد تلقب بالمهدي ودعا لنفسه

اليه لما رأى من ضعف المؤيد وأعلن ذلك معه اثنا عشر جند
 تابعين للناس وملكوه وأخذ المؤيد فحبسه معه في القصر
 ثم لما قتل الناصر أخرج المؤيد ورعاه ابنه يعقوب اليه
 ففضل المؤيد ثم أخفاه وأظهر انه مات . وكان قد مات
 ان ابن نصراني يشبه المؤيد فأبرزه للناس وذكر لهم انه
 المؤيد فلم يشكوا في موته وصلوا عليه ودفنوه في مقابر
 الخلفاء وبايع الناس ابنه عبد الجبار الملقب [بالمهدي]
 ثم تقهوا عليه أشياء من أن كان يعمل النسيج في قصره
 فسجدوا لباؤا ومنابته للبر فصفقوا عليه ومنابته
 انه كان متلونا في المخلوق فاقبلوا عليه .
 ولما وقع في قلب اهل الهند من المهدي (ابن عبد الجبار)
 ما وقع قصدوا هضم به سليمان بن عبد الله الناصر فأخرجوه
 من داره وبايعوه فتلقب [بالرئيس] وذلك في اواخر
 سنة ٥٩٩ هـ واجتمعوا بنهر قرطبة فخرج اليهم المهدي
 (ابن عبد الجبار) باصحابه فقاتلهم فانهزم اصحابه هزيم
 (والرئيس) وأخذ هو اسيرا فقتله المهدي ومنه كان
 معه من القواد واستقر امره . وكان هضم ابنه اخيه .
 وبعد هذه الواقعة بعينه انقم من نهم من اصحاب
 هضم المقتول وكان معهم ابنه اخ له اسمه سليمان بن هضم

اسم سليمان به الناصر فبايعوه ولقبوا [المستعين بالله]
 ثم لقب [الظاهر بالله] وساروا إلى مع جاورهم من الغفاري
 الذين كانوا في صالحيهم واستجدوا لهم فأجدهم وساروا
 معهم إلى قرطبة فقاتلوا ابنه عبد الجبار فانزلهم وحصن
 بقصر قرطبة ودخل سليمان (الظاهر بالله) البلد فحضر في
 القصر والغار الهرب والروم على قرطبة فنهبوا وسبوا
 وقتلوا عداً عظيماً . ولما رأى ابنه عبد الجبار ما كان يترقبه
 الظاهر المؤيد - ولما كان لوزير الحبش عنده في القصر - وطلب
 ابنه الناس حتى رأوه يرجعون إليه ويخلصونه هو وسليمان . ولكنه
 الناس لم يسموا له نظير ابنه المؤيد قد مات . فهرب
 إلى داره وأخفى ودخل سليمان القصر فبايعه الناس
 بالحنيفة (سنة ٩٠٠ هـ) وكانت عدة القتلى في هذه الوقت
 نحو خمسة وثلاثين ألفاً . . .
 وسار ابنه عبد الجبار إلى طليطلة فجاءه بعده
 أصحابه فجمعوا جميعاً من شربة الدواب وكتبتهم فرجع
 بهم إلى سليمان ~~فلم يزل~~ فحدثت وقعة انزلهم فلا سليمان
 إلى طليطلة ودخل ابنه عبد الجبار (المهدي) قرطبة وجد
 البيعة لنفسه وحجبه المؤيد الذي لم يتب له الناس
 وكان مع سليمان جماعة من الفتيان وعدوه خيراً

وانصرفوا الى ابيه عبد الجبار وطلبوه قبول طاعتهم وانه يحلهم في
 جملة رجاله فاجابهم الا زلت فلما كان ناس في الحجة سنة
 ٤٠٠ هـ اجتمعوا في القصر فمكثوا واخذوا ابيه عبد الجبار
 اسيراً واخرجوا المؤيد بالله فاحبسوه بحلب فمكثوا
 وبابغداد واخرجوا ابيه عبد الجبار بيدهم فعدوا ذنوبه
 عليه ثم امر بقتله فقتل وطيف برأسه في قرطبة وعمر
 ثوبه وشوشونه سنة ٤٠٠ هـ
 عاد المؤيد الى سبيل الملك فسلم زمام تدبيره الى
 رجل من العارضة فتيانه الوزير ابي عامر، يدعي راجحاً
 وادخل اهل قرطبة الاصفى فوعدهم ومناهم واحببهم
 وكتب ~~الى~~ الى سليمان به الحكم واصحابه من البربر وهم
 في ساطعة يدعيهم الطاعة فلم يجيبوه فامرا جناده بالخذ
 والاحتياط ثم امر سليمان والبربر واسلوا ابيه الفونس
 ملك الافرنج انهم راجعوا اليه مصوناً كان المنصور
 ابيه ابي عامر قد فتر ~~الى~~ فمدونه فاجل ملك
 الافرنج الى المؤيد يعرفه الى وطلب منه تسليم المصون
 فسلم اليه خيفة انه يسيده سليمان . ولما ايسر
 البربر من انجاد الفرنج رجعوا فزلا قريباً من قرطبة وجعلت
 خيلهم تنهز يمنة وسماء ماثلاً وغربوا البؤد فحصل المؤيد وراء
 وخلفه فاقام قرطبة ايام السور الكثير فانتقل سليمان
 الى الزهراء فملكها عنوة وطفى البربر في اهلال . ثم ان
 راجحاً

هذه الهمم لو قد بنت المآثر
 حاكمت فيهن السلوك الصواب
 واجن من قلبي الحمى وغنيتني
 في عز ملكي كالوسيد العاني
 لا تغفلوا عنك لئلا لا هو
 ذل الهوى عز ومدة ثمان
 ما غرني جبهته صباية
 وبنو الزمان وهمت به عبداني
 انه لم اطمح فيهن سلطان الهوى
 كلفا برت فلت به مرداني
 وادوا انكرم احب امت الف
 خطب القلي وهو ادب السلوان
 واذا تجاري في الهوى الهوى
 عاسد الهوى في غبطة دمان

وهذه القصيدة انما نظمت المستعين معارضاً للابيات
 التي عملها العباس بن الوليد بن محمد بن الرشيد فنسبت
 اليه وهي

سنة الثموش من ان جاني وحسن من قلبي بكل مكان
 ما لي قطا وعني البرية كل
 ما اذك الاله سلطان الهوى وبه قومه اعز منه سلطان
 وهذه القلعة ارسوه ~~واستعدوا~~ وأعذب بومر فقل
 المستعين وهو لوني مستعد في ثورة يطعن او قاريوه
 ومدة يه به او عمره يحافظ عليه ، فيجاري العباس به
 الوليد وهو الرزق قومه المبيع وراعي له في قلبه ان رشده
 مشهور

شعره وترويقه انتهى .

وكان من جملة جنده سليمان (المستعين الظاهر) وعند دخوله
قرطبة رجعون من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب وها القاسم
وعلي ابنا عمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبد الله بن عمر
ابن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .
فجعلها سليمان قائدين على المغاربة ثم دلى اعداهما عدياً وهو
الاصغر منها مدينتي - جنة وطنجة ودلى القاسم الجزيرة
الخضراء . ورأى علي ما صارت اليه حال خلوة المومنين
فتحركت في نفسه غيرة العلويين فكاتب بعض العصاة من
العبيد والبربر يخبرهم أنه المؤيد لما كان محصوراً في قرطبة
كتب اليه يوليه عهده ويبيد هم وعوداً طائلة فاستجابوا له
وبايعوه فزحف بهم المارقة فتملكوا ثم الى قرطبة فدخلوا
بعد قتال عنيف وكان ناقماً على سليمان اشياء بعضها له في
نفسه فاستخفوه اليه وضرب عنقه بيده يوم الوجد تسع
بقيه من المحرم (١١ محرم) سنة ٤٠٧ هـ وقتل اباه اكمل به
سليمان به انما امر ايضاً في ذلك اليوم وهو شيخ كبير له
٧٠ سنة . وكانت مدة ديوته سليمان منذ دخل قرطبة
١١٠٠ سنة قتل ثلثة اعمام وثلاثة اشهر واثباتاً ولما قد تملكوا
قبل ذلك سنة اشهر وكانت مدة منذ قام مع البربر
ان قتل سبعة اعمام وثلاثة اشهر . وبمقتله الحفي

ذكر دولة بني ابيه على المنابر في هذا الوقت في جميع اقطار الهند

وولي علي به عمود وتسمى بالملوك وتلقب بالناصر وقد
تقدم له فاستدله الامر في قرطبة عاماً ومهجرة الشجر
الى ابيه فله صقالة له في الحمام سنة ٩٠٨ وحلف به الولد

يحيى وادريس

فولي بعده اخوه القاسم به عمود وكان اُسماً سنة ٩٠٩
اعوام وكان دويماً رقيقاً فلم يغير للناس عادة فأسسوا
معه وبقي كذلك لا شيء يبيع مولد سنة ٩١٢ فقام عليه
ابو اخيه يحيى به علي به عمود بمالقة فزاد القاسم عن
قرطبة بموقد ورحل الى اشبيلية وزحف ابوه اخيه يحيى
المذكور بمالقة بعد مره ودخل قرطبة بموقد وتسمى بموقد

وتلقب بالمعتك

يحيى (المعتك)

وبقي المعتك كذلك الى انه اجتمع للقاسم امره واستل
البربر وزحف بهم الى قرطبة فدخلوا سنة ٩١٢ وذهب
يحيى (المعتك) الى مالقة وبقي القاسم بقرطبة سورا
ثم اضطرب امره وزحف ابوه اخيه يحيى على الجزيرة الخضراء وانه
أخيه متاخي ادريس به علي صاحب سبتة على طنجة ورأى تغيراً
من اهل قرطبة عليه فخافهم وانتقل الى اشبيلية وراحا كان
ابناه محمد وحسن فلما عرف اهل اشبيلية خروج عمه قرطبة
ومجيئه اليهم طردوا اليه وراحا به معهما البربر وحبسوا اليه
فلحق

فلحق القاسم بن ربي واجتمع البربر على تقديم ابنه اخيه
 يحيى فقصوه واخذوه اليه ابياً حيث ظهر عنده
 وعند اخيه ادريس بعده الى ان مات ادريس فقتل قيس
 مولى القاسم خنقاً سنة ١٢١ هـ وحمل ابنه محمد به مقام
 وهو باجريرة فدفن هناك فكانت دوية القاسم قد تسمى
 بالحنوفة بقرطبة لا اله الا الله اخيه ستة اعمام ثم كان
 مقبوضاً عليه سنة ١٢٢ هـ فقتل عنده اخيه يحيى وادريس
 الى ان قتل وعمرهما ثمانية وولده الولد محمد وحسن.

يضع هنا ما
 عن محمد بن عيسى

ابن يحيى بن علي (المعتمد) فقتل عنده اخيه محمد

عنه ولا حيلة في ذلك سنة ١٢٣ هـ

وكان قتلهم احد قرطبة على العلويين سلم الى البربر
 وانقادهم لهم فآذعوا على روادهم الى بني امية
 فاقتاروا منهم عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد
 الرحمن الناصر ولقبوه [المستظهر] وكان ارباباً فيها
 رقيه النفس عارفاً ببلد قرة واليها ؛ هكذا يعنف المؤمنين
 ولا اراهم يفتونهم بالخبرة في السياسة والمعرفة بشؤون
 الملك على ان الملوك لا يحسن البتة عن معرفتهم
 بالشؤون والادب والوفاء عنه بيان فترتهم في السياسة
 والارهاق وقلة ما هم الحيلة وجل اصحاب قواريننا
 انما يفتون بالملك ~~محمداً~~ ارا كانت له اخبار مع مواريه حاشاً

الشيعة في الاخرة
 الحسين عليه السلام
 به سبكه به عظم
 ومما يصفونه
 الزهراء

او كان له استغفار بهود وعلم بالفتنهم المشور !...
 ولد المستظهر سنة ٥٨٢ هـ وكنيته ابو المظفر
 وبيع بالخوذة في رمضان سنة ٩١٤ وبعثه ٢٢ سنة فلم تطل
 مدة غير ٧٩ يوماً اذ ثار عليه محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله
 بن عبد الرحمن الناصر مع طائفة من اهل العامة فقتلوه
 في آخرة القعدة سنة ٩١٤ ولا عقب له

ودلي بعده محمد بن عبد الرحمن المذكور ، ومولده سنة
 ٥٨٦ هـ وكنيته ابو عبد الرحمن . ولقب [المستنفي]
 وكان في غاية السخا وكمال العقل وسوء التدبير فاستوزر
 حبلوا حائل (١) اسمه احمد بن خالدة المديري لادن
 والمدير له دولة . فقامت خدوة سنة اشر وايماناً وساء
 القرطبيين به فدخلوا عليه فقتلوه وزير الحائك واخرجه
 هو الى طاهر المدينة فخلوا مطردوا فكمه بالثغور ومع
 قائد خبر منه فعمد وجاجة فستمر وقد راى اليه فاكلوا المستنفي
 فمات مكانه وهو في قرية تعرف بسميت بالقرب من مدينة
 سالم وذلك سنة ٩١٨ هـ

واقام يحيى بن علي الفاطمي (المعتلي) نائدا الامر في
 الرواية الا انه لم يدخل قرطبة وانما كان مقبلاً بقرمونة
 وبينما كان محاصراً لوشيلية في سنة ٩٢٧ هـ خرجت
 عليه خيل فانت كاشة له فقتله وانقطعت دعوتاه
 هذه مشهورة في كتاب التزاحم

ملوك على غير تنسيق

- كشف -

قدت الكلام في هذا المطلب ، ولعل صدور الخفاء والملوك ،
على دولة الراشدين في الجبال فالامويين في الرقيم ثم العباسيين
في العراق فالامويين في الهندس وادوت اكل الشوط الى زمنا
هذا مترجما من غير كل دولة من دول الاسلام كاللغة الحديثة
بمراكش والاعلمية بتونس والطولونية بمصر ودولة
بنو بويه بایران والمراطين والموحدين بمراكش والايوبيين
والخديويين بمصر وهم جرا غير اني لم اجدني ذلك العمل كبير
نفع لونه في كل مكانا رحيبا من الكتاب اضطر فيه عند ذكر كل ملك
الى الالام بتاريخ دولته صوره اخطا وقورا وضغنا وهذا يحتاج الى
كتاب كبير يتفرد له كما صنع احد ادباء المعاصرين رزق الله مقربوس
الصد في فانه جمع كتابا في ثلثة مجلدات سماه « تاريخ دول الاسلام »
ذكر فيه على سبع وستين دولة اسلامية وبوشر تبويبا لم يسجد اليه
دولا مافيه من ضعف في الاشياء وخطط في بعض المواضع لئلا الخطر
عنه القضاء ، على انه كتابي هذا انما جئت به بكمهم على كبار الرجال
واعظمهم لادعاء اخبار الدول والبلد في الممالك فرأيت اجد بري انه اقرب
عنه هذا الحمد واختم باب الخفاء والملوك بأمرهم بعد عبادة العراق
واموية المغرب مفتغيا منهم بمهملوه صيت او سار له ذكر وسمي

انتزع الرئس منهم اهل البلاد منه وسبانيول وتفرقوا
 واصفهم .
 وهذا آخر ما يقال علم ضيق المجال في الكلام على
 خلفاء بني امية في المغرب اعتمدت فيه على عدة كتب
 يشوبها العارضة بالتاريخ من كتاب نفع الطيب المقرئ
 وكتاب الكامل لوجه الاثير، والامارات لوجه تقدم، والبيان
 للمغرب لوجه عذاري، والمعجب للتميمي، والادب قصاصي اخبار
 المغرب لوجه، وفيها ما يطول في تحريها في بيان الكتب
 التي اخذت منها في آخر هذا الكتاب له .

المقدم والمراجع

د. محمد علوان سالماني

- دكتوراه في الأدب العربي الحديث
- عضو اتحاد الكتّاب
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
- صدر له العديد من الأعمال، منها:
 - * من وحي عينيك (شعر)
 - * عندما يبكي الربيع (شعر)
 - * صراخ الصمت (شعر)
 - * فلسطين في الشعر المصري (دراسة)
 - * مأساة لبنان في الشعر العربي (دراسة)
 - * الإيقاع في شعر الحداثة في مصر (دراسة)
 - * السريرة المنزعجة في شرح القصيدة المنفرجة للبصروي (تحقيق ودراسة)
 - * شرح ديوان الزّفيان السعدي (تحقيق ودراسة)
 - * فن الألغاز عند العرب (تحقيق ودراسة)
 - * من ديوان الشعر العربي ج ١، ويضم تحقيقاً لدواوين: أبي محجن الثقفي، وصفوان التجيبي، وابن مرج الكحل.

ج ٢، ويضم تحقيقاً لديواني: ابن طباطبا العلوي، وابي بكر الخوارزمي.

* عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، للإمام العيني (٢٤ جزءاً) بالاشتراك.

* ديوان ابن سكرة الهاشمي (جمع وتحقيق ودراسة).

* ديوان البابا شنودة (جمع ودراسة).

* عيون الأخبار لابن قتيبة (اختصار وتقديم).

* حاصل على درع التفوق العلمي من أكاديمية الدراسات العليا بطرابلس الغرب.

* فاز بالميدالية التذكارية من المركز الثقافي المصري بطرابلس الغرب.

* * *

فهرس الكتاب

٥	الإهداء
٧	التقديم
٢٣	بيت النبوة (أجداده وآباؤه وأبناؤه)
٦٥	كتاب الملوك والأمراء (ملوك الجاهلية وأمراؤها)
١٠٩	الخلفاء الراشدون
١٣١	بنو أمية في الشام
١٦٥	الدولة العباسية
٢١١	بنو أمية في الأندلس
٢٣٧	ملوك على غير تنسيق
٤٥١	فهرس الكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

(تراجم الأوائل والخلفاء - الأعلام الصغرى) نسخة يتيمة
تركها الزركلى حبيسة أدراجة وبين ملفات أوراقه.. والصدفة
- وحدها - هى التى قادتنى إليها لاكتشافها!!

ترجم الزركلى لأكثر من مائة وخمسين من الملوك
والخلفاء.. جمعها من أكثر ستين مصدرًا ومرجعًا.. بدأها
بترجمة وافية للنبي (صلى الله عليه وسلم) ثم انتقل إلى آل
بيته من آباء وأجداد وأولاد وانتقل بعدها لترجمة ملوك
الجاهلية ثم الترجمة للخلفاء الراشدين ثم الترجمة لخلفاء
بنى أمية فى الشام ثم خلفاء بنى العباس فى العراق ثم
الأمويين فى الأندلس.

هذا الكتاب صغير الحجم، كبير المقام، كثير العلم، هو
موسوعة أدبية جامعة جمعت الأنساب إلى الأشعار، والتاريخ
والمعارك إلى الفتوحات والنوادر..

هو كتاب بحق جدير بالقراءة والاقتناء.



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٠ جنيهاً